

لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم
ابن تيمية الحراني
المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

تحقيق وتعليق
د. علي بن حسن بن ناصر
د. عبد العزيز بن إبراهيم العسكر
د. حمدان بن محمد الحمدان

المجلد الرابع

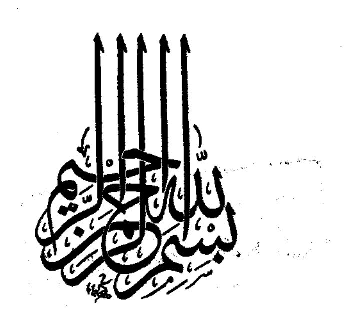




(٤)

الطبعة الثانية
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤



فصل

تفسيرهم لتجسُّم كلمة الله بالمسيح، وأنه اتحاد بريء من الاختلاط ونحوه، والجواب عن ذلك

قالوا: وأما تجسم كلمة الله الخالقة التي بها خلق كل شيء، وتجسدها بإنسان مخلوق، وهو الذي أخذ من مريم العذراء المصطفاة، التي فضلت على نساء العالمين واتحدت الكلمة به اتحاداً برياً من اختلاط أو تغير أو استحالة[1] وخاطب الناس، كما خاطب الله موسى النبي من العوسجة، ففعل المعجز بلاهوته، وأظهر العجز[2] بناسوته، والفعلان هما من المسيح الواحد.

والجواب: إن في هذا الكلام من أنواع الكذب والكفر والتناقض أموراً كثيرة، وذلك يظهر بوجوه:

الأول: أن قولهم كلمة الله الخالقة التي بها خلق كل شيء كلام متناقض، فإن الخالق هو الإلٓه الخالق، وهو خلق الأشياء بكلامه، وهو قوله: (كن)، فالخالق لم يخلق به الأشياء، بل هو خلقها والكلام الذي به خلقت الأشياء ليس هو الخالق لها، بل خلق الخالق الأشياء، والفرق بين الخالق والمخلوق، وبين ما به خلق الخالق معقول.

وهؤلاء جعلوا الخالق هو الذي به خلقت المخلوقات، فجعلوا الكلمة هي الخالق، وجعلوا المخلوقات خلقت بها.

---

(١) (اختلاط أو تغير أو استحالة) هذه العبارة كتبت هكذا في جميع النسخ، ولكن في نظري لا يستقيم الكلام إلّا إذا زيد فيه كلمة (غير) ليصبح كالآتي: (من غير اختلاط أو تغير أو استحالة).

(٢) في أ (المعجز) بدلاً من (العجز).

وإيضاح هذا أن الكلمة إن كانت مجرد الصفة، فإن الصفة[1] ليست خالقة، وإن كانت الصفة مع الموصوف فهذا هو الخالق، ليس هذا هو المخلوق به.

والثاني: قولهم: تجسدها بإنسان مخلوق، وقولهم: تجسم كلمة الله، فإن قولهم تجسمت وتجسدت يقتضي أن الكلمة صارت جسداً وجسماً بالإنسان المخلوق، وذلك يقتضي انقلابها جسداً وجسماً، وهذا يقتضي استحالتها وتغيرها، وهم قالوا: اتحاداً بريًّا من تغير واستحالة.

الثالث: قولهم: اتحدت الكلمة به اتحاداً بريّاً من اختلاط أو تغير[2] أو استحالة، كلام متناقض أيضاً، فإن الاتحاد يصير الاثنين واحداً، فيقال قبل الاتحاد كان اللاهوت جوهراً والناسوت جوهراً آخر.

وإن شئت قلت: كان هذا شيئاً وهذا شيئاً، أو هذا عيناً قائمة بنفسها، وهذا عيناً قائمة بنفسها[3]، فبعد الاتحاد إما أن يكونا اثنين كما كانا، أو صار الاثنان واحداً، فإن كانا اثنين كما كانا فلا اتحاد، بل هما متعددان كما كانا متعددين، وإن كانا قد صارا شيئاً واحداً، فإن كان هذا الواحد هو أحدهما، فالآخر قد عدم وهذا عدم لأحدهما لا اتحاده، وإن كان هذا الذي صار واحداً ليس هو أحدهما، فلا بد من تغييرهما واستحالتهما، وإلّا فلو كانا بعد الاتحاد اثنين باقيين بصفاتهما لم يكن هناك اتحاد.

فإذا قيل: اتحد اتحاداً بريًّا من اختلاط أو تغير أو استحالة، كان

---

(١) في أ، س (فالصفة) بدلاً من (فإن الصفة).

(٢) في أ (تغيير) بدلاً من (تغير).

(٣) (وهذا عيناً قائمة بنفسها) ساقطة من س.

هذا كلاماً متناقضاً، ينقض بعضه بعضاً، فإن هذا إنما يكون مع التمدد والمباينة، لا مع الاتحاد. يوضح[1] ذلك أنه إذا اتحد الماء واللبن، أو الماء[2] والخمر، ونحو ذلك كان الحاصل من اتحادهما شيئاً ثالثاً ليس ماء محضاً ولا لبناً محضاً، بل هو نوع ثالث، وكل من من الماء واللبن قد استحال وتغير واختلط، وأما اتحاد بدون ذلك فغير معقول.

ولهذا عظم اضطراب النصارى في هذا الموضع، وكثر اختلافهم، وصار كل منهم يرد على الآخر ما يقوله، ويقول هو قولاً يكون مردوداً، فكانت أقوالهم كلها باطلة مردودة، إذ كانوا قد اشتركوا في أصل فاسد يستلزم أحد أمور كلها باطلة، فأي شيء أخذ من تلك اللوازم كان باطلاً، ولا بد له منها فيأخذ هذا بعض اللوازم فيرده الآخر، ويأخذ الآخر لازماً آخر فيرده الآخر.

وهذا شأن جميع المقالات الباطلة، إذا اشترك فيها طائفة لزمها لوازم باطلة، وفساد اللازم يدل على فساد[3] الملزوم، فإنه إذا تحقق الملزوم تحقق اللازم، وإذا انتفى اللازم انتفى الملزوم.

وهذا يتبين **بالوجه الرابع**: وهو أن يقال: كثير من النصارى يقول: إنهما[4] بعد الاتحاد جوهر واحد، وطبيعة واحدة ومشيئة واحدة، وهذا القول يضاف إلى اليعقوبية.

ويقولون: إن اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا، كما يختلط الماء واللبن، والماء، والخمر، وهذا القول هو حقيقة الاتحاد، لا يعقل

---

(١) في أ (ويوضح) بزيادة الواو.
(٢) في أ، ط (والماء) بدلاً من (أو الماء).
(٣) (فساد) ساقطة من ط .
(٤) في ط (إنها) بدلاً من (إنهما).

الاتحاد إلاَّ هكذا، لكن فساده ظاهر لعقول الناس، فإذا[1] كان هذا لازماً[2] لقول النصارى، وفساده ظاهراً، كان فساد اللازم يدل على فساد الملزوم، فإن حقيقة هذا القول أن الذي كان يأكل ويشرب ويبول ويتغوط، والذي ضرب وبصق في وجهه، ووضع الشوك على رأسه هو رب العالمين.

ونفس تصور هذا القول مما يوجب العلم ببطلانه وتنزيه الله عن ذلك، وأن قائله من أعظم المفترين على الله، قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴾[3].

الوجه الخامس: قولهم: وخاطب الناس، كما خاطب الله موسى من العوسجة، يوجب أن يكون الذين كلمهم المسيح ممن آمن به وكفر به، بمنزلة[4] موسى بن عمران الذي كلمه الله تكليماً.

ومعلوم أن تكليم الله لموسى ــ عليه الصلاة والسلام ــ ، مما فضله به على غيره من النبيين، فإن كان آحاد الناس بمنزلة موسى بن عمران لزم أن يكون كل من آحاد الناس في ذلك بمنزلة موسى بن عمران، وهذا مما يعلم فساده بالاضطرار من دين الرسل.

---

(١) في س، ك، ط (فإذا) بدلاً من (وإذا).
(٢) في أ، س، ك (لازم) بدلاً من (لازماً).
(٣) سورة مريم: الآيات ٨٨ ــ ٩٥.
(٤) في ط (هو بمنزلة) بزيادة (هو).

الوجه السادس: أنه من المعلوم أن خطاب الله لأنبيائه ورسله أفضل من خطابه لمن ليس بنبي ولا رسول. والمسيح ــ عليه السلام ــ لم يكلم عامة النبيين والمرسلين، بل لم يكلم إلاَّ ناساً منهم من آمن به، ومنهم من كفر به.

والتحقيق أنه لم يكلم أحداً من رسل الله، ولكن النصارى يزعمون أن الحواريين رسل الله، وهذا باطل، ولو سلم فلم يكلم إلاّ اثني عشر رسولاً، وقد بعث الله قبله رسلاً كثيرين. وقد روى في[1] حديث أبي ذر[*] أن عدتهم ثلاثمائة وثلاثة عشر.

وقد قال الله في القرآن:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾[2].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[3].

وفي الحديث الذي في المسند، عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه قال: «أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله ــ عز وجل ــ»[4]، وهذه[5]

---

(١) في أ (من) بدلاً من (في).

(*) سبقت ترجمته. والحديث أخرجه الإمام أمهر عن أبي ذر، وعن أبي أمامة ٥/٣٦٥، والحاكم في المستدرك ٢/٥٩٧.

(٢) سورة النحل: من الآية ٣٦.

(٣) سورة فاطر: من الآية ٢٤.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) في أ (وهي) بدلاً من (وهذه).

السبعون سواء كانت هي التي هداها، أو هي الجميع فإنه يدل على كثرة[1] الرسل، ولم يكلم الله أحداً[2] من هؤلاء من بشر حل فيه، فلو كان المكلم للناس في عيسى هو الله، لكان تكليم الله للذين كلمهم عيسى من الكفار والمؤمنين[3] أكمل من تكليمه[4] رسل الله الذين أرسلهم.

الوجه السابع: أن الناسوت ناسوت المسيح هو من جنس سائر النواسيت، والإنسان لا يستطيع أن يرى الله في الدنيا، كما أخبر بذلك موسى وعيسى ومحمد، ــ صلَّى الله عليهم وسلَّم ــ[5]، فإذا لم يستطع أن يراه كان أن لا يستطيع الاتصال به ومماسته، فضلاً عن الاتحاد به أولى وأحرى.

الوجه الثامن: أن الله لما كلم موسى ــ عليه السلام ــ من الشجرة كان الكلام المسموع مخالفاً لما يسمع من كلام الناس، ولهذا لم تطق بنو إسرائيل سماع ذلك الصوت، بل قالوا لموسى صف لنا ذلك[6]، وهذا عندهم في التوراة.

(١) في ط (أكثرية) بدلاً من (كثرة).
(٢) في س (أحد) بدلاً من (أحداً).
(٣) في ط، س، ك (المؤمنون) بسقوط (و).
(٤) في ط، س، ك (يكلمه) بدلاً من (تكليمه).
(٥) (ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ) ساقطة من ط، س، ك.
(٦) وجدت في سفر الخروج ــ الإصحاح العشرون: (١٨ ــ وقالوا لموسى تكلم أنت معنا فنسمع ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت).
انظر العهد القديم ص ١٣٠.

كما روى الخلال[1] في كتاب السنَّة[2]، عن أحمد بن حنبل[3]، فيما[4] رواه من حديث الزهري[5] قال: «لما سمع موسى كلام الله قال: يا رب هذا الكلام[6] الذي أسمع[7] هو كلامك؟ قال: نعم يا موسى هو كلامي، وإنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان، ولي قوة الألسن كلها، وأنا أقوى من ذلك، وإنما كلمتك على قدر ما يطيق بدنك، ولو كلمتك بأكثر من هذا[8] لمت، فلما رجع موسى إلى قومه قالوا له: صف لنا كلام ربك، فقال: سبحان الله، وهل أستطيع أن أصفه لكم؟ قالوا: فشبهه لنا، قال: هل سمعتم أصوات الصواعق التي تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها[9] فكأنه مثله»[10].

وأما المسيح ـ عليه السلام ـ، فكان كل أحد يسمع صوته

---

(١) في ط (الجلال) بدلاً من (الخلال).

(٢) كتاب السنَّة: كتاب ألفه ورتبه أحمد بن هارون، أبو بكر الخلال وهو مفسر صاحب علم بالحديث واللغة من كبار الحنابلة، وهو من بغداد، وجامع علم أحمد، ومن كتبه طبقات أصحاب أحمد بن حنبل، وتفسير الغريب والعلل.
انظر: البداية والنهاية ١٤٨/١١؛ وطبقات الحنابلة ١٢/٢؛ والأعلام ٢٠٦/١.

(٣) أحمد بن حنبل. انظر ١٦٨/٣.

(٤) في أ (ما).

(٥) هو: عبد الرحمن بن عوف القرشي ـ أحد العشرة المبشرين بالجنة ـ هاجر الهجرتين وشهد المشاهد كلها ـ وبذل ماله في سبيل الله ـ مات سنة ٣٢هـ.
انظر: الإصابة ٤٠٨/٢؛ والاستيعاب ص ٣٨٥؛ والتهذيب ٢٤٤/٦.

(٦) (الكلام) ساقطة من أ.

(٧) (الكلام الذي أسمع) ساقطة من ك، في س (الذي أسمعه) بدلاً من (الكلام الذي أسمع).

(٨) في أ (ذلك) بدلاً من (هذا).

(٩) في ط (وسمعتموها) بزيادة (و).

(١٠) انظر: كتاب الموضوعات ـ باب تشبيه كلام الله ـ عز وجل ـ بالصواعق ١١٢/١ ـ عن جابر بن عبد الله ـ بمعناه.

كصوت سائر الناس لم يتميز عنهم بما يوجب أن يكونوا سمعوا كلام الله، كما سمعه موسى بن عمران.

الوجه التاسع: أن الجني إذا حل في الإنسي، كما يحل في المصروع، ويتكلم على لسانه، فإنه يتغير الكلام ويعرف الحاضرون أنه ليس هو كلام الإنسي مع أنه يتكلم بلسان الإنسي وحركة أعضائه، فيعلم[1] أن الصوت حصل بحركة بدن الإنسي، مع العلم بأنه قد تغير تغيراً خالف به المعهود من كلام الإنسي، والإنسان الذي حل فيه الجني يغيب عنه[2] عقله ولا يشعر بما تكلم الجني على لسانه. فرب العالمين ــ سبحانه وتعالى ــ لو حل في بشر واتحد به وتكلم بكلامه، وكان الكلام المسموع كلام الله المسموع منه، لكان يظهر من الفرق بين ذلك وبين المعهود من كلام الإنسي ما هو في غاية الظهور، وكان[3] يتغير حال الإنسي غاية التغير، فإن الرب ــ عز وجل ــ لما تجلى للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً، فإذا كان البدن الإنسي لا يثبت لتجليه للجبل، فكيف يثبت لحلوله فيه وتكلمه[4] على لسانه من غير تغير في البدن.

وقد كان الوحي والملائكة إذا نزلت على الأنبياء في باطنهم يظهر التغير في أبدانهم، فكان النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إذا نزل عليه الوحي ثقل حتى يبرك[5] به البعير، وإن كان فخذه على فخذ أحد ثقل حتى كاد يرضه.

---

(١) في أ (فعلم) بدلاً من (فيعلم).
(٢) (عنه) ساقطة من ك، أ.
(٣) في أ، س (فكان) بدلاً من (وكان).
(٤) في ط، ك (ويكلمه) بدلاً من (وتكلمه).
(٥) في ط، ك (ينزل) بدلاً من (يبرك).

وفي الصحيحين، عن عائشة[1] «أن الحارث بن هشام[2] قال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ قال: أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي[3] الملك رجلاً[4] فيكلمني[5] فأعي ما يقول، قالت عائشة: ولقد[6] رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً»[7].

وموسى ـ عليه السلام ـ، لمَّا سمع كلام الله مقت الآدميين، لما وقر في سمعه من كلام الله، وكان النور يظهر على وجهه حتى كان

---

(١) **عائشة**: سبقت ترجمتها.

(٢) **الحارث** بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو عبد الرحمن القرشي المخزومي أخو أبي جهل وابن عم خالد بن الوليد، وأمه فاطمة بنت الوليد بن المغيرة كان شريفاً مذكوراً شهد بدراً مع المشركين، قيل بأنه مات في طاعون عمواس، وقيل استشهد يوم اليرموك.

انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٢٩٣/١؛ والاستيعاب بهامش الإصابة ص ٣٠٧.

(٣) (لي) ساقطة من أ.

(٤) (رجلًا) ساقطة من ط، ك.

(٥) في ط، ك (يكلمني) بسقوط (فـ).

(٦) في س (فلقد) بدلاً من (ولقد).

(٧) انظر:

* صحيح البخاري ـ كتاب بدء الوحي ـ باب ٢ ـ عن الحارث بن هشام بنصه بزيادة (رجلًا) وحرف الفاء في (فيكلمني).

* صحيح مسلم ـ كتاب الفضائل ـ باب رقم ٢٣ ـ عرق ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في البرد حين يأتيه الوحي ـ عن الحارث بن هشام ـ بمعناه.

* سنن الترمذي ـ باب ٣٤ ـ ما جاء كيف كان ينزل الوحي على النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حديث رقم ٣٧١٣ ـ عن الحارث بن هشام ـ بمعناه.

* الموطأ ـ كتاب القرآن ـ باب ٤ ـ حديث رقم ٧ ـ عن الحارث بن هشام ـ بلفظه ـ مع زيادة كلمة (رجلًا)، وحرف الفاء في (فيكلمني).

يتبرقع، والمسيح عند النصارى قد اتحد به اللاهوت من حين علقت به مريم، ولم يزل متحداً به وهو حمل في بطنها، يعظم اتحاده به كلما كبر، ثم كذلك كان متحداً به وهو صبي إلى أن رفع إلى السماء، وقعد عن يمين أبيه، وهو متحد به عندهم، واللاهوت والناسوت جميعاً، ومع هذا لم يتغير بدن المسيح * تغيراً يناسب ذلك، ولا ظهر من الأنوار ما يناسب ذلك بل عندهم أن المسيح *[1] قبل أن يعمده «يوحنا» ويرى شبه الحمامة نازلاً عليه، لم يظهر الآيات، بل كان كآحاد الناس. * وأول ما ظهر من الآيات قلب الماء خمراً *[2].

وموسى ـ عليه السلام ـ بمجرد ما[3] سمع الكلام ظهر عليه النور[4]، وأين سمع الكلام من[5] الاتحاد به.

وموسى لما سمع الكلام وكلمه الله من الشجرة نزلت الملائكة وظهر له[6] من آيات الله، وعظمته، ما يناسب تكليم الله ـ عز وجل ـ.

والرب دائماً عند النصارى متحد ببدن المسيح ولم يظهر من آيات الربوبية والعظمة إلّا ما يظهر أكثر منه لبعض الأنبياء.

الوجه العاشر: أن المخاطب للناس إن كان هو مجموع اللاهوت والناسوت فكلامه صريح في أنه مخلوق مربوب يدعو ويسأل، والمجموع ليس بمخلوق يسأل الله ويعبده، وإن كان هو اللاهوت وحده

---

(١) ما بين النجمتين ساقط من ط.
(٢) ما بين النجمتين ساقط من ك.
(٣) (ما) ساقطة من ك.
(٤) في ط (وكلمه الله ظهر عليه النور) بزيادة (وكلمه الله).
(٥) في أ، ك (إلى)، في س (إلّا).
(٦) (له) ساقطة من س، أ، ك.

كما يقتضيه كلامهم[1] هذا، فهو أبعد وأبعد، وإن كان هو[2] الناسوت وحده فلم يكن اللاهوت مخاطباً للناس ولم يكلم الله الناس[3] من الناسوت كما كلم الله[4] موسى من الشجرة.

وأيضاً فلم يكن فرق[5] بين حقيقة كلام الناسوت وكلام اللاهوت[6].

وكلام المسيح الصريح في أنه مخلوق كثير * وهم يقرون به لكن[7] يقولون ذلك كلام الناسوت *[8][9] فيقال لهم حينئذٍ فالمخاطب للناس هو الناسوت دون اللاهوت، وأنتم[10] قلتم أن الله خاطب الخلق من بدن المسيح كما خاطب موسى من الشجرة.

والخطاب الذي سمعه موسى من الشجرة، هو كله كلام اللاهوت، والكلام الذي كان يسمع من المسيح ليس فيه شيء يختص باللاهوت، بل عامته صريح في أنه كلام الناسوت.

الوجه الحادي عشر: أن الله لما كلم موسى من الشجرة، كان

---

(١) في ك (بكلامهم) بزيادة (بـ).
(٢) (هو) ساقطة من ط .
(٣) (ولم يكلم الله الناس) ساقطة من ط .
(٤) لفظ الجلالة (الله) ساقط من س، أ.
(٥) في ط (فوق) بدلاً من (فرق).
(٦) (وكلام اللاهوت) ساقطة من ط .
(٧) في ط (ولكن) بزيادة (و).
(٨) في ط (عن الناسوت) بزيادة (عن).
(٩) ما بين النجمتين غير ظاهر في ك، ولكن كتب في أقصى الهامش الأيسر للمخطوط فلم نتبيّنه في التصوير.
(١٠) في ط (أنتم) بسقوط (و).

الكلام كلام الله وحده، لم يكن للشجرة كلاماً أصلاً بوجه من الوجوه، فإن كان هذا المثل مطابقاً، كان الذي يكلم الناس من ناسوت المسيح هو اللاهوت وحده.

ومعلوم أن في الإنجيل وغيره من النصوص الصريحة ما يدل على أن الناسوت كان هو المتكلم، مما يبين[1] الفرق الواضح بين هذا وهذا.

الوجه الثاني عشر: أن الذي نادى موسى من الشجرة لم يتكلم إلَّا بكلام الربوبية، فقال:

﴿ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2].

﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾[3].

وسائر ما تكلم به كله يقتضي أنه كلام رب العالمين، وأما المتكلم على لسان المسيح فلم يقل كلمة من هذا أصلاً، بل كان في كلامه من الإقرار بأنه رسول، وأنه مخلوق[4] محتاج، وأنه ابن البشر، وغير ذلك مما يناقض من كل وجه كلام المنادي لموسى من الشجرة، فمن سوّى بين هذا وهذا، كان قد سوى بين رب العالمين وبين إنسان من

---

(١) في أ، س (ما يتبين) بدلاً من (مما يبين).

(٢) سورة القصص: من الآية ٣٠.

(٣) سورة طه: الايات ١٤ ــ ١٦.
في ط (إني أنا الله) بدلاً من (إنني أنا الله).

(٤) (مخلوق) ساقطة من س،ك.
(مخلوق) مشطوبة في أ.

الآدميين، وهو[1] أضل من الذين قال الله فيهم:

﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[2].

فإن أولئك جعلوهم أنداداً لله في بعض الأمور مع اعترافهم بأنهم[3] مخلوقون، وهؤلاء الضلال جعلوا هذا الإنسان الذي يتكلم هو رب العالمين الذي كلم موسى من الشجرة، وقالوا: إن هذا الذي كلم العباد هو ذاك الذي نادى موسى من الشجرة.

الوجه الثالث عشر: أن يقال: معلوم أن الله أجل وأعظم[4] وأكبر من رسله بما لا يقدر المخلوق قدره، فلو كان هو الذي كلم الخلق على لسان المسيح، وكان الحواريون رسله الذين سمعوا كلامه منه بلا واسطة. لكان الحواريون إما مثل موسى وإما أعظم.

ومعلوم أن المسيح نفسه لم تكن له آيات مثل آيات موسى، فضلاً عن الحواريين، فإن أعظم آيات المسيح ـ عليه السلام ـ إحياء الموتى[5]، وهذه الآية[6] قد شاركه فيها غيره من الأنبياء كإلياس وغيره.

وأهل الكتاب عندهم في كتبهم أن غير المسيح أحيا الله على يديه الموتى، وموسى بن عمران من جملة آياته العصا التي انقلبت فصارت ثعباناً مبيناً حتى بلعت الحبال والعصي التي للسحرة، وكان غير مرة يلقيها فتصير ثعباناً ثم يمسكها فتعود عصا.

---

(١) في أ (وهذا) بدلاً من (وهو).

(٢) سورة الشعراء: الآيتان ٩٧، ٩٨.

(٣) (بأنهم) ساقطة من ط.

(٤) في ط (أعظم)، بدون واو.

(٥) في س، أ (الأموات) بدلاً من (الموتى).

(٦) في س، أ (الأمور) بدلاً من (الآية).

ومعلوم أن هـذه آية لم تكن لغيـره وهي أعظم من إحيـاء الموتى، فـإن الإنسان كـانت[1] فيه الحيـاة، فإذا عـاش فقد عـاد إلى مثل حـالـه الأول، والله ــ تعالى ــ يحيـي الموتى، بإقامتهم من قبورهم، وقد أحيـا غير واحد من الموتى في الدنيا.

وأمـا انقلاب[2] خشبـة تصير حيـواناً ثم تعـود خشبة مـرة بعد مـرة وتبتلع الحبال والعصي فهذا أعجب من حياة الميت.

وأيضاً فالله قد أخبر أنه أحيا من المـوتى على يد مـوسى وغيره من أنبيـاء بني إسـرائيـل أعـظم ممن أحيـاهم على يـد المسيـح، قـال ــ تعالى ــ :

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[3] .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[4] .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ ﴾[5] .

---

(١) في ط، ك (إذا كانت) بزيادة (إذا).

(٢) في س، أ (أن) بدلاً من (انقلاب).

(٣) سورة البقرة: الآيتان ٥٥، ٥٦.

(٤) سورة البقرة: من الآية ٧٣.

(٥) سورة البقرة: من الآية ٢٤٣.

وأيضاً فموسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان يخرج يده[1] بيضاء من غير سوء، وهذا أعظم من إبراء أثر[2] البرص الذي فعله المسيح ـ عليه السلام ـ ، فإن البرص مرض معتاد، وإنما العجب الإبراء منه، وأما بياض اليد من غير[3] برص[4] ثم عودها إلى حالها الأول ففيه أمران عجيبان لا يعرف لهما نظير.

وأيضاً فموسى فلق[5] الله له البحر حتى عبر فيه بنو إسرائيل وغرق فيه فرعون وجنوده، وهذا أمر باهر فيه من عظمة هذه الآية ومن إهلاك الله لعدو موسى ما لم يكن مثله للمسيح.

وأيضاً فموسى كان الله يطعمهم على يده المن والسلوى مع كثرة بني إسرائيل، ويفجر لهم بضربه للحجر كل يوم اثني عشر عيناً يكفيهم.

وهذا أعظم من إنزال المسيح ـ عليه السلام ـ للمائدة، ومن قلب الماء خمراً، ونحو ذلك مما يحكى عنه، ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ .

وكان لموسى في عدوه من القمل والضفادع والدم وسائر الآيات ما لم يكن مثله للمسيح، فلو كان الحواريون رسلاً قد كلمهم الله مثل ما كلم موسى من الشجرة كانوا مثل موسى، فكيف والمسيح نفسه لم يكن له آيات مثل آيات موسى، ولو كان المسيح هو[6] اللاهوت

---

(١) في ط (يد) بسقوط (ه).

(٢) (أثر) ساقطة من ط، ك.

(٣) (غير) ساقطة من ط.

(٤) في س، أ (مرض) بدلاً من (برص).

(٥) في ك (فرق) بدلاً من (فلق).

(٦) (هو) ساقط من س، أ، ك.

الذي كلم موسى لكان يظهر من[1] قدرته أعظم مما أظهره[2] على يد موسى، فإنه لم يحل في بدن موسى، ولا كان اللاهوت يكلم الخلق من موسى، كما يزعمه هؤلاء في المسيح، ومع هذه فالآيات التي أيد بها عبده موسى، تلك الآيات العظيمة، فكيف تكون آياته إذا كان هو نفسه الذي قد حل في بدن المسيح، وهو الذي يخاطب الناس على لسان المسيح؟!.

الوجه الرابع عشر: أن يقال إن قولهم إن الله خاطب الناس في المسيح، كما خاطب موسى النبي من العوسجة من أبطل الباطل، فإن الله باتفاق الأمم كلها لم يحل في الشجرة ولم يتحد بها، كما يزعمون هم أنه حل بالمسيح واتحد به، فإنه عندهم حل بباطن المسيح، بل وبظاهره واتحد به باطناً وظاهراً، والرب تعالى لم يكن في باطن الشجرة ولا حل فيها ولا اتحد بها، وقول الله إنه كلمهُ منها وناداه منها كقوله أنه:

﴿نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾[3].

وذلك مثل قوله:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[4].

وفي البقعة المباركة ونحو ذلك وليس في شيء من ذلك أن

---

(١) (من) ساقطة من ط.
(٢) في س، أ (أظهر) بسقوط (ه).
(٣) سورة القصص: من الآية ٣٠.
(٤) سورة النازعات: الآيتان ١٥، ١٦.
في ك (هل أتاك موسى) بسقوط (حديث).

الرب تعالى[1] حل في باطن الوادي المقدس، أو البقعة المباركة أو الجانب الأيمن، ولا أنه اتحد بشيء من ذلك ولا صار هو وشيء من ذلك جوهراً واحداً * ولا شخصاً واحداً، كما يقول بعض النصارى: إن اللاهوت والناسوت صارا[2] جوهراً واحداً، وبعضهم يقول: صارا شخصاً واحداً *[3] بل ولا قال أحد: أنه حل في شيء من ذلك كحلول الماء في اللبن، أو النار في الحديد، كما يقول بعضهم: إن اللاهوت حل في الناسوت. كذلك ولو[4] قدر أن بعض الناس قال شيئاً من المقالات التي لا تدل عليها الكتب الإلٰهية، ولا تعلم بالعقل لم يكن قوله حجة، إذ لا يحتج إلَّا بنقل ثابت عن الأنبياء، أو بما يعلم بالعقل.

الوجه الخامس عشر: أن الذي كلم موسى وناداه هو الله رب العالمين وتكليمه له من الشجرة من جنس ما أخبر بنزوله إلى السماء الدنيا، ونزوله[5] يوم القيامة لحساب الخلق، والكلام على ذلك[6] مبسوط في غير هذا الموضع.

وأما حلوله في البشر أو[7] اتحاده به فيمتنع[8] من وجوه كثيرة عقلاً وسمعاً، مع أنه لم يخبر به نبي.

وما تقوله النصارى في غاية التناقض، فإنهم يزعمون أن المسيح

---

(١) (تعالى) ساقطة من ط، ك.

(٢) في ط (صار) بسقوط (ا).

(٣) ما بين النجمتين ساقط من س، أ.

(٤) في ط، ك (لو) بسقوط (و).

(٥) في س، أ (وبنزوله) بزيادة (ب).

(٦) في س، أ (هذا) بدلاً من (ذلك).

(٧) في س، أ (و) بسقوط (أ).

(٨) في س، أ (ممتنع) بدلاً من (فيمتنع).

هو الكلمة، وهو الخالق، لأن الكلمة والذات شيء واحد، فلا يفرقون بين الصفة والموصوف، ثم يقولون: المتحد بالمسيح هو الكلمة دون الذات التي يسمونها الأب، ويقولون مع ذلك: إنه لم يتبعض ولم يتجزأ.

ومعلوم بصريح العقل أن الكلمة التي[1] هي الصفة لا يمكن مفارقتها للموصوف، فلا تتحد وتحل دون الموصوف، لا سيما والمتحد الحال عندهم هو الخالق، فيجب أن يكون هو الأب، وهم لا يقولون: المتحد الحال هو الأب، بل هو الابن، وإذا[2] قالوا: إن الابن هو المتحد الحال دون الأب، فالمتحد ليس هو الذي ما[3] اتحد، والابن اتحد والأب ما اتحد.

ويقولون: إن المتحد اتخذ[4] عيسى حجاباً احتجب به، ومسكناً يسكن فيه خاطب الناس فيه، ويقولون في ذلك: إنه اتحد به الأب لم يحتجب به ولم يسكن فيه ولم يتحد به فلزم قطعاً أن يكون منه شيء اتحد ومنه شيء لم يتحد، فالأب لم يتحد، والابن اتحد، وهذا يناقض قولهم لم يتبعض، ويبطل تمثيلهم بالمخاطب من الشجرة، فإن ذاك[5] هو الله رب العالمين ليس هو الابن دون الأب مع ما ذكر من[6] الفروق الكثيرة المبينة التي تبين بطلان تمثيل هذا بهذا.

الوجه السادس عشر: أن الرب ــ عز وجل ــ إذا تكلم تكلم

---

(١) (التي) ساقطة من س.

(٢) في ط (إذ) بسقوط (ا).

(٣) (ما) ساقطة من ط.

(٤) في ط (أخذ) بدلاً من (اتخذ).

(٥) في ط (ذلك) بدلاً من (ذاك).

(٦) في س، أ (في) بدلاً من (من).

بكلام الربوبية، فلو كان في المسيح اللاهوت الذي أرسل موسى وغيره، لم يخضع لموسى ولتوراته، ويذكر أنه إنما جاء ليكملها لا لينقضها[1]، ولا كان يقوم بشرائعها، فإن رب العالمين أعظم وأجل من ذلك، بل لو كان ملكاً من الملائكة لم يفعل مثل ذلك، فكيف برب العالمين.

وإذا قالت النصارى: فعل ذلك خوفاً من بني إسرائيل، أو خوفاً أن يكذبوه، كان عذرهم أقبح من ذنبهم[2]، فرب العالمين ممن يخاف ـ سبحانه وتعالى ـ ؟!.

وموسى لمَّا كان فرعون يكذبه كان يظهر من الآيات يذل[3] بها فرعون وقومه مع عتوه وعتو قومه، ولم تكن بنو إسرائيل أعتى من فرعون وقومه، فلو كان هو رب العالمين كان ما يؤيد به نفسه من الآيات أعظم مما يؤيد به عبده موسى.

ومن عجائب النصارى أنهم يدعون فيه الإلٰهية مع ادعائهم فيه غاية العجز حتى صلب.

وأما المسلمون فيقولون: هو رسول مؤيد، لم يصلب، وهذه سنة الله سبحانه[4] في رسله، فإنه يؤيدهم وينصرهم على عدوهم، كما نصر نوحاً وإبراهيم ومحمداً ـ صلوات الله عليهم وسلامه[5] ـ ، فإذا

---

(١) في ط (لينقصها) بدلاً من (لينقضها).
(٢) في ط (ذنوبهم) بدلاً من (ذنبهم).
(٣) في ط (يدل) بدلاً من (يذل).
(٤) (سبحانه) ساقطة من أ، س.
في ط، ك (سنته سبحانه) بدلاً من (سنة الله سبحانه).
(٥) في س، أ (صلَّى الله عليه وسلَّم) بدلاً من (صلوات الله عليهم وسلامه).

كان لا يجوز أن يكون رسولاً مغلوباً، فكيف يكون رباً مغلوباً[1] مصلوباً؟!

الوجه السابع عشر: قولهم فعل المعجزات[2] بلاهوته[3]، وأظهر العجز بناسوته، فيقال لهم: إن الله فعل من المعجزات ما هو أعظم من المعجزات التي ظهرت على يد المسيح ـ عليه السلام ـ، ولم يكن متحداً بشيء من البشر، فأي ضرورة له[4] إلى أن يتحد بالبشر إذا فعل معجزات دون[5] ذلك؟

الوجه الثامن عشر: أن المسيح ظهرت على يديه معجزات كما ظهر لسائر المرسلين، ومعجزات بعضهم أعظم من معجزاته، ومع هذا فلم تكن المعجزات دليلاً على اتحاد اللاهوت بالنبي الذي[6] ظهرت على يديه، فعلم أن الاستدلال بظهور المعجزات على يديه في غاية الفساد.

الوجه التاسع عشر: أن اللاهوت إن كان متحداً بالناسوت لم يتميز فعله عن فعل الناسوت، فإنهما إذا صارا شيئاً واحداً كان كل ما فعله من[7] عجز ومعجز هو ذلك الواحد، كالأمثال التي يضربونها لله ـ سبحانه وتعالى[8] ـ، فإنهم يمثلون ذلك بالنار مع الحديد، والماء مع اللبن والخمر.

---

(١) (مغلوباً) ساقطة من ط، ك.
(٢) في ط، ك، س (المعجز) بدلاً من (المعجزات).
(٣) في أ (لاهوته) بسقوط (ب).
(٤) في ط، ك (به) بدلاً من (له).
(٥) (دون) ساقطة من س.
(٦) في س، أ (التي) بدلاً من (الذي).
(٧) في ط (عن) بدلاً من (من).
(٨) (تعالى) ساقطة من أ، ك، ط.

ومعلوم أن الحديدة إذا أدخلت[1] النار حتى[2] صارت بيضاء كالنار البيضاء ففعلها فعل واحد، ليس لها فعلان متميزان: أحدهما بالحديد، والآخر بالنار، بل فيها قوة الحديد وقوة النار[3]، بل فيها قوة ثالثة ليست قوة الحديد ولا قوة النار، إذ ليست حديداً محضاً ولا ناراً محضاً.

وكذلك الماء إذا اختلط باللبن والخمر، فالمتحد منها شيء واحد، فعله فعل واحد، منه[4] ما ليس ماء محضاً ولا لبناً محضاً، لا يقول عاقل: أن له فعلين يتميز أحدهما عن الآخر، فعل[5] بكونه لبناً محضاً، وفعل[5] بكونه ماء محضاً، فقولهم بالاتحاد يوجب استحالة اللاهوت بالناسوت، وأن يصير فعل المتحد شيئاً واحداً.

وإن كان اللاهوت لم يتحد به فهما اثنان شخصان وجوهران[6] وطبيعتان ومشيئتان، وليس هذا دين النصارى مع أن حلول الرب ــ عز وجل ــ في البشر ممتنع، كما قد بسط في موضوع آخر[7].

وكذلك إذا مثلوه بالنفس مع البدن، فإن النفس تتغير صفاتها بمفارقة[8] البدن، وكذلك البدن تتغير صفاته بمفارقة[8] الروح له.

والإنسان الذي نفخت فيه الروح فصارت بدناً فيه الروح[9] هو

---

(١) في س، أ (دخلت) بسقوط (أ).
(٢) (حتى) ساقطة من س.
(٣) (بل فيها قوة الحديد وقوة النار) ساقطة من س، أ.
(٤) في س، أ (فيه) بدلاً من (منه).
(٥) في ط، ك (فعلاً) بدلاً من (فعل).
(٦) في ط، ك (جوهران) بسقوط (و).
(٧) (كما قد بسط في موضوع آخر) ساقطة من ط، ك.
(٨) في س، أ (بمقارنة) بدلاً من (بمفارقة).
(٩) (فصارت بدناً فيه الروح) ساقطة من ط، ك.

نوع ثالث ليس فيه بدن محض، وروح محض، حتى يقال: إنه يفعل كذا ببدنه وكذا بنفسه، بل أفعاله تشترك[1] فيها الروح، فهو إذا أكل وشرب فالروح تتلذذ بالأكل والشرب، وبها صار آكلاً شارباً، وإلَّا فالبدن الميت لا يأكل ولا يشرب، وإذا نظر واستدل وسمع ورأى وتعلم[2]، فالنفس فعلت ذلك بالبدن، والبدن يظهر فيه ذلك، والروح وحدها لا تفعل ذلك، وعندهم أن فعل اللاهوت[3] بعد الاتحاد * كفعله قبله، وكذلك فعل الناسوت، وهذا يناقض الاتحاد *[4].

والقول بهذا مع الاتحاد في غاية التناقض والفساد ولا يعقل نظير هذا في شيء من الموجودات، ونفس المتكلم بهذا من النصارى لا يتصور ما يقول، ولا يمكنه أن يمثله بشيء معقول[5].

● ● ●

(١) في س، أ، ك (يشترك) بدلاً من (تشترك).
(٢) في س، أ (وتعلم، سمع ورأى) بدلاً من (وسمع ورأى وتعلم).
(٣) في ط، ك (إن فعل هو فعل اللاهوت) بزيادة (فعل هو).
(٤) ما بين النجمتين ساقط من ط، ك.
(٥) هنا نهاية مخطوطتي س، أ.
(س): وهي نسخة السليمانية بتركيا، وكتب في نهايتها: «والله أعلم، تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، وكان الفراغ من تكملة هذا الكتاب المبارك يوم السبت خامس عشر رجب الفرد من شهور سنة ١٠٩٣، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم، والحمد لله رب العالمين.
وعلى وسط يسار الصفحة كتبت هذه العبارة: (أقول بعد قوله (معقول) كما في النسخ قوله فصل قالوا وقد جاء إلخ، (فعلى هذه النسخ أن هذه النسخة نصف الكتاب، بل ناقص أيضاً عن النصف فلا تغفل) كما هو ظاهر في الصور في أول كتابنا هذا.
أما (أ): وهي نسخة مكتبة طبقبوسراي بتركيا فكتب في آخرها: «تم والحمد لله رب العالمين» وختم لم يظهر.
أما (ك): وهي مخطوطة دار الكتب المصرية فإنها تستمر معنا كالمطبوعة تماماً.

فصل[1]

نَقْض دعواهم أنَّ القرآن أثبت في المسيح اللاهوت والناسوت

قالوا: وقد جاء في هذا الكتاب، الذي جاء به هذا الإنسان يقول:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[2].

وهذا يوافق[3] قولنا: إذ قد شهد[4] أنه إنسان مثلنا، أي[5] بالناسوت الذي أخذ من مريم، وكلمة الله وروحه المتحدة فيه، وحاشا أن تكون كلمة الله وروحه الخالقة مثلنا نحن المخلوقين، وأيضاً قال في سورة النساء:

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[6].

فأشار بهذا القول إلى اللاهوت الذي هو كلمة الله التي لم يدخل

---

(١) هذا أول فصل في مخطوطة (هـ) مكتبة ليدن، وهي النصف الثاني من الكتاب، وهي تكملة النسخة (طبقبوسراي) (أ)، وهي قديمة كتبت بتاريخ ٧٣٠هجرية، وخطها مشابه لخط سابقتها، ولأجل هذا اعتبرناها تكملة لها، واستمر التحقيق على مخطوطتين (هـ ــ ك) مع المطبوعة وهي (ط)، ولم يسقط حرف واحد عند الانتقال والتغيير. ولله الحمد والمنّة.

(٢) سورة النساء: من الآية ١٧١.

(٣) في هـ (ما يوافق) بدلاً من (يوافق).

(٤) في هـ (يشهد) بدلاً من (شهد).

(٥) (أي) ساقطة من ط، هـ.

(٦) سورة النساء: من الآية ١٥٧.

عليها ألم ولا عرض، وقال أيضاً:

﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[1].

* وقال في سورة المائدة عن عيسى أنه قال:

﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[2].

فأعنى بموته عن موت الناسوت الذي أخذ من مريم العذراء.

وقال[3] أيضاً في سورة النساء:

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾[4].

فأشار بهذا إلى اللاهوت الذي هو كلمة الله الخالقة *[5]، وعلى هذا القياس نقول: إن المسيح صلب وتألم بناسوته، ولم يصلب ولا تألم بلاهوته.

والجواب من وجوه:

أحدها: أن يقال: دعواهم على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه أثبت في المسيح اللاهوت والناسوت، كما يزعمه[6] هؤلاء النصارى فيه[7]، هو من الكذب الواضح المعلوم على محمد ـ صلَّى الله عليه

---

(١) سورة آل عمران: من الآية ٥٥.

(٢) سورة المائدة: من الآية ١١٧.

(٣) في ط (قال) بسقوط الواو.

(٤) سورة النساء: الآيتان ١٥٧، ١٥٨.

(٥) ما بين النجمتين ساقط من هـ.

(٦) في هـ (يزعم) بدلاً من (يزعمه).

(٧) (فيه) ساقطة من ك.

وسلَّم ـ ، الذي يعلم من دينه بالاضطرار، كما يعلم من دينه تصديق المسيح ـ عليه السلام ـ ، وإثبات رسالته، فلو ادعى اليهود[1] على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، أنه كان يكذب المسيح ويجحد رسالته، كان كدعوى النصارى عليه أنه كان يقول: إنه رب العالمين، وأن اللاهوت اتحد بالناسوت، ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قد أخبر فيما بلغه عن الله ـ عز وجل ـ بكفر[2] من قال ذلك، وبما[3] يناقض ذلك[4] في غير موضع، كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[5].

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ

(١) في هـ ، ك (اليهودي) بدلاً من (اليهود).
(٢) في هـ (بتكفير) بدلاً من (بكفر).
(٣) في هـ (بما) بسقوط الواو.
(٤) (ذلك) ساقطة من هـ .
(٥) سورة المائدة: الآية ١٧.

وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[2].

---

(١) سورة المائدة: الآيات ٧٢ ــ ٧٧.

(٢) سورة التوبة: الآيات ٣٠ ــ ٣٤.

في هـ أنهى الآية ٣١ من سورة التوبة، وذكر جملة (وقال ــ تعالى ــ) ثم كتب الآية التي بعدها من سورة الصف: ﴿**ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون**﴾، ثم ذكر بقية الآيات كما أثبتنا مطابقاً لما في سورة المائدة، في ك (ليطفئوا بدلاً من (يطفئوا) وهو خطأ.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝٦٠ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٢ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝٦٣ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦٤ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾[1] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝١١٦ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[2] .

فأخبر عن المسيح أنه لم يقل لهم إلاَّ ما أمره الله به، بقوله أن[3] اعبدوا الله ربي وربكم، وكان عليهم شهيداً ما دام فيهم، وبعد وفاته كان الله هو[4] الرقيب عليهم، فإذا كان بعضهم قد غلط في النقل عنه

---

(١) سورة الزخرف: الآيات ٥٧ ـ ٦٥.

(٢) سورة المائدة: الآيتان ١١٦، ١١٧.

(٣) (بقوله أن) ساقطة من هـ، ك.

(٤) (هو) ساقطة من ك، ط.

أو في تفسير كلامه، أو تعمد تغيير دينه لم يكن على المسيح ــ عليه السلام ــ من ذلك درك[1]، وإنما[2] هو رسول عليه البلاغ المبين.

وقد أخبر الله[3] ــ سبحانه وتعالى[4] ــ أن أول ما تكلم به المسيح أن قال:

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[5].

ثم طلب لنفسه السلام فقال:

﴿وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[6].

والنصارى يقولون: (علينا منه السلام)[7] كما تقوله[8] الغالية فيمن يدعون فيه الإلٓهية كالنصيرية[9] في علي، والحاكمية[10] في الحاكم.

الوجه الثاني: أن يقال إن الله لم يذكر أن المسيح مات ولا قتل

---

(١) في هـ (شيئاً) بدلاً من (درك).

(٢) في هـ (إنما) بسقوط (و).

(٣) لفظ الجلالة (الله) ساقط من هـ.

(٤) (تعالى) ساقطة من ط، ك.

(٥) سورة مريم: الآيات ٣٠ ــ ٣٢.

(٦) سورة مريم: من الآية ٣٣.

(٧) لم أجد هذا النص ولا قريباً منه في الطبعة المتداولة للأناجيل، إنما وجدت في إنجيل لوقا ص ٢٤: (٢١ ــ وقف يسوع نفسه وقال لهم سلام لكم).

(٨) في ط (يقوم)، ك (يقوله) بدلاً من (تقوله).

(٩) سبقت الإشارة إليها ص ٢٤٢.

(١٠) هم أتباع الحاكم العبيدي الذي سبقت ترجمته ص ٢٤٢، ويدعون فيه الإلٓهية.

إنما قال:

﴿ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[1].

وقال المسيح:

﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ ۚ ﴾[3].

فذم الله اليهود[4] بأشياء منها: قولهم على مريم بهتاناً عظيماً، حيث زعموا أنها بغي، ومنها: قولهم: إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ ﴾[5].

---

(١) سورة آل عمران: من الآية ٥٥.

(٢) سورة المائدة: من الآية ٥٥. (وأنت على كل شيء شهيد) ساقطة من ك، هـ.

(٣) سورة النساء: الآيات ١٥٥ ـ ١٦١.

(٤) (اليهود) ساقطة من هـ.

(٥) سورة النساء: من الآية ١٥٧.

وأضاف هذا القول إليهم وذمهم عليه.

ولم يذكر النصارى، لأن الذين[1] تولوا صلب المصلوب المشبه به هم اليهود، ولم يكن أحد من النصارى شاهداً هذا[2] معهم، بل كان الحواريون خائفين غائبين فلم يشهد أحد منهم الصلب، وإنما شهده اليهود وهم الذين أخبروا الناس أنهم صلبوا المسيح، والذين نقلوا أن المسيح صلب من النصارى وغيرهم، إنما نقلوه عن أولئك اليهود وهم شُرَطٌ من أعوان الظلمة، لم يكونوا خلقاً كثيراً يمتنع تواطؤهم على الكذب.

قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾.

فنفى[3] عنه القتل، ثم قال:

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾.

وهذا عند أكثر[4] العلماء معناه قبل موت المسيح، وقد قيل قبل موت اليهودي وهو ضعيف، كما قيل أنه قبل موت محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وهو أضعف، فإنه لو آمن به قبل الموت لنفعه إيمانه به، فإن الله[*] يقبل توبة العبد ما لم يغرغر.

وإن قيل: المراد به الإيمان الذي يكون بعد الغرغرة، لم يكن في

(١) في ك (الذي) بدلاً من (الذين).

(٢) (هذا) ساقطة من ط، في هـ (شاهداً شاهد) بدلاً من (شاهداً هذا).

(٣) في هـ ، ك (منفا) بدلاً من (فنفى).

(٤) في ط (أكثرهم) بدلاً من (أكثر).

(*) لفظ الجلالة: ساقطة من ط.

هذا فائدة، فإن كل أحد بعد موته يؤمن بالغيب الذي كان يجحده[١]، فلا اختصاص للمسيح به، ولأنه قال قبل موته، ولم يقل بعد موته، ولأنه لا فرق بين إيمانه بالمسيح وبمحمد ـ صلوات الله عليهما وسلامه ـ، واليهودي الذي يموت على اليهودية يموت[٢] كافراً بمحمد والمسيح ـ عليهما الصلاة والسلام ـ، ولأنه قال:

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾.

وقوله: ﴿**ليؤمنن به**﴾ فعل مقسم عليه، وهذا إنما يكون في المستقبل، فدل ذلك على أن هذا الإيمان بعد إخبار الله بهذا، ولو أريد به[٣] قبل موت الكتابي لقال: وإن من أهل الكتاب إلاَّ من يؤمن به، لم يقل ﴿**ليؤمنن به**﴾.

وأيضاً ـ فإنه قال: وإن[٤] من أهل الكتاب، وهذا يعم اليهود والنصارى، فدل ذلك على أن جميع أهل الكتاب اليهود والنصارى يؤمنون بالمسيح قبل موت المسيح، وذلك إذا نزل آمنت اليهود والنصارى بأنه رسول الله ليس كاذباً، كما تقول اليهود[٥]، ولا هو الله كما تقوله النصارى.

والمحافظة على هذا العموم أولى، من أن يُدّعى أن كل كتابي ليؤمنن به قبل أن يموت الكتابي، فإن هذا يستلزم إيمان كل يهودي

---

(١) في هـ (جحده) بدلاً من (يجحده).

(٢) في ط، ك (فيموت) بزيادة (فـ).

(٣) (به) ساقطة من ط، ك.

(٤) في ط (أن) بسقوط (و).

(٥) في ط، ك (كما يقول اليهودي) بدلاً من (كما تقول اليهود).

ونصراني، وهذا خلاف الواقع وهو لمّا قال:

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾.

دل[1] على أن المراد بإيمانهم قبل أن يموت هو، علم أنه أريد بالعموم عموم من كان موجوداً حين نزوله، أي لا يتخلف[2] منهم أحد عن الإيمان به، لا إيمان من كان منهم ميتاً.

وهذا كما يقال: إنه لا يبقى بلد إلاَّ دخله الدجال، إلاَّ مكة والمدينة أي من المدائن الموجودة حينئذٍ، وسبب إيمان أهل الكتاب به حينئذٍ ظاهر، فإنه يظهر لكل أحد أنه رسول مؤيد ليس بكذاب، ولا هو رب العالمين.

فالله ــ تعالى ــ ذكر إيمانهم به إذا نزل إلى الأرض، فإنه ــ تعالى ــ لما ذكر رفعه إلى الله بقوله:

﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾.

وهو ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ويموت حينئذٍ أخبر بإيمانهم به قبل موته، كما قال ــ تعالى ــ في آية أخرى:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ

---

(١) في ط، ك (ودل) بزيادة واو.

(٢) في ط، ك (يختلف) بدلاً من (يتخلف).

مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾[1].

وفي [2] الصحيحين عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه[3] قال: «يوشك[4] أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية»[5].

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[6].

---

(١) سورة الزخرف: الآيات ٥٩ ـ ٦٥.
في هـ أضاف بعد نهاية الآيات جزءاً من الآية التي بعدها وهي قوله تعالى: ﴿**هل ينظرون إلى الساعة أن تأتيهم بغتة...**﴾ ولم يكمل الآية بقوله تعالى: ﴿**وهم لا يشعرون**﴾.

(٢) في ط (في) بسقوط الواو.

(٣) (أنه) ساقطة من ط، ك.

(٤) في هـ (أوشك) بدلاً من (يوشك).

(٥) انظر:
* صحيح البخاري ـ كتاب البيوع ـ باب ١٠٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظه غير كلمتي (عدلاً وإماماً).
* في صحيح مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب ٧١ ـ حديث رقم ٢٤٢ ـ عن ابن المسيب أنه سمع أبا هريرة يقول: قال: ... الحديث بحذف كلمتي (عدلاً وإماماً) وهو بلفظه.
* سنن الترمذي ـ كتاب القدر ـ باب ٤٥ ـ حديث رقم ٢٣٣٤ ـ عن أبي هريرة... الحديث بلفظه دون (عدلاً وإماماً).

(٦) سورة النساء: الآيتان ١٥٧، ١٥٨.
(ما لهم به من علم) في ط سقطت (به).

بيان أن الله رفعه حياً وسلمه من القتل، وبين أنهم يؤمنون به قبل أن يموت.

وكذلك قوله: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[1].

ولو مات لم يكن فرق بينه وبين غيره.

ولفظ التوفي في لغة العرب معناه: الاستيفاء والقبض، وذلك ثلاثة أنواع: أحدها: توفى النوم، والثاني: توفى الموت، والثالث: توفى الروح والبدن جميعاً، فإنه بذلك خرج عن حال أهل الأرض الذين يحتاجون إلى الأكل والشرب واللباس والنوم[2]، ويخرج منهم[3] الغائط والبول، والمسيح ـ عليه السلام ـ توفاه الله، وهو في السماء الثانية إلى أن ينزل إلى الأرض، ليست حاله كحالة[4] أهل الأرض في الأكل والشرب واللباس والنوم، والغائط والبول، ونحو ذلك.

الوجه الثالث: قولهم إنه عني بموته عن موت الناسوت، كان ينبغي لهم أن يقولوا على أصلهم: عني بتوفيته[5] عن توفي الناسوت، وسواء قيل موته أو توفيته فليس هو شيئاً[6] غير الناسوت، فليس هناك شيء غيره لم يتوفَ، والله[7] ـ تعالى ـ قال:

---

(١) سورة آل عمران: من الآية ٥٥.

(٢) (والنوم) ساقطة من ط، ك.

(٣) (ويخرج منهم) ساقطة من هـ.

(٤) في هـ (كحال) بدلاً من (كحالة).

(٥) (عنى بتوفيته) ساقطة من هـ.

(٦) في هـ (فليس هناك شيء) بدلاً من (فليس هو شيئاً).

(٧) في ط (الله) بسقوط الواو.

﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾.

فالمتوفى[1] هو المرفوع إلى الله، وقولهم: إن[2] المرفوع هو اللاهوت، مخالف لنص القرآن، لو كان هناك موت فكيف إذا لم يكن، فإنهم جعلوا المرفوع غير المتوفى، والقرآن أخبر أن المرفوع هو المتوفى. وكذلك قوله في الآية الأخرى:

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾.

هو تكذيب لليهود في قولهم:

﴿ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾.

واليهود لم يدعوا قتل لاهوت، ولا أثبتوا لله لاهوتاً في المسيح، والله ـ تعالى ـ لم يذكر دعوى قتله عن[3] النصارى حتى يقال: إن مقصودهم قتل الناسوت دون اللاهوت، بل عن اليهود الذين لا يثبتون إلَّا الناسوت.

وقد زعموا أنهم قتلوه، فقال تعالى: **﴿وما قتلوه يقيناً، بل رفعه الله إليه﴾**، فأثبت رفع الذي قالوا إنهم قتلوه، وإنما هو الناسوت، فعلم أنه هو الذي نفي عنه القتل. وهو الذي رفع، والنصارى معترفون برفع الناسوت لكن يزعمون أنه صلب، وأقام في القبر إما يوماً وإما ثلاثة أيام، ثم صعد إلى السماء، وقعد عن يمين الرب الناسوت مع اللاهوت.

---

(١) في هـ (والمتوفى) بدلاً من (فالمتوفى).
(٢) (إن) ساقطة من هـ .
(٣) في هـ (من) بدلاً من (عن).

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿وما قتلوه يقيناً﴾، معناه أن نفي قتله هو يقين لا ريب فيه، بخلاف الذين اختلفوا، فإنهم[1] في شك منه من قتله وغير قتله، فليسوا مستيقنين أنه قتل إذ لا حجة معهم بذلك.

ولذلك[2] كانت طائفة من النصارى يقولون: لم يصلب، فإن الذين صلبوا المصلوب هم اليهود، وكان قد اشتبه عليهم المسيح بغيره، كما دل عليه القرآن، وكذلك عند أهل الكتاب أنه اشتبه بغيره، فلم يعرفوا من هو المسيح من أولئك، حتى قال لهم بعض الناس: أنا أعرفه فعرفوه، وقول من قال[3]: معنى الكلام ما قتلوه علماً بل ظناً قول ضعيف.

الوجه الرابع: أنه قال ـ تعالى ـ :

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

فلو كان المرفوع هو اللاهوت، لكان رب العالمين قال لنفسه أو لكلمته: «إني أرفعك إلي»[4]، وكذلك قوله: ﴿بل رفعه الله إليه﴾، فالمسيح عندهم هو الله.

ومن المعلوم أنه يمتنع رفع نفسه إلى نفسه، وإذا قالوا: هو الكلمة فهم يقولون[5] مع ذلك إنه الإلّه الخالق، لا يجعلونه بمنزلة التوراة

(١) في ط، ك (بأنهم) بدلاً من (فإنهم).
(٢) في هـ (وكذلك) بدلاً من (ولذلك).
(٣) في ط (قالوا) بدلاً من (قال).
(٤) في ط (رافعك) بدلاً من (أرفعك).
(٥) (يقولون) ساقطة من ط .

والقرآن، ونحوهما مما هو[1] من[2] كلام الله الذي قال[3] فيه: إليه يصعد الكلم الطيب. بل عندهم هو الله الخالق الرازق رب العالمين، ورفع رب العالمين إلى رب العالمين ممتنع.

الوجه الخامس: قوله:

﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾.

دليل على أنه بعد توفيته لم يكن الرقيب عليهم إلَّا الله دون المسيح، فإن قوله كنت أنت يدل على الحصر، كقوله إن كان هذا هو الحق ونحو ذلك، فعلم أن المسيح بعد توفيته ليس رقيباً على أتباعه، بل الله هو الرقيب[4] المطلع عليهم المحصي أعمالهم المجازي عليها، والمسيح ليس برقيب فلا يطلع على أعمالهم، ولا يحصيها ولا يجازيهم بها.

● ● ●

---

(١) (مما هو) ساقطة من هـ.

(٢) (من) ساقطة من ط.

(٣) في هـ (قد يقال) بدلاً من (قال).

(٤) في هـ (والمطلع) بزيادة واو.

فصل

نَقْض دعواهم بورود تسمية المسيح خالقاً في القرآن

قالوا: وقد سماه الله أيضاً في هذا الكتاب خالقاً حيث قال:

﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ﴾[1].

فأشار بالخالق إلى كلمة الله المتحدة بالناسوت[2] المأخوذ[3] من مريم لأنه كذا قال على لسان داود النبي:

(بكلمة الله خلقت السماوات والأرض، ليس خالق إلَّا الله وكلمته وروحه)[4].

وهذا مما يوافق رأينا، واعتقادنا في السيد المسيح لذكره، لأنه حيث قال: (وتخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله)، أي بإذن لاهوت[5] الكلمة المتحدة في الناسوت.

---

(١) سورة المائدة: من الآية ١١٠.

(٢) الناسوت: الطبيعة البشرية، ويقابله اللاهوت بمعنى الألوهية. (المعجم الوسيط ٢/٨٩٥).

(٣) في ط (المأخوذة) بدلاً من (المأخوذ).

(٤) في المزمور الثالث والثلاثين: «بكلمة الرب صنعت السماوات، وبنسمة فيه كل جنودها» بمعناه.
انظر: العهد القديم ص ٨٥٤.

(٥) في ط (اللاهوت) بدلاً من (لاهوت).

والجواب: أن جميع ما يحتجون به من هذه الآيات وغيرها، فهو حجة عليهم لا لهم، وهكذا شأن جميع أهل الضلال إذا احتجوا بشيء من كتب الله وكلام أنبيائه، كان في نفس ما احتجوا به ما يدل على فساد قولهم، وذلك لعظمة كتب الله المنزلة وما أنطق[1] به أنبياءه[2]، فإنه جعل ذلك هدى وبياناً للخلق وشفاء لما في الصدور، فلا بد أن يكون في كلام الأنبياء ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ[3] أجمعين، من الهدى والبيان ما يفرق الله به بين الحق والباطل، والصدق والكذب، لكن الناس يؤتون من قبل أنفسهم، لا من قبل أنبياء الله ـ تعالى ـ .

إما من كونهم لم يتدبروا القول الذي قالته الأنبياء حق التدبر حتى يفقهوه ويفهموه.

وإما من جهة أخذهم ببعض الحق دون بعض، مثل أن يؤمنوا ببعض ما أنزله الله دون بعض[4]، فيضلون من جهة ما لم يؤمنوا به، كما قال ـ تعالى ـ عن النصارى:

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ﴾[5].

وإما من جهة نسبتهم إلى الأنبياء ما لم يقولوه من أقوال كذبت عليهم ومن جهة ترجمة أقوالهم بغير ما تستحقه من الترجمة، وتفسيرها بغير ما تستحقه من التفسير الذي دل عليه كلام الأنبياء ـ صلوات الله

---

(١) في ط (نطق) بدلاً من (أنطق).

(٢) في ط (أنبياؤه) بدلاً من (أنبياءه).

(٣) في هـ تقديم وتأخير (وسلامه عليهم).

(٤) (مثل أن يؤمنوا ببعض ما أنزله الله دون بعض) ساقطة من هـ .

(٥) سورة المائدة: من الآية ١٤.

وسلامه عليهم أجمعين ــ ، فإنه يجب أن يفسر كلام المتكلم بعضه ببعض ويؤخذ كلامه ها هنا وها هنا، وتعرف ما عادته يعنيه ويريده بذلك اللفظ إذا تكلم به، وتعرف المعاني التي عرف أنه أرادها في موضع آخر، فإذا عرف عرفه وعادته في معانيه وألفاظه، كان هذا مما يستعان به على معرفة مراده.

وأما[1] إذا استعمل لفظه في معنى لم تجر عادته باستعماله فيه، وترك استعماله في المعنى الذي جرت عادته باستعماله فيه، وحمل كلامه على خلاف المعنى الذي قد عرف أنه يريده بذلك[2] اللفظ بجعل كلامه متناقضاً، وترك حمله[3] على ما يناسب سائر كلامه كان ذلك تحريفاً لكلامه عن موضعه، وتبديلاً لمقاصده وكذباً عليه.

فهذا أصل من ضل في تأويل[4] كلام الأنبياء على غير مرادهم، فإذا عرف هذا، فنقول:

الجواب عما ذكروه هنا من وجوه:

أحدها: أن الله لم يذكر عن المسيح خلقاً مطلقاً، ولا خلقاً عاماً، كما ذكر عن نفسه ــ تبارك وتعالى ــ ، فأول ما أنزل الله على نبيه محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[5].

---

(١) في هـ (فأما) بدلاً من (وأما).

(٢) في هـ (لذلك) بدلاً من (بذلك).

(٣) في ط، ك (ويترك كلامه) بدلاً من (وترك حمله).

(٤) (تأويل) ساقطة من هـ.

(٥) سورة العلق: الآيات ١ ــ ٥.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾(١) .

فذكر نفسه بأنه الخالق البارىء المصور، ولم يصف قط شيئاً من المخلوقات بهذا لا ملكاً ولا نبياً، وكذلك قال ـ تعالى ـ :

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٢) .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٣) .

ووصف نفسه بأنه رب العالمين، وبأنه مالك يوم الدين، وأنه له الملك وله الحمد، وأنه الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، وأنه على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، ونحو ذلك من خصائص الربوبية، ولم يصف شيئاً من مخلوقاته لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً بشيء من

(١) سورة الحشر: الآيات ٢٢ ـ ٢٤.
(٢) سورة الزمر: الآيتان ٦٢ ، ٦٣.
(٣) سورة الأنعام: الآيتان ١٠٠ ، ١٠١.

الخصائص التي يختص بها، التي وصف بها نفسه ـ سبحانه وتعالى ـ .

وأما المسيح ـ عليه السلام ـ فقال فيه:

﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ﴾[1].

وقال المسيح عن نفسه:

﴿ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[2].

فلم يذكر إلاَّ خلق شيء معين خاص بإذن الله، فكيف يكون هذا الخالق هو ذاك؟

الوجه الثاني: أنه خلق من الطين كهيئة الطير، والمراد به تصويره بصورة الطير، وهذا الخلق يقدر عليه عامة الناس، فإنه يمكن أحدهم أن يصور من الطين كهيئة الطير، وغير الطير من الحيوانات، ولكن هذا[3] التصوير محرم، بخلاف تصوير المسيح، فإن الله أذن له فيه.

والمعجزة أنه ينفخ فيه الروح فيصير طيراً بإذن الله ـ عز وجل ـ ، ليس المعجزة مجرد[4] خلقه من الطين، فإن هذا مشترك، وقد[5] لعن

---

(١) سورة المائدة: من الآية ١١٠.

(٢) سورة آل عمران: من الآية ٤٩.
في ط، هـ ، ك (وأخلق لكم من الطين. . .) وهذا خطأ.

(٣) (هذا) ساقطة من ط .

(٤) في هـ (بمجرد) بزيادة (بـ).

(٥) في ط (ولقد) بدلاً من (وقد).

النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ المصورين، وقال: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون»[1].

الوجه الثالث: أن الله أخبر المسيح أنه إنما فعل التصوير[2]، والنفخ بإذنه ـ تعالى ـ، وأخبر المسيح ـ عليه السلام ـ أنه فعله بإذن الله، وأخبر الله أن هذا من نعمه[3] التي أنعم بها على المسيح ـ عليه السلام ـ، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾[5].

---

(١) في هـ، ك (المصورين) وهو خطأ.
انظر:
* صحيح البخاري ـ كتاب اللباس ـ باب ٨٩ ـ عن مسلم بن صبيح بلفظه ـ وزيادة (عند الله).
* في صحيح مسلم ـ كتاب اللباس والزينة ـ باب ٢٦ ـ حديث رقم ٩٦ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ بمعناه.
* مسند الإمام أحمد ١/٣٧٥ ـ عن مسلم بن صبيح. بلفظه.

(٢) في ط (التصوير محرم) بزيادة (محرم).

(٣) في ط، ك (نعمته) بدلاً من (نعمه).

(٤) سورة الزخرف: من الآية ٥٩.

(٥) سورة المائدة: من الآية ١١٠.

وهذا كله صريح في أنه ليس هو الله، وإنما هو عبد الله فعل ذلك بإذن الله، كما فعل مثل ذلك[1] غيره من[2] الأنبياء، وصريح بأن الآذن[3] غير المأذون له والمُعلِم ليس هو المعلَم، والمُنْعِمْ عليه وعلى والدته ليس هو إياه، كما ليس هو والدته.

الوجه[4] الرابع: أنهم قالوا: أشار[5] بالخالق إلى كلمة الله المتحدة في الناسوت، ثم قالوا في قوله (بإذن الله) أي بإذن الكلمة المتحدة في الناسوت، وهذا يبين تناقضهم وافتراءهم على القرآن، لأن الله أخبر في القرآن أن المسيح خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله، ففرق بين المسيح وبين الله، وبين أن الله هو الآذن للمسيح، وهؤلاء زعموا أن مراده بذلك أن اللاهوت المتحد بناسوت المسيح هو الخالق، وهو الآذن فجعلوا الخالق هو الآذن، وهو تفسير للقرآن بما يخالف صريح القرآن.

الوجه الخامس: أن اللاهوت إذا كان هو الخالق لم يحتج إلى أن يأذن لنفسه، فإنهم يقولون: هو إله واحد وهو الخالق، فكيف يحتاج أن يأذن لنفسه وينعم[6] على نفسه؟

الوجه السادس: أن الخالق إما أن يكون هو الذات الموصوفة بالكلام أو الكلام الذي هو صفة للذات[7]، فإن كان هو الكلام، فالكلام

---

(١) (ذلك) ساقطة من ط .

(٢) في ط (من ذلك) بزيادة (ذلك).

(٣) في ط (الإذن) بدلاً من (الآذن).

(٤) في ط (والوجه) بزيادة واو.

(٥) في ط (أشاروا) بدلاً من (أشار).

(٦) في هـ (أو ينعم) بزيادة (أ).

(٧) في هـ (الذات) بدلاً من (للذات).

صفة لا تكون ذاتاً قائمة بنفسها خالقة، ولو لم تتحد بالناسوت واتحادها بالناسوت دون الموصوف ممتنع لو كان الاتحاد ممكناً، فكيف وهو ممتنع؟

فقد تبين امتناع كون الكلمة تكون خالقة من وجوه.

وإن كان الخالق هو الذات المتصفة بالكلام، فذاك هو الله الخالق لكل شيء رب العالمين، وعندهم هو الأب، والمسيح عندهم ليس هو الأب، فلا يكون هو الخالق لكل شيء، والقرآن يبين[1] أن الله هو الذي أذن للمسيح حتى خلق من الطين كهيئة الطير، فتبين أن الذي خلق من الطين كهيئة الطير، ليس هو الله ولا صفة من صفاته، فليس المسيح هو الله ولا ابن قديم أزلي لله، ولكن عبده فعل بإذنه.

الوجه السابع: قولهم فأشار بالخالق إلى كلمة الله المتحدة في الناسوت المأخوذ من مريم، لأنه كذا قال على لسان داود النبي: «بكلمة الله خلقت السماوات والأرض».

يقال[2] لهم: هذا النص عن داود حجة عليكم، كما أن التوراة والقرآن، وسائر ما ثبت عن الأنبياء حجة عليكم، فإن داود ــ عليه السلام ــ قال: (بكلمة الله خلقت السماوات والأرض)، ولم يقل: إن كلمة الله هي الخالقة، كما قلتم أنتم أنه أشار بالخالق إلى كلمة الله.

والفرق بين الخالق للسماوات والأرض وبين الكلمة التي بها خلقت السماوات والأرض، أمر ظاهر معروف، كالفرق بين القادر

---

(١) في هـ (بين) بدلاً من (يبين).
(٢) في ط (فيقال) بزيادة (فـ).

والقدرة، فإن القادر هو الخالق وقد خلق الأشياء بقدرتـه، وليست القدرة هي الخـالقة، وكـذلك الفـرق بين المريـد[1] والإرادة، فـإن الله خلق[2] الأشياء بمشيئته، وليست مشيئته هي الخالقة.

وكـذلك الـدعاء والعبـادة هو لـلإلّه الخـالق لا لشيء من صفاتـه، فالناس كلهم يقولون: يا الله يا ربنا يا خالقنا ارحمنا واغفر لنـا، ولا يقول أحـد: يا كـلام الله اغفر لنـا وارحمنا، ولا يـا قدرة الله، ويـا مشيئـة الله، ويـا علم الله اغفر لنـا وارحمنا، والله ــ تعـالى ــ يخلق بقدرتـه ومشيئتـه وكلامه، وليست صفاته هي الخالقة.

الوجه الثامن: أن قول داود ــ عليه السلام ــ : (بكلمة الله خلقت السمـاوات والأرض) يوافق مـا جاء في القـرآن والتوراة، وغيـر ذلـك من كتب الأنبياء: أن الله يقول للشيء: كن فيكون، وهذا في القرآن في غير موضع[3]، وفي التوراة قال الله: (ليكن كذا ليكن كذا)[4].

الوجه التاسع: قولهم لأنه ليس خـالق إلَّا الله وكلمته وروحـه، إن أرادوا بكلمته كلامه، وبروحه حياته فهذه من صفات الله كعلمه وقـدرته، فلم يعبـر أحد من الأنبيـاء عن حياة الله بـأنها روح الله، فمن حمـل كلام أحـد من الأنبياء بلفظ الـروح أنه يـراد به حيـاة الله فقد كـذب عليه، ثم يقال: هذا كلامه وحياته من صفات الله كعلمه وقدرته، وحينئـذٍ فالخـالق هـو الله وحـده وصفـاتـه داخلة في مسمى اسمـه، لا يحتـاج أن تجعـل

---

(١) في ط (المزيد) بدلاً من (المريد).

(٢) في هـ (خالق) بدلاً من (خلق).

(٣) قال تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ سورة يٓس: الآية ٨٢.

(٤) موجودة في أول سفر التكوين ــ العهد القديم ــ وقد سبقت الإشارة إليه ٣/ ٢٢٧.

معطوفة على اسمه بواو التشريك التي تؤذن أن[1] لله شريكاً في خلقه، فإن الله لا شريك له.

ولهذا لما قال الله[2] ـ تعالى ـ: «الله خالق كل شيء»، دخل كل ما سواه في مخلوقاته، ولم تدخل صفاته كعلمه وقدرته ومشيئته وكلامه، لأن هذه داخلة في مسمى اسمه ليست أشياء مباينة له، بل أسماؤه الحسنى متناولة لذاته المقدسة المتصفة بهذه الصفات لا يجوز أن يراد بأسمائه ذاتاً مجردة عن صفات الكمال، فإن تلك لا[3] حقيقة لها، ويمتنع وجود ذات مجردة عن صفة فضلاً عن وجود ذاته ـ تعالى ـ، مجردة عن صفات كماله، التي هي لازمة لذاته، فيمتنع[4] تحقق ذاته دونها، ولهذا لا يقال: الله وعلمه خلق، والله وقدرته خلق.

وإن أرادوا بكلمته وروحه المسيح، أو شيئاً[5] اتحد بناسوت المسيح، فالمسيح ـ عليه السلام ـ كله مخلوق كسائر الرسل، والله وحده هو الخالق وإن شئت قلت: إن أريد بالروح والكلمة ما هو صفة الله، فتلك داخلة في مسمى اسمه، وإن أريد ما ليس بصفة فذلك مخلوق له كالناسوت.

الوجه العاشر: أن داود ـ عليه السلام ـ لا يجوز أن يريد بكلمة الله[6] المسيح، لأن المسيح عند جميع الناس هو اسم للناسوت،

---

(١) في ط (فإن) بدلاً من (أن).
(٢) سقط من ط، هـ لفظ الجلالة (الله).
(٣) (لا) ساقطة من ط.
(٤) في ط، ك (يمتنع) بسقوط (فـ).
(٥) في هـ، ك (شيء) بدلاً من (شيئاً).
(٦) (لكلمة الله) ساقطة من ك.

وهو عندهم اسم للاهوت[1] والناسوت لما اتحدا[2]، والاتحاد فعل حادث عندهم، فقبل الاتحاد لم يكن هناك ناسوت ولا ما يسمى مسيحاً[3]، فعلم أن داود لم يرد بكلمة الله المسيح، ولكن غايتهم أن يقولوا: أراد الكلمة التي اتحدت فيما[4] بعد بالمسيح[5]، لكن الذي خلق بإذن الله هو المسيح، كما نطق به القرآن بقوله:

﴿ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[6].

فالكلمة التي ذكرها وأنها هي التي بها خلقت السماوات والأرض، ليست[7] هي المسيح الذي خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله، فاحتجاجهم بهذا على هذا احتجاج باطل، بل تلك الكلمة التي بها خلقت السماوات والأرض لم يكن معها ناسوت حين خلقت، باتفاق الأمم والمسيح لا بد أن يدخل فيه الناسوت، فعلم أنه لم يرد بالكلمة المسيح.

• • •

---

(١) في ط (اللاهوت) بدلاً من (للاهوت).
(٢) في ط، ك (اتحد) بدلاً من (اتحدا).
(٣) في ط، ك (مسيحياً) بدلاً من (مسيحاً).
(٤) في ط (فيها) بدلاً من (فيما).
(٥) في ط (المسيح) بسقوط (بـ).
(٦) سورة آل عمران: من الآية ٤٥.
(٧) في هـ (ليس) بدلاً من (ليست).

فصل

بيان المعنى الصحيح لتشبيه القرآن الكريم عيسى بآدم، وردّ تفسيرهم لذلك

قالوا: وقال أيضاً في موضع آخر:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾[1].

فأعنى بقوله: (مثل عيسى)[2] إشارة إلى البشرية[3] المأخوذة[4] من مريم الطاهرة، لأنه لم يذكر هاهنا[5] اسم المسيح، إنما[6] ذكر عيسى فقط.

كما أن آدم خلق من غير جماع ولا[7] مباضعة، فكذلك جسد السيد[8] المسيح خلق من غير جماع ولا[9] مباضعة، وكما أن جسد آدم ذاق الموت فكذلك جسد المسيح ذاق الموت، وقد يبرهن بقوله أيضاً قائلاً: إن الله ألقى كلمته إلى مريم، وذلك حسب قولنا معشر النصارى: إن كلمة الله الأزلية الخالقة حلت في مريم وتجسدت بإنسان كامل، وعلى هذا المثال نقول: في السيد المسيح طبيعتان: طبيعة لاهوتية:

---

(١) سورة آل عمران: من الآية ٥٩.

(٢) في هـ، ك (مثل آدم) بدلاً من (مثل عيسى).

(٣) في هـ، ك (الناسوت) بدلاً من (البشرية).

(٤) في ط (المأخوذ) بسقوط (ة).

(٥) في ط (لم يذكر هنا).

(٦) في س، أ، ك (إلّا) بدلاً من (إنما).

(٧) (لا) ساقطة من ط.

(٨) (السيد) ساقطة من ط.

(٩) (لا) ساقطة من هـ، ك.

التي هي طبيعة كلمة الله وروحه، وطبيعة ناسوتية: التي أخذت من مريم العذراء واتحدت به، ولما تقدم به القول من الله ـ تعالى ـ على لسان موسى النبي، إذ يقول: (أليس هذا الأب الذي خلقك وبراك واقتناك)[1]، قيل: وعلى لسان داود النبي (روحك القدس لا تنزع مني)[2]، وأيضاً على لسان داود النبي: (بكلمة الله تشددت السماوات وبروح فاه جميع قواهن)[3]، وليس يدل هذا القول على ثلاثة خالقين، بل خالق واحد: الأب، ونطقه أي كلمته[4]، وروحه أي حياته[5].

والجواب من وجوه:

أحدها: أن قوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾.

كلام حق، فإنه سبحانه خلق هذا النوع البشري على الأقسام الممكنة ليبين عموم قدرته، فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق زوجته حواء من ذكر بلا أنثى، كما قال ـ تعالى[6] ـ: ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[7].

وخلق المسيح من أنثى بلا ذكر، وخلق سائر الخلق من ذكر

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ٢٣٦.

(٢) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ٢٣٦.

(٣) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ٢٣٦.

(٤) في ك (وكلمته أي نطقه) بدلاً من (ونطقه أي كلمته).

(٥) انتهى هنا كلامهم، وقد ورد بعض أجزائه في رسالة بولس الأنطاكي ص ١١ في أعلى يسار الصفحة، بمخطوطة المتحف القبطي.

(٦) (تعالى) ساقطة من ط.

(٧) سورة النساء: من الآية ١.

وأنثى، وكـان خلق آدم وحواء أعجب من خلق المسيـح، فـإن حـواء[1] خلقت من ضلع آدم، وهـذا أعجب من خلق المسيـح في بـطن مـريم، وخلق آدم أعجب من هذا وهذا، وهو أصل خلق حواء.

فلهذا شبهه الله بخلق آدم الذي هو أعجب من خلق المسيـح فإذا كـان سبحانـه قادراً أن يخلقـه من تـراب، والتـراب ليس من جنس بـدن الإنسان، أفلا يقدر أن يخلقه من امرأة هي من جنس بدن الإنسـان؟ وهو سبحـانه خلق آدم من تـراب، ثم قال لـه كن فيكون، لمـا نفـخ فيـه من روحـه، فكذلـك المسيـح نفـخ فيـه من روحـه وقـال لـه: كن فيكـون، ولم يكن آدم بما نفخ من روحه لاهوتاً وناسوتاً، بل كله ناسوت، فكذلك المسيح كله ناسـوت، والله ـ تبارك وتعـالى ـ ذكر هـذه الآية في ضمن الآيات التي أنزلها في شأن النصـارى، لما قـدم على النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ نصارى نجـران[2] وناظـروه في المسيـح، وأنـزل الله فيـه مـا أنـزل، فبين فيـه قـول الحق الـذي اختلفت فيـه اليهـود والنصـارى، فكذب الله الطائفتين: هؤلاء في غلوهم فيه، وهؤلاء في ذمهم له.

وقال عقب هذه الآية:

---

(١) في هـ (حوى) بدلاً من (حواء).

(٢) قصة وفد نصارى نجران، خلاصتها:
أن وفد نصارى نجران لما قـدموا على رسـول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وكـان تعداده ستين راكباً فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، وهم فيه مختلفون فمنهم من يقـول في عيسى بأنـه الله، ويقول البعض هـو ابن الله، وآخرون يقـولون بـأنه ثـالث ثلاثة، لكن الخبر نزل من السمـاء بالمـلاعنة، فقـالوا: يـا أبا القـاسم، قد رأينـا أن لا نـلاعنك، ونتـركك على دينـك، ونرجـع على ديننا، ولكن ابعث معنـا رجـلاً من أصحابك يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا.
فأجابهم على طلبهم، وأرسل معهم أبا عبيدة بن الجراح.
انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٢٦٨، ٢٦٩، ط. بيروت ١٣٨٨هـ.

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[١].

وقد امتثل النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قول الله فدعاهم إلى المباهلة فعرفوا أنهم إن باهلوه أنزل الله عليهم لعنته فأقروا بالجزية وهم صاغرون، ثم كتب النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى هرقل ملك الروم بقوله ــ تعالى ــ : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ . . . ﴾[٢] إلى آخرها[٣].

وكان أحياناً يقرأ بها في الركعة الثانية من ركعتي الفجر، ويقرأ في الأولى: بقوله:

﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[٤].

---

(١) سورة آل عمران: الآيات ٦١ ــ ٦٤.
في ط (من بعد من جاءك) بدلاً من (من بعدما جاءك) وهو خطأ.

(٢) سورة آل عمران: من الآية ٦٤.
في هـ ، ك (يا أهل الكتاب) من غير (تعالوا).

(٣) كتابة النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى هرقل: وردت في حديث أبي سفيان الطويل الذي رواه ابن عباس عنه في صحيح البخاري ــ كتاب تفسير القرآن باب سورة آل عمران.

(٤) سورة البقرة: من الآية ١٣٦.

وهذا كله يبين به[1] أن المسيح عبد ليس بإله، وأنه مخلوق كما خلق آدم، وقد أمر أن يباهل من قال إنه إلـه، فيدعو كل من المتباهلين أبناءه ونساءه وقريبه المختص به، ثم يبتهل هؤلاء وهؤلاء، ويدعون الله أن يجعل لعنته على الكاذبين، فإن كان النصارى كاذبين في قولهم هو الله حقت اللعنة عليهم، وإن كان من قال ليس هو الله بل عبد الله كاذباً حقت اللعنة عليه، وهذا إنصاف من صاحب يقين يعلم أنه على الحق[2].

والنصارى لما لم يعلموا أنهم على الحق[3] نكلوا عن المباهلة، وقد قال عقب ذلك:

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[4].

تكذيباً للنصارى الذين يقولون: هو إله حق من إله حق، فكيف يقال إنه أراد أن المسيح فيه لاهوت، وناسوت، وأن هذا هو الناسوت فقط دون اللاهوت؟ وبهذا ظهر الجواب عن قولهم، قال في موضع آخر: إن مثل عيسى عندالله كمثل آدم، فأعنى بقوله: عيسى، إشارة إلى البشرية المأخوذة من مريم الطاهرة، لأنه لم يذكر ها هنا[5] اسم المسيح

---

(١) (به) ساقطة من هـ ، ك.

(٢) في هـ (الحق به) بزيادة (به).

(٣) في ط (حق) بسقوط (ال).

(٤) سورة آل عمران: من الآية ٦٢.

(٥) في ط (الناسوت ها هنا) بزيادة (الناسوت).

إنما ذكر عيسى فقط، فإنه يقال: عيسى هو المسيح، بدليل أنه قال:

﴿ مَا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾[1].

فأخبر أنه ليس المسيح إلَّا رسولاً[2] ليس هو بإلـه وأنه ابن مريم والذي[3] هو ابن من[4] مريم هو الناسوت وقال:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (١٧١) لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾[5].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[6].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ ﴾[7].

---

(١) سورة المائدة: من الآية ٧٥.

(٢) في هـ ،ك (رسول) بدلاً من (رسولاً).

(٣) (والذي) ساقطة من ك.

(٤) (من) ساقطة من هـ.

(٥) سورة النساء: من الآيتين ١٧١ ، ١٧٢.

(٦) سورة التوبة: من الآية ٣٠.

(٧) سورة المائدة: من الآية ١٧.

الوجه الثاني: أن ما ذكروه من موته قد[1] بينا أن الله لم يذكر ذلك، وأن المسيح لم يمت بعد، وما ذكروه من أنه صلب ناسوته دون لاهوته باطل من وجهين:

فإن ناسوته لم يصلب، وليس فيه لاهوت، وهم ذكروا ذلك[2] دعوى مجردة فيكتفىٰ[3] في مقابلتها بالمنع[4].

لكن[5] نقول في **الوجه الثالث**: إنهم في اتحاد اللاهوت بالناسوت يشبهونه تارة باتحاد الماء باللبن، وهذا تشبيه اليعقوبية، وتارة باتحاد النار بالحديد أو النفس بالجسم، وهذا تشبيه الملكانية وغيرهم.

ومعلوم أنه لا يصل إلى الماء شيء[6] إلَّا وصل إلى اللبن، فإنه لا يتميز أحدهما عن الآخر. وكذلك النار التي في الحديد[7] متى طرق الحديد أو بصق عليه لحق ذلك بالنار التي فيه. والبدن إذا ضرب وعذب لحق ألم الضرب والعذاب بالنفس، فكأن حقيقة تمثيلهم يقتضي أن اللاهوت أصابه ما أصاب الناسوت من إهانة اليهود وتعذيبهم له وإيلامهم له[8] والصلب الذي ادعوه.

وهذا لازم على القول بالاتحاد، فإن الاتحاد لو كان ما يصيب أحدهما لا يشركه الآخر فيه لم يكن هنا اتحاد بل تعدد.

---

(١) في هـ (فقد) بزيادة (ف).
(٢) (ذلك) ساقطة من هـ .
(٣) في ط (فيكفي) بدلاً من (فيكتفى).
(٤) في ط (المنع) بسقوط (ب).
(٥) في ط (ولكن) بزيادة (و).
(٦) (شيء) ساقطة من ط.
(٧) في هـ (الحديدة) بزيادة (ة).
(٨) في ط، ك (وإتلافهم له) بدلاً من (وإيلامهم له).

الرابع: أن هؤلاء الضلال لم يكفهم أن جعلوا إلٰه السماوات والأرض متحداً ببشر في جوف امرأة، وجعلوه له مسكناً، ثم جعلوا أخابث خلق الله أمسكوه وبصقوا في وجهه، ووضعوا الشوك على رأسه وصلبوه بين لصين وهو في ذلك يستغيث بالله ويقول: «إلٰهي إلٰهي لِمَ تركتني»[1] وهم يقولون الذي كان يسمع الناس كلامه هو اللاهوت، كما سمع موسى كلام الله من الشجرة، ويقولون هما شخص واحد، ويقول بعضهم: لهما مشيئة واحدة وطبيعة واحدة.

والكلام إنما يكون بمشيئة المتكلم، فيلزم أن يكون المتكلم الداعي المستغيث المصلوب هو اللاهوت وهو المستغيث المتضرع وهو المستغاث به، وأيضاً فهم يقولون: إن اللاهوت والناسوت شخص واحد، فمع[2] القول بأنهما شخص واحد، إما أن يكون مستغيثاً، وإما أن يكون مستغاثاً به وإما أن يكون داعياً، وإما أن يكون مدعواً، فإذا قالوا: إن الداعي هو[3] غير المدعو لزم أن يكونا اثنين لا واحداً[4]، وإذا قالوا: هما واحد فالداعي هو المدعو.

الوجه[5] الخامس: أن يقال لا يخلو إما[6] أن يقولوا: إن اللاهوت كان قادراً على دفعهم عن ناسوته، وإما أن يقولوا: لم يكن قادراً، فإن قالوا لم يكن قادراً لزم أن يكون أولئك اليهود أقدر من رب العالمين،

(١) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ٤١٧.
(٢) في هـ (ومع) بدلاً من (فمع).
(٣) (هو) ساقطة من هـ.
(٤) في ط (واحد) بدلاً من (واحداً).
(٥) في ط (والوجه) بزيادة (و).
(٦) في ط (إلى) بدلاً من (إما).

وأن[1] يكون رب العالمين مقهوراً مأسوراً مع قوم من شرار اليهود، وهذا من أعظم الكفر والتنقص برب العالمين، وهذا أعظم من قولهم: إن للَّه ولداً[2]، وأنه بخيل، وأنه فقير، ونحو ذلك مما يسب[3] به الكفار رب العالمين.

وإن قالوا: كان قادراً، فإن كان ذلك من عدوان الكفار على ناسوته وهو كاره لذلك، فسنّة الله في مثل ذلك نصر رسله المستغيثين[4] به، فكيف لم يغث ناسوته المستصرخ به، وهذا بخلاف من قتل من النبيين وهو صابر، فإن أولئك صبروا حتى قتلوا شهداء، والناسوت عندهم استغاث وقال: (إلٰهي إلٰهي لماذا تركتني)، وإن كان هو قد فعل ذلك مكراً، كما يزعمون أنه مكر بالشيطان وأخفى نفسه حتى يأخذه بوجه حق، فناسوته أعلم بذلك من جميع الخلق، فكان الواجب أن لا يجزع ولا يهرب لما في ذلك من الحكمة، وهم يذكرون من جزع الناسوت وهربه ودعائه، ما يقتضي أن كل ما جرى عليه كان بغير اختياره، ويقول بعضهم: مشيئتهما واحدة فكيف شاء ذلك وهرب مما يكرهه الناسوت؟ بل لو يشاء اللاهوت ما يكرهه[5] كانا متباينين، وقد اتفقا على المكر بالعدوّ ولم يجزع الناسوت، كما جرى ليوسف[6] مع

---

(١) في ط (أن) بسقوط (و).
(٢) في هـ، ك (ولد) بسقوط (ا).
(٣) في ط (سب) بسقوط (يـ).
(٤) في هـ (المستعينين) بدلاً من (المستغيثين).
(٥) في س، أ، ك سقطت جملة (يشاء اللاهوت ما يكرهه).
(٦) يوسف: هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ قصته معروفة وردت في السورة المسماة باسمه في القرآن الكريم.
انظر: تفسير القرآن العظيم ـ لابن كثير ٢/ ٤٦٨.
وانظر: ٣/ ٤١٧.

أخيه[1] لما وافقه على أنه يحمل الصواع[2] في رحله، ويظهر أنه سارق، لم يجزع أخوه لما ظهر الصواع[2] في رحله، كما جزع إخوته حيث لم يعلموا، وكثير من الشطار[3] العيارين[4] يمسكون ويصلبون وهم ثابتون صابرون، فما بال هذا يجزع الجزع العظيم الذي يصفون به المسيح، وهو يقتضي غاية النقص العظيم مع دعواهم فيه الإلٓهية.

الوجه السادس: قولهم إنه كلمته وروحه تناقض منهم، لأنه عندهم أقنوم الكلمة فقط لا أقنوم الحياة[5].

الوجه السابع[6]: قولهم: وقد برهن بقوله رأينا أيضاً في موضع آخر قائلاً: إن الله ألقى كلمته إلى مريم، وذلك حسب قولنا معشر النصارى: إن كلمة الله الخالقة الأزلية حلت في مريم واتحدت بإنسان كامل.

فيقال لهم[7]: أما قول الله في القرآن فهو حق، ولكن ضللتم في تأوليه كما ضللتم في تأويل غيره من كلام الأنبياء، وما بلغوه عن الله،

---

(١) **أخو يوسف**: هو بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وكان شقيق يوسف.
انظر: تفسير القرآن العظيم ـ لابن كثير ٢/٤٦٩.

(٢) في ط (الصوامع) بدلاً من (الصواع).

(٣) **الشطار**: جمع شاطر وهو من أعيا أهله خبثاً.
انظر: مختار الصحاح ص ٣٣٧، ط. بيروت.

(٤) **العيارون**: جمع عيّار، وهو كثير التطواف والحركة ذكي.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٦٥.

(٥) الوجه السادس كله ساقط من هـ.

(٦) في هـ (الخامس) بدلاً من (السابع).
في ك (الخامس) وقد أضيفت (السابع) في الهامش وشطب كلمة (الخامس).

(٧) (لهم) ساقط من هـ، ك.

وذلك أن الله ـ تعالى ـ قال:

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1].

ففي هذا الكلام وجوه تبين أنه مخلوق وليس هوما يقوله النصارى:

منها أنه قال: (بكلمة منه)، وقوله بكلمة منه نكرة في الإثبات تقتضي[2] أنه كلمة من كلمات الله، ليس هو كلامه كله كما يقول النصارى.

ومنها أنه يبين[3] مراده بقوله بكلمة منه، وأنه مخلوق حيث قال:

﴿ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾.

كما قال في الآية الأخرى:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ في سورة كهيعص:

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[5].

---

(١) سورة آل عمران: الآيات ٤٥ ـ ٤٧.
في هـ (وإذ قالت) بدلاً من (إذ قالت) بزيادة (و) وهذا خطأ.

(٢) في ط، ك (يقتضي) بدلاً من (تقتضي).

(٣) في ط (بين) بدلاً من (يبين).

(٤) سورة آل عمران: من الآية ٥٩.

(٥) سورة مريم: من الآيتين ٣٤، ٣٥.

فهذه ثلاث آيات في القرآن تبين أنه قال له: (كن فيكون) وهذا تفسير كونه كلمة منه.

وقال اسمه المسيح عيسى بن مريم، أخبر أنه ابن مريم، وأخبر أنه وجيه[1] في الدنيا والآخرة ومن المقربين، وهذه كلها صفة مخلوق، والله ـ تعالى ـ وكلامه الذي هو صفته لا يقال فيه شيء من ذلك، وقالت مريم: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾.

فبين أن المسيح الذي هو الكلمة هو ولد مريم. لا ولد الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

وقال في سورة النساء:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[2].

فقد نهى النصارى عن الغلو في دينهم، وأن يقولوا على الله غير الحق، وبين أن المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى

---

(١) في ط، ك (وجيهاً) بدلاً من (وجيه).

(٢) سورة النساء: الآيات ١٧١ ـ ١٧٣.

مـريم[1] وروح منه، وأمـرهـم أن يؤمنوا بـالله ورسله، فبين أنه رسـوله، ونهاهم أن يقولـوا ثلاثـة، وقال: انتهـوا خيراً لكم، إنمـا الله إلَه واحـد، وهذا تكذيب لقولهم في المسيح أنه[2] إلَه حق من إلَـه حق، من جوهـر أبيـه، ثم قال: ـ سبحـانه ـ أن يكـون له ولـد، فنزه نفسـه وعظمهـا أن يكون له ولد، كما تقوله النصارى، ثم قال: له ما في السمـاوات وما في الأرض، فأخبر أن ذلك ملك له، ليس فيـه شيء من ذاته، ثم قـال: لن يستنكف المسيـح أن يكـون عبـداً لله، ولا المـلائكـة المقـربـون، أي لن يستنكفـوا أن يكونـوا عبيداً لله ـ تبـارك وتعالى ـ ، فمـع هذا البيـان الواضح الجلي، هـل يظن ظـان أن مراده بقـوله وكلمتـه أنه إلَـه خالق، أو أنه صفة لله قائمة بـه، وأن قولـه: (وروح منه) المـراد به أنـه حياتـه، أو روحه منفصلة عن ذاته.

ثم نقـول[3] أيضاً: أمـا قولـه وكلمتـه، فقـد بين مـراده أنـه خلقـه بـ (كن) وفي لغة العرب التي نـزل بها القـرآن أن يسمى المفعول بـاسم المصدر، فيسمى المخلوق خلقاً لقوله: (هـذا خلق الله)، ويقال: درهم ضَـرْبَ الأمير، أي مضـروب الأمير، ولهـذا يسمى المأمـور به[4] أمـراً، والمقدور قدرةً[5] وقـدراً، والمعلوم علماً، والمـرحوم بـه رحمةً، كقـوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[6].

---

(١) (ألقاها إلى مريم) ساقطة من هـ ، ك.

(٢) (أنه) ساقطة من هـ .

(٣) في هـ (يقول) بدلاً من (نقول).

(٤) في هـ (أنه) بدلاً من (به).

(٥) (قدرة) ساقطة من هـ .

(٦) سورة الأحزاب: من الآية ٣٨.

وقولـه:

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾[1].

وقـال النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «يقـول الله للجنـة: أنت رحمتي أرحم بـك من أشـاء من عبـادي، ويقـول للنــار: أنت عـذابـي أعـذب بك من أشـاء من عبادي»[2]، وقـال: «إن الله خلق الرحمـة يـوم خلقهـا مئة رحمـــة، أنـزل منهـا رحمـة واحــدة فيهـا يتــراحم الخلق ويتعاطفون، وأمسـك عنده تسعـة وتسعين رحمة، فـإذا كان يـوم القيامـة جمــع هـذه إلى تلك، فــرحم بهـا الخلق»[3]. ويقــال: للمــطر هـــذه قـدرة عظيمـة، ويقال: غفـر الله لك علمـه فيك، أي معلومـه، فتسميـة المخلوق بالكلمة كلمة من هذا الباب.

وقد ذكر الإمام أحمد في (كتاب[4] الرد على الجهمية)[5] ــ وذكره غيره ــ أن النصارى الحلوليـة[6] والجهمية المعـطلة اعترضـوا على أهل السنَّـة، فقـالت النصـارى: القـرآن كــلام الله غيـر مخلوق، والمسيــح كلمـة الله فهو غيـر مخلوق، وقـالت الجهميـة: المسيـح كلمـة الله وهـو مخلوق، والقرآن كلام الله فيكون مخلوقاً.

---

(١) سورة النحل: من الآية ١.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) (كتاب) ساقطة من هـ.

(٥) كتاب ألفه الإمام الجليل أحمد بن حنبل للرد على الجهميـة والزنـادقة، ويتكـون من قسمين: الأول رد على الجهمية في شبههم، والثاني رد على القائلين بخلق القرآن. طبع مرتين ناقصاً، ثم طبع طبعة كاملة محققة في الرياض، تحقيق د. عبـد الرحمن عميرة ــ دار اللواء سنة ١٣٩٧هـ.

(٦) في أ (والحلولية).

وأجاب أحمد وغيره: بأن المسيح نفسه ليس هو كلاماً، فإن المسيح إنسان، وبشر مولود من امرأة، وكلام الله ليس بإنسان ولا بشر ولا مولود من امرأة، ولكن المسيح خلق بالكلام، وأما القرآن فهو نفسه كلام الله فأين هذا من هذا؟[1].

وقد قيل: أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء، وما من عاقل إذا سمع قوله ــ تعالى ــ في المسيح ــ عليه السلام ــ: أنه كلمته ألقاها إلى مريم، إلاَّ[2] يعلم أنه ليس[3] المراد أن المسيح نفسه كلام الله، ولا أنه صفة الله ولا خالق.

ثم يقال للنصارى: فلو قدر أن المسيح نفس الكلام، فالكلام ليس بخالق، فإن القرآن كلام الله، وليس بخالق، والتوراة كلام الله وليست بخالقة، وكلمات الله كثيرة، وليس منها شيء خالق، فلو كان المسيح نفس الكلام لم يجز أن يكون خالقاً، فكيف وليس هو الكلام، وإنما خلق بالكلمة، وخص باسم الكلمة فإنه لم يخلق على الوجه المعتاد الذي خلق عليه غيره، بل خرج عن العادة فخلق بالكلمة من غير السنَّة المعروفة في البشر[4].

وقوله: (بروح منه) لا يوجب أن يكون منفصلاً من ذات الله، كقوله ــ تعالى ــ:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[5].

---

(١) انظر: كتاب الرد على الجهمية ــ بمعناه ــ ص ١٢٤، ١٢٥.

(٢) في ط (ألَّا) بدلاً من (إلَّا).

(٣) (ليس) ساقطة من ط.

(٤) في ط (بالبشر) بدلاً من (في البشر).

(٥) سورة الجاثية: من الآية ١٣.

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[1] .

وقال[2] ـ تعالى ـ :

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾[3] .

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾[4] .

فهذه الأشياء كلها من الله وهي مخلوقة، وأبلغ من ذلك روح الله التي أرسلها إلى مريم، وهي مخلوقة.

فالمسيح الذي هو روح من تلك الروح أولى أن يكون مخلوقاً، قال ـ تعالى ـ :

﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴾[5] .

وقد قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾[6] .

---

(١) سورة النحل: من الآية ٥٣.

(٢) في ط (وقوله) بدلاً من (وقال).

(٣) سورة النساء: من الآية ٧٩.

(٤) سورة البينة: الآيات ١ ـ ٣.
في هـ، ك أنهى الآية عند قوله تعالى: ﴿صحفاً مطهرة﴾.

(٥) سورة مريم: الآيات ١٧ ـ ١٩.
في هـ، ك (ليهب لك غلاماً) بدلاً من (لأهب لك غلاماً).

(٦) سورة التحريم: من الآية ١٢.
في هـ، ك (ومريم «ابنة» عمران).

وقـال:

﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1].

فأخبر أنه نفخ في مريم من روحه، كما أخبر أنه نفخ في آدم من روحه، وقد بين أنه أرسل إليها روحه، فتمثل لها بشراً سوياً، قالت: إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً، قال: إنما أنا رسول ربك لأهب[2] لك غلاماً زكياً، قالت: أني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أكُ بغياً، قال: كذلك، قال ربك هو عليّ هين ولنجعله آية للناس ورحمةً منا وكان أمراً مقضياً، حملته.

فهذا الروح الذي أرسله الله إليها ليهب لها غلاماً زكياً، مخلوق، وهو روح القدس الذي خلق المسيح منه ومن مريم، فإذا كان الأصل مخلوقاً فكيف الفرع الذي حصل منه[3] وهو روح القدس؟[4]، وقوله عن المسيح: (وروح منه) خص المسيح بذلك لأنه نفخ في أمه من الروح فحبلت به[5] من ذلك النفخ، وذلك غير روحه التي يشاركه فيها سائر البشر فامتاز بأن حبلت به من نفخ الروح، فلهذا سمى روحاً منه.

ولهذا قال طائفة من المفسرين: روح منه، أي رسول منه سماه[6] باسم الروح الرسول الذي نفخ فيها[7]، فكما يسمى «كلمة» يسمى

(١) سورة الأنبياء: من الآية ٩١.

(٢) في هـ، ك (ليهب) بدلاً من (لأهب).

(٣) في ط، ك (به) بدلاً من (منه).

(٤) (وهو روح القدس؟) ساقطة من هـ.

(٥) (به) ساقطة من هـ.

(٦) في ط (فسماه) بزيادة (فـ).

(٧) (فيها) ساقطة من هـ، ك.

«روحاً»، لأنه كون بالكلمة، لا كما يخلق الآدميون غيره، ويسمى روحاً، لأنه حبلت به أمه بنفخ الروح الذي نفخ فيها، لم تحبل به من ذكر، كغيره من الآدميين، وعلى هذا فيقال: لما خلق من نفخ[1] الروح ومن مريم سمي روحاً بخلاف سائر الآدميين، فإنه يخلق من ذكر وأنثى، ثم ينفخ فيه الروح[2] بعد مضي أربعة[3] أشهر.

والنصارى يقولون في أمانتهم: (تجسد من مريم، ومن روح القدس) ولو اقتصروا على هذا، وفسروا روح القدس بالملك الذي نفخ فيها، وهو روح الله لكان هذا موافقاً لما أخبر الله به، لكنهم جعلوا روح القدس حياة الله، وجعلوه رباً وتناقضوا في ذلك، فإنه على هذا كان ينبغي فيه أقنومان: أقنوم الكلمة، وأقنوم الروح، وهم يقولون: ليس فيه إلاّ أقنوم الكلمة، وكما يسمى المسيح كلمة لأنه خلق بالكلمة، يسمى[4] «روحاً» لأنه حل به من[5] الروح.

فإن قيل: فقد قال في القرآن:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾[6].

وقال:

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[7].

---

(١) (نفخ) ساقطة من هـ، ك.
(٢) في ط (من الروح) بزيادة (من).
(٣) في ك (أربع) بدلاً من (أربعة).
(٤) في هـ (سمى) بدلاً من (يسمى).
(٥) (من) ساقطة من ط.
(٦) سورة الأنعام: من الآية ١١٤.
(٧) سورة الزمر: من الآية ١.

وقد قال أئمة المسلمين وجمهورهم: «القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ»، وقال في المسيح: «وروح منه» قيل: هذا بمنزلة سائر المضاف إلى الله إن كان عيناً قائمة بنفسها أو صفة فيها، كان مخلوقاً، وإن كان صفة مضافاً إلى الله كعلمه وكلامه، ونحو ذلك كان إضافة صفة، وكذلك ما كان[1] منه إن كان عيناً قائمة أو صفة قائمة بغيرها[2] كما في السماوات والأرض والنعم والروح الذي أرسله[3] إلى مريم، وقال: (إنما أنا[4] رسول ربك) كان مخلوقاً، وإن كان صفة لا تقوم بنفسها ولا يتصف بها المخلوق كالقرآن لم يكن مخلوقاً، فإن ذلك قائم بالله، وما يقوم بالله لا يكون مخلوقاً والمقصود هنا بيان بطلان احتجاج النصارى، وأنه ليس لهم[5] في ظاهر القرآن ولا باطنه حجة في سائر كتب الله، وإنما تمسكوا بآيات متشابهات، وتركوا المحكم، كما أخبر الله عنهم بقوله:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ ﴾[6].

والآية نزلت في النصارى، فهم مرادون من الآية قطعاً، ثم قال:

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ ﴾[7].

---

(١) (كان) ساقطة من ط.
(٢) في ط (يقين بغيرها) بزيادة (يقين).
(٣) في ط (أرسلها)
(٤) (أنا) ساقطة من ط.
(٥) (لهم) ساقطة من ك.
(٦) سورة آل عمران: من الآية ٧.
(٧) سورة آل عمران: من الآية ٧.

وفيها قولان وقـراءتان، منهم من يقف عنـد قولـه إلاَّ الله، ويقول: الراسخون في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه، لا يعلمه إلاَّ الله.

ومنهم من لا يقف، بل يصل بذلك قوله ــ تعالى ــ:

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[1].

ويقول الراسخون في العلم يعلمون تأويل المتشابه، وكـلا القولين مـأثور عن طـائفـة من السلف، وهؤلاء يقـولـون: قـد يكـون الحـال من المعطوف دون المعطوف عليه كما في قوله ــ تعالى ــ:

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا﴾[2].

أي قـائلين، وكلا القـولين حق باعتبـار، فإن لفظ التـأويل يـراد به التفسير ومعرفة معانيه.

والـراسخـون[3] في العلم يعلمـون تفسيـر القـرآن، قـال الحسن البصـري[4] لم ينزل الله آيـة إلاَّ وهـو يحب أن يعلم[5] في مـاذا نـزلت، وماذا عنى بها[6]؟

وقد يعنى بالتأويل ما استأثـر الله بعلمه من كيفيـة مـا أخبر بـه عن نفسـه، وعن اليوم الآخـر، ووقت الساعـة، ونزول عيسى، ونحـو ذلك،

---

(١) (كل من عند ربنا) ساقطة من هـ، ك.
(٢) سورة الحشر: من الآية ١٠.
(٣) في ط (الراسون) بدلاً من (الراسخون).
(٤) سبقت ترجمته.
(٥) في ط (نعلم) بدلاً من (يعلم).
(٦) هذا الكلام عن الحسن البصري لم نعثر عليه فيما رجعنـا إليـه من كتب علوم القرآن كالبرهان ونحوه.

فهذا التأويل لا يعلمه إلَّا الله، وأما لفظ التأويل إذا أريد بـه صرف اللفظ عن ظاهره إلى ما يخالف ذلك لدليل يقترن به، فلم يكن السلف يريدون بلفظ التأويل هذا، ولا هو معنى التأويل في كتاب الله ــ عز وجل ــ .

ولكن طائفة من المتأخرين خصوا لفظ التأويل بهذا، بل لفظ التأويل في كتاب الله يراد بـه ما يؤول إليـه الكلام، وإن وافق ظاهره، كقوله ــ تعالى ــ :

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ ﴾[1] .

ومنه تأويل الرؤيا كقول يوسف الصديق[2]

﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ ﴾[3] .

وكقولـه :

﴿ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾[4] .

وقولـه :

﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[5] .

وهذا مبسوط في موضع آخر.

والمقصود هنا أنه ليس للنصارى حجة لا في ظاهر النصوص، ولا في[6] باطنها، كما قال ــ تعالى ــ :

---

(١) سورة الأعراف: من الآية ٥٣.
(٢) سبقت الإشارة إليه ٤/ ٦١.
(٣) سورة يوسف: من الآية ١٠٠.
(٤) سورة يوسف: من الآية ٣٧.
(٥) سورة النساء: من الآية ٥٩.
(٦) (في) ساقطة من ط .

﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[1].

والكلمة عندهم هي جوهر، وهي رب لا يخلق بها الخالق، بل هي الخالقة لكل شيء، كما قالوا في كتابهم: (إن كلمة الله الخالقة[2] الأزلية حلت في مريم)[3]، والله ـ تعالى ـ قد أخبر أنه ـ سبحانه ـ ألقاها إلى مريم والرب ـ سبحانه ـ هو الخالق، والكلمة التي ألقاها ليست خالقة، إذ الخالق لا يلقيه شيء، بل هو يلقي غيره، وكلمات الله نوعان: كونية، ودينية.

فالكونية: كقوله للشيء كن فيكون.

والدينية: أمره وشرعه الذي جاءت به الرسل، وكذلك أمره وإرادته وإذنه[4] وإرساله وبعثه ينقسم إلى هذين القسمين، وقد ذكر الله ـ تعالى ـ[5] إلقاء القول في غير هذا، وقد قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾[6].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا

---

(١) سورة النساء: من الآية ١٧١.

(٢) في هـ (هي الخالقة) بزيادة (هي).

(٣) وجدت في الإصحاح الأول، إنجيل لوقا: (٣٥ ـ فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظللك . . .) العهد الجديد ص ٩٠.

(٤) (وإذنه) ساقطة من هـ .

(٥) (تعالى) ساقطة من هـ ، ك.

(٦) سورة النساء: من الآية ٩٤.

ﭐلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾[2].

وأما لقنته القول ولقيته[3] فتلقاه، فذلك[4] إذا أردت أن تحفظه، بخلاف ما إذا ألقيته إليه، فإن هذا يقوله فيما يخاطبه[5] به وإن لم يحفظه، كمن ألقيت إليه القول، بخلاف القول إنكم لكاذبون، وألقوا إليهم السلام. وليس هنا إلاَّ خطاب سمعوه لم يحصل نفس صفة المتكلم في المخاطب، فكذلك مريم إذا ألقى الله كلمته إليها، وهي قول: «كن» لم يلزم أن تكون نفس صفته القائمة به حلت في مريم كما لم يلزم أن تكون صفته القائمة به حلت في سائر من ألقى إليه[6] كلامه، كما لا تحصل صفة كل متكلم فيمن يلقى إليه[7] كلامه.

● ● ●

(١) سورة النحل: الآيتان ٨٦ ــ ٨٧.
في هـ، ك (السلام) بدلاً من (السلم).
(٢) سورة الممتحنة: من الآية ١.
(٣) في ط (وأما لقيته القول) بدلاً من (وأما لقنته القول ولقيته).
(٤) في ك (فذاك) بدلاً من (فذلك).
(٥) في هـ، ك (خاطبه) بدلاً من (يخاطبه).
(٦) (إليه) ساقطة من ط.
(٧) في ط (إلى) بدلاً من (إليه).

فصل

بيان اضطراب كلام النصارى وتفرُّقهم في باب طبيعة المسيح

وأما قولهم: وعلى هذا المثال نقول: في السيد المسيح طبيعتان:

طبيعة لاهوتية: التي هي طبيعة كلمة الله وروحه.

وطبيعة ناسوتية: التي[1] أخذت من مريم العذراء، واتحدت[2] به.

فيقال لهم: كلام النصارى في هذا الباب مضطرب مختلف[3] متناقض[4]، وليس لهم في ذلك قول اتفقوا عليه، ولا قول معقول، ولا قول دل عليه كتاب، بل هم فيه فرق وطوائف[5]، كل فرقة تكفر الأخرى، كاليعقوبية[6] والملكانية[7]، والنسطورية[8]، ونقل الأقوال عنهم في ذلك مضطربة، كثيرة الاختلاف.

ولهذا يقال: لو اجتمع عشرة نصارى لتفرقوا على أحد عشر قولاً، وذلك أن ما هم عليه من اعتقادهم من التثليث والاتحاد، كما هو مذكور في أمانتهم، لم ينطق به شيء من كتب[9] الأنبياء، ولا يوجد لا في كلام

---

(١) في هـ، ك (الذي).

(٢) في هـ ، ك (اتحد) بدلاً من (اتحدت).

(٣) (مختلف) ساقطة من هـ .

(٤) في ط، ك (مناقض) بدلاً من (متناقض).

(٥) في ك (طرائق) بدلاً من (طوائف).

(٦) سبقت الإشارة إلى هذه الفرقة ٣/ ٥٥ .

(٧) سبقت الإشارة إلى هذه الفرقة ٣/ ٥٥ .

(٨) سبقت الإشارة إلى هذه الفرقة ٣/ ٢٨ .

(٩) في ط (كتتب) بدلاً من (كتب).

المسيح ولا الحواريين ولا أحد من الأنبياء، ولكن عندهم في الكتب ألفاظاً متشابهة وألفاظاً محكمة يتنازعون في فهمها، ثم القائلون منهم بالأمانة، وهم عامة النصارى اليوم من الملكانية[1]، والنسطورية، واليعقوبية، مختلفون في تفسيرها، ونفس قولهم متناقض يمتنع تصوره على الوجه الصحيح.

فلهذا صار كل منهم يقول ما يظن أنه أقرب من غيره، فمنهم من يراعي لفظ أمانتهم، وإن صرح بالكفر الذي يظهر فساده لكل أحد كاليعقوبية، ومنهم من يستر بعض ذلك كالنسطورية، وكثير منهم وهم الملكانية[2] بين هؤلاء وهؤلاء، ولما ابتدعوا ما ابتدعوا[3] من التثليث والحلول كان فيهم من يخالفهم في ذلك.

وقد يوجد نقل الناس لمقالاتهم مختلفاً[4]، وذلك بحسب قول الطائفة التي ينقل ذلك الناقل قولها، والقول الذي يحكيه كثير من نظار المسلمين يوجد كثير منهم على خلافه، كما نقلوا عنهم ما ذكره أبو المعالي[5] وصاحبه أبو القاسم ـــــــــــــــــ

---

(١) في هـ ، ك (الملكية) بدلاً من (الملكانية).
(٢) في ك، هـ (الملكية) بدلاً من (الملكانية).
(٣) في ط(ما ابتدعوه) بدلاً من (ابتدعوا).
(٤) في هـ ، ك (مختلفة) بدلاً من (مختلفاً).
(٥) **أبو المعالي**: هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، إمام الحرمين ـ أعلم المتأخرين من الشافعية ـ ولد في جوين من قرى نيسابور عام ٤١٩هـ ـ سمع الحديث وتفقه على والده الشيخ أبو محمد الجويني ـ درس بعد والده في حلقته ودخل بغداد وتفقه بها ثم خرج إلى مكة وجاور بها أربع سنوات، ثم انتقل إلى المدينة يدرس ويفتي ولهذا لقب بإمام الحرمين ثم عاد إلى نيسابور وتولى الخطابة، وكان يجلس للوعظ وللمناظرة والتدريس، وصنف في كل فن ومن تصانيفه =

الأنصاري[1]، وغيرهما: أن القديم واحد بالجوهر، ثلاثة بالأقنوم، وأنهم يعنون بالأقنوم: الوجود، والحياة، والعلم.

ونقلوا عنهم: أن الحياة والعلم ليسا بوصفين زائدين على الذات موجودين، بل هما صفتان نفسيتان للجوهر، قالوا: ولو مثل مذهبهم بمثال لقيل: إن الأقانيم عندهم تنزل منزلة الأحوال والصفات النفسية عند مثبتيها من المسلمين، فإن سوادية اللون، ولونيته، صفتان نفسيتان للعرض، قال: وربما يعبرون عن[2] الأقانيم بالأب وروح القدس، فيعنون بالأب الوجود[3]، وبالابن المسيح والكلمة[4]، وربما سمو[5] العلم

= الشامل في أصول الدين، والبرهان في أصول الفقه، والعقيدة النظامية، وغياث الأمم، وكتاب شفاء الغليل في الرد على أهل الإنجيل، توفي بقرية من أعمال نيسابور يقال لها بشتناق في عام ٤٧٨هـ ودفن في داره بنيسابور ثم نقل بعد فترة إلى مقبرة الحسين هناك ودفن بجانب والده، وكان تلاميذه عند وفاته قريباً من أربعمائة شخص.

انظر: وفيات الأعيان ١٦٧/٣؛ وشذرات الذهب ٣٥٨/٣؛ والبداية والنهاية ١٢٨/١٢؛ والأعلام للزركلي ٣٠٦/٤.

(١) **أبو القاسم الأنصاري**: هو سلمان بن ناصر بن عمران بن محمد الأنصاري النيسابوري الأرغاني ــ أبو القاسم من الأئمة في علم الكلام ــ مولده ووفاته في نيسابور ــ ونسبته إلى أرغيان من نواحيها ــ كان تلميذاً لإمام الحرمين ــ وكان زاهداً متصوفاً ــ وهو من فقهاء الشافعية ــ صنف كتاب الغنية في فقه الشافعية ــ وشرح الإرشاد في أصول الدين للجويني، وضعف بصره وسمعه في آخر عمره ــ توفي سنة ٥١١، وقيل ٥١٢هـ.

انظر: طبقات الشافعية ٩٦/٧؛ وشذرات الذهب ٣٤/٤؛ والأعلام للزركلي ١٧٠/٣.

(٢) في ط (على) بدلاً من (عن).

(٣) في هـ (الموجود) بدلاً من (الوجود).

(٤) (الكلمة) ساقطة من هـ.

(٥) في هـ (يسمون) بدلاً من (سموا).

كلمة، والكلمة علماً، ويعبرون[1] عن الحياة بالروح، قال: ولا يريدون بالكلمة الكلام، فإن الكلام عندهم من صفات الفعل، ولا يسمون العلم قبل تدرعه بالمسيح واتحاده به ابناً، بل المسيح عندهم مع ما[2] تدرع به ابن، قالوا: ومن مذهبهم أن الكلمة اتحدت بالمسيح وتدرعت بالناسوت، ثم اختلفوا[3] في معنى الاتحاد، فمنهم من فسره بالاختلاط والامتزاج، وهذا مذهب طوائف من اليعقوبية والنسطورية والملكانية[4]، قالوا: إن الكلمة خالطت جسد المسيح، ومازجته كما مازج الخمر الماء أو اللبن[5] قالوا: وهذا مذهب الروم ومعظمهم الملكانية[6]، قالوا: فمازجت الكلمة جسد المسيح فصارت شيئاً واحداً، وصارت الكثرة قلة.

وذهبت طائفة من اليعاقبة إلى أن الكلمة انقلبت لحماً ودماً، وقالوا: وصارت شرذمة من كل صنف إلى أن المراد بالاتحاد ظهور اللاهوت على الناسوت، كظهور الصورة في المرآة، والنقش في الخاتم.

ومنهم من قال: ظهور اللاهوت على الناسوت كاستواء الإلٰه على العرش عند المسلمين، وذهب كثير من هذه الطوائف إلى أن المراد بالاتحاد الحلول، قالوا: وقد اختلفوا أيضاً في الجوهر[7] والأقانيم

---

(١) في هـ (يعبرون) بسقوط الواو.
(٢) في هـ، ك (معما) بدلاً من (مع ما).
(٣) في هـ (واختلفوا) بدلاً من (ثم اختلفوا).
(٤) في هـ، ك (الملكية) بدلاً من (الملكانية).
(٥) في هـ، ك (اللبن أو الماء) بدلاً من (الماء أو اللبن).
(٦) في هـ، ك (الملكية) بدلاً م (الملكانية).
(٧) في ط (الجواهر) بدلاً من (الجوهر).

فذهبت اليعقوبية والنسطورية إلى أن الجوهر ليس بغير الأقانيم.

ولا يقال: إنه هي، وصرحت[1] الملكانية[2] بأنه غير الأقانيم، وآخرون قالوا: هو الأقانيم.

قالوا[3]: وافترقت النصارى من وجه آخر، فذهبت الروم[4] إلى التصريح بإثبات ثلاثة آلهة، وامتنعت اليعقوبية والنسطورية من ذلك في وجه والتزموه من وجه، وذلك أنهم قالوا: الكلمة إلٰه، والروح إلٰه، والأب إلٰه، والثلاثة الأقانيم التي كل أقنوم إلٰه، إلٰه واحد[5].

قالوا: وذهبت شرذمة من النصارى إلى أن عيسى كان ابناً لله على جهة الكرامة، فكما اتخذ الله[6] إبراهيم خليلاً، كذلك اتخذ عيسى ابناً.

قالوا: وهؤلاء يقال لهم: الأريوسية. فهذا نقل طائفة من نظار المسلمين، وهذا قول لمن قاله من النصارى، وفيه ما هو مخالف لصريح أمانتهم، وما عليه جمهورهم، مثل قوله: إنهم لا يسمون العلم قبل تدرعه بالمسيح ابناً، بل المسيح مع ما تدرع به ابن، فإن هذا خلاف ما عليه فرق النصارى من الملكانية واليعقوبية والنسطورية، وخلاف ما تضمنته أمانتهم، * إذ صرحوا فيها بأن الكلمة ابن قديم أزلي مولود قبل الدهور، وهذا صفة اللاهوت عندهم، وفيها أشياء يقولها بعض النصارى لا كلهم، وكذلك نقلهم عنهم: أنهم لا يريدون بالكلمة الكلام، فإن الكلام عندهم صفة فعل، وهذا قول طائفة منهم ومن

(١) في ط (صرحت) بسقوط الواو.
(٢) في هـ، ك (الملكية) بدلاً من (الملكانية).
(٣) المقصود: أبو المعالي وصاحبه.
(٤) يقصد: الملكانية.
(٥) (واحد) ساقطة من هـ، ك.
(٦) سقط من ط لفظ الجلالة (الله).

اليهود، وكثير منهم أو أكثرهم يقولون: إن كلام الله غير مخلوق، وينكرون على من يقول: إنه مخلوق *[1].

ونقلت طائفة أخرى منهم أبو الحسن بن الزاغوني[2] عنهم ما يوافق هذا من وجه دون[3] وجه، فقالوا: اتفقت طوائف النصارى على أن الله ليس بجسم، واتفقوا على أنه جوهر واحد ثلاثة أقانيم، وأن كل واحد من الأقانيم جوهر خاص يجمعها الجوهر العام، ثم اختلفوا، فقال بعضهم: إن الأقانيم مختلفة في الأقنومية، متفقة في الجوهرية.

وقال آخرون: ليست مختلفة في الأقنومية، بل متغايرة، وقال فريق منهم: إن كل واحد منها لا هو الآخر، ولا هو غيره، وليست متغايرة ولا مختلفة، وزعموا أن الجوهر ليس هو غيرها إلَّا ما ذكر عن طائفة من الملكانية[4]، فإنهم قالوا: إن الأقانيم هي الجوهر غير الأقانيم وزعموا أن الجوهر هو الأب، والأقانيم الحياة، وهي روح القدس والقدرة والعلم، وأن الله اتحد بأحد الأقانيم الذي هو الابن بعيسى ابن مريم، وكان مسيحاً عند الاتحاد، لاهوتاً وناسوتاً حمل، وولد، ونشأ، وقتل وصلب، ودفن.

---

(١) ما بين النجمتين ساقط من هـ، ك.

(٢) **أبو الحسن الزاغوني**: هو علي بن عبد الله بن نصر بن السري أبو الحسن بن الزاغوني مؤرخ فقيه أحد أئمة الحنابلة ــ من أهل بغداد ــ ولد سنة ٤٥٥هـ ــ كان متفنناً في علوم شتى من الأصول والفروع والحديث والوعظ وصنف في ذلك كله ــ كان مشهوراً بالصلاح والديانة والورع ــ له مؤلفات كثيرة، أشهرها كتاب الإقناع في الفقه والإيضاح في أصول الدين، وغرر البيان في أصول الفقه، له تاريخ على السنين ــ توفي ببغداد سنة ٥٢٧هـ ودفن في مقبرة الإمام أحمد وشيعه خلق كثير.
انظر: ذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٨٠؛ والبداية والنهاية ١٢/ ٢٠٥؛ وشذرات الذهب ٤/ ٨٠؛ والأعلام للزركلي ٥/ ١٢٤.

(٣) في ك (وهذا) بدلاً من (دون). (٤) في هـ، ك (الملكية) بدلاً من (الملكانية).

واختلفوا ـ أيضاً[1] ـ فقالت النسطورية: إن المسيح جوهران أقنومان قديم ومحدث، وأن اتحاده إنما هو بالمشيئة، وأن مشيئتهما واحدة، وإن كانا جوهرين.

وقالت اليعقوبية: لما اتحدا صار الجوهران: الجوهر القديم، والجوهر المحدث جوهراً واحداً.

واختلفوا ها هنا فقال بعضهم: الجوهر المحدث صار قديماً، وزعم آخرون أنهما لما اتحدا صارا جوهراً واحداً قديماً من وجه محدثاً من وجه آخر[2].

وقالت الملكانية: إن المسيح جوهران أقنوم واحد. وحكى عن بعضهم أنه أقنومان جوهر واحد[3]، وقالت[4] الأريوسية: إن الله ليس بجسم ولا أقانيم له، وأن المسيح لم يصلب ولم يقتل، وأنه نبي وحكى عن بعضهم أنه قال: المسيح ليس بابن[5] الله، وحكى عن بعضهم أنه ابن الله على التسمية والتقريب.

واختلفوا في الكلمة الملقاة إلى مريم، فقالت طائفة منهم: إن الكلمة حلت في مريم حلول الممازجة، كما يحل الماء في اللبن فيمازجه ويخالطه، وقالت[6] طائفة منهم: إنها حلت في مريم من غير ممازجة، كما أن شخص الإنسان يحل في المرآة، وفي الأجسام الصقيلة من غير ممازجة.

---

(١) (أيضاً) ساقطة من هـ، ك.
(٢) (آخر) ساقطة من ط، ك.
(٣) في هـ (جوهر واحد وحكى عن بعضهم) بزيادة (وحكى عن بعضهم).
(٤) في ط (وقال) بدلاً من (وقالت).
(٥) في هـ (ابن) بسقوط (ب).
(٦) في ط، ك (فقالت) بزيادة (ف).

وزعمت طائفة من النصارى أن الناسوت مع اللاهوت كمثل الخاتم مع الشمع، يؤثر فيه بالنقش، ثم لا يبقى منه شيء إلاَّ أثره.

قال أبو الحسن بن الزاغوني، ومن معه[1]: واختلفت النصارى في الأقانيم، فقال قوم منهم: هي جواهر، وقال قوم: هي خواص، وقال قوم: هي صفات، وقال قوم: هي أشخاص: والأب عندهم الجوهر الجامع للأقانيم، والابن هو الكلمة التي اتحدت عند مبدأ المسيح، والروح هي الحياة، واجتمعوا على أن الاتحاد صفة فعل، وليس بصفة ذات.

قالوا: واختلف قولهم في الاتحاد[2] اختلافاً متبايناً، فزعم قوم منهم أن الاتحاد: هو أن الكلمة التي هي الابن حلت جسد المسيح، وقيل: هذا قول الأكثرين منهم.

وزعم قوم منهم أن الاتحاد: هو الاختلاط والامتزاج، وقال قوم من اليعقوبية: هو أن كلمة الله[3] قد انقلبت لحماً ودماً بالاختلاط، وقال كثير من اليعقوبية والنسطورية: الاتحاد هو أن الكلمة والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط الماء بالخمر وامتزاجهما، وكذلك الخمر باللبن.

وقال قوم منهم: الاتحاد هو أن الكلمة والناسوت اتحدا فصارا[4] هيكلاً واحداً.

---

(١) في ط، ك (قالت هذه الطائفة وأبو الحسن بن الزاغوني ومن معه) بدلاً من (قال أبو الحسن بن الزاغوني ومن معه).

(٢) في هـ (واختلفوا في الاتحاد) بدلاً من (واختلف قولهم في الاتحاد).
وفي ك (واختلفوا كلهم في الاتحاد).

(٣) في هـ (الكلمة) بدلاً من (كلمة الله).

(٤) في ط (فصار) بدلاً من (فصارا).

وقال قوم منهم: الاتحاد مثل ظهور صورة الإنسان في المرآة، وكظهور الطابع في المطبوع، مثل الخاتم في الشمع، وقال قوم منهم: الكلمة اتحدت بجسد المسيح على معنى أنها حلته من غير مماسة ولا ممازجة، كما نقول: الله في السماء على العرش من غير مماسة ولا ممازجة، وكما نقول: إن العقل جوهر حال في النفس من غير مخالطة للنفس ولا مماسة لها، وقالت الملكانية[١]: الاتحاد أن الاثنين صارا واحداً، وصارت الكثرة قلة.

وهذا الذي نقله عنهم أبو الحسن الزاغوني هو نحو ما نقله عنهم القاضي أبو بكر[٢] ابن الطيب، والقاضي أبو يعلى[٣]، وغيرهما. وقال أبو محمد بن حزم[٤] النصارى فرق منهم أصحاب أريوس[٥]، وكان قسيساً بالاسكندرية، ومن قوله: التوحيد المجرد، وأن عيسى عبد

---

(١) في هـ، ك (الملكية) بدلاً من (الملكانية).

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) **أبو محمد بن حزم**: هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد ـ عالم الأندلس في عصره وأحد أئمة الإسلام ـ ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ ـ كان حافظاً عالماً مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنّة ـ وكان شافعي المذهب ثم انتقل إلى مذهب أهل الظاهر ـ وهو الذي نشره ودعا إليه ـ له مصنفات كثيرة مشهورة في شتى الفنون والعلوم من أشهرها: كتاب المحلى في الفقه، وكتاب الفصل في الملل، وكتاب الأحكام لأصول الأحكام، وكتاب إظهار تبديل اليهود والنصارى التوراة والإنجيل، وبيان ناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل التأويل، وقد كان من بيت رياسة وملك، وكان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين لا يكاد يسلم من لسانه أحد ـ أخرج من بلاده وشرد ـ توفي في بادية لبلة سنة ٤٥٦هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٣/٣٢٥؛ والبداية والنهاية ١٢/٩١؛ وشذرات الذهب ٣/٢٩٩؛ والأعلام للزركلي ٥/٥٩.

(٥) سبقت ترجمته.

مخلوق، وأنه كلمة الله التي بها خلق السماوات والأرض، وكان في زمن قسطنطين الأول[1] باني القسطنطينية[2] وأول من تنصر من ملوك الروم، وكان على مذهب أريوس هذا.

قال: ومنهم أصحاب بولس الشمشاطي[3]، وكان بطرياركاً بأنطاكية[4] قبل ظهور النصرانية، وكان قوله بالتوحيد المجرد الصحيح، وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، خلقه الله في بطن أمه[5] مريم من غير ذكر، وأنه إنسان لا إلٰهية فيه البتة، وكان يقول: لا أدري ما الكلمة، ولا الروح القدس، قال: وكان منهم أصحاب مقدنيوس[6]، كان بطرياركاً بالقسنطنطينية بعد ظهور النصرانية أيام قسطنطين بن قسطنطين[7] باني القسطنطينية، وكان هذا الملك أريوسيا كأبيه، وكان من قول مقدونيوس هذا التوحيد المجرد، وأن عيسى ـ عليه السلام ـ عبد مخلوق إنسان نبي رسول كسائر الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، وأن عيسى هو روح القدس وكلمة الله، وأن روح

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) سبق التعريف بها.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) سبق التعريف بها.

(٥) (أمه) ساقطة من ط، ك.

(٦) **مقدونيوس**: هو مقدونيوس ـ كان بطرياركاً على القسطنطينية لمدة عشر سنوات، وكان يقول إن روح القدس مخلوقة.
انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١٣٦.

(٧) **قسطنطين بن قسطنطين**: يطلق عليه قسطنطين الثاني (٣١٦ ـ ٤٠٠ ق.م) الذي استولى على بريطانيا وبلاد البرتغال وأسبانيا، وقد شعر أنه خدع في القسمة ولذلك حارب قسطانز، ولكنه قتل في أثناء غزوه إيطاليا.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٣٨٠.

القـدس والكلمـة مخلوقـان خلق الله كـل ذلـك، قـال: وكـان منهم البـربـرانيـة[1]، وهم يقـولـون: إن عيسى وأمـه إلٰهـان من دون الله ـ تعالى ـ[2]، قال: وهذه الفرق قد بادت، وعمـدتهم اليوم ثـلاث فرق، وأعـظمها فرق الملكـانية، وهي[3] مذهب جميـع ملوك النصارى[4] حيث كانوا ـ حاشا الحبشة[5] والنوبة[6] ـ ومذهب عـامة أهـل كل[7] مملكـة النصـارى ـ حـاشـا النـوبـة والحبشـة، وهـو[8] مـذهب جميـع نصـارى أفريقية[9]، وصقلية[10]،

---

(١) سبق التعريف بها.

(٢) (تعالى) ساقطة من هـ.

(٣) في هـ (وهو) بدلاً من (وهي).

(٤) في هـ (الروم) بدلاً من (النصارى).

(٥) سبق التعريف بها.

(٦) **النوبة**: هي أرض واسعة جنوب مصـر وعلى جانبـي النيـل، وعامـة أهلها نصـارى، شيـد فيها الفـراعنة كثيـراً من المدن والحصـون والمعابـد لتأمين طـرق التجـارة إلى السودان قامت بها عدة ممالك مسيحية أهمها مملكة دنقلة التي استمرت حتى القـرن الرابع عشر الميلادي، ثم دخلها الإسلام منذ ظهوره، وانتهت دولة المسيحية.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٨٥١؛ وآثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٤.

(٧) (كل) ساقطة من ط، ك.

(٨) (هو) ساقطة من ط، ك.

(٩) **أفريقية**: هذا الاسم يطلق قديماً على البلاد الواقعـة بين مدينـة برقـة في شرقي ليبيـا إلى طنجـة بالمغـرب وهي البلاد التي فتحهـا المسلمـون في عهـد عثمـان بن عفـان ـ رضي الله عنه ـ بقيادة عبد الله بن سعد بن أبـي سـرح، وتمتد شمـالاً وجنوبـاً من البحر المتوسط إلى الجبال والرمال العظيمة في شمال السودان وما حاذاها.
انظر: معجم البلدان ١/٢٢٨؛ وآثار البلاد وأخبار العباد ص ١٤٨.

(١٠) **صقلية**: جزيرة من جزر البحر الأبيض المتوسط مقـابلة لأفريقيـا وهي مثلثة الشكـل، كـانت قليلة العمارة خـاملة قبل الإسـلام، هرب إليهـا بعض أهل أفـريقيا عنـد الفتـح الإسـلامي، وفتحهـا القـاضي أسـد بن الفـرات، في أيـام بني الأغلب سنـة ٢١٢هـ وبقيت في أيدي المسلمين مدة، ثم ظهر عليها الكفار فملكوها إلى اليوم.
انـظر: معجم البلدان ٢/٤١٦؛ وآثار البـلاد وأخبار العبـاد ص ٢١٥؛ والمـوسـوعـة العربية الميسرة ص ١٢٢٦.

والأندلس[1]، وجمهور الشام[2]، وقولهم أن الله ـ تعالى الله عن قولهم ـ ثلاثة أشياء: أب، وابن، وروح القدس كلها لم تزل، وأن عيسى إلٰه تام كله وإنسان تام ليس أحدهما غير الآخر، وأن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل، وأن الإلٰه منه لم ينله شيء من ذلك، وأن مريم ولدت الإلٰه والإنسان، وأنهما معاً شيء واحد ابن الله ـ تعالى الله عن كفرهم ـ.

وقالت النسطورية: مثل ذلك سواء بسواء، إلَّا أنهم قالوا: إن مريم لم تلد الإلٰه، وإنما ولدت الإنسان، وأن الله لم يلد الإنسان وإنما ولد الإلٰه ـ تعالى الله عن كفرهم ـ وهذه الفرقة غالبة على الموصل[3] والعراق[4] وفارس[5] وخراسان[6]، وهم منسوبون[7] إلى نسطور[8]، وكان بطرياركاً بالقسطنطينية.

وقالت اليعقوبية: إن المسيح هو الله نفسه؛ وأن الله ـ تعالى الله[9] عن عظيم كفرهم ـ مات وصلب وقتل، وأن العالم بقي ثلاثة أيام بلا

---

(١) **الأندلس**: إقليم في جنوبي أسبانيا وهو شبه جزيرة كبيرة يحدها من الجنوب البحر الأبيض المتوسط ومن الغرب المحيط الأطلسي، وهي بلاد جميلة كثيرة الأنهار والأشجار والثمار، دخلها الإسلام في عهد عبد الملك بن مروان بقيادة طارق بن زياد، وظل فيها المسلمون قرابة سبعة قرون، وكان هذا العصر الذهبي لهذه البلاد.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٢٤١؛ ومعجم البلدان ١/٢٦٢.

(٢) **جمهور الشام**: راجع ٣/١٤٢.

(٣) **الموصل**: راجع ٣/١٧.

(٤) **العراق**: راجع ٣/١٤٣.

(٥) سبق التعريف بها.

(٦) سبق التعريف بها.

(٧) في ط (منسوبين) بدلاً من (منسوبون).

(٨) **نسطور**: هو نسطوريورس بطريك القسطنطينية. راجع ٣/٢٨.

(٩) سقط من ط، ك لفظ الجلالة (الله).

مدبر، والفلك بلا مدبر، ثم قام ورجع كما كان، والله ـ تعالى[1] ـ عاد محدثاً، والمحدث عاد قديماً، والله ـ تعالى ـ كان[2] في بطن مريم محمولاً به، وهم في أعمال مصر[3] وجميع النوبة، وجميع الحبشة، وملوك الأمتين المذكورتين[4].

قلت[5]: ومن أخبر[6] الناس بمقالاتهم من كان من علمائهم، وأسلم على بصيرة بعد الخبرة بكتبهم، ومقالاتهم، كالحسن بن أيوب[7]، الذي كتب رسالة إلى أخيه علي بن أيوب[8]، يذكر فيها سبب إسلامه، ويذكر الأدلة على بطلان دين النصارى، وصحة دين الإسلام، قال في رسالته[9] إلى أخيه لما كتب إليه يسأله عن سبب إسلامه بعد أن ذكر[10] خطبته: «ثم أعلمك ـ أرشدك الله[11] ـ أن ابتداء أمري في الشك الذي دخلني فيما كنت عليه، والاستبشاع بالقول[12] به من أكثر

---

(١) (تعالى) ساقطة من ط، ك.
(٢) في ط، ك (وأنه تعالى هو كان) بدلاً من (والله تعالى كان).
(٣) أعمال مصر: راجع ٣/ ١٤٣.
(٤) في هـ (الأرمنين) بدلاً من (الأمتين المذكورتين). (انظر الفصل لابن حزم).
(٥) (قلت) ساقطة من ط، ك.
(٦) في ط، ك (أعلم) بدلاً من (أخبر).
(٧) (٨) **الحسن بن أيوب وعلي بن أيوب**: لم نقف لهما على ترجمة ـ بالرغم من البحث المضني، لكن وردت إشارة إليه في كتاب الفهرست للنديم ص **٢٤٦** يقول فيها: «وله من الكتب كتاب إلى أخيه علي بن أيوب في الرد على النصارى وتبيين فساد مقالتهم، وتثبيت النبوة»، وهذه الإشارة تجعلنا نجزم بأن الحسن بن أيوب عاش قبل تأليف كتاب الفهرست للنديم الذي توفي حوالي عام **٣٧٧هـ** والله أعلم.
(٩) رسالة الحسن بن أيوب. لم أقف لها على ذكر.
(١٠) (أن ذكر) ساقطة من هـ.
(١١) (أرشدك الله) ساقطة من ط، ك.
(١٢) في ط، ك (للقول) بدلاً من (بالقول).

من عشرين سنة، لما كنت أقف عليه في المقالة من فساد التوحيد لله ـ عز وجل ـ بما أدخل فيه من القول بالثلاثة الأقانيم وغيرها، مما تضمنته شريعة النصارى، ووضع الاحتجاجات التي لا تزكو ولا تثبت في تقرير[1] ذلك، وكنت إذا تبحرته وأجلت الفكر[2] فيه بان لي عواره، ونفرت نفسي من قبوله، وإذا فكرت في دين الإسلام الذي منَّ الله عليَّ به وجدت أصوله ثابتة، وفروعه مستقيمة، وشرائعه جميلة.

وأصل ذلك ما لا يختلف فيه أحد ممن عرف الله ـ عز وجل ـ منكم ومن غيركم، وهو الإيمان بالله الحي القيوم، السميع البصير، الواحد الفرد، الملك القدوس، الجواد العدل، إلّه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وإلّه موسى وعيسى[3]، وسائر النبيين، والخلق أجمعين، الذي لا ابتداء له، ولا انتهاء ولا ضد ولا ند، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً، الذي خلق الأشياء كلها لا من شيء ولا على مثال، بل كيف شاء. وبأن قال لها: كوني فكانت على ما قدر وأراد، وهو العليم القدير، الرؤف الرحيم، الذي لا يشبهه[4] شيء، وهو الغالب فلا يغلب، والجواد فلا يبخل، لا يفوته مطلوب، ولا تخفى عليه خافية، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وكل[5] مذكور أو موهوم هو منه، وكل ذلك به وكل له قانتون، ثم نؤمن بأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره

(١) في ط، ك (تنويرة) بدلاً من (تقرير).

(٢) في هـ (الفكرة) بزيادة (ة).

(٣) في ط (عيسى وموسى) بتقديم وتأخير.

(٤) في هـ (يشبه) بدلاً من (يشبهه).

(٥) في ط، ك (فكل) بدلاً من (وكل).

المشركون، ونؤمن بموسى وعيسى وسائر الأنبياء ـ عليهم الصلاة[1] والسلام ـ ، لا نفرق بين أحد منهم، ونؤمن بالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن[2]، وسائر الكتب التي أنزلها الله ـ تعالى ـ على أنبيائه، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور وأن الأبرار لفي نعيم، وأن الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين، ذلك بما كسبت أيديهم[3]، وأن الله ليس بظلام للعبيد.

قال[4]: وكان يحملني إلف ديني[5]، وطول المدة والعهد عليه، والاجتماع مع الآباء والأمهات والإخوة والأخوات والأقارب والإخوان والجيران وأهل المودات، على التسويف بالعزم والتلبث عن إبرام الأمر، ويعرض مع ذلك الفكر في إمعان النظر والازدياد في البصيرة، فلم أدع كتاباً من كتب أنبياء التوراة والإنجيل والزبور، وكتب الأنبياء والقرآن إلاَّ نظرت فيه وتصفحته، ولا شيئاً من مقالات النصرانية إلاَّ تأملته، فلما لم[6] أجد للحق مدفعاً، ولا للشك فيه موضعاً، ولا للأناة والتلبث وجهاً، خرجت مهاجراً إلى الله ـ عز وجل ـ[7] بنفسي، هارباً بديني عن نعمة وأهل مستقر ومحل وعز ومتصرف في عمل، فأظهرت ما أظهرته عن نية صحيحة وسريرة صادقة، ويقين ثابت، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق[8]،

---

(١) (الصلاة) ساقطة من ط، ك.
(٢) في هـ (الفرقان) بدلاً من (القرآن).
(٣) في ط (بما قدمت أيديكم) بدلاً من (بما كسبت أيديهم).
(٤) يقصد الحسن بن أيوب.
(٥) في هـ ، ك (الدين) بدلاً من (ديني).
(٦) في ط، ك (فلم) بدلاً من (فلما لم).
(٧) (عز وجل) ساقطة من هـ .
(٨) (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) ساقطة من ط، ك.

وإياه ــ تعالى ــ[1] نسأل أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب.

قال[2]: ولما[3] نظرت في مقالات النصارى وجدت صنفاً منهم يعرفون بالأريوسية يجردون توحيد الله ويعترفون بعبودية المسيح ــ عليه السلام ــ، ولا يقولون فيه شيئاً مما يقوله النصارى من ربوبية ولا بنوَّة خاصة ولا غيرهما، وهم متمسكون بإنجيل المسيح مقرون بما جاء به تلاميذه، والحاملون عنه. فكانت هذه الطبقة قريبة من الحق، مخالفة لبعضه في جحود نبوة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، ودفع ما جاء به من الكتاب والسنَّة.

قال: ثم وجدت منهم صنفاً[4] يعرفون باليعقوبية، يقولون: إن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين: إحداهما طبيعة الناسوت، والأخرى طبيعة اللاهوت، وأن هاتين الطبيعتين تركبتا كما تركبت النفس مع البدن فصارتا إنساناً واحداً، وجوهراً واحداً، وشخصاً واحداً. وأن هذه الطبيعة الواحدة، والشخص والواحد هو المسيح، وهو إِلَه كله، وإنسان كله، وهو شخص واحد، وطبيعة واحدة من طبيعتين.

وقالوا: إن مريم ولدت الله ــ تعالى الله عما يقولون[5] ــ وإن الله مات وتألم[6] وصلب متجسداً ودفن وقام من بين الأموات، وصعد إلى

---

(١) (تعالى) ساقطة من ط، ك.

(٢) يقصد الحسن بن أيوب.

(٣) في هـ (فلما) بدلاً من (ولما).

(٤) في هـ (صنفاً منهم) بتقديم وتأخير.

(٥) في هـ (يصفون) بدلاً من (يقولون).

(٦) في هـ، ك (ألم) بدلاً من (تألم).

السماء فجاءوا من القول بما لو عرض على السماء لانفطرت، أو على الأرض لانشقت، أو على الجبال لانهدت، فلم يكن لمحاجة هؤلاء وجه، إذ كان كفرهم بما صرحوا به أوضح من أن يقع فيه الشك، (وكان غيرهم من النصارى كالمالكانية والنسطورية يشهدون بذلك عليهم)[1].

قال: ثم نظرت في قول الملكانية ــ وهم الروم، وهم أكثر النصارى[2] فوجدتهم[3] قالوا: إن الابن الأزلي الذي هو الله الكلمة تجسد من مريم تجسداً كاملاً كسائر أجساد الناس، وركب في ذلك الجسد نفساً كاملة بالعقل والمعرفة والعلم كسائر أنفس الناس، وأنه صار إنساناً بالنفس والجسد اللذين هما من جوهر الناس، وإلهاً بجوهر اللاهوت، كمثل أبيه لم يزل وهو إنسان بجوهر الناسوت، مثل إبراهيم وداود وهو شخص واحد لم يزد عدده، وثبت له جوهر اللاهوت، كما لم يزل يصح[4] له جوهر[5] الناسوت الذي لبسه[6] من مريم، وهو شخص واحد لم يزد عدده، وطبيعتان، ولكل واحدة[7] من الطبيعتين مشيئة كاملة، فله بلاهوته[8] مشيئة مثل الأب والروح وله بناسوته مشيئة مثل مشيئة[9] إبراهيم وداود.

وقالوا: إن مريم ولدت إلهاً، وأن المسيح، وهو اسم يجمع

---

(١) ما بين القوسين كتب في هـ: هكذا (وكنتم جميعاً تشهدون بذلك عليهم).
(٢) (وهم أكثر النصارى) ساقطة من هـ.
(٣) في هـ (وجدتهم) بسقوط (فـ).
(٤) في ط، ك (وصح) بدلاً من (يصح).
(٥) (جوهر) ساقطة من هـ.
(٦) في هـ (اكتسبه) بدلاً من (لبسه).
(٧) في ط، ك (واحد) بسقوط (ة).
(٨) في هـ (باللاهوتية) بدلاً من (بلاهوته).
(٩) في هـ (كمشيئة) بدلاً من (مثل مشيئة).

اللاهوت والناسوت مات، وقالوا: إن الله لم يمت والذي ولدت مريم قد مات بجوهر ناسوته، (فهو إلّه تام بجوهر لاهوته، وإنسان تام بجوهر ناسوته)[١]، وله مشيئة اللاهوت ومشيئة الناسوت، وهو شخص واحد، لا نقول شخصان لئلا يلزمنا القول بأربعة أقانيم.

قال[٢]: فهؤلاء أتوا[٣] من ذلك بمثل ما أتت به[٤] اليعقوبية في ولادة مريم الله[٥] ـ تعالى الله عما يقول الظالمون[٦] ـ وقالوا: إن المسيح ـ وهو اسم لا تشك جماعة النصارى أنه واقع على اللاهوت والناسوت ـ مات، وأن الله لم يمت، فكيف يكون ميتاً[٧] لم يمت، وقائماً قاعداً[٨] في حال واحدة[٩]؟ وهل بين المقالتين فرق[١٠] إلّا ما اختلفوا فيه من الطبائع؟

* قال: ثم نظرت في قول النسطورية فوجدتهم قالوا: إن المسيح شخصان وطبيعتان لهما مشيئة واحدة، وأن طبيعة اللاهوت التي للمسيح غير طبيعة ناسوته، وأن طبيعة اللاهوت لما توحدت بالناسوت بشخصها

---

(١) ما بين القوسين ساقط من هـ.
(٢) يقصد الحسن بن أيوب.
(٣) في هـ (فأتوا) بدلاً من (فهؤلاء أتوا).
(٤) (به) ساقطة من ط.
(٥) لفظ الجلالة (الله) ساقط من ط.
(٦) في هـ (سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون) بدلاً من (تعالى الله عما يقول الظالمون).
(٧) في ط، ك (ميت) بدلاً من (ميتاً).
(٨) في ط، ك (وقائم وقاعد) بدلاً من (وقائماً قاعداً).
(٩) في ط (واحد) بسقوط (ة).
في هـ (حالة واحدة) بدلاً من (حال واحدة).
(١٠) (فرق) ساقط من هـ.

الكلمة التي صارت الطبيعتان بجهة واحدة، وإرادة واحدة واللاهوت لا يقبل زيادة ولا نقصان، ولا يمتزج بشيء والناسوت يقبل الزيادة والنقصان، فكان المسيح بتلك إلّهاً وإنساناً، فهو إلّه بجوهر اللاهوت الذي لا يزيد ولا ينقص، وهو إنسان بجوهر الناسوت القابل للزيادة والنقصان.

وقالوا: إن مريم ولدت المسيح بناسوته، وإن اللاهوت لم يفارقه قط منذ توحدت بناسوته.

وقال: فوجدنا اليعقوبية قد صرحوا بأن مريم ولدت الله ـ تعالى عما يصفه المبطلون ـ، ويقوله العادلون ـ وأنه تألم[1] وصلب ومات، وقام بعد ثلاثة أيام من بين الموتى، وهذا الكفر الذي تشهد به عليهم سائر ملل النصارى وغيرهم، ووجدنا الملكانية قد حادوا عن هذا التصريح إلى ما هو دونه في الظاهر، فقالوا: إن المسيح شخص واحد وطبيعتان، فلكل واحدة من الطبيعتين مشيئة، فله بلاهوته مشيئة مثل الأب والروح، وله بناسوته مشيئة كمشيئة إبراهيم وداود. وأوهموا الواقف على قولهم أنهم بما اخترعوه من هذا الاختيار قد فرقوا بين اللاهوت والناسوت. ثم عادوا إلى قول اليعقوبية فقالوا: إن مريم ولدت إلّهاً، وأن المسيح وهو اسم يجمع اللاهوت والناسوت عند جماعتهم لا يشكون في ذلك، مات بالجسد، وأن الله لم يمت، والذي قد ولدته مريم قد مات بجوهر ناسوته، فكيف يكون ميت لم يمت؟ وهل بين المقالتين ـ إلاَّ ما اختلفوا فيه من الطبائع ـ فرق؟ *[2].

---

(١) في ك (ألم) بدلاً من (تألم).

(٢) هذه الصفحة كلها ساقطة من هـ .

وإذا[1] كانوا قد اعترفوا بأن مريم ولدت الله، وأن الذي ولدته مريم، وهو المسيح الاسم الجامع للجوهرين[2]، للاهوت والناسوت قد مات فهل وقعت الولادة والموت وسائر الأفعال، التي تحكي النصارى أنها فعلت بالمسيح إلاَّ عليهما؟

فكيف يصح لذي[3] عقل عبادة مولود من امرأة بشرية قد مات، ونالته العلل والآفات.

قلت[4]: ومما يوضح تناقضهم أنهم يقولون: إن المسيح وهو اللاهوت والناسوت شخص واحد وأقنوم واحد، مع قولهم أنهما جوهران بطبيعتين ومشيئتين فيثبتون للجوهرين أقنوماً واحداً، ويقولون: هو شخص واحد، ثم يقولون: إن رب العالمين إلّه واحد، وأقنوم واحد[5]، وجوهر واحد، وهو ثلاثة أقانيم، فيثبتون للجوهر الواحد ثلاثة أقانيم، وللجوهرين المتحدين أقنوماً واحداً، مع أن مشيئة الأقانيم الثلاثة عندهم واحدة، والناسوت واللاهوت يثبتون لهما مشيئتين وطبيعتين، ومع هذا هما عندهم شخص واحد، أقنوم[6] واحد، وهذا يقتضي غاية التناقض، سواءً فسروا الأقنوم بالصفة، أو الشخص، أو الذات مع الصفة، أو أي شيء قالوه.

وهو[7] يبين[8] أن الذين تكلموا بهذا الكلام ما تصوروا ما قالوه،

---

(١) في ط (أو إذا) بدلاً من (وإذا).

(٢) (للجوهرين) ساقطة من هـ، ك.

(٣) في ط (الذي) بزيادة (أ).

(٤) هذا كلام الشيخ تعقيباً على قول الحسن بن أيوب.

(٥) (أقنوم واحد) ساقطة من ط، هـ.

(٦) في ط (وأقنوم) بزيادة (و).

(٧) الضمير يعود للحسن بن أيوب.

(٨) في هـ (يتبين) بدلاً من (يبين).

بل كانوا ضلالاً جهالاً، بخلاف ما يقوله الأنبياء فإنه حق، فلهذا لا يوجد عن المسيح، ولا غيره من الأنبياء ما يوافق قولهم في التثليث، والأقانيم والاتحاد، ونحو ذلك مما ابتدعوه بغير سمع وعقل، بل ألقوا أقوالاً مخالفة للشرع والعقل.

ثم قال الحسن بن أيوب: ثم وجدنا النصارى المعروفين بالنسطورية قد خالفوا اليعقوبية والملكانية في قولهم بشخصين[1] لهما مشيئة واحدة، وأن الطبيعتين اتحدتا فصارتا بجهة واحدة، ثم عادوا إلى شبيه قولهم في أن مريم ولدت المسيح، فإذا كانت ولدت المسيح فقد لزمهم ووجب عليه الإقرار بأنها ولدت هذا اللاهوت والناسوت المتحدين.

وقد رجع المعنى إلى قول اليعقوبية إلاَّ أنهم اختاروا لذلك ألفاظاً زوقوها وقدروا بها التمويه على السامع، ولم يصرحوا بالقول كتصريح اليعقوبية، لأن المتحد بالشيء هو الممازج له والمجتمع معه، حتى صار مازجه وهو شيئاً واحداً، ثم أكدوا[2] القول بإقرارهم أن الناسوت منذ اتحد باللاهوت لم يفارقه، فما لم يفارق الشيء هل هو إلاَّ يجري[3] مجراه في سائر متفرقاته من ضر ونفع، وخير وشر، وحاجة وغنى.

قال[4]: وأما قولهم: إن مريم ولدت المسيح بناسوته فهذه أغلوطة، وإلاَّ فكيف يولد ولد متحد بشيء آخر مجامع له دون ذلك الشيء؟ وكيف يكون ذاك، وهم يقولون: إنه لم يفارقه قط! وهل يصح

---

(١) في هـ (شخصين) بسقوط (بـ).

(٢) في ك (وكدوا)، في هـ (ذكروا) بدلاً من (أكدوا).

(٣) في ط، ك (إلاَّ أن يجري) بزيادة (أن).

(٤) أي الحسن بن أيوب.

هذا عند أهل النظر، أوليس الحكم عند كل ناظر ومن كل ذي عقل يوجب أن تكون الولادة واقعة على اللاهوت والناسوت معاً؟ بمعنى الاتحاد، وبمعنى الاسم الجامع للاهوت والناسوت وهو المسيح، وكذلك الحمل بهما جميعاً وأن يكون البطن قد حواهما؟.

قال: فإن لجوا في الباطل، ودافعوا عن قبيح هذه المقالة، ومالوا إلى[1] تحسينها بالتمويهات المشككة لمن قصرت معرفته، فنحن نقيم عليهم[2] شاهداً من أنفسهم لا يمكنهم دفعه، وذلك أن شريعة إيمانهم التي ألفها لهم[3] رؤساؤهم من البطاركة والمطارنة والأساقفة والأحبار في دينهم وذوي العلم منهم بحضرة الملك، عند اجتماعهم من آفاق الأرض بمدينة[4] قسطنطينية، وكانوا ثلثمائة وثمانية عشر رجلاً، يصفون أنهم نطقوا[5] بها بروح القدس، وهي التي لم تختلف جماعتهم عند اختلافهم في المقالات فيها، ولا يتم لهم قربان إلاَّ بها على هذا النسق الذي نبينه[6] (نؤمن بالله الأب، مالك كل شيء، صانع ما يرى وما لا يرى، وبالرب الواحد يسوع[7] المسيح ابن الله الواحد، بكر الخلائق كلها، وليس بمصنوع، إلّه حق من إلّه حق، من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شيء، الذي من أجلنا معشر البشر[8]، ومن

---

(١) في هـ (وقالوا أن) بدلاً من (ومالوا إلى).
(٢) في ط (عليها) بدلاً من (عليهم).
(٣) (لهم) ساقطة من هـ، ك.
(٤) في هـ (مدينة) بسقوط (بـ). ويقصدون مجمع نيقية سنة ٣٢٥م.
(٥) في هـ، ك (أنطقوا) بزيادة (أ).
(٦) في هـ (بينته).
في ط (تبينه) بدلاً من (نبينه).
(٧) في هـ، ك (أيسوع) بزيادة (أ).
(٨) (معشر الناس) ساقطة من هـ.

أجل خلاصنا نزل من السمـاء، وتجسد من روح القـدس، وصار إنسـاناً وحبـل به، وولـد من مريم البتـول، وتألم[١] وصلب أيـام قيـطوس[٢] بن بيـلاطوس[٣] ودفن وقـام في اليوم الثـالث كما هـو مكتوب، وصعـد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارةً أخرى للقضـاء بين الأمـوات والأحياء، ونؤمن بـروح القدس الـواحـد روح الحق الـذي يخـرج من أبيه روح، ومجيئـه[٤]، وبمعموديـة واحدة لغفـران الخطايـا، وبجماعة واحدة قديسية[٥] سليخية جاثليقية، وبقيـامة أبـداننا، وبـالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين).

قـال[٦]: فهذه الشـريعة يجتمـع على الإيمان بهـا، وبـذل المهـج فيهـا، وإخـراج الأنفس دونهـا جمـاهيـرهم من الملكـانيـة واليعقـوبيـة والنسطورية.

وقد اعترفوا فيها جميعاً بأن الـرب المسيح الـذي هذه صفتـه على ما اقتصصناه منها الإله الحق من الإله الحق، نزل من السماء وتجسد من روح القدس، وصار إنسـاناً وحبـل به وولـد من مريم البتـول[٧] وتألم[٨] وصلب.

---

(١) في هـ، ك (وألم) بدلاً من (وتألم).

(٢) **قيطوس**: لم أجد له ذكر لدى ابن البطريق، بل وجدت أن اسمه بيلاطـوس فقط كما في الهامش التالي.

(٣) سبقت ترجمته. وانظر تاريخ ابن البطريق ص ٩٢.

(٤) في هـ، ك (مجيئه) بسقوط (بـ).

(٥) في هـ (قدسيه) بدلاً من (قديسيه).

(٦) (قال) ساقطة من ك.

(٧) (البتول) ساقطة من هـ.

(٨) في هـ (ولكم) بدلاً من (وتألم).

قال: فهل في هذا الإقرار شبهة أو علقة يتعلق بها العنت[١] المدافع عن الحجة؟ فتدبروا هذا القول يا معشر النصارى، فإنه لا يمكن أحد[٢] منكم أن يخرج عنه، ولا أن يدفع ما صرح به فإنكم إن قلتم إن المقتول المصلوب هو الله، فمريم على قولكم ولدت الله ـ سبحانه وتعالى عما يقولون ـ وإن قلتم أنه إنسان فمريم ولدت إنساناً، وفي ذلك أجمع بطلان شريعة إيمانكم فاختاروا أي القولين شئتم، فإن فيه نقض الدين.

قال: وقد يجب على ذوي العقول أن تزجرهم عقولهم عن عبادة إلّه ولدته مريم، وهي امرأة آدمية، ثم مكث على الأرض ثلاثين سنة، تجري عليه أحكام الآدميين من غذاء وتربية، وصحة وسقم، وخوف وأمن، وتعلم وتعليم، لا يتهيأ لكم أن تدَّعوا أنه كان منه في تلك[٣] المدة من أسباب اللاهوتية شيء، ولا له من أحوال الآدميين كلها من حاجتهم وضروراتهم وهمومهم[٤] ومحنهم وتصرفاتهم مخرج، ثم أحدث بعد هذه المدة الطويلة ما أحدثه من إظهار أمر الله ـ تعالى ـ، والنبوات، والآيات الباهرة المعجزة بقوة الله ـ تعالى ـ، وقد كان من[٥] غيره من الأنبياء مثلها وما هو أعلىٰ منها، فكانت مدته في ذلك أقل من[٦] ثلاث سنين، ثم انقضى أمره بما يصفون أنه انقضى به، وينسبونه إليه من حبس وضرب وقذف وصلب وقتل، فهل تقبل العقول ما يقولون من

(١) في ط (المعنت) بدلاً من (العنت).
(٢) في ط (أحداً) بسقوط (أ).
(٣) في هـ (تلك الأحوال المدة) بزيادة (الأحوال).
(٤) في هـ (هموماتهم) بدلاً من (وهمومهم).
(٥) في ط (في) بدلاً من (من).
(٦) (من) ساقطة من ط .

أن إلّهاً نال عباده منه مثل ما تذكرون أنه نيل منه؟

فإن تأولتم أن ذلك حل بالجسم، وليس بالقياس يحتمل ذلك لما شرحناه من معنى اتحاد اللاهوت به، أفليس[1] قد وقع بجسم توحدت اللاهوتية به، وحلت الروح فيه، وقد أنجبه الله على ما تزعمون وتصفون لخلاص الخلق، وفوض إليه القضاء بين العباد في اليوم الذي يجتمع[2] فيه الأولون والآخرون للحساب، وقد وجدناكم تؤثرون أخباراً في قوم عرضوا التوابيت فيها، شهداء[3] لكم بأن الأيدي التي بسطت إليها جفت. أو هل نال أحداً[4] من الجزع والهلع والغم والقلق والتضرع إلى الله في إزالة ما حل به، مثل ما يحكى في الإنجيل أنه ناله، ووجدنا الكتب تنبىء بأنه نيل من جورجيس[5] ـ أحد من كان على دين المسيح ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من العذاب الشديد بالقتل والحرق والنشر بالمناشير ما لم يسمع بمثله في أحد من الخلق، ونال خلقاً كثيراً من تلامذته أيضاً عذاب شديد.

وقيل: لما كان الملوك المحاربون لهم يسومونهم إياه من الرجوع عن أديانهم إلى الكفر الذي كان أولئك الملوك عليه فصبروا على ذلك، واحتسبوا أنفسهم، فلم يهربوا من الموت، وقد كان يمكنهم الهرب من

---

(١) في ط (فليس) بدلاً من (أليس).

(٢) في ط (تجتمع) بدلاً من (يجتمع).

(٣) في ط (شهد) بدلاً من (شهداء).

(٤) في هـ (أحد) بسقوط (أ).

(٥) جورجيس: ولد بالرملة أو اللد بفلسطين في النصف الأخير من القرن الثالث الميلادي ومات سنة ٣٠٣م، وقد كان المسيحيون يعظمونه ويقدسونه حتى أنهم بنوا الكنائس والأديار وسموها باسمه.
انظر: دائرة المعارف للبستاني ١/٤٢٧، طبعة بيروت.

بلد إلى بلد، والاستتار وإخفاء أشخاصهم، وما أظهروا في حال من تلك الأحوال جزعاً ولا هلعاً، وهم بعض الآدميين التابعين له، لأنه خفف عنهم ما كانوا ينالون به بتأييد الله ــ عز وجل ــ إياهم.

قال: ثم نقول قولاً آخر: قد نستدل على صحة هذه الشريعة من سقمها بأربعة أوجه، لا يقع في شيء منها شك ولا طعن، ولا زيادة ولا نقصان، وهي أصل أمر المسيح عندكم:

فأولها: البشرى التي أتى بها جبريل ــ عليه السلام ــ(*).

والثانية: قول يحيى بن زكريا[١] الذي شهد له المسيح بأنه لم تقم النساء عن مثله(*).

والثالثة: النداء المسموع من السماء(*).

والرابعة: قول المسيح عن نفسه حين سأله يحيى عن شأنه(*).

و[٢]الذي قال جبريل على ما ثبت في إنجيلكم لمريم حين بشرها: (السلام عليك أيتها الممتلئة نعماً، ربنا معك أيتها المباركة في النساء، فلما رأته مريم ذعرت منه، فقال: لا ترهبي يا مريم فقد فزت بنعمةٍ من[٣] ربك، فها أنت تحبلين وتلدين[٤] ابناً، وتسميه يسوع[٥]، ويكون كبيراً، ويسمى ابن الله العلي، ويعطيه الله[٦] الرب كرسي أبيه

(*) سيأتي تفصيل هذه الأمور فيما بعد.

(١) سبقت ترجمته.

(٢) هذه بداية تفصيل الأمور الأربعة السابقة.

(٣) (من) ساقطة من ط.

(٤) في هـ (تحبلي وتلدي) بدلاً من (تحبلين وتلدين).

(٥) في هـ، ك (أيسوع) بزيادة (أ).

(٦) لفظ الجلالة (الله) ساقط من ط.

داود، ويكون ملكاً على آل يعقوب إلى الأبد، فقالت مريم: أنى يكون لي ذلك ولم يمسسني رجل، قال لها الملك[1]: إن روح القدس يأتيك، أو قال: يحل فيك وقوة العلي تحبلك[2] من أجل ذلك يكون الذي يولد منك قديساً[3] ويسمى ابن الله العلي)[4].

قال: فلم نرَ الملك[5] قال لها: إن الذي تلدين، هو[6] خالقك[7] وهو[8] الرب كما سميتموه، بل أزال الشك في ذلك بأن قال: (إن الله الرب يعطيه كرسي أبيه داود، ويصطفيه ويكرمه، وأن داود النبي أبوه، وأنه يسمى ابن الله)، وما قال أيضاً: (أنه يكون ملكاً على الأرض) وإنما جعل له الملك على بني إسرائيل فقط، وقد علمتم أن من يسمى بابن الله كثير لا يحصون، فمن ذلك إقراركم بأنكم جميعاً أبناء الله

---

(١) في هـ، ك (الملاك) بدلاً من (الملك).

(٢) في هـ، ك (تجللك) بدلاً من (تحبلك).

(٣) في هـ (قدسياً) بدلاً من (قديساً).

(٤) هذا النص في إنجيل لوقا ـ الإصحاح الأول ـ مختلفاً شيئاً يسيراً: (٢٨ ـ فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها الرب معك مباركة أنت في النساء. ٢٩ ـ فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية. ٣٠ ـ فقال الملاك: لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله. ٣١ ـ وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع. ٣٢ ـ هكذا يكون عظيماً، وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإلٓه كرسي داود أبيه. ٣٣ ـ ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية. ٣٤ ـ فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً. ٣٥ ـ فأجاب وقال لها: الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله).
انظر: العهد الجديد ص ٩٠.

(٥) في هـ، ك (الملاك) بدلاً من (الملك).

(٦) في ط (وهو) بزيادة (و).

(٧) في هـ (خالق) بسقوط (ك).

(٨) في ط (هو) بسقوط (و).

بالمحبة، وقول المسيح: (أبي وأبيكم، وإلّهي وإلهكم)[1] في غير موضع من الإنجيل، ثم تسمية الله يعقوب وغيره بنيه خصوصاً، فالسبيل في المسيح إذا[2] لم تلحقوه في هذا الاسم بالجمهور أن يجري في هذه التسمية مجرى الجماعة الذين اختصوا بها من الأنبياء والأبرار، ونسبة الملك[3] إياه إلى أبيه داود تحقق أن أباه داود، وأن التسمية الأولى على جهة الاصطفاء والمحبة، وأن حلول الروح عليه على الجهة التي قالها «متى»[4] التلميذ للشعب عن المسيح في الإنجيل: (لستم أنتم متكلمين[5]، بل روح الله تأتيكم تتكلم فيكم)[6].

فأخبر أن الروح تحل[7] في القوم أجمعين، وتتكلم فيهم، وقال الملك[8] في بشارته لمريم بالمسيح ـ عليه السلام ـ: إنه يكون ملكاً على آل يعقوب فخص آل يعقوب بتملكه عليهم دون غيرهم من الناس، ولم يقل إنه يكون إلّهاً للخلائق[9]، ومعنى قول جبريل ـ عليه السلام ـ

---

(١) في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح العشرون: (إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلّهي وإلّهكم) بلفظه.
انظر: العهد الجديد ص ١٨٦.
(٢) في ط (إذ) بسقوط (أ).
(٣) في هـ ، ك (الملاك) بدلاً من (الملك).
(٤) سبقت الإشارة إليه ٣/ ٢١.
في هـ (متا) بدلاً من (متى).
(٥) في هـ ، ك (متكلمون) بدلاً من (متكلمين).
(٦) في إنجيل متى ـ الإصحاح العاشر: (٢٠ ـ لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم).
انظر: العهد الجديد ص ١٨.
(٧) في ك (يحل) بدلاً من (تحل).
(٨) في هـ ، ك (الملاك) بدلاً من (الملك).
(٩) في هـ (للخلق) بدلاً من (للخلائق).

لمريم: (ربنا معك) مثل معنى قول الله ــ عز وجل ــ لموسى وغيره من الأنبياء: (إني معكم) فقد قال ليوشع بن نون[1]: (إني أكون معك، كما كنت مع موسى عبدي)[2] فقول النصارى كلهم في مجاري لغتهم ومعاني ألفاظهم أن الله ــ عز وجل ــ، وروح القدس مع كل خطيب وراهب وفاضل في دينه على هذه[3] السبيل.

قال: وأما النداء الذي سمعه يحيى بن زكريا من السماء في المسيح وشهادة يحيى له، فإن «متى»[4] قال في إنجيله: (إن المسيح ــ عليه السلام ــ لما خرج من الأردن[5] تفتحت له السماء، فنظر يحيى[6] إلى روح القدس قد نزلت على المسيح كهيئة حمامة، وسمع نداء من السماء: إن هذا ابني الحبيب الذي اصطفيته)[7].

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) وجدنا في يشوع ــ الإصحاح الثالث بمعناه: (٧ ــ لكي يعلموا أني كما كنت مع موسى أكون معك).
انظر: العهد القديم ص ٣٤٠.

(٣) في هـ (هذا) بدلاً من (هذه).

(٤) في هـ (متا) بدلاً من (متى).

(٥) المقصود نهر الأردن الذي يفصل حالياً بين شرقي الأردن (الدولة) وغربيه (فلسطين)، حيث كان يحيى بن زكريا يعمد فيه النصارى.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٤٦.

(٦) (يحيى) ساقطة من هـ.

(٧) النص الموجود في إنجيل متى ــ الإصحاح الخامس يقول: (١٦ ــ فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه وصوت من السماوات قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت).
انظر: العهد الجديد ص ٦.
وكذلك في إنجيل لوقا ــ الإصحاح الثالث: (٢١ ــ ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً وإذا كان يصلي انفتحت السماء. ٢٢ ــ ونزل عليه الروح القدس بهيئة حمامة وكان صوت من السماء قائلاً أنت ابني الحبيب بك سررت) بمعناه.
انظر العهد الجديد ص ٥٩.

فقد[1] علمنا وعلمتم أن المصطفى مفعول، والمفعول مخلوق، وليس[2] يستنكف المسيح ـ عليه السلام ـ من الاعتراف بذلك عن الاعتراف بذلك في كل كلامه، وما زال يقول: (إلّهي وإلّهكم وأبي وأبيكم)، وكلما يصحح[3] به أنه عبد مرسل مربوب مبعوث مأمور يؤدي ما سمع ويفعل ما حد له، ونحن نشرح هذا في موضعه من هذا الكتاب[4] ـ إن شاء الله تعالى ـ .

ثم قال[5]: وقد وجدنا المسيح ـ عليه السلام ـ . أحتاج إلى تكميل[6] أمره بمعمودية يحيى له فصار إليه لذلك[7] وسأله[8] إياه، فليس مرتبة المقصود بدون مرتبة القاصد الراغب، وقال «لوقا»[9] التلميذ في إنجيله: (إن يحيى المعمداني أرسل إلى المسيح بعد أن عمده وسأله: أنت ذلك الذي تجيء أو نتوقع غيرك؟)[10] فكان جواب المسيح

---

(١) في ط، ك (وقد) بدلاً من (فقد).

(٢) في هـ (ولن) بدلاً من (وليس).

(٣) هكذا في جميع النسخ، وإن كنت أعتقد أنها (يصرح).

(٤) كتاب الحسن بن أيوب (إلى أخيه).

(٥) في هـ (وقال) بدلاً من (ثم قال).

(٦) في هـ (أن يكمل) بدلاً من (إلى تكميل).

(٧) في هـ ، ك (بذلك) بدلاً من (لذلك).

(٨) في ك (ويسأله) بدلاً من (وسأله).

(٩) سبقت الإشارة إلى لوقا ٣/ ٢٢.

(١٠) النص الموجود في إنجيل لوقا ـ الإصحاح السابع يقول: (١٩ ـ فدعا يوحنا اثنين من تلاميذه وأرسل إلى يسوع قائلاً: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر. ٢٠ ـ فلما جاء إليه الرجلان قالا: يوحنا المعمدان قد أرسلنا إليك قائلاً: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر. ٢١ ـ وفي تلك الساعة شفى كثيرين من أمراض وأدواء، وأرواح شريرة، ووهب البصر لعميان كثيرين. ٢٢ ـ فأجاب يسوع وقال لهما: اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما: أن العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون. ٢٣ ـ وطوبى لمن لا يفتر في). =

لـرسله أن: (ارجعـوا فـأخبـروه بمـا تـرون من عميـان يبصـرون، وزمن ينهضـون، وصم يسمعـون، فـطوبـى لمن لـم يغتـر بـي، أو يـذل في أمري).

قـال: فـوجـدنـا يحيـى مـع محله وجـلالـة قـدره عنـد الله ـ عز وجل ـ، ثم ما شهد به للمسيح له من أنه مـا قامت النسـاء[1] عن مثله[2] قد شك فيه فاحتـاج إلى أن يسألـه[3] عن شأنـه، ثم لم يكن من جواب المسيح له بشيء مما تصفون من الربوبية، ولا قال: إني خالقـك وخـالق كل شيء، كمـا في شريعـة إيمانكم، بـل حـذر الغلط في أمـره والاغترار، ولا كان من قوله أكثر مما ذكر أنه أظهـر بنبوته من هذه الآيات التي سبق[4] إلى مثلها أكثر الأنبياء.

قال: ولا رأينا يحيـى زاد فـي وضعه إياه لما قرظـه وأعلا[5] ذكـره مع تشككه في أمره وحاجته إلى مسألتـه عن حالـه على[6] أن قال: (هـو أقـوى مني، وأني[7] لا أستحق أن أحـل معقـد خفـه)[8] ولم يقـل: إنـه

انظر: العهد الجديد ص ١٠٤.

كما في إنجيل متى ـ الإصحاح الحادي عشر ص ١٩ ـ العهد الجـديد بنص مـا في لوقا.

(١) (النساء) ساقطة من هـ.

(٢) ستـأتي ـ إن شاء الله ـ الإشـارة إلى شهادة المسيـح ـ عليـه السـلام ـ ليحيـى في الصفحة القادمة.

(٣) في هـ، ك (سأله) بدلاً من (يسأله).

(٤) في ط (يسبق) بدلاً من (سبق).

(٥) في ط، هـ (وأعلاه) بزيادة (ه).

(٦) في ط (إلى) بدلاً من (على).

(٧) (وأني) ساقطة من هـ.

(٨) وجدنـا نصاً مقارباً لهذا النص في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح الأول يقول: (٢٧ ـ هو الي يأتي بعدي الذي صار قدامي الذي لست بمستحق أن أحل سيور حذائه).
انظر: العهد الجديد ص ١٤٦.

خالقي، وقد يقول الرجل: الخير فيمن هو دونه مثل الذي قال يحيى فيه تواضعاً لله وخشوعاً، كما قال المسيح في يحيى: (إنه ما قامت النساء عن مثله)[1].

قال[2]: فتركتم ما أتت به الرسل والنبوات في المسيح وهو أصلكم الذي وقع عليه[3] بناؤكم[4]، وجعلتم لأنفسكم شريعة غيرها، ومثل الذين عقدوا هذه الشريعة لكم مثل من آمن بنبوة رجل ينتفي من النبوة، لأن المسيح ـ عليه السلام ـ يقول: إنه مربوب مبعوث، ويقول[5] جبريل: إنه مكرم مصطفى، وأن أباه داود، وأن الله جعله ملكاً على آل يعقوب، وينادي[6] مناد من السماء بمثل ذلك، ويشهد يحيى بن زكريا على مثله، وتقولون: بل هو خالق أزلي إلَّا أنه يستر[7] نفسه، ويقول المسيح وغيره ممن سمينا أنه معطى وأن الله معطيه، وتقولون: بل رازق النعم وواهبها، ويقول: إن الله أرسله، وتقولون: بل هو الذي نزل لخلاصنا، وتعتقدون سبب نزوله من السماء أنه[8] أراد أن يخلصكم، ويحتمل الخطيئة، ويربط الشيطان فقد وجدنا الخلاص

---

(١) وجدنا نصاً مقارباً لهذا النص في إنجيل متى ـ الإصحاح الحادي عشر يقول: (١١ ـ الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان).
انظر: العهد الجديد ص ١٩.
(٢) يقصد الحسن بن أيوب.
(٣) (عليه) ساقطة من هـ.
(٤) في ط (أبناؤكم).
في هـ (ثناؤكم) بدلاً من (بناؤكم).
(٥) في ط (يقول) بسقوط (و).
(٦) في ط (ينادي) بسقوط (و).
(٧) في هـ (ستر) بسقوط (يـ).
(٨) في هـ (أنه نزل) بزيادة (نزل).

لم يقع، والخطيئة[1] قائمة[2] لم تزل، والشيطان أعتى ما كان لم يربط، بل سلطه الله عليه على ما تقولون، فحصره في الجبل أربعين يوماً يمتحنه، وقال له في بعض أحواله معه: (إن كنت ابن الله فقل لهذه الصخور تصير خبزاً، فقال له المسيح مجيباً له: إنه مكتوب أن حياة الإنسان لا تكون بالخبز[3]، بل بكل كلمة تخرج من الله، ثم ساقه الشيطان إلى مدينة بيت المقدس، وأقامه على قرنة الهيكل[4]، وقال له: إن كنت ابن الله فارم بنفسك من ها هنا، فإنه مكتوب إن الملائكة توكل بك، لئلا تعثر رجلك بالحجر، قال يسوع[5] ومكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلٰهك، ثم ساقه إلى جبل عال، وأراه جميع مملكات الدنيا وزخارفها، وقال[6] له: إن خررت على وجهك ساجداً لي جعلت هذا الذي ترى كله لك. قال له المسيح: أغرب أيها الشيطان فإنه مكتوب أسجد للرب إلٰهك، ولا تعبد شيئاً سواه، ثم بعث الله ـ عز وجل[7] ـ ملكاً اقتلع العدو من مكانه ورمى به في البحر، وأطلق السبيل للمسيح)[8].

(١) (والخطيئة) ساقطة من ط.

(٢) في هـ (باقية) بدلاً من (قائمة).

(٣) في هـ (إلَّا بالخبز) بزيادة (إلَّا).

(٤) الهيكل: يتكون الهيكل عادة من عضوين طوليين على الجانبين قطاع كل منهما على هيئة مجرى يثبت به أعضاء مستعرضة قطاعها اسطواني.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٣٠.

(٥) في هـ، ك (أيسوع) بزيادة (أ).

(٦) في هـ (فقال) بدلاً من (وقال).

(٧) (عز وجل) ساقطة من هـ، ك.

(٨) هذا النص الطويل موجود في إنجيل (متى) الإصحاح الرابع بمعناه ص ٦ من العهد الجديد.
وموجود كذلك في إنجيل (لوقا) الإصحاح الرابع بمعناه ص ٩٦ من العهد الجديد مع تقديم وتأخير في بعض الجمل.

وقال[1]: أفلا يعلم من كان في عقله أدنى مسكة، أن هـذا الفعل لا يكون من شيطان إلى إله، ولو كان إلهاً لأزاله عن نفسه[2] قبل أن يأتيه الملك من عند ربه، ولما قال: (أمرنا أن لا نجرب الله، وأن نسجد للرب ولا نعبد شيئاً سواه)، وكيف لم يربط الشيطان عن نفسه قبل أن يربطه عن أمته، قال: فهذه أمور إذا تأملها المتأمل قبحت جداً، وكثر اختلافها واشتد تناقضها[3] واضطرابها.

قال: ومما[4] يعجب منه أنكم تعتقدون أن الابن الأزلي اتحد بالمسيح، فصارا بجهة[5] واحدة، ولم يفارقه قط منذ اتحد به، ومكث على ذلك في بطن أمه تسعة أشهر، ثم أقام مولوداً، وتغذى[6] باللبن، ومربوباً صبياً مغذى بالأغذية إلى أن بلغ ثلاثين سنة لا يظهر منه شيء من آلة الربوبية، ولا أمر يوجب هـذا المحل، ولا كان بينه وبين نظرائه من الآدميين فرق، ولا سطع منه نور، ولا ظهرت له سكينة، ولاحفته الملائكة بالتهليل[7]، ولا ألم به الشعث بعد ذلك فوق ما كان من الأنبياء قبله، فقد كلم الله موسى من العوسجة كيف شاء فأشرق ما حولها نوراً وكلمه من طور سيناء فاضطربت في الجبل النيران، والتبس وجهه النور الساطع حتى كان يتبرقع إذا جلس مع بني إسرائيل بعد ذلك، لأنهم كانوا لا يستطيعون النظر إليه، ثم سأل موسى ربه ــ عز وجل ــ لما قرب

---

(١) يقصد الحسن بن أيوب.
(وقال) ساقطة من هـ.
(٢) في ط (عن نفسه قبل نفسه) بزيادة (قبل نفسه).
(٣) في ط (تنقصها).
(٤) في ط (مما) بسقوط (و).
(٥) في هـ (لجهة) بدلاً من (بجهة).
(٦) في هـ (ويتغذى) بدلاً (وتغذى).
(٧) في هـ (بالتهلل) بدلاً من (بالتهليل).

منه فقال: رب أرني أنظر إليك، قال: لن تراني ولكن انظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق)[1] من صعقته استغفر[2] ربه فتاب عليه، وتجلى مجد الله لجماعة من الأنبياء فرأوا حول مجده ربوات الملائكة.

وقال داود: (يا رب إنك حيث عبرت ببلاد سنين تزلزلت الأرض منك وانفطرت من هيبتك)[3] وقال أيضاً كالمخاطب للبحر والجبال والمتعجب منها: (ما لك أيها البحر هارباً، وأنت يا نهر الأردن لم وليت راجعاً وما لك أيتها الجبال تنفرين كالأبابيل، وما لكن أيتها الشوامخ والهضبات تنزو نزو[4] الشياء[5])، ثم قال كالمجيب عنهم: (من قدام الرب تزلزلت البقاع)[6].

قال: فإن كان المسيح هو الأزلي الخالق أو كان متحداً به فكيف لم ترجف بين يديه الجبال، ولم تتصرف عن مشيئته الأنهار والبحار، أو كيف لم تظهر منه آيات باهرات أجل من آيات الأنبياء قبله مثل المشي على متون الهواء[7]، والاضطجاع على أكتاف الرياح. والاستغناء عن

---

(١) يشير بذلك إلى الآية ١٤٣ من سورة الأعراف.

(٢) في هـ، ك (استقال) بدلاً من (استغفر).

(٣) وجدنا في سفر المزامير ـ المزمور السادس والسبعون الآتي: (٧ ـ أنت مهوب أنت فمن يقف قدامك حال غضبك ـ ٨ ـ من السماء أسمعت حكماً. الأرض فزعت وسكنت عند قيام الله للقضاء).
انظر: العهد القديم ص ٨٨٥.

(٤) في ط (تنزوان نزول) بدلاً من (تنز نزو).

(٥) في هـ (الشماء).

(٦) هذا النص موجود بمعناه في مزامير داود ـ المزمور المائة وأربعة عشر من العهد القديم ص ٩١٣.

(٧) في ط، ك (الهوى) بدلاً من (الهواء).

المآكل والمشارب وإحراق من قرب منه من الشياطين والجن، كما أحرق إيليا[1] من قرب منه من جند أحاب الملك[2]، ويمنع الآدميين من نفسه، وما فعلوا على زعمكم[3] بجسمه ليعلم الناس أنه خالقهم[4]، أو أنه هيكل الخالق.

قال: ووجدناكم تقولون: أن الابن إنما يسمى[5] ابن الله وكلامه، لأنه تولد من الأب وظهر منه فلم نقف على معنى ذلك، لأن شريعة إيمانكم تقول[6]: إن الروح أيضاً تخرج من الأب، فإن كان الأمر كما تقولون: فالروح أيضاً ابن، لأنها تخرج عن الله ـ تعالى ـ، وإلَّا فما[7] الفرق بينهما؟

قال: ولم نفهم أيضاً قولكم أن الابن تجسد من روح القدس، وأن روح القدس ساقه إلى البر[8] ليمتحنه[9] الشيطان، فما كانت حاجة الابن إلى أن تكون الروح ـ وهي في قولكم مثله ـ تدبره وتغيره من حال إلى حال، أو ما علمتم أن الغير السابق المدبر فاعل، والمسبوق

---

(١) **إيليا**: نبي عاش في المملكة الشمالية ولد في تشبه وعاش في جلعاد ـ دعا الرب فأحرق المحرقة زمن آحاب الملك وترك بنو إسرائيل عبادة البعل وعبدوا الرب.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١٤٤.

(٢) **أحاب الملك**: هو ملك بني إسرائيل وهو ابن عمرى الذي خلفه على العرش، وقد بدأ حكمه حوالي (٨٧٥ق. م).
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٣٠.

(٣) في ط (زعمهم) بدلاً من (زعمكم).

(٤) في ط (خلقهم) بدلاً من (خالقهم).

(٥) في هـ (سمى) بدلاً من (يسمى).

(٦) (تقول) ساقطة من هـ، ك.

(٧) في هـ (ما) بسقوط (ف).

(٨) في هـ (البشر) بدلا من (البر).

(٩) في ط (يمتحنه) بسقوط (ل).

المدبر مفعول به، فالابن إذن دون الروح، وليس مثله لأن الأزلي لا ينفك من الأزلي وهو مثله.

قال: وإن كان[1] المسيح من روح القدس[2]، كما قال جبريل الملك لأمه مريم، فلم سميتموه كلمة الله وابنه، ولم تسموه روحه، فإنما قال لها الملك: إن الذي تلدين من روح القدس، والروح غير الابن ولو كان المعنى واحداً لما قالت الشريعة: إنه تجسد من روح القدس، وإن روح القدس ساقه[3] إلى البر، وإن روح القدس نزل عليه، ولم تثلثون به في إيمانكم، فتقولون: نؤمن بالأب والابن والروح القدس؟

قال[4]: ووجدناكم تقولون: أيتها النسطورية إن الله[5] علماً وحكمةً هما الابن، وحياة هي الروح قديمين[6]، ولعلمه وحياته ذات كذات الله، وذلك أن علم الله له علم وحياة، ولحياته التي هي روحه علم وحياة، وأن الله الأب لما رأى استيلاء[7] العدو على خلقه، ونكول الأنبياء عن مناوأته، أرسل إليه ابنه الفرد وحبيبه، وجعله فداء ووفاء للناس أجمعين، وأن ابنه[8] نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، وصار إنساناً ثم ولد ونشأ، وعاش ثلاثين سنة يتقلب بين بني إسرائيل كواحد منهم يصلي

---

(١) (كان) ساقطة من ط.
(٢) (القدس) ساقطة من ك.
(٣) في هـ، ك (ساقته) بدلاً من (ساقه).
(٤) يقصد الحسن بن أيوب.
(٥) في ط (الله) بزيادة (ا).
(٦) في هـ (قديمتين) بدلاً من (قديمين).
(٧) في هـ، ك (استعلاء) بدلاً من (استيلاء).
(٨) في ط (الله) بدلاً من (ابنه).

في كنائسهم، ويستن بسننهم، لا يدعى ديناً غير دينهم، ولا ينتحل[1] رسالة ولا[2] نبوة ولا بنوة[3]، حتى إذا انقضت تلك السنون أظهر الدعوة، وجاء بالآيات الباهرة والبراهين المشهورة، فأنكرته اليهود وقتلته وصلبته، ثم صعد إلى السماء.

وصدقتم بشريعة الإيمان، وكفرتم من خالفها، ثم لم تلبثوا أن خلعتموها وانسلختم منها، وقلتم: إن المسيح جوهران وأقنومان، جوهر قديم، وجوهر حديث، ولكل جوهر أقنوم على حياله، وإن الله جوهر قديم يقوم بمعنيين، فهو واحد يقوم بثلاثة معان، وثلاثة لها معنى واحد، كالشمس التي هي شيء واحد، ولها ثلاثة معان: القرص، والحر والنور. فالمسيح هو الله، وهو مبعوث غير أنه ليس يعبد.

فكان معنى قولكم هذا أن المسيح مولود لكنه ليس مفعولاً به وهو مبعوث مرسل، لكنكم تستحيون أن تسموه[4] رسولاً إذ كنتم لا تفرقون بين الله وبينه في شيء من الأشياء، وأقبلتم على الملكانية واليعقوبية بالتكفير[5] واللعن لقولهم: إن الله والمسيح شيء واحد، ثم لم تلبثوا أن قدمتم المسيح على الله ـ تبارك وتعالى ـ وبدأتم به في التمجيد، ورفعتم إليه تهاليلكم ورغائبكم[6] في أوقات القرابين خاصة، وهي أجل صلواتكم، وأفضل محافلكم عندكم، فإنه يقوم[7] الإمام منكم على المذبح من مذابحكم

(١) في هـ (ولا انتحل) بدلاً من (ولا ينتحل).
(٢) (ولا) ساقطة من ط.
(٣) في هـ (تقديم) (بنوة) على (نبوة).
(٤) في هـ، ك (تسمونه) بدلاً من (تسموه).
(٥) في ط (بالتفكير) بدلاً من (بالتكفير).
(٦) في هـ (ودعواتكم) بدلاً من (ورغائبكم).
(٧) (يقوم) ساقطة من ط، ك.

وأهله مرعوبون فتتوقعون نزول روح القدس، بزعمكم من السماء بدعائه.

فيفتح دعاءه ويقول[2]: (ليتم علينا وعليكم نعمة يسوع المسيح ومحبة الله الأب ومشاركة روح القدس إلى دهر الداهرين)[3]. ثم يختم صلاته بمثل ذلك، فهذا تصريح بالشرك وتصغير لعظمة الله وعزته أن جعلتم النعم والمواهب لمن هو دونه، وهو[4] معطى ومخول من عند الله على قولكم، وجعلتم لله بعد المسيح محبة ولروحه مشاركة.

قال: ووجدناكم قد عبتم على اليعقوبية قولهم: إن مريم ولدت الله ـ عز الله[5] وجل عن ذلك ـ، وفي شريعة الإيمان التي بيناها ـ المجتمع عليها ـ أن المسيح إله حق وأنه ولد من مريم، فما معنى المنافرة، وما الفرق، وما تنكرون من قولهم: إن المقتول المصلوب هو الله ـ عز الله وجل عن ذلك؟

وشريعة إيمانكم تقول: نؤمن بالرب المسيح الذي من خبره وحاله الذي ولد من مريم، وتألم[6] وصلب على عهد الملك «بيلاطس»[7]

---

(١) في هـ (يتوقعون) بدلاً من (فتتوقعون).

(٢) في هـ (ويقولون) بدلاً من (ويقول).

(٣) وجدنا في رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ـ الإصحاح الخامس (٢٣ ـ سلام على الأخوة والمحبة بإيمان من الله والرب يسوع المسيح ـ ٢٤ ـ النعمة على جميع الذين يحبون ربنا يسوع المسيح في عدم فساد آمين).
انظر: العهد الجديد ص ٣١٥.

(٤) في ط (ومن هو) بزيادة (من).

(٥) لفظ الجلالة (الله) ساقط من ط.

(٦) في هـ، ك (وألم) بدلاً من (وتألم).

(٧) سبقت الإشارة إلى «بيلاطيس» في ٤/٩٨.

النبطي، ودفن وقام في اليوم الثالث، أليس هـذا إقراراً بمثـل قولهم[١]؟ فتدبروا هذا القول يا أولي الألباب.

فإنكم إن قلتم: إن المقتول المصلوب هـو الله، فإن مـريم عندكم ولدت الله.

وإن قلتم: إنه إنسان فإن مريم ولـدت إنسانـاً، وبطلت الشـريعة، فأي القولين اخترتموه ففيه نقض دينكم، ثم عبتم على الملكانية قولهم: إنـه ليس للمسيح إلّا أقنـوماً واحداً، لأنـه صـار مـع الأزلي الخـالق شيئـاً واحـداً[٢] لا فرق بينهمـا، وقلتم بأن لـه أقنومين لكـل جوهـر أقنوم على حياله، ثم لم تلبثـوا أن رجعتم إلى مثل قـولهم فقلتم: إن المسيح، وإن كان مخلوقاً من مريم مبعوثاً، فإنـه هيكل لابن الله الأزلي ونحن لا نفـرق بينهمـا، فإذا كـان الأمر عنـدكم على هـذا فمـا تنقمـون على الملكيـة، ومـا معنى الافتراق، وقـد رجعتم في الاتحاد إلى مثـل قـولهم: إن هـذا الأمر تحار فيه الأفهام.

فـإن كانت الشـريعة بمعنى الأمـانة عنـدكم حقاً، فـالقول مـا قـال يعقوب[٣] وذلك أنـا إذا ابتدأنـا من الشريعـة في ذكر المسيـح، ثم نسقنا المعاني نسقاً واحداً[٤]، وانحدرنا فيها إلى آخـرها، وجـدنا القـوم الذين ألقوها لكم قد صححوا أن يسوع المسيح هو ابن الله، وهو بكـر الخلائق كلها وهو الذي ولد من مريم ليس بمصنوع، وهو[٥] إلّه حق من إلـه حق

(١) في ط، ك (قولكم) بدلاً من (قولهم).
(٢) في ط (واحد) بدلاً من (واحداً).
(٣) يعقوب: سبقت ترجمته ٣/ ٧٦.
(٤) (واحداً) ساقطة من هـ، ك.
(٥) في هـ (فهو) بدلاً من (وهو).

من جوهر أبيه، وهو الذي أتقن العوالم وخلق كل شيء على يده، وهو الذي نزل لخلاصكم فتجسد وحملته مريم وولدته وقتل وصلب، فمن أنكر قول اليعقوبية لزمه أن ينكر هذه الشريعة التي تشهد بصحة قولهم، ويلعن من ألفها.

قال: وإنما أخذت تلك الطائفة ــ يعني الذين[1] وضعوا الأمانة ــ بكلمات[2]، ــ وذكروا أنهم وجدوها في الإنجيل ــ مشكلاتٍ تأولت فيها ما وقع بهواها، وتركت ما في الإنجيل من الكلام البين الواضح الذي يشهد بعبودية المسيح وشهادته بذلك[3] على نفسه، وشهادة تلاميذه به[4] عليه. فأخذت بالمشكل اليسير وجعلت له ما أحبت من التأويل، وألغت الواضح الكثير الذي لا يحتاج إلى تأويل.

قال: فأما احتجاجكم بالشمس، وأنها[5] شيء واحد له ثلاثة معانٍ، وتشبيهكم ما يقولونه في الثلاثة الأقانيم بها، فإن ذلك تمويه لا يصح لأن نور الشمس لا يحد بحد الشمس، وكذلك حرها لا يحد بحد الشمس، إذ كان حد الشمس جسماً مستديراً مضيئاً مسخناً دائراً في وسط الأفلاك دوراناً دائماً، ولا يتهيأ أن يحد نورها وحرها بمثل[6] هذه الصفة، ولا يقال: إن نورها أو حرها جسم مستدير مضيء مسخن دائم الدوران، ولو كان نورها وحرها شمساً حقاً من شمس حق من جوهر الشمس، كما قالت الشريعة في المسيح: إنه إلّه حق من إلّه حق من

(١) في هـ (الذي) بدلاً من (الذين).
(٢) في هـ (لكلمات) بدلاً من (بكلمات).
(٣) في هـ (على ذلك) بدلاً من (بذلك).
(٤) (به) ساقطة من هـ .
(٥) في هـ (فإنها) بدلاً من (وإنها).
(٦) في هـ ، ك (مثل) بسقوط (بـ).

جوهر أبيه، لكان ما قلتم له مثلاً تاماً، والأمر مخالف لذلك فلا[1] يشبهه ولا يقع القياس عليه، والحجة منكم فيه باطلة.

قال[2]: ووجدناكم تذكرون أن المسيح نزل من السماء فأبطل بنزوله الموت[3] والآثام، فإن العجب ليطول من هذا القول، وأعجب منه مَنْ قَبِلَه، ولم يتفكر فيه، وممن لم يستقبح أن يعتقد ديانة الله ـ تبارك وتعالى ـ على مثل هذا القول المحال البائن عما تشهد به العقول وتنبيء به المشاهدة، ويدعو الناس إليها، فما هو ببعيد من عقد ما هو أمحل وأبطل منها، لأنه إن كانت الخطيئة بطلت بمجيئه، فالذين قتلوه إذاً ليسوا خاطئين ولا مأثومين لأن لا خاطيء بعد مجيئه ولا خطيئة.

وكذلك أيضاً الذين قتلوا حواريه[4] وأحرقوا أسفاره غير خاطئين، وكذلك من نراه من جماعتكم، منذ ذلك الدهر إلى هذا الوقت يقتل ويسرق ويزني ويلوط ويسكر ويكذب ويركب كل ما نهى عنه من الكبائر وغيرها غير خاطئين، ولا مأثومين.

فمن جحد ذلك فليرجع إلى التسبيحة التي تقرأ بعقب كل قربان، وهو أن (يا ربنا الذي غلب بوجعه الموت الطاغي[5])[6].

---

(١) في هـ (ولا) بدلاً من (فلا).

(٢) يقصد الحسن بن أيوب.

(٣) يقصد: الخطيئة.

(٤) هكذا في سائر النسخ (حواريه)، ويظهر لي أنها (حوارييه).

(٥) في هـ (الطاعن) بدلاً من (الطاغي).

(٦) هذا النص وما بعده لم نعثر عليه في العهدين القديم والجديد، بالرغم من البحث الدقيق، ولعل اختلاف النسخ وتغير التراجم حال دون ذلك، وعلى كل حال فهذه من كلام الحسن بن أيوب، الذي كان نصرانياً وأسلم وهو عليم بما في كتبهم. والله أعلم.

وفي الأخرى التي تقال في يوم الجمعة الثانية من الفصح: (إن فخرنا بالصليب الذي بطل به سلطان الموت وصرنا إلى الأمن والنجاة بسببه)[1]. وفي بعض التسابيح (بصلوات ربنا يسوع المسيح بطل الموت، وانطفأت فتن الشيطان، ودرست آثارها)[2] فأي خطيئة بطلت؟ وأي فتنة للشيطان انطفأت، أو أي أمر كان الناس عليه قبل مجيئه من المحارم والآثام تغير عن حالته.

قال: فإذا كان التمويه يقع فيما يلحقه كل أحد بالمعرفة والبيان، فهو فيما أشكل من الأمور وفعل بالتأويلات[3] ـ التي تأولها أولئك المتأولون ـ أوقع.

وإذا كنتم قد[4] قبلتم هذا المحال الظاهر الذي لا خفاء به عن الصبيان، فأنتم لما[5] هو أعظم منه من المحال أقبل، وهذا إنجيلكم يكذب هذا القول حيث يقول المسيح فيه[6]: (ما أكثر من يقول لي يوم القيامة: يا سيدنا أليس باسمك أخرجنا الشيطان، فأقول: اغربوا عني أيها الفجرة الغاوون، فما عرفتكم قط)[7]، فهذا خلاف قول

---

(١) الهامش السابق.

(٢) الهامش السابق.

(٣) في هـ (وفعله فالتأويلات) بدلاً من (وفعل بالتأويلات).

(٤) (قد) ساقطتم من ط.

(٥) في هـ (بما) بدلاً من (لما).

(٦) (فيه) ساقطة من هـ.

(٧) هذا النص موجود في إنجيل متى ـ الإصحاح السابع ـ باختلاف يسير: (٢٢ ـ كثيرون يقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة. ٢٣ ـ فحينئذٍ أصرح لهم أني لم أعرفكم قط اذهبوا عني يا فاعلي الإثم).
انظر: العهد الجديد ص ١٢.

علمائكم ما قالوا، ووضعهم لكم ما وضعوا، ومثله قوله: (إني جامع الناس يوم القيامة عن ميمنتي وميسرتي وقائل لأهل الميسرة إني جعت فلم تطعموني، وعطشت فلم تسقوني، وكنت غريباً فلم تأووني، ومحبوساً فلم تزوروني، ومريضاً فلم تعودوني، فاذهبوا إلى النار المعدة لكم من قبل تأسيس الدنيا.

وأقول لأهل الميمنة: فعلتم بي هذه الأشياء، فاذهبوا إلى النعيم المعد لكم من قبل تأسيس الدنيا)[1]، فهل أدخل أولئك النار إلّا خطاياهم التي ركبوها، وهل صار هؤلاء إلى النعيم إلَّا بأعمالهم الجميلة التي قدموها بتوفيق الله إياهم، فمن قال: إن الخطيئة قد بطلت، فقد بهت، وقد[2] خالف قول المسيح، وكان هو[3] من الكاذبين.

وقال: ويا أيها القوم الذين هم أولوا الألباب والمعرفة حيث ينسبونه إلى الربوبية وينحلونه اللاهوتية، ويجعلونه خالق الخلق أجمعين وإلههم، بماذا ساغ ذلك لكم، وما الحجة فيه عندكم؟

هل قالت كتب النبوات فيه ذلك، أو هل قاله عن نفسه، أو قاله أحد عن تلامذته، والناقلين عنه، الذين هم عماد دينكم وأساسه ومن أخذتم الشرائع والسنن عنه[4]؟ ومن كتب الإنجيل وبينه، قد أفصح في كل الإنجيل من كلامه ومخاطبته ووصاياه بما لا يحصى كثرة بأنه عبد

---

(١) هذا النص بطوله موجود في إنجيل متى ـ الإصحاح الخامس والعشرون ـ بإسهاب مع تقديم الحديث عن أهل الميمنة أولاً ثم أهل الميسرة خلافاً لما ساقه الحسن ابن أيوب هنا.

انظر: العهد الجديد ص ٤٧.

(٢) (قد) ساقطة من ط، ك.

(٣) (هو) ساقطة من هـ.

(٤) في هـ (منه) بدلاً من (عنه).

مثلكم ومربوب معكم، ومرسل من عند ربه وربكم، ومبدي ما أمر به فيكم، وحكى مثل ذلك من أمره حواريوه وتلامذته ووصفوه لمن سأل عنه.

وفي كلامهم بأنه رجل جاء من عند الله ــ عز وجل ــ ونبي له قوة وفضل، فتأولتم في ذلك أنه أخرج كلامه على معنى الناسوت، ولو كان كما تقولون لأفصح عن نفسه بأنه إلّه كما أفصح بأنه عبد ولكنه ما ذكره ولا ادعاه[1]، ولا دعا إليه ولا ادعته له كتب الأنبياء قبله ولا كتب تلامذته، ولا[2] حكى عنهم ولا أوجبه كلام جبريل الذي أداه إلى مريم، ولا قول يحيى بن زكريا[3].

قال: فإن قلتم إنكم استدللتم على ربوبيته بأنه أحيا الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص، ومشى على الماء، وصعد إلى السماء، وصير الماء خمراً وكثر القليل، فيجب الآن أن ينظر إلى كل[4] من فعل من هذه الأمور فعلاً فنجعله رباً وإلّهاً، وإلّا فما الفرق؟

فمن ذلك أن كتاب «سفر الملوك» يخبر أن إلياس[5] أحيا ابن الأرملة[6]، وأن اليسع[7]

(١) في هـ (أعاده) بدلاً من (ادعاه).
(٢) في هـ، ك (وما) بدلاً من (ولا).
(٣) في ط (زكريا ما قال) بزيادة (ما قال)، وفي هـ (زكريا ما) بزيادة (ما).
(٤) (إلى كل) ساقطة من هـ.
(٥) **إلياس**: هو إيليا التشبي من الأنبياء الكبار، سبقت ترجمته ٤/ ١١١.
(٦) انظر: سفر الملوك الأول ــ الإصحاح السابع عشر ص ٥٦٨ ــ العهد القديم.
(٧) **اليسع**: اليشع ــ هكذا في قاموس الكتاب المقدس، وهو اسم عبراني معناه: الله خلاص ــ وهو خليفة إيليا في العمل النبوي في المملكة الشمالية، وكان اليشع بن شفاط ومن سبط يساكر ــ ويسجل العهد القديم معجزات قام بها اليشع أكثر من أي نبي آخر.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١١١.

أحيا ابن الإسرائيلية[1]، وأن «حزقيال»[2] أحيا بشراً كثيراً[3]، ولم يكن أحد ممن ذكرنا بإحيائه[4] الموتى إلّهاً.

وأما إبراء الأكمه فهذه التوراة تخبر أن يوسف[5] أبرأ عين أبيه يعقوب بعد أن ذهبت[6]، وهذا موسى طرح العصا فصارت حية لها عينان تبصر بهما، وضرب بها الرمل فصار قملاً لكل واحدة منها عينان تبصر بهما[7]، ولم يكن واحد منهم[8] بذلك إلّهاً.

---

(١) انظر: سفر الملوك الثاني ــ الإصحاح الرابع ص ٥٨٩ ــ العهد القديم.

(٢) **حزقيال**: اسم عبري معناه «الله القوي» وهو أحد الأنبياء الكبار، ابن بوزي ومن عشيرة كهنوتية، ولد ونشأ في فلسطين، وربما في أورشليم في بيئة الهيكل.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٣٠١.

(٣) لم نعثر على شيء يشير بأن حزقيال أحيا بشراً كثيراً.

(٤) في هـ (بإحياؤه) بدلاً من (بإحيائه).

(٥) **يوسف**: اسم عبري معناه «يزيد» وهو اسم بكر يعقوب من زوجته راحيل والحادي عشر من أولاد يعقوب الاثني عشر، ولد في فدان آرام ودعت راحيل يوسف قائلة له: «يزيدني الرب» لاعتقادها بأن الله سيرزقها ابناً آخر وقد كان، وقد رويت أحداث حياة يوسف في سفر التكوين ص ٣٢ ــ ٥٠.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١١١٥.

(٦) وردت الإشارة إلى هذا في سفر التكوين ــ الإصحاح الخامس والأربعون (٢٨ ــ فقال إسرائيل كفى. يوسف ابني حي بعد أذهب وأراه قبل أن أموت)، وفي الإصحاح الذي بعده (ويضع يوسف يده على عينيك).
انظر: العهد القديم ص ٧٨.

(٧) وجدنا في سفر الخروج ــ الإصحاح الثامن ــ ما يلي: (١٦ ــ مد عصاك واضرب الأرض ليصير بعوضاً في جميع أرض مصر. ففعلا كذلك).
انظر: العهد القديم ص ٦٨.
ووجدنا في التوراة السامرية ــ سفر الخروج ــ الإصحاح الثامن أيضاً ــ ما يلي (١٦ ــ أبسط يدك بعصاك واضرب تراب الأرض ليصير قملاً في كل مصر. ١٧ ــ فصنعا كذلك).

(٨) في هـ، ك (منهما) بدلاً من (منهم).

وأما إبراء الأبرص[1]، فإن كتاب سفر الملوك يخبر بأن رجلاً من عظماء الروم برص فرحل من بلده قاصداً اليسع[2] ـ عليه السلام ـ ليبرئه من برصه، فأخبر الكتاب بأن الرجل وقف بباب اليسع أياماً لا يؤذن له، فقيل: لليسع: إن ببابك رجلاً يقال له «نعمان»[3] وهو أجل عظماء الروم به برص، وقد قصدك لتبرئه من مرضه[4]، فإن أذنت له دخل إليك، فلم يأذن له، وقال لرجل من أصحابه: اخرج إلى هذا الرجل، فقل له: ينغمس في الأردن سبع مرات، فأبلغ الرسول لنعمان ما أمره به اليسع، ففعل ذلك، فذهب عنه البرص، ورجع قافلاً إلى بلده فأتبعه خادم اليسع، فأوهمه أن اليسع وجه به إليه يطلب منه مالاً فسر الرجل بذلك، ودفع إلى الخادم مالاً وجوهراً، ورجع فأخفى ذلك وستره.

ثم دخل إلى اليسع فلما مثل بين يديه، قال له: تبعت نعمان وأوهمته عني كذا وكذا، وأخذت منه كذا وأخفيته في موضع كذا، إذ فعلت الذي فعلت به[5] فليصر برصه عليك وعلى نسلك، فبرص ذلك الخادم على المكان[6].

قال[7]: فهذا اليسع قد أبرأ أبرصاً، وأبرص صحيحاً، وهو أعظم

---

(١) في هـ (للأبرص) بزيادة (لـ).
(٢) في هـ، ك (لليسع) بدلاً من (اليسع).
(٣) **نعمان**: الملقب بالسرياني، قائد جيش بنهود ملك الآراميين أخبر بأن النبي اليشع يقدر على شفائه من مرض البرص الذي أصيب به.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص **٩٧٣**.
(٤) في هـ، ك (برصه) بدلاً من (مرضه).
(٥) (به) ساقطة من هـ.
(٦) هذه القصة مذكورة في سفر الملوك الثاني ـ الإصحاح الخامس ص **٥٩٠** ـ العهد القديم بطول وتفصيل، لكن المؤلف ذكرها هنا مختصرة.
(٧) (قال) ساقطة من هـ، ك.

مما فعل المسيح ـ عليه السلام ـ ، فلم يكن في فعله[1] ذلك إلَهاً.

قال[2]: وأما قولكم أنه مشى على الماء، فإن كتاب سفر الملوك يخبر بأن إلياس ـ عليه السلام ـ صار إلى الأردن، ومعه اليسع تلميذه، فأخذ عمامته فضرب بها الأردن فاستيبس له الماء حتى مشى عليه هو واليسع، ثم صعد إلى السماء على فرس من نور، واليسع يراه، ودفع عمامته إلى اليسع، فلما رجع اليسع إلى الأردن ضرب بها الماء فاستيبس له حتى مشى عليه راجعاً[3]، ولم يكن واحد منهما بمشيه على الماء إلَهاً، ولا كان إلياس بصعوده إلى السماء إلَهاً.

قال: وأما قولكم أنه صير الماء[4] خمراً، فهذا كتاب سفر الملوك يخبر بأن اليسع نزل بامرأة إسرائيلية فأضافته وأحسنت إليه، فلما أراد الانصراف، قال لها: هل لك من حاجة؟ فقالت المرأة: يا نبي الله إن على زوجي ديناً قد فدحه، فإن رأيت أن تدعو الله لنا بقضاء ديننا فافعل.

فقال لها اليسع: اجمعي كل ما عندك من الآنية واستعيري من جيرانك جميع ما قدرت عليه من آنيتهم، ففعلت، ثم أمرها فملأت الآنية كلها ماء، فقال: اتركيه ليلتك هذه، ومضى من عندها فأصبحت المرأة، وقد صار ذلك الماء كله زيتاً فباعوه فقضوا دينهم[5].

---

(١) في هـ (فعل) بسقوط (ه).

(٢) (قال) ساقطة من هـ ، ك.

(٣) هذه القصة مذكورة في سفر الملوك الثاني ـ العهد القديم ص ٥٨٤ ـ الإصحاح الثاني بإسهاب واختلاف في طريقة التعبير في بعض الألفاظ، مثل إيليا بدلاً من إلياس واليشع بدلاً من اليسع ـ والرداء بدلاً من العمامة وهكذا.

(٤) في ط، ك (ماء) بسقوط (الـ).

(٥) هذه القصة مذكورة في سفر الملوك الثاني ـ العهد القديم ص ٥٨٧ ـ الإصحاح الرابع ولكنها مختلفة اختلافاً يسيراً في بعض الألفاظ مثل الماء المذكور هنا الذي لم يصرح به في النص.

وتحويل الماء زيتاً أبدع من تحويله خمراً، ولم يكن اليسع بذلك إلٰهاً.

وأما قولكم: المسيح ـ عليه السلام ـ كثر القليل حتى أكل خلق كثير من أرغفة يسيرة، فإن كتاب سفر الملوك يخبر بأن إلياس نزل بامرأة أرملة وكان القحط قد عمّ الناس وأجدبت البلاد ومات الخلق ضراً وهزلاً، وكان الناس في ضيق، فقال للأرملة: هل عندك طعام؟ فقالت: والله ما عندي إلاَّ كف من دقيق في قلة، أردت أن أخبزه لطفل لي، وقد أيقنا بالهلاك لما الناس فيه من القحط.

فقال لها: احضريه فلا عليك فأتته به فبارك عليه فمكث عندها ثلاث سنين وستة أشهر تأكل هي وأهلها وجيرانها منه حتى فرج الله عن الناس[1]، فقد فعل إلياس في ذلك أكثر مما فعل المسيح، لأن إلياس كثر القليل وأدامه، والمسيح كثر القليل في وقت واحد، ولم يكن إلياس بفعله هذا إلٰهاً.

قال[2]: فإن قلتم إن هؤلاء الأنبياء ليس لهم صنع في هذه الأفعال وإن الصنع فيها والقدرة لله ـ عز وجل ـ، إذ كان هو الذي أجراها على أيديهم، فقد صدقتم، ونقول لكم ـ أيضاً ـ كذلك المسيح ليس له صنع فيما ظهر على يديه من هذه الأعاجيب، إذ كان الله هو الذي أظهرها على يديه، فما الفرق بين المسيح وسائر الأنبياء، وما الحجة[3] في ذلك؟

قال: وإن قلتم: أن الأنبياء كانت إذا أرادت أن يظهر الله على أيديهم آية تضرعت إلى الله ودعته وأقرت له بالربوبية وشهدت على أنفسها بالعبودية.

---

(١) هذه القصة مذكورة في سفر الملوك الأول الإصحاح السادس عشر العهد القديم ص ٥٦٨ باختلاف عن ما ذكر هنا، ولكن فحوى القصة واحدة.

(٢) يعني الحسن بن أيوب.
في ط (وقال) بزيادة (و).

(٣) في ط (والحجة) بسقوط (ما).

قيل لكم: وكذلك سبيل المسيح، سبيل سائر الأنبياء، قد كان يدعو ويتضرع ويعترف بربوبية الله ويقر له بالعبودية، فمن ذلك أن الإنجيل يخبر بأن المسيح أراد أن يحيي رجلاً يقال له العازر[1]، فقال: (يا أبي أدعوك كما كنت أدعوك من قبل فتجيبني وتستجيب[2] لي، وأنا أدعوك من أجل هؤلاء القيام ليعلموا)[3]، وقال: (بزعمكم وهو على الخشبة (إلٰهي إلٰهي لم تركتني)[4]، وقال: (يا أبي اغفر لليهود ما يعملون فإنهم لا يدرون ما يصنعون)[5].

وقال في إنجيل متى[6]: (يا أبي أحمدك)[7]، وقال: يا أبي إن كان بد[8] أن يتعداني هذا الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا فلتكن مشيئتك)[9]. وقال أيضاً: (أنا أذهب إلى إلٰهي الذي هو أعظم ـــــــ

---

(١) رجل مريض من بيت عنيا من قرية مريم التي دهنت المسيح بطيب.
انظر: ص ١٦٨، العهد الجديد.

(٢) في المطبوعة (تستجيب) بسقوط (و).

(٣) النص موجود في إنجيل يوحنا الإصحاح الحادي عشر وهو مختلف عن ما ذكر هنا قليلاً (٤١ ـ أيها الأب أشكرك لأنك سمعت بي (أنا علمت أنك في كل حين تسمع لي ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني).
انظر العهد الجديد ص ١٦٩.

(٤) سبق أن مر معنا عزو هذا النص في ٣/ ٤١٧.

(٥) هذا النص موجود في إنجيل لوقا ـ الإصحاح الثالث والعشرون وفيه اختلاف يسير في بعض الألفاظ. (٤٦ ـ فقال يسوع يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون). انظر العهد الجديد ص ١٤١.

(٦) في هـ، ك (متا) بدلاً من (متى).

(٧) هذه الجملة لم نجدها في إنجيل متى ولكن وجدنا في إنجيل لوقا الإصحاح العاشر في العهد الجديد ص ١١٣ قوله: أحمدك أيها الآب).

(٨) في هـ (قد) بدلاً من (بد).

(٩) هذا النص موجود في إنجيل متى الإصحاح السادس والعشرون بعبارة مختلفة قليلاً =

مني)[1]، وقال: (لا أستطيع أن أصنع شيئاً ولا أتفكر فيه إلَّا باسم إلٰهي)[2]، وقال ـ يعني نفسه: (لا ينبغي للعبد أن يكون أعظم من سيده، ولا للرسول أن يكون أعظم ممن أرسله)[3].

وقال: (إن الله لم يلد ولم يولد ولم يأكل ولم يشرب ولم ينم ولم يره أحد من خلقه، ولا يراه أحد إلَّا مات)[4].

والمسيح قد أكل وشرب وولد ورآه الناس فما ماتوا من رؤيته، ولا مات أحد منهم، وقد لبث فيهم ثلاثاً وثلاثين سنة.

قلت[5]: وعامة ما ذكره هذا[6] عن الكتب تعترف به النصارى، ولكن بعضهم ينازعه في يسير من الألفاظ، فنازعه هنا في قوله:

= (٢٩ ـ ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه وكان يصلي قائلاً يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت).
انظر: العهد الجديد ص ٥٠.

(١) هذا النص موجود في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح الرابع عشر باختلاف يسير:
(٢٨ ـ لأني قلت أقضي إلى الآب لأن أبي أعظم مني).
انظر: العهد الجديد ص ١٧٦.

(٢) ورد في إنجيل يوحنا الإصحاح ٨ فقرة ٢٨ (ولست أفعل شيئاً من نفسي...) العهد الجديد ص ١٦٢.

(٣) هذا النص موجود في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح الثالث عشر باختلاف يسير كما يلي:
(١٦ ـ الحق أقول لكم، إنه ليس عبد أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من مرسله).
انظر: العهد الجديد ص ١٧٤.

(٤) لم نجد النص كاملاً وقد وجدنا في سفر الخروج ـ الإصحاح الثالث والعشرون:
(٢٠ ـ وقال لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش).
انظر: العهد الجديد ص ١٤٣.

(٥) هذا كلام الشيخ ابن تيمية.

(٦) يعني الحسن بن أيوب الذي نقل الشيخ كلامه فيما سلف.

(لا ينبغي للعبد أن يكون أعظم من سيده)، وقال هذا إنما قاله المسيح للحواريين، وذكر أنه لا يعرف عنه لفظ لم يولد ولم يأكل ولم يشرب.

قال[1]: وقال[2] في إنجيل «يوحنا»: (إنكم متى رفعتم ابن البشر فحينئذ تعلمون أني أنا هو وشيء من قبل نفسي لا أفعل، ولكن كل شيء كالذي علمني أبي)[3]، وقال في موضع آخر: (من عند الله أرسلت معلماً) وقال لأصحابه: (اخرجوا بنا من هذه المدينة، فإن النبي لا يُجَلُّ في مدينته)[4]، وأخبر الإنجيل أن امرأة رأت المسيح، فقالت: إنك لذلك النبي الذي كنا ننتظر مجيئه، فقال لها المسيح: (صدقت طوبي لك)[5] وقال لتلامذته: (كما بعثني أبي كذلك أبعث بكم)»[6].

قال: فاعترف بأنه نبي وأنه مألوه ومربوب ومبعوث، وقال

---

(١) (قال) ساقطة من هـ.

(٢) في هـ (قال تعالى) بزيادة (تعالى).

(٣) وجدنا في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح الثامن باختلاف يسير (٢٨ ـ فقال لهم يسوع متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أني أنا هو ولست أفعل شيئاً من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي).
انظر: العهد الجديد ص ١٦٢.

(٤) وجدنا هذا النص في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح الرابع ولكنه بأسلوب مختلف (٤٣ ـ لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لنبي كرامة في وطنه).
انظر: العهد الجديد ص ١٥٢.
وتكملة للنص ولكن باختلاف يسير (٣١ ـ قوموا ننطلق من هنا).
انظر: العهد الجديد ـ إنجيل يوحنا ص ١٧٦.

(٥) وجدنا في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح الرابع (الآن ليس هو زوجك هذا قلت بالصدق).
انظر: العهد الجديد ص ١٥١.

(٦) في إنجيل (يوحنا) الإصحاح العشرون (٢١ ـ كما أرسلني الآب أرسلكم أنا).
انظر: العهد الجديد ص ١٨٦.

لتلامذته: (إن من قبلكم وآواكم فقد قبلني، ومن قبلني فإنما يقبل من أرسلني، ومن قبل نبياً باسم نبي فإنما يفوز بأجر من قبل النبي)[1].

فبين ها هنا في غير موضع أنه نبي مرسل، وأن سبيله مع الله سبيلهم معه[2]، وقال «متى» التلميذ في إنجيله يستشهد على المسيح بنبوة أشعيا عن الله ـ عز وجل ـ: (هذا عبدي الذي اصطفيته، وحبيبي الذي ارتاحت إليه نفسي، أنا واضع روحي عليه ويدعو الأمم إلى الحق)[3]، فلن يحتاج إلى حجة أوضح من هذا القول الذي جعلتموه حجة لكم، فقد أوضح الله أمره وسماه عبداً، وأعلم أنه يضع عليه روحه ويؤيده بها، كما أيد سائر الأنبياء بالروح، فأظهروا الآيات المذكورة عنهم، وهذا القول يوافق ما بشر به جبريل الملك مريم حين ظهر لها، وقال القول الذي سقناه في صدر كتابنا[4].

وقال يوحنا التلميذ في الإنجيل عن المسيح ـ عليه السلام ـ: (إن كلامي الذي تسمعون هو كلام من أرسلني)[5]، وقال في موضع

---

(١) وجدنا في إنجيل «متى» الإصحاح الحادي عشر نصاً لكنه مخالف، وهو كما يلي: (٤٠ ـ من يقبلكم يقبلني، ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني. ٤١ ـ من يقبل نبياً باسم نبي فأجر نبي يأخذ، ومن يقبل باراً فأجر بار يأخذ).
انظر: العهد الجديد ص ١٩.

(٢) في ط (معهم) بدلاً من (معه).

(٣) وجدنا هذا النص في إنجيل متى ـ الإصحاح الثاني عشر (١٨ ـ هو ذا فتاي الذي أخذته حبيبي الذي سرت به نفسي أضع روحي عليه فيخبر الأمم بالحق) بلفظه إلاّ اختلافاً يسيراً.
انظر: العهد الجديد ص ٢١.

(٤) يقصد رسالة الحسن بن أيوب.

(٥) وجدنا في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح الرابع عشر (٢٤ ـ والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني).
انظر: العهد الجديد ص ١٧٦.

آخـر: (إن أبـي أجل وأعـظم مني)[1]، وقال أيضـاً: (كمـا أمـرني أبـي كذلك أفعل أنا[2]، أنا الكرم وأبـي هـو الفلاح)[3]، وقـال يوحنـا: (كما لـلأب حيـاة في جـوهـره فكـذلـك أعـطى الابن أن تكـون لـه حيـاة في قينومه)[4]، قال: فالمعطي خلاف المعطى لا محـالة، والفـاعل خـلاف المفعول.

قـال: وقال المسيـح في إنجيل يـوحنـا: (إني لـو كنت أنا الشـاهد لنفسي على صحة دعواي لكانت شهادتي باطلة، لكن غيري يشهد لي، فأنا أشهد لنفسي ويشهد لي أبـي الذي أرسلني)[5]، وقال المسيـح لبني

(١) سبقت الإشارة إلى هذا ٤/١٢٦.

(٢) وجـدنا في الإصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا (٣١ ــ وكما أوصاني الآب هكـذا أفعل. قوموا ننطلق من هنا).
انظر: العهد الجديد ص ١٧٦.

(٣) وجـدنا في إنجيل يوحنا في أول الإصحاح الخامس عشر ما نصه: (١ ــ أنا الكـرامة الحقيقية وأبـي الكرام).
انظر: العهد الجديد ص ١٧٦.

(٤) وجـدنا في إنجيل يوحنا ــ الإصحاح الخامس (٢٦ ــ لأنـه كما أن الآب لـه حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته) وهو بمعناه.
انظر: العهد الجديد ص ١٥٤.

(٥) هـذا النص موجـود في إنجيل يـوحنـا ــ الإصحـاح الخـامس، وفيـه اختـلاف يسيـر (٣١ ــ إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقـاً. ٣٢ ــ الذي يشهـد لي هو آخـر وأنا أعلم أن شهادته التي يشهدها لي هي حق. ٣٣ ــ أنتم أرسلتم إلى يوحنـا فشهد للحق. ٣٤ ــ وأنـا لا أقبـل شهـادة من إنسـان ولكنني أقـول هـذا لتخلصـوا أنتم. ٣٥ ــ كان هو السراج الموقد المنير وأنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة، أمـا أنا فلي شهادة أعظم من يوحنا لأن الأعمـال التي أعطاني الآب لأكملهـا هذه الأعمـال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الآب قد أرسلني) بمعناه.
انظر: العهد الجديد ص ١٥٤.

إسرائيل (تريدون قتلي، وأنا رجل قلت لكم الحق الذي سمعت الله يقوله)[1].

قال: وقال في الرجل الذي أقامه من الموتى: (يا أبي أشكرك على استجابتك دعائي وأعترف لك بذلك، وأعلم أنك كل وقت تجيب دعوتي لكن أسألك من أجل هذه الجماعة ليؤمنوا بأنك أنت أرسلتني)[2]، قال: فأي تضرع وإقرار بالرسالة والمسألة والطلب للإجابة من الله ــ عز وجل ــ أشد من هذا أو أكثر.

قال: وقال في بعض مخاطبته لليهود، وقد نسبوه إلى الجنون: (أنا لست بمجنون، ولكن أكرم أبي ولا أحب مدح نفسي، بل أمدح أبي لأني أعرفه، ولو قلت: إنى لا أعرفه لكنت[3] كذاباً مثلكم، بل أعرفه وأتمسك بأمره)[4].

---

(١) في إنجيل يوحنا ــ الإصحاح الثامن (٤٠ ــ ولكنكم تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله).
انظر: العهد الجديد ص ١٦٣.

(٢) هذا النص موجود في إنجيل يوحنا ــ الإصحاح الحادي عشر: (٤١ ــ وقال أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي. ٦٢ ــ وأنا علمت أنك كل جين تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني). بمعناه.
انظر: العهد الجديد ص ١٦٩.

(٣) في هـ (كنت) بسقوط (ل).

(٤) هذا النص موجود في إنجيل يوحنا ــ الإصحاح الثامن (٤٩ ــ أنا ليس بي شيطان لكني أكرم أبي وأنتم تهينونني. ٥٠ ــ أنا لست أطلب مجدي يوجد من يطلب ويدين. ٥١ ــ الحق الحق أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد) ويطول النص إلى (وإن قلت إني لست أعرفه أكون مثلكم كاذباً لكني أعرفه وأحفظ قوله) بمعناه.
انظر: العهد الجديد ص ١٦٣.

قال: وقال داود في مزموره المائة وعشرة: (قال الرب اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لرجليك، عصا العظمة تبعث الرب من صهيون، ويبسط[١] على أعدائك شعبك يا مسيح يوم الرعب في بهاء القدس من[٢] اليوم الذي[٣] ولدتك يا صبي[٤]، عهد الرب ولا يكذب[٥] أنك أنت الكاهن المؤيد يشبه ملكليز داق[٦])[٧].

قال: فهذه مخاطبة ينسبونها إلى اللاهوت، وقد أبان داود في مخاطبته أن لربه الذي ذكره ربا هو أعظم منه وأعلى، أعطاه ما حكيناه ومنحه ذلك وشهد عليه، إن عصا العظمة تبعث ربه هذا من صهيون، وسماه صبياً محققاً لقوله الأول: اليوم ولدتك ونسقاً على أول كلامه وهو ربه، ووصف أنه الكاهن المؤيد الذي يشبه ملكليز داق[٨].

---

(١) في ط (وتبسط) بدلاً من (ويبسط).
في ك (تبسط) بدلاً من (ويبسط).

(٢) في ط، ك (من البدىء) بزيادة (البديء).

(٣) (الذي) ساقطة من ط، ك.

(٤) في ك (صبي) بسقوط (يا).

(٥) في ط (تكذب) بدلاً من (يكذب).

(٦) (ويشبه ملكليزداق) ساقطة من (هـ).

(٧) وجدنا قريباً من هذا الكلام في المزمور العاشر بعد المائة من سفر المزامير من العهد القديم (١ ـ قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موضعاً لقدميك. ٢ ـ يرسل الرب قضيب عزك من صهيون تسلط في وسط أعدائك.
٣ ـ شعبك منتدب في يوم قوتك في زينة مقدسة من رحم الفجر لك طل حداثتك.
٤ ـ فأقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق).

(٨) في هـ (ملا براراق) وفي ك (ولا يزاداق).
و(ملكليزداق) كما كتب في هامش (ك، و ط): قال أبو نصر (ملكليزداق) جد عظيم من أحبار بني إسرائيل.

قلت[1]: قالوا: وهذا الكاهن هو الذي ذكر[2] في التوراة أن الخليل أعطاه القربان[3]، وإذا كان المسيح مشبهاً به مع تسميته كاهناً، كان ذلك من أعظم الأدلة على أنه مخلوق * قال[4]: فأما قوله: (من البدىء ولدتك)[5] فهو يشبه قول داود (تبنني على نفسه من البدء. ذكرتك وهديت كل أعمالك)[6] *[7] وبعضهم يقول: لفظ النص: (إن الرب يبعث عصاه من صهيون)[8].

قال: وقال شمعون الصفا[9] رئيس الحواريين في الفصل الثاني من قصصهم: (يا رجال بني إسرائيل اسمعوا مقالتي، إن يسوع الناصري[10] رجل ظهر لكم من عند الله بالقوة والأيدي والعجائب التي أجراها على يديه، وأنكم أسلمتموه وقتلتموه، فأقام الله يسوع هذا من

---

(١) هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.
(٢) في ط، ك (ذكره) بزيادة (هـ).
(٣) لم أعثر على هذه القصة في العهد القديم.
(٤) يعني: الحسن بن أيوب.
(٥) وجدنا في أعمال الرسل الإصحاح ١٣ (أنت ابني أنا اليوم ولدتك).
انظر: العهد الجديد ص ٢١٤.
(٦) في المزمور السابع والسبعين (١١ـ أذكر أعمال الرب إذ أتذكر عجائبك منذ القدم، وألهج بجميع أفعالك وبصنائعك أناجي).
انظر: العهد القديم ص ٨٨٦.
(٧) ما بين النجمتين ساقط من س، هـ.
(٨) وجدنا في سفر أشعيا ـ الإصحاح الأربعون (٩ ـ على جبل عال اصعدي يا مبشرة صهيون ارفعي صوتك بقوة يا مبشرة أورشليم ارفعي لا تخافي قولي لمن يهوذا إلهك هوذا السيد الرب بقوة يأتي وذراعه تحكم له.
انظر: العهد القديم ـ الإصحاح العاشر ص ١٠٠٥؛ والعهد القديم ص ١٠٣٩.
(٩) سبقت ترجمته.
(١٠) في ط (النصري) بدلاً من (الناصري).

بين الأموات)[1].

قال: فأي[2] شهادة أبين وأوضح من هذا القول، وهو أوثق التلاميذ عندكم يخبر كما ترون أن المسيح رجل وأنه من عند الله وأن الآيات التي ظهرت منه بأمر الله أجراها على يديه، وأن الذي بعثه من بين الموتى هو الله ــ عز وجل ــ.

قال[3]: وقال في هذا الموضع: (اعلموا أن الله جعل يسوع الذي قتلتموه رباً ومسيحاً)[4]، قال: فهذا القول يزيل[5]، تأويل من لعله يتأول في الفصل الأول أنه أراد بقوله الناسوت، لأنه يقول: أن الله جعله رباً ومسيحاً، والمجعول مخلوق مفعول *، قال أبو نصر[6]: وإنما سمى ناصري، لأن أمه كانت من قرية يقال لها: «ناصرة»[7] ـــــــــــــــ

---

(١) وجدنا في أعمال الرسل ــ الإصحاح الثاني: (٢٢ ــ أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضاً تعلمون. ٢٣ ــ هذا أخذتموه مسلماً بمشورة الله الممنوحة وعلمه السابق وبأيدي آثمة صلبتموه وقتلتموه الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت).
انظر: العهد الجديد ص ١٩١.

(٢) في هـ (وأي) بدلاً من (فأي).

(٣) يعني: الحسن بن أيوب.

(٤) وجدنا في أعمال الرسل (٢٣ ــ فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربا ومسيحاً) بمعناه.
انظر: العهد الجديد ص ١٩١.

(٥) في هـ (يرد) بدلاً من (يزيل).

(٦) أبو نصر هذا، ورد في كلام الحسن بن أيوب، ولا ندري من يقصد به، ولم نعثر على رسالة الحسن بن أيوب ــ.

(٧) **ناصرة**: قرية بقرب طبرية قيل: اسم النصارى مشتق منها لأنهم كانوا من ناصرة وأهلها عيروا مريم ــ عليها السلام ــ فهم قوم إلى هذه الغاية يعتقدون أنه لا تلد بكر من غير زوج. انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٧٧ ــ دار بيروت.

في الأردن[1] وبها سميت النصرانية *[2].

قال[3]: وقد سمى الله جل ثناؤه يوسف ربا، قال داود في مزمور مئة وخمسة: (وللعبودية بيع يوسف، وشدوا بالكبول رجليه، وبالحديد دخلت[4] نفسه حتى صدقت كلمته قول الرب جربه[5] بعث الملك فخلاه[6] وصيره مسلطاً على شعبه، وربا[7] على بنيه[8] ومسلطاً على فتيانه)[9].

وقال لوقا: في آخر إنجيله: إن المسيح عرض له وللوقا[10] تلميذه، جبريل في الطريق وهما محزونان فقال لهما، وهما لا يعرفانه: ما بالكما محزونين؟ فقالا: كأنك أنت وحدك غريب ببيت المقدس، إذ كنت لا تعلم ما حدث فيها في هذه الأيام من أمر يسوع الناصري، فإنه رجلاً نبياً قوياً في قوله وفعله عند الله وعند الأمة أخذوه وقتلوه)[11] على قولهم فيه.

---

(1) الأردن: سبقت الإشارة إليه ٤/ ١٠٤.

(2) ما بين النجمتين ساقط من هـ، ك.

(3) (قال) ساقطة من هـ، ك.

(4) في هـ (حلت) بدلاً من (دخلت).

(5) في هـ (حزبه). وفي ك (حربه).

(6) في ك (مجلاه) بدلاً من (فخلاه).

(7) في هـ، ك (ربا) بسقوط (و).

(8) في هـ، ك (بينه) بدلاً من (بنيه).

(9) وجدنا في المزامير ـ المزمور الخامس بعد المئة (١٧ ـ أرسل أمامهم رجلاً يبيع يوسف عبداً. ١٨ ـ آذ وبالقيد رجليه في الحديد دخلت نفسه. ١٩ ـ إلى وقت مجيء كلمته قول الرب امتحنه. ٢٠ ـ أرسل الملك فحله أرسل سلطان الشعب فأطلقه. ٢١ ـ أقامه سيداً أعلى بنيه وملكاً على كل ملك).
انظر: العهد القديم ص ٩٠٦.

(10) في ط (لعملوقا ولوقا) بدلاً من (له وللوقا).

(11) وجدنا هذه القصة مذكورة في إنجيل لوقا ـ الإصحاح الرابع والعشرون وهي بطولها.
انظر: العهد الجديد ص ١٤٣.

قال[1]: فهذا قوله وأقوال تلاميذه قد تركتموها وعقدتم على بدع ابتدعها لكم أولوكم تؤدي إلى الضلالة والشرك بالله ـ جل ثناؤه ـ، وقال داود في المزمور الثاني في زبوره مخاطباً لله ومثنياً على المسيح: (من الرجل الذي ذكرته والإنسان الذي أمرته وجعلته دون الملائكة قليلاً، وألبسته المجد والكرامات؟)[2]، وقال في المزمور الثاني: (قال لي الرب: أنت ابني وأنا اليوم ولدتك سلني فأعطيك)[3]، فقوله: ولدتك دليل على أنه حديث غير قديم، وكل حادث فهو مخلوق، ثم أكد ذلك بقوله: (اليوم) فحد باليوم حداً لولادته[4] أزال به الشك في أنه ما كان قبل (اليوم) ودل بقوله: سلني فأعطيك على أنه محتاج إلى المسألة غير مستغنٍ عن[5] العطية، قال: فهذا ما حضرنا من الآيات في تصحيح خلق[6] المسيح وعبوديته[7] وبطلان ما يدعونه من ربوبيته، ومثله كثير في الإنجيل لا يحصى، فإذا كانت الشهادات منه على نفسه، ومن الأنبياء عليه، ومن تلاميذه بمثل ما قد بيناه في هذا الكتاب[8]، وإنما اقتصرنا على الاحتجاج عليكم من كتبكم، فما الحجة فيما تدعونه له ومن أي جهة أخذتم ذلك واخترتم الكلام الشنيع الذي يخرج عن

---

(١) يعني الحسن بن أيوب.

(٢) وجدنا في سفر المزامير ـ المزمور الثامن: (٤ ـ فمن هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفقده. وتنقصه قليلاً عن الملائكة وبمجد وبهاء تكلله).
انظر: العهد القديم ص ٨٣٨.

(٣) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ٤٥٤.

(٤) في ط (لوالدته)؛ بدلاً من (لولادته).

(٥) في ط (من) بدلاً من (عن).

(٦) (خلق) ساقطة من هـ.

(٧) في هـ (عبوديته) بسقوط (و).

(٨) يقصد رسالة الحسن بن أيوب.

المعقـول، وتنكره النفـوس، وتنفر منـه القلوب، الـذي لا يصـح بحجـة ولا قياس ولا تأويل، على القول الجميل الذي تشهـد به العقول وتسكن إليه النفوس ويشاكل[1] عظمة الله وجلاله.

قال: وإذا تأملتم كـل ما بينـاه تأمـل إنصاف من أنفسكم وإشفـاق عليهـا، علمتم أنه قـول لا يحتمل أن يتـأول[2] فيه للنـاسـوت شيئـاً دون اللاهوت.

قـال: فـإن قلتم: إنــه يثبت[3] للمسيـح البنـوة بقـولــه: (أبـي وأبيكم[4])[5] ــ ويـا أبـي[6] ــ وبعثني أبـي[7]) قلنا: فـإن كـان الإنجيـل أنزل على هذه الألفاظ لم تبدل ولم تغير، فإن اللغة قد أجازت أن يسمى الولي ابناً، وقد سماكم الله[8] جميعاً بنيه، وأنتم لستم في مثل حاله.

ومن ذلك أن الله ــ عز وجـل ــ قال لإسـرائيل في التـوراة: (أنت ابني بكري)[9]. وقال لـداود في الزبـور: (أنت ابني وحبيبي)[10]. وقال المسيح في الإنجيـل للحــواريين: (أريــد أن أذهب إلى أبـي وأبيكم وإلّهي وإلّهكم)[11]فسمى الحواريين أبناء الله، وأقر بأن لـه إلّهاً هـو الله،

(١) في ط، ك (ونشاكل) بدلاً من (ويشاكل).

(٢) في هـ (نتأول) بدلاً من (يتأول).

(٣) في هـ (ثبتت)، وفي ك (ثبت) بدلاً من (يثبت).

(٤) في هـ، ك (أبيكم) ساقطة.

(٥) (أبـي وأبيكم) سبقت الإشارة إليها في ٤/ ١٢٧.

(٦) (يا أبـي) سبقت الإشارة إليها ٤/ ١٢٥.

(٧) (وبعثني أبـي) سبقت الإشارة إليها ٤/ ١٢٧.

(٨) لفظ الجلالة (الله) ساقطة من هـ، ك.

(٩) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ١٣٣.

(١٠) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ١٣٤.

(١١) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ١٣٤.

ومن كـان له إلّـه فليس بإلّـه كما تقـولون، فـإن زعمتم أن المسيـح إنمـا استحق الإلّهية بأن الله سماه ابناً فنلتزم[1] ذلك، ونشهد[2] بالإلّهيـة لكل من سماه ابناً وإلّا فما الفرق؟

قال: فإن قلتم: إن إسـرائيل وداود ونـظراءهم إنما سمـوا أبناء الله على جهـة الـرحمـة من الله لهم، والمسيـح ابن الله على الحقيقـة، تعالى الله عن ذلك.

قلنـا: يجوز لمعـارض أن يعارضكم، فيقـول لكم مـا تنكـرون أن يكـون إسـرائيـل وداود ابني الله على الحقيقـة، والمسيـح ابن رحمـة، وما الفرق؟

فـإن قلتم: إن الفرق بين المسيـح وسـائـر الأنبيـاء، من قبـل، أن المسيح جاء إلى مقعد فقال: (قم قم[3] فقد غفرت لـك، فقام الـرجل، ولم يدع الله في ذلك الوقت)[4].

قلنا لكم: هذا إلياس أمر السمـاء أن تمطر فأمطرت، ولم يدع الله في ذلـك الوقت[5]، وكـذلك اليسـع أمر نعمـان الـرومي أن ينغمس في

(١) في هـ (فليلتزم)، وفي ك (فلنلتزم) بدلاً من (فنلتزم).
(٢) في هـ (ويشهد) بدلاً من (ونشهد).
(٣) (قم) ــ الثانية ــ ساقطة من ط، ك.
(٤) وجـدنا في إنجيل لوقا ــ الإصحاح الخامس: (مغفور لك خطاياك).
وبعد نص طويل يقول: (ومضى إلى بيته وهو يمجد الله).
انظر: العهد الجديد ص ٩٩.
(٥) وجـدنـا في الإصحاح الثـامن عشر من سفـر الملوك الأول: (٤٤ ــ فقال اصعـد قل لأخـاب اشدد وانـزل لئلا يمنعـك المطر. ٤٥ ــ وكـان من هنـا إلى هنـا أن السمـاء اسـودت من الغيم والريـح وكـان مـطر عـظيم فـركب أخـاب ومضى إلى يـزرعيـل. ٤٦ ــ وكانت يد الرب على إيليا فشد حقويه وركض أمام أخاب..؟
انظر: العهد القديم ص ٥٧١.

الأردن من غير دعاء، ولا تضرع[1]، على أنّا قد[2] وجدناه في الإنجيل قد تضرع، وسأل مسائل قد تقدم ذكرها.

وقال في بعض الإنجيل: (يا أبي أشكرك على استجابتك دعائي، وأعلم أنك في كل وقت تجيب دعوتي لكن أسألك من أجل هذه الجماعة ليؤمنوا[3] بأنك أنت أرسلتني)[4].

فإن قلتم: إن الغفران من الله ـ عز وجل ـ، وأن المسيح قال لبعض بني إسرائيل: (قم[5] فقد غفرت لك) والله هو الذي يغفر الذنوب.

قلنا: فقد قال الله في السفر الخامس من التوراة لموسى: (أخرج أنت وشعبك الذي أخرجت من مصر وأنا أجعل معكم ملكاً يغفر ذنوبكم)[6].

فإن زعمتم أن المسيح إلّه لأنه غفر ذنوب المقعد، فالملك إذاً إلّه[7] لأنه يغفر ذنوب بني إسرائيل وإلاَّ فما الفرق؟

---

(١) إليشع: انظر: العهد القديم من سفر الملوك الثاني ـ الإصحاح الخامس ص ٥٩٠.
وانظر: ترجمته ٤/ ١٢٠.

(٢) (قد) ساقطة من ط.

(٣) في هـ (ليفتوا) بدلاً من (ليؤمنوا).

(٤) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٤/ ١٣٠.

(٥) (قم) ساقطة من هـ، ك.

(٦) وجدنا في السفر الثاني ـ سفر الخروج ـ الإصحاح الثالث والثلاثون: (١١ ـ وقال الرب لموسى: اذهب اصعد من هنا أنت والشعب الذي أصعدته من أرض مصر إلى الأرض التي حلفت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها وأنا أرسل أمامك ملاكاً).
انظر: العهد القديم ص ١٤٢.

(٧) في هـ (والملك إذاً الإلّه) بدلاً من (فالملك إذاً إلّه).

فإن قلتم: إن الفرق بين المسيح وسائر الأنبياء من قبل أن الله سماه[1] رباً فقال: (ابن البشر رب السبت)[2].

قلنا: فهذه التوراة تخبر بأن لوطاً[3] ـ عليه السلام ـ لما رأى الملكين قد أقبلا من البرية لهلاك قومه، قال لهما: (يا ربي ميلاً[4] إلى منزل عبدكما)[5]، وقد تقدم لنا احتجاج[6] في هذا الكتاب بذكر[7] من سمى في الكتب[8] رباً من يوسف وغيره، فإن كان المسيح إلٰهاً لأنه سمى رباً فهؤلاء إذاً آلهة لأنهم سموا بمثل ذلك.

فإن قلتم: إن الأنبياء قد تنبأت بإلٰهية المسيح، فقال أشعيا: (العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعى اسمه «عمانويل»)، وتفسيره «معنا إلٰهنا»[9].

قلنا: إن هذا[10] اسم يعاره[11] السيد الشريف من الناس، وإن كان

---

(١) في ط (سبحانه) بدلاً من (سماه).

(٢) وجدت في إنجيل لوقا (إذا ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً).
انظر: العهد الجديد ـ الإصحاح السادس ص ١٠١؛ والإصحاح الثاني ـ إنجيل مرقس ـ.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) في ط (مهلاً) بدلاً من (ميلاً).

(٥) وجدت في سفر التكوين: (وقال يا سيدي ميلاً إلى بيت عبدكما).
انظر: العهد القديم ـ الإصحاح التاسع عشر ـ سفر التكوين ـ ص ٢٧.

(٦) في ط (الاحتجاج) بدلاً من (احتجاج).

(٧) في ك (نذكر).

(٨) (بذكر من سمى في الكتب) ساقطة من ط.

(٩) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ٤٠٤.

(١٠) في ط (قيل إن هذا) بزيادة (قيل).

(١١) في هـ (كعادة) بدلاً من (يعاره).

الله ــ عز وجل ــ المنفـرد بمعنى الإلّهية ــ جـل ثناؤه ــ فقـد قال الله في التوراة لموسى * ــ عليه السلام ــ : (قـد جعلتك لهـارون إلّهاً وجعلتـه لك نبياً)[1].

وقـال في مـوضـع آخـر: *[2] (قـد جعلتـك يـا مـوسى إلّهـاً لفرعون)[3]، وقال داود في الزبور لمن كانت عنده حكمة: (كلكم آلهـة ومن العلية تدعون)[4].

فـإن قلتم: إن الله ــ عز وجـل ــ جعل مـوسى إلّهـاً لهـارون على معنى الرياسة عليه.

قلنـا: وكذلـك قـال أشعيـا في المسيـح أنـه إلّـه لأمتـه على هـذا المعنى. وإلّا فما الفرق؟

فـإن قلتم: إن المسيح قـد قال في الإنجيـل: (من رآني فقد رأى أبـي وأنا وأبـي واحد)[5].

قلنا: إن قوله (أنا وأبـي واحد) إنما يريد بـه أن قبولكم لأمـري هو قبـولكم لأمر الله، كمـا يقول رسـول الـرجـل: أنـا ومن أرسلني واحـد،

---

(١) وجـدنا في سفر الخروج (وهو يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فما وأنت تكون لـه إلّهاً).
انظر: العهد القديم ــ الإصحاح الرابع.
والمقصود بقوله (وهو يكلم الشعب) المقصود (هارون).

(٢) ما بين النجمتين ساقط من ك.

(٣) وجـدنا في سفر الخروج (١ ــ قال الرب لموسى انظر أنا جعلتك إلّهاً لفرعون).
انظر: العهد القديم ــ الإصحاح السابع.

(٤) وجدت في سفر المزامير (٦ ــ أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلى كلكم).
انظر: العهد القديم ــ الإصحاح الثاني والثامن.

(٥) سبقت الإشارة إلى هذا النص في ٤/ ١٢٩.

ويقول الوكيل: أنا ومن وكلني واحد، لأنه يقوم فيما يؤديه مقامه، ويؤدي عنه ما أرسله به ويتكلم بحجته، ويطالب له[1] بحقوقه، وكذلك قوله: (من رآني فقد رأى أبي)، يريد بذلك أن[2] من رأى هذه الأفعال التي أظهرها فقد رأى أفعال أبي.

فإن قلتم: إن المسيح قد قال في الإنجيل: (أنا قبل إبراهيم)[3]، فكيف يكون قبل إبراهيم، وإنما هو من ولده؟ ولكن لما قال قبل إبراهيم علمنا ما أراد أنه قبل إبراهيم من جهة الإلٓهية.

قلنا: هذا سليمان بن داود يقول في حكمته: (أنا قبل الدنيا وكنت مع الله حيث بدأ[4] الأرض)[5]، فما الفرق بينه وبين من قال: إن سليمان ابن الله، وأنه إنما قال: أنا قبل الدنيا بالإلٓهية، وقد قال داود أيضاً في الزبور: (ذكرتك يا رب[6] من البدء[7]، وهديت بكل أعمالك)[8].

---

(١) (له) ساقطة من ط.

(٢) (أن) ساقطة من هـ، ك.

(٣) وجدنا في إنجيل يوحنا ــ الإصحاح الثامن: (٥٨ ــ الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن).
انظر: العهد الجديد ص ١٦٤.

(٤) في هـ، ك (مد) بدلاً من (بدأ).

(٥) وجدنا في سفر (أمثال) الإصحاح الثامن: (لما ثبت السماوات كنت هناك أنا. لما رسم دائرة على وجه القمر. ٢٨ ــ لما أثبت السحب من فوق لما تشددت ينابيع القمر. ٢٩ ــ لما وضع للبحر حده فلا تتعدى المياه تخمه لما رسم أسس الأرض كنت عنده صانعاً...).
انظر: العهد القديم ص ٩٤٥.

(٦) (يا رب) ساقطة من ط، ك.

(٧) في ط: زيادة (يا رب في البدء) قبل (وهديت بكل أعمالك).

(٨) وجدنا في سفر المزامير ــ المزمور المائة والتاسع عشر: (٥٢ ــ تذكرت أحكامك =

فإن قلتم: إن كلام سليمان بن داود متأول لأنهما من ولد إسرائيل وليس يجوز أن يكونا قبل الدنيا.

قلنا: وكذلك قول المسيح أنا قبل الدنيا متأول، لأنه من ولد إبراهيم، ولا يجوز أن يكون قبل إبراهيم، فإن تأولتم تأولنا، وإن تعلقتم بظاهر الخبر في المسيح تعلقنا بظاهر الخبر في سليمان وداود، وإلاَّ فما الفرق؟

وقد قدمنا هذا الاحتجاج على تأويلكم لتعلموا بطلان ما ذهبتم إليه على أنه تأويل غير واقع بحقه[1]، وإنما حقه أن يكون هذا الاسم يعني «عمانويل» لما وقع على المسيح كان معناه أنه أخبر عن نفسه بأن «إلّهنا معنا» يعني أن الله معه، ومع شعبه معيناً وناصراً.

ومما يصحح ذلك أنكم تتسمون به، ولو كان المعنى ما ذهبتم إليه لما جاز لأحد أن يتسمى به، كما لم يجز أن يتسمى بالمسيح لأنه مخصوص بمعناه.

فإن قلتم: إن تلاميذ المسيح كانوا يعملون الآيات باسم المسيح.

قلنا لكم: فقد قال الله ـ جل[2] ثناؤه ـ ليحيى بن زكريا: (قد أيدتك بروح القدس وبقوة إلياس، وهي قوة تفعل الآيات)[3] فأضاف القوة إلى إلياس.

= منذ الدهر يا رب فتعزيت. ٥٣ ـ الحمية أخذتني بسبب الأشرار تاركي شريعتك. ٥٤ ـ ترنيمات صارت لي فرائضك في بيت غربتي. ٥٥ ـ ذكرت في الليل اسمك يا رب وحفظت شريعتك. ٥٦ ـ هذا صار لي لأني حفظت وصاياك).

انظر: العهد القديم ص ٩١٨.

(١) في ط (لحقه).

(٢) في ط (ـ عز وجل ـ) بزيادة (عز).

(٣) لم نعثر على هذا النص في الطبعة المتداولة حالياً من العهد القديم.

فإن زعمتم أن المسيح إلّه لأنه فعلت الآيات باسمه، فما الفرق بينكم وبين من قال: إن[1] إلياس إلّه فإنه فعلت بقوته[2] الآيات؟ فإن قلتم[3]: إن[4] الخشبة التي صلب عليها المسيح على زعمكم ألصقت بميت فعاش، فإن[5] هذا دليل على أنه إلّه. قلنا لكم: فما الفرق بينكم وبين من قال: إن اليسع إلّه؟ واحتج في ذلك (بأن كتاب سفر الملوك يخبر بأن[6] رجلاً مات فحمله أهله إلى المقبرة، فلما كانوا بين القبور رأوا عدواً لهم[7] يريد أنفسهم فطرحوا الميت عن رقابهم وبادروا إلى المدينة، وكان الموضع الذي ألقوا عليه الميت قبر اليسع، فلما أصاب ذلك الميت تراب قبر اليسع عاش، وأقبل يمشي إلى المدينة)[8]، فإن زعمتم أن المسيح إلّه لأن الخشبة التي ذكروا أنه صلب عليها ألصقت بميت فعاش، فاليسع إلّه لأن تراب قبره لصق بميت فعاش.

فإن قلتم أن المسيح كان من غير فحل. قلنا لكم[9]: قد كان كذلك وليس أعجوبة الولادة توجب الإلّهية ولا الربوبية، لأن القدرة في

---

(١) (أن) ساقطة من ط.

(٢) في هـ (بنوته) بدلاً من (بقوته).

(٣) في ط (قلت) بدلاً من (قلتم).

(٤) (أن) ساقطة من هـ.

(٥) في ط (وإن) بدلاً من (فإن).

(٦) في هـ (أن) بسقوط (بـ).

(٧) (لهم) ساقطة من ط.

(٨) وجدنا في السفر الثالث من أخبار الملوك الثاني: (٢٠ ــ ومات اليشع فدفنوه وكان غزاة مؤاب تدخل على الأرض عند دخول السنة. ٢١ ــ وفيما كانوا يدفنون رجلاً إذا بهم قد رؤا الغزاة فطرحوا الرجل في قبر اليشع فلما نزل الرجل ومس عظام اليشع عاش وقام على رجليه).
انظر: العهد القديم ــ الإصحاح الثالث عشر ــ ص ٦٠٧.

(٩) (لكم) ساقطة من هـ.

ذلك للخالق ـ تبارك وتعالى ـ لا للمخلوق، وعلى أنه يوجدكم[1]لأن[2] حواء خلقت من فحل بلا أنثى، وخلق أنثى من ذكر بلا أنثى أعجب من ذكر من أنثى بغير ذكر، وأعجب من ذلك أن آدم خلقه الله من تراب، وخلق بشر من تراب وأعجب وأبدع من خلق ذكر من أنثى بلا فحل. فما الفرق؟

قال[3]: وهذه الأسباب التي ذكرناها كلها هي الأسباب التي تتعلقون[4] بها في نحلتكم المسيح الربوبية وإضافتكم إليه الإلّهية، وقد[5] وصفناها على حقائقها عندكم وقبلنا فيها[6] قولكم، وإن كنا لا نشك في أن أهل الكتاب قد حرفوا بعض ما فيها من الكلام عن مواضعه، وأوجدناكم بطول ما تنتحلونه، وفساد ما تتأولونه من الكتب التي في أيديكم التوراة والزبور والأنبياء والإنجيل، فما الذي يثبت الحجة بعد ذلك لكم؟

قال: وقد قال السيد المسيح في الإنجيل لتلاميذه لما سألوه عن الساعة والقيامة: (إن ذلك اليوم، وتلك الساعة لا يعرفه أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن أيضاً[7]، ولكن الأب وحده

---

(١) هكذا في جميع النسخ (وعلى أنه يوجدكم).

(٢) في هـ (أن).

(٣) يعني الحسن بن أيوب.

(٤) في هـ، ك (يتعلقون) بدلاً من (تتعلقون).

(٥) في هـ (قدة) بسقوط (و).

(٦) (فيها) ساقطة من ط.

(٧) في هـ (ولا الابن أيضاً يعرفه) بزيادة (يعرفه).

يعرفه)[1]، قال: فهذا إقرار منه بأنه منقوص العلم وأن الله ـ تبارك وتعالى ـ أعز وأعلم منه، وأنه خلافه وأعلا منه، وقد بين بقوله أحد[2] عمومه بذلك الخلق جميعاً، ثم قال: (ولا الملائكة) وعندهم من علم الله[3] ما ليس عند أهل الأرض، ثم قال: (ولا الابن)، وله من القوة ما ليس لغيره، وشهد قوله هذا شهادة واضحة عليه بأنه لا يعلم كل ما يعلمه الله، بل ما علَّمه الله إياه[4] وأطلعه على معرفته وجعله له، وأنه لقصور معرفته بكل الأشياء ليس بحيث يصفونه من الربوبية، وأنه هو الله ومن جوهر أبيه[5] ـ تعالى الله[6] الخالق لكل شيء علواً كبيراً ـ ولو كان إلّهاً كما يقولون: لعلم ما يعلمه الله من سائر الأشياء[7] وسرائر الأمور وعلانيتها، إذا[8] كان هذا المعنى ليس من الكلام الذي إذا سئلتم عنه تعلقتم بأنه قيل للناسوت[9] دون اللاهوت.

قلت[10]: مقصوده[11] بذلك أنه صرح بأنه لا يعلمه أحد، ثم خص

---

(١) وجدنا في إنجيل متى ـ الإصحاح الرابع والعشرون: (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا ملائكة السماوات إلاَّ أبي وحده).
انظر: العهد الجديد ص ٤٥.
(٢) في هـ، ك (أحداً) بزيادة (أ).
(٣) لفظ الجلالة (الله) ساقط من ط.
(٤) (إياه) ساقطة من هـ، ك.
(٥) في هـ (الله) بدلاً من (أبيه).
(٦) لفظ الجلالة (الله) ساقط من ط.
(٧) في هـ (الأنبياء) بدلاً من (الأشياء).
(٨) في هـ، ك (إذ) بسقوط (أ).
(٩) في هـ (الناسوت) بدلاً من (للناسوت).
(١٠) هذا كلام للمؤلف.
(١١) في هـ (مقصود) بسقوط (ه).

الملائكة بالذكر لئلا يظن أن أحداً منهم يعلمه، فقال: (ولا الملائكة الذين في السماء)، ثم قال: (ولا الابن يعرفه، وأن الأب وحده يعرفه) فنفى معرفة الابن وأثبت أن الأب وحده يعرفه، ومراده بالابن المسيح فعرف أن المسيح لا يعرفه وأثبت أن الرب يعرفه دون الابن، ودل ذلك على أن لفظ الابن عند المسيح، إنما يراد بها الناسوت وحده إذ كان لا يجوز نفي العلم عن اللاهوت، فإن اللاهوت يعلم كل شيء، وقد[1] دل ذلك على أن قوله: (عمدوا الناس باسم الأب والابن)، المراد[2] به الناسوت وحده كما أريد بلفظ الابن في سائر كلامه وكلام غيره لم يرد قط أحد منهم بلفظ الابن اللاهوت، بل إطلاق الابن على اللاهوت مما ابتدعته النصارى، وحملوا عليها كلام المسيح فابتدعوا لصفات الله أسماء ما أنزل الله بها من سلطان، وحملوا عليها كلام المسيح، وإنما يحمل كلام الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وغيرهم على معنى لغتهم التي جرت عادتهم بالتكليم[3] بها لا على لغة يحدثها من بعدهم، ويحمل كلامهم عليها.

قلت: فإن هذا[4] الذي فعلته[5] النصارى وأشباههم يفتح باب الإلحاد في كتب الله المنزلة، وقد قال ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[6].

---

(١) (قد) ساقطة من هـ، ك.

(٢) في هـ، ط (والمراد) بزيادة (و).

(٣) في هـ (بالتكلم) بدلاً من (بالتكليم).

(٤) في هـ (هذا) بسقوط (فإن)، وفي ك (وهذا) بدلاً من (فإن هذا).

(٥) في هـ، ك (نقلته) بدلاً من (فعلته).

(٦) سورة فصلت: من الآية ٤٠.

وذلك أن كل من اعتقد معاني برأيه يمكنه أن يعبر عنها بألفاظ تناسبها بنوع مناسبة، وتلك الألفاظ موجودة في كلام الأنبياء ــ عليهم السلام ــ لها معانٍ أخر، ويجعل[1] تلك الألفاظ دالة على معانيه التي رآها، ثم يجعل الألفاظ التي تكلمت بها الأنبياء، وجاءت بها الكتب الإلَهية، أرادوا بها معانيه هو، وهكذا فعل سائر أهل الإلحاد[2] في سائر[3] الكتب الإلَهية، كما فعلته النصارى، مثل ما عمدت الملاحدة المتبعون لفلاسفة[4] اليونان القائلون بأن هذه الأفلاك قديمة أزلية لم تزل ولا تزال، وأن الله لم يتكلم بالتوراة ولا غيرها من الكتب الإلَهية، ولا هو عالم بالجزئيات لا بموسى بن عمران ولا بغيره[5]، ولا هو قادر أن يفعل بمشيئة ولا يقيم الناس من قبورهم، فقالوا: خلق وأحدث وفعل وصنع ونحو ذلك يقال على الإحداث الذاتي، والإحداث الزماني.

فالأول: هو إيجاب العلة لمعلولها[6] المقارن لها في الزمان.

والثاني: إيجاد الشيء بعد أن لم يكن، ثم قالوا: ونحن نقول: إن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما وأحدث ذلك وأبدعه وصنعه كما أخبرت بذلك الأنبياء ــ عليهم السلام ــ ، لكن مرادهم بذلك الإحداث الذاتي وهو أن ذلك معلول له لم يزل معه.

فيقال لهم: لم يستعمل أحد من الأنبياء ــ عليهم الصلاة

---

(١) في ك (وتجعل) بدلاً من (ويجعل).
(٢) في هـ (الاتحاد) بدلاً من (الإلحاد).
(٣) (سائر) ساقطة من هـ .
(٤) في هـ (فلاسفة) بسقوط (لـ).
(٥) في هـ ، ك (غيره) بسقوط (بـ).
(٦) في ط (لمعلومها) بدلاً من (لمعلولها).

والسلام ــ ، بل ولا أحد من سائر الأمم لفظ الخلق والإحداث إلَّا فيما كان بعد عدمه وهو ما كان مسبوقاً بعدمه ووجود غيره، ومعنى هذا اللفظ معلوم بالاضطرار في جميع لغات الأمم، وأيضاً فاللفظ المستعمل في لغة العامة والخاصة لا[1] يجوز أن يكون معناه ما لا يعرفه إلَّا بعض الناس، وهذا المعنى الذي يدعونه لو كان حقاً لم يتصوره إلَّا بعض الناس، * فلا يجوز أن يكون اللفظ العام الذي تداوله العامة والخاصة موضوعاً له إذا[2] كان هذا يبطل مقصود اللغات، ويبطل تعريف الأنبياء للناس *[3] فكيف وهو باطل في صريح المعقول[4]، كما هو باطل في صحيح المنقول، فإنه لم يعرف أن أحداً قط عبر عن القديم الأزلي الذي لم يزل موجوداً، ولا يزال، بأنه محدث أو مخلوق أو مصنوع أو مفعول، فهذا الذي ذكرتموه كذب صريح على الأنبياء ــ عليهم السلام ــ ، لتوهموا[5] الناس أنكم موافقون لهم، والكتب الإلّهية كالتوراة والقرآن مصرحة بأن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، والقديم الأزلي لا يكون مخلوقاً في ستة أيام، وكذلك الكتب الإلّهية كالتوراة والقرآن قد أخبرت بتكليم الله لموسى، وبندائه إياه من الطور من الشجرة، وفي التوراة أنها شجرة العليق[6].

وأخبرت بأن موسى ــ عليه السلام ــ كان يلقي عصاه فتصير حية

---

(١) في هـ (ولا) بزيادة (و).

(٢) في هـ (إذ).

(٣) ما بين النجمتين ساقط من هـ .

(٤) في هـ (العقل) بدلاً من (المعقول).

(٥) في هـ (ليتوهموا) بدلاً من (لتوهموا).

(٦) ورد في سفر الخروج إصحاح ٣ فقرة ٥ (ناداه الله من وسط العليقة) ص ٩٠ العهد القديم.

تسعى، ويخبر بأن الله فلق البحر، فقالت[1] الملاحدة: إن الشيء الثابت يسمى طوراً، فإنه ثابت كالجبل، والقلوب تسمى أودية، وإظهار العلوم بتفجير ينابيع العلم والحجة المبتلِعَةِ كلام أهل الباطل هي عصا معنوية، فمراد الكتب بالطور العقل الفعال الذي فاض منه العلم على قلب موسى ــ عليه السلام ــ ، والوادي قلب موسى، والكلام الذي سمعه موسى سمعه[2] من سماء عقله، وتلك الأصوات كانت في نفسه لا في الخارج، والملائكة التي رآها كانت أشخاصاً نورانية تمثلت في نفسه لا في الخارج، والبحر الذي فلقه هو بحر العلم، والعصا كانت حجته غلب على السحرة بحجته العلمية فابتلعت حجته شبههم التي جعلوها حبالاً يتوسلون بها إلى نيل أغراضهم، وعصياً يقهرون[3] بها من يجادلونه.

أفليس من قال مثل هذا الكلام يعلم بالاضطرار أنه يكذب على الكتب الإلٓهية التي أخبرت بقصة موسى كالتوراة والقرآن، وأنه ليس مراد الرسل بما[4] أخبروا به من قصة موسى هذا، بل صرحوا بأن موسى سمع نداء الله له، وأنه كلمه من الطور طور سينا الذي هو الجبل، وقلب عصاه التي كان يهش بها على غنمه ثعباناً عظيماً، وفلق له البحر، وأغرق فيه آل فرعون فغرقوا وماتوا فيه وهلكوا، وأمثال هذا من تحريفات الملاحدة كثير.

فهكذا النصارى حرفوا كتب الله وسموا صفة الله القديمة الأزلية

---

(١) ط، ك (فقال) بسقوط (ت).
(٢) (سمعه) ساقطة من ط .
(٣) في هـ (يهلكون) بدلاً من (يقهرون).
(٤) في هـ ، ك (ما) بسقوط (بـ).

التي هي علمه أو حكمته ابناً، وسموها أيضاً كلمة[1]، وسموا صفته القديمة الأزلية، التي هي حياته روح القدس، وتسمية هذه الصفات بهذه الأسماء لا توجد في شيء من كلام الأنبياء ولا غيرهم، ولا يعرف أن أحداً قط لا من الأنبياء ولا غيرهم سمى علم الله القائم به ابنه[2]، بل ولا سمى علم أحد من العالمين[3] القائم به ابنه، ولكن لفظ الابن يعبر به عمن ولد الولادة المعروفة، ويعبر به عمن كان هو سبباً في وجوده، كما يقال ابن السبيل لمن ولدته[4] الطريق، فإنه لما جاء من جهة الطريق جعل كأنه ولده.

ويقال لبعض الطير ابن الماء، لأنه يجيء من جهة الماء، ويقال: كونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن الابن ينتسب[5] إلى أبيه ويحبه، ويضاف إليه أي كونوا ممن ينتسب[5] إلى الآخرة ويحبها، ويضاف إليها، وهذا اللفظ موجود في الكتب التي بأيدي أهل الكتاب في حق الصالحين الذين[6] يحبهم الله ويربيهم، كما ذكروا[7] أن المسيح قال: (أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)، وفي التوراة: أن الله قال ليعقوب: (أنت ابني بكري).

ونحو ذلك مما يراد به إذا كان صحيحاً له معنى صحيح، وهو المحبة له، والاصطفاء له[8]، والرحمة له، وكان المعنى مفهوماً عند

---

(١) في هـ (كلمته) بدلاً من (كلمة).
(٢) في هـ (الله) بدلاً من (ابنه).
(٣) في هـ (العالم) بدلاً من (العالمين).
(٤) في هـ (ولده) بدلاً من (ولدته).
(٥) في هـ (ينسب) بدلاً من (ينتسب).
(٦) في هـ (الذي) بدلاً من (الذين).
(٧) في هـ، ك (ذكروه) بدلاً من (ذكروا).
(٨) (له) ساقطة من ط، ك.

الأنبياء ــ عليهم السلام ــ، ومن يخاطبونه[1]، وهو من الألفاظ المتشابهة، فصار كثير من أتباعهم يريدون[2] به المعنى الباطل.

وزعم كثير من الكفار أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ بنين وبنات، وأن الملائكة بناته، وبعض من يقول بقدم العالم من المتفلسفة يقولون العقول العشرة هي بنوه، والنفوس الفلكية هي[3] بناته، وهي متولدة عنه لازمة لذاته، فجاء القرآن الذي هو أفضل الكتب وأكملها بإبطال هذه المعاني، ومنع استعمال هذا اللفظ في حق الله ــ تعالى ــ[4]، فنزه الله عن أن يتخذ ولداً، كما نزهه عن أن يكون له ولد، والأول[5] من باب تنزيهه عن الأفعال المذمومة، وهذا على[6] قول جماهير المسلمين وغيرهم الذين ينزهون الله ويقدسونه عن الأفعال القبيحة التي لا تليق به، بل تنافي ما وجب له من الكمال[7] في أفعاله، كما وجب له الكمال في ذاته وصفاته، وأما من كان من المسلمين وغيرهم لا ينزه الله عن فعل من الأفعال إلَّا ما كان ممتنعاً لذاته، فأما الممكن المقدور فيقول: لا يعلم انتفاؤه إلَّا بالخبر أو بالعادة المطردة التي يمكن انتقاضها فهذا لا يبقى معه ما ينفي به عن الله الأفعال المذمومة القبيحة، والكتب الإلٓهية، قد نزهت الرب ــ عز وجل ــ عن الأفعال المذمومة، كما نزهته عن صفات النقص، كقوله ــ تعالى ــ:

---

(١) في هـ (يخاطبوه) بدلاً من (يخاطبونه).
(٢) في هـ، ك (يريد) بدلاً من (يريدون).
(٣) (هي) ساقطة من هـ.
(٤) في هـ (ــ عز وجل ــ) بدلاً من (ــ تعالى ــ).
(٥) في هـ (فالأول) بدلاً من (والأول).
(٦) (على) ساقطة من هـ.
(٧) في ط (الكمالات) بدلاً من (الكمال).

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾[2].

كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ عن المؤمنين :

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا ﴾[5].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ

---

(١) سورة الأنبياء: الآيتان ٢٦، ٢٧. وفي ط (يعلمون)، في هـ، ك الآية الثانية (٢٧) ساقطة.

(٢) سورة النساء: من الآية ١٧١، في هـ (أنى يكون له ولد) بدلاً من (أن يكون له ولد).

(٣) سورة الأنعام: من الآية ١٠٠.

(٤) سورة الإسراء: من الآية ١١١.

(٥) سورة آل عمران: من الآية ١٩١.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[4].

فكما نزه نفسه عن الولادة نزه نفسه عن اتخاذ الولد.

وقال ـ تعالى ـ[5] :

﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا

---

(١) سورة الفرقان: الآيتان ١، ٢.
(ولم يكن له شريك في الملك) ساقطة من هـ.

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان ٩١، ٩٢.
في هـ (فتعالى الله عما يشركون) بزيادة (الله).

(٣) سورة الصافات: الآيتان ١٥١، ١٥٢.

(٤) سورة الإخلاص كلها.

(٥) (ـ تعالى ـ) ساقطة من ك.

﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴾[1]

وقال[2] ـ تعالى ـ :

﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[4].

وفي الصحيح عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «يقول الله ـ تعالى ـ : كذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك[5]، وشتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك[6]، فأما تكذيبه إياي فقوله أني[7] يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: أني اتخذت ولداً، وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»[8].

---

(١) سورة مريم: الآيات ٨٨ ـ ٩٥.
(٢) في ط (قال) بسقوط (و).
(٣) سورة النساء: من الآية ١٧٢.
(٤) سورة آل عمران: من الآية ٨٠.
(٥) (ذلك) ساقطة من هـ، ك.
(٦) (ذلك) ساقطة من هـ.
(٧) في هـ، ك (لن) بدلاً من (أني).
(٨) انظر:
* صحيح البخاري ـ كتاب بدء الخلق ـ باب ١ ـ عن أبي هريرة ـ بمعناه.
* ومسند الإمام أحمد ٢/٣١٧ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بمعناه.

وفي الصحيح عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم ليجعلون له ولداً وشريكاً، وهو يرزقهم ويعافيهم»[1].

ولهذا كان معاذ بن جبل[2]، يقول: لا ترحموا النصارى فإنهم[3] سبوا الله مسبة ما سبه إياها أحد من البشر[4]. فجاءت هذه الشريعة الحنيفية القرآنية وحرمت[5] أن يتكلم في حق الله باسم ابن أو ولد سداً للذريعة، كما منعت أن يسجد أحدٌ لغير الله، وإن كان على وجه التحية، كما منعت أن يصلي أحد عند طلوع الشمس وغروبها لئلا يشبه عباد[6] الشمس والقمر فكانت بسدها[7] للأبواب التي يجعل[8] للَّه فيها

(١) انظر:

* صحيح البخاري ـ كتاب التوحيد ـ باب ٣ ـ عن أبي موسى الأشعري.

* وصحيح مسلم ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ـ باب ١٠ ـ حديث رقم ٤٩ ـ عن أبي موسى ـ بمعناه.

(٢) **معاذ بن جبل**: هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، ولد سنة عشرين قبل الهجرة ـ صحابي جليل ـ أسلم وهو صغير ـ وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، أرسله الرسول ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ إلى اليمن معلماً ومفقهاً لأهلها فلم يزل بها يدعو إلى الإسلام وينشره، وعاد إلى المدينة في خلافة أبي بكر الصديق فبعثه إلى الشام في جيش أبي عبيدة بن الجراح، وتوفي بها سنة سبع عشرة أو التي بعدها، وهو قول الأكثرين، وعاش أربعاً وثلاثين سنة، وقيل غير ذلك.

انظر: أسد الغابة ٤/٣٧٦؛ والإصابة في تمييز الصحابة ٣/٤٢٦.

(٣) في هـ، ك (فلقد) بدلاً من (فإنهم).

(٤) سبقت الإشارة إلى هذا الأثر ٣/ ١٠٠.

(٥) هكذا في جميع النسخ، ويحسن إضافة (و) لتصير: (وحرمت).

(٦) في هـ (تشبه عبادة) بدلاً من (يشبه عباد).

(٧) في هـ (في سدها) بدلاً من (بسدها).

(٨) في ط، ك (بجعل) بدلاً من (يجعل).

الشريك والولد[1] أكمل من غيرها من الشرائع، كما سدت غير ذلك من الذرائع مثل تحريمها قليل المسكر[2]، لأنه يجر إلى كثيره، فإن أصول المحرمات التي قال الله[3] فيها:

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[4].

مما اتفقت عليه شرائع الأنبياء بخلاف تحريم الطيبات عقوبة، فإن هذا جاء[5] في شرع التوراة دون شرع القرآن، فإن الله أحل لأمة محمد الطيبات، وحرم عليهم الخبائث، وكذلك تكميل التوحيد من كل الوجوه، وسد أبواب الشرك من كل الوجوه، جاءت به هذه الشريعة مع اتفاق الأنبياء على إيجاب التوحيد وتحريم أن يجعل لله شريك أو ولد.

فإذا كان مراد[6] المسيح ـ عليه السلام ـ بالابن هو الناسوت، وهو لم يسم اللاهوت ابناً. وقد ذكر أن الابن لا يعلم الساعة فتبين بذلك أن المسيح هو الناسوت وحده وأنه لا يعلم الساعة، وهذا هو الحق، وإن قالوا مراده بالابن اللاهوت، أو اللاهوت[7] والناسوت لزم من ذلك أن اللاهوت أو اللاهوت والناسوت لا يعلم الساعة، وهذا باطل،

---

(١) في هـ (الوالد) بدلاً من (الولد).

(٢) في هـ (السكر) بدلاً من (المسكر).

(٣) لفظ الجلالة (الله) ساقط من ط، ك.

(٤) سورة الأعراف: من الآية ٣٣.
في ط (وما بطن فيها) بزيادة (منها).

(٥) (جاء) ساقطة من هـ، ك.

(٦) في ط (مراده) بزيادة (هـ).

(٧) (أو اللاهوت) ساقطة من ط.

وكذب[١]، وهو أيضاً[٢] مناقض لقولهم.

فدل هذا النص من المسيح مع سائر نصوصه ونصوص الأنبياء على أن مسمى الابن هو الناسوت وحده، وأنه لا يعلم ما يعلمه الله، وذلك صريح في أنه مخلوق ليس بخالق، ولا يجوز أن يكون هذا خطاباً[٣] للناسوت المتحد باللاهوت دون اللاهوت. كما يتأوله عليه بعض النصارى، لأن كل ما علمه اللاهوت المتحد بالمسيح علمه الناسوت، ولأن الناسوت ليس هو الابن عندهم دون اللاهوت المتحد به، بل اسم الابن عندهم هو اللاهوت، ولأجل الاتحاد دخل فيه الناسوت، ولأنه لم يثبت إلَّا علم الأب وحده لم يستثنِ علم الابن الأزلي عندهم، بل نفى علم ما سوى الأب به، وهذا مناقض لقولهم[٤] من كل وجه[٥].

• • •

(١) في هـ (كذب) بسقوط (و).
(٢) (أيضاً) ساقطة من هـ.
(٣) في ط (خطأنا) بدلاً من (خطاباً).
(٤) في ط، ك (بقولهم) بدلاً من (لقولهم).
(٥) انتهى كلام الشيخ.

فصل

مواصلة الرّدعلى النّصارى بما قاله الحسن بن أيوب، ثم بكلام ابن البطريق

قال[1] الحسن بن أيوب: ومثل هذا أنه لما خاطبه الرجل على ما كتب في الإنجيل فقال له: (أيها الخير، فقال: ليس الخير إلاَّ الله وحده، قلت: وبعضهم يترجمه أيها الصالح، فقال: ليس الصالح إلاَّ الله وحده)[2] قال: ومثله قوله في الإنجيل: (إني لم آت لأعمل بمشيئتي لكن بمشيئة من أرسلني)[3] قال: ولو كانت له مشيئة لاهوتية كما يقولون: لما قال هذا القول فقد أبطل به ما تدعونه في ذلك.

قال[4]: ثم أنتم مع ذلك تدعون أن المسيح كلمة الله، ومن[5] قوة الله غير بائنة منه[6] ولا منفصلة[7] عنه، وتشهدون عليه في الإنجيل بقوله: إنه يصعد إلى[8] السماء، ويجلس عن يمين أبيه، ويدين الناس

---

(١) عاد هنا إلى الاستشهاد بكلام الحسن بن أيوب.

(٢) في إنجيل مرقس ـ الإصحاح العاشر: (أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية. ١٨ ـ فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً إلاَّ واحداً هو الله).
انظر: العهد الجديد ص ٧٤.

(٣) في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح السابع: (٣٨ ـ لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني).
انظر: العهد الجديد ـ إنجيل يوحنا ـ الإصحاح الرابع ـ ص ١٥٢.

(٤) (قال) ساقطة من ك، هـ.

(٥) (من) ساقطة من هـ.

(٦) (منه) ساقطة من ط.

(٧) في ط (متصلة) بدلاً من (منفصلة).

(٨) (إلى) ساقطة من ط.

يـوم القيـامـة[١] ويجـازيهم بـأعمـالهم، ويتـولى الحكم بينهم، وأن الله ــ عز وجل ــ منحه ذلك إذ كـان لا يراه أحـد من خلقه في الـدنيا ولا في الآخـرة، فإن كـان هذا الجـالس للحكومـة بين العالمين[٢] يـوم الدين، والقـاعد عن يمين أبيـه وهو[٣] شخص قـائم بذاتـه لا يشك فيـه[٤]، هو الجسـد الذي كـان في الأرض[٥] المتوحـد بـه الـربـوبيـة، فقـد فصلتم بين الله ــ تبـارك وتعالى ــ وبينـه، وبعّضتموه بـاجتمـاعهمـا في السمـاء شخصين متبـاينين، أحدهمـا عن يمين صاحبـه، وهذا كفـر وشرك بـالله ــ عز وجل ــ ، وإن كـان جسداً خـالياً من الإلٰهيـة، وهي الكلمة، وقـد عـادت إلى الله كمـا بـدت منـه، فقـد زال عنـه حكم الـربـوبيـة التي تنتحلونه[٦] إياها.

قال[٧]: ونسألكم عن واحدة نحب أن تخبرونـا بها، هي[٨] أصـل مـا وضعتموه من عبـادة الثلاثـة الأقانيم التي تـرجع بـزعمكم إلى جوهـر واحـد، وهو[٩] الـلاهوت، مـا هو؟ ومن أين أخـذتموه؟ ومن أمـركم به؟ وفي أي كتـاب نزل؟ وأي نبـي تنبـأ به؟ أو أي قـول للمسيح[١٠] تـدعونه فيه؟ وهل بنيتم أمركم في ذلك إلاَّ على قول «متى» التلميـذ عن المسيح

---

(١) في هـ ، ك (الدين) بدلاً من (القيامة).
(٢) في هـ ، ك (العالم) بدلاً من (العالمين).
(٣) في ط (هو) بسقوط (و).
(٤) (فيه) ساقطة من هـ .
(٥) في هـ (الأرض المتحد به) بزيادة (المتحد به).
(٦) في هـ (تتخلونهما) بدلاً من (تنتحلونه).
(٧) (قال) ساقطة من هـ .
(٨) (هي) ساقطة من ط، ك.
(٩) في هـ ، ك (وهي) بدلاً من (وهو).
(١٠) في هـ ، ك (المسيح) بدلاً من (للمسيح).

ـ عليه السلام ـ أنه قال لتلاميذه حيث أراد أن يفارقهم: (اذهبوا فعمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس)[1].

قال[2]: وهذا كلام يحتمل معناه ـ إن كان صحيحاً ـ أن يكون ذهب فيه بأن[3] يجمع[4] هذه الألفاظ إلى أن تجتمع لهم بركات الله وبركة نبيه المسيح وروح القدس التي يؤيد بها الأنبياء والرسل، وقد نراكم إذا أردتم الدعاء بعضكم لبعض[5] قلتم صلاة فلان القديس تكون معك، ومعنى الصلاة الدعاء، واسم فلان النبي يعينك[6] على أمورك.

وكما قال الله ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾[7].

يقرن طاعته نبيه وأولي الأمر من المسلمين، أفنقول لذلك[8] إنهم جميعاً آلهة؟

قال[9]: وقد يجوز أن يكون له معنى يدق عن الوقوف عليه بغير التأويل إن لم يكن معناه ما قلناه، أو يكون المسيح ـ عليه السلام ـ ذهب فيه إلى ما هو أعلم به، فلم حكمتم[10]، بأنه ذهب إلى أن هذه

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ٢٣٧.
(٢) يعني الحسن بن أيوب.
(٣) (بأن) ساقطة من هـ، ك.
(٤) في ك (بجمع).
(٥) في هـ (بعضاً) بدلاً من (لبعض).
(٦) في ط (يعنيك) بدلاً (يعينك).
(٧) سورة النساء من الآية ٥٩.
(٨) في ط (فلذلك) بزيادة (ف).
(٩) يعني الحسن بن أيوب.
(١٠) في ط (حكم) بدلاً من (حكمتم).

الأسماء لما أضافها إلى الله ـ عز وجل[1] ـ صارت آلهة، وجعلتم لها أقانيم لكل اسم أقنوم يخصه[2] بعينه، وهو[3] شخص واحد[4]، وكيف استجزتم ما أشركتموه مع الله ـ عز وجل[5] ـ بالتأويل الذي لا يصح.

وإذا قلتم بثلاثة أقانيم كل أقنوم بذاته، فلا بد من أن تعترفوا[6] ضرورة بأن كل أقنوم منها حي سميع[7] بصير عالم حكيم منفرد بذاته، كما يقولون في المسيح أنه جالس عن يمين أبيه فنراكم أخذتم الأقنومين اللذين أحدثتموها[8] مع الله من جهة أن الله حكيم حي فحكمته الكلمة، وهي المسيح وروحه روح[9] القدس، وهذه صفة من صفات الله مثلها كثير، لأنه يقال حكيم عليم سميع بصير حي قدير.

وكذلك[10] ربنا ـ تبارك و[11] تعالى ـ، وإن كانت صفاتنا إياه لا تلحق صفاته، ولا تبلغ كنه مجده[12] إلاَّ بالتمثيل لعظمته وعزته وجلاله وعلوه، فنحلتم صفاته التي هي معناه[13] وليست سواه، غيره وجعلتم

---

(١) (عز وجل) ساقطة من ط، ك.

(٢) (يخصه) ساقطة من ط.

(٣) (وهو) ساقطة من هـ.

(٤) (واحد) ساقطة من ط، ك.

(٥) (عز وجل) ساقطة من ط، ك.

(٦) في هـ (يعترفوا) بدلاً من (تعترفوا).

(٧) في ط، ك (سميع حي) تقديم وتأخير.

(٨) في هـ (أخذتموها) بدلاً من (أحدثتموها).

(٩) في ط (وروح) بزيادة (و).

(١٠) في ط (وكذا) بدلاً من (كذلك).

(١١) (تبارك و) ساقطة من ط، ك.

(١٢) في هـ (تبارك وتعالى مجده) بزيادة (تبارك وتعالى).

(١٣) (معناه) ساقطة من هـ.

أقانيم لكل واحد[1] من الحياة والحكمة وسائر الصفات مثل الذي له، وما منها[2] أقنوم له صفة إلاَّ ويحتمل[3] على قياس قولكم أن تكون[4] صفته مثله، فإذا[5] كانت هذه الأقانيم آلهة، وكل صفة إلٰه[6]، وهي من[7] جوهره فيجب أن تكون كل صفة لكل واحد من الثلاثة الأقانيم إلٰهاً مثله إذ كان من جوهره فيتسع الأمر في ذلك حتى لا يكون له غاية ولا نهاية.

قال[8]: وإذا قلتم بثلاثة أقانيم هي في السماء من جوهر قديم أفليس يلزمكم[9] الإقرار بثلاثة آلهة، لأن الأقانيم أشخاص يومأ إليها، ويقع الحد عليها، وإلاَّ فما الحجة وأنتم تذكرون في بعض احتجاجكم أنها ثلاثة ترجع[10] إلى واحد غير متبعضة ولا منفصلة وتشبهونها في اجتماعها[11] وظهور ما يظهر منها بالشمس، وقد نراكم عقدتم شريعة إيمانكم على أن المسيح إلٰه وإنسان متحدين وأنه يصعد إلى السماء ويجلس عن يمين أبيه، والجالس عن يمين صاحبه أليس هو منفصلاً[12]

---

(١) في هـ (واحده) بزيادة (هـ).
(٢) في ط، ك (فيها) بدلاً من (منها).
(٣) في هـ (ويجمل) بدلاً من (ويحتمل).
(٤) في ط (تكونوا) وفي هـ (يكون).
(٥) في هـ (فإن) بدلاً من (فإذا).
(٦) في هـ (لإلٰه) بزيادة (ل).
(٧) في ط (من) مكررة.
(٨) يعني الحسن بن أيوب.
(قال) ساقطة من هـ.
(٩) في هـ (يلزمهم) بدلاً من (يلزمكم).
(١٠) في ط (ترجح) بدلاً من (ترجع).
(١١) (في اجتماعها) ساقطة من ك.
(١٢) في هـ (منفصل) بدلاً من (منفصلاً).

عنه[1] مفروزاً عنه؟ فكيف يصح[2] على هذا القول قياس، أو يصح به عقد دين؟ تقولون مرة مجتمع، ومرة منفصل[3]، وما شبهتموه به من الشمس، فقد تقدم شرحنا لبطلان الحجة فيه، وأنه لا يكون قياسه القياس الذي تعلقتم به.

على أنا وجدناكم تقولون في معنى التثليث: إن الذي دعاكم إليه ما ذكرتم أن (متى) التلميذ حكاه في الإنجيل عن المسيح ـ عليه السلام ـ، إذ قال لتلاميذه: (سيروا في البلاد، وعمدوا الناس باسم الأب والابن والروح القدس)[4]، وأنكم فكرتم في هذا القول بعقولكم فعلمتم[5] أن المراد بذلك أنه لما أن ثبت حدوث العالم علمتم أن له محدثاً فتوهمتموه شيئاً موجوداً، ثم توهمتموه حياً ثم[6] ناطقاً لأن الشيء ينقسم لحي، ولا حي، والحي ينقسم لناطق، ولا ناطق.

وأنكم علمتم بذلك أنه شيء حي ناطق فأثبتم له حياة ونطقاً غيره في الشخص وهما هو في الجوهرية.

فنقول لكم في ذلك: إذا كان الحي له حياة ونطق، فأخبرونا عنه أتقولون أنه قادر عزيز أم عاجز ذليل؟

فإن قلتم: لا بل هو[7] قادر عزيز، قلنا: فأثبتوا له قدرة وعزة، كما أثبتم له حياة وحكمة.

---

(١) في ط، ك (عنه) بدلاً من (منه).
(٢) في هـ (يقع) بدلاً من (يصح).
(٣) (تقولون مرة مجتمع ومرة منفصل) ساقطة من هـ.
(٤) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ٢٣٧.
(٥) في هـ (فقلتم).
(٦) (ثم) ساقطة من ط، ك.
(٧) (هو) ساقطة من ط.

فإن قلتم[1]: لا يلزمنا ذلك لأنه قادر بنفسه عزيز بنفسه، قلنا لكم وكذلك، فقولوا[2]: إنه حي بنفسه، وناطق بنفسه[3]، ولا بد لكم مع ذلك من إبطال التثليث أو إثبات التخميس[4]، وإلاَّ فما الفرق، وهيهات من فرق.

وقال الحسن بن أيوب ـ أيضاً: إنا كلما تأملنا معكم في نسبة[5] المسيح ـ عليه السلام ـ إلى الإلٰهية وعبادتكم له مع الله على الجهة التي تذهبون إليها، وطلبنا لكم الحجة في ذلك من كتبكم، ازددنا بصيرة في استحالة ذلك، ووضعكم له من القول ما لا يثبت لكم به حجة ولا يشهد به لكم شيء من كتبكم، ووجدنا أبين ما جاء في المسيح وصحة أمره فيما أتى به ما قال «متى» التلميذ: (إنه لما جاء يسوع[6] إلى أرض قيسارية[7] سأل تلاميذه فقال: ماذا يقول الناس في أني ابن البشر؟ فقالوا: منهم من يقول: إنك يوحنا المعمداني، وآخرون يقولون: إنك أرميا أو أحد الأنبياء، فقال لهم يسوع: فأنتم ماذا تقولون؟ فأجابه سمعان الصفا، وهو رئيسهم، فقال: أنت المسيح ابن[8] الله الحق، فأجابه المسيح، وقال: طوبى لك يا سمعان ابن يونان، إنه لم يطلعك على

---

(١) في ط (قليم) بدلاً من (قلتم).

(٢) في هـ (تقولوا) بدلاً من (فقولوا).

(٣) (وناطق بنفسه) ساقطة من هـ.

(٤) في هـ (التجسيم) بدلاً من (التخميس).

(٥) في هـ، ك (نسب) بدلاً من (نسبة).

(٦) في هـ، ك (أيسوع) بدلاً من (يسوع).

(٧) قيسارية: تسمى قيصرية فليبي في شرق فلسطين عند سفح الحرمون (جبل الشيخ) بناها فيليب حاكم تلك المنطقة وزارها المسيح.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤١٢.

(٨) (ابن) مكررة في ط.

هذا لحم ولا دم، ولكن أبي الذي السماء)[1].

وحكى لوقا في إنجيله هذا الخبر فقال: إن سمعان أجابه فقال: (أنت مسيح الله)[2]، ولم يقل ابن الله، فهذا كلام تلميذه الرئيس فيه وأرضاه ما قال.

وقوله: إنه لم ينطق بذلك إلاَّ ما أوحاه الله في قلبه ولم ندفعكم قط عن أنه مسيح الله، ولا عن أنه كما تقولون[3] في لغتكم أنه ابن الله[4] بالرحمة والصفوة[5] مع هذا[6] الاختلاف الواقع في ذلك في الإنجيلين، وقد قال: مثل ذلك فيكم جميعاً (إن الله إلٰهي وإلٰهكم وأبي وأبيكم[7])[8] فنعمل[9] على احتجاجكم بأنه ليس مثلكم[10] في معنى

(١) في إنجيل متى ــ الإصحاح السادس عشر ما يلي: (١٣ ــ ولما جاء يسوع إلى نواحي قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلاً من يقول الناس أني أنا ابن الإنسان.
١٤ ــ فقالوا قوم يوحنا المعمدان وآخرون إيليا وآخرون أرميا، أو واحد من الأنبياء.
١٥ ــ فقال لهم وأنتم من تقولون أني أنا. ١٦ ــ فأجاب سمعان بطرس وقال: أنت هو المسيح ابن الله الحي. ١٧ ــ فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك يا سمعان ابن يونان إن لحماً ودماً لم يعلن لك ولكن أبى الذي في السماوات).
انظر: العهد الجديد ص ٣٠.

(٢) في إنجيل لوقا ــ الإصحاح التاسع: (٢٠ ــ فأجاب بطرس وقال: مسيح الله).
انظر: العهد الجديد ص ١٠٨.

(٣) في هـ (أن يقول) بدلاً من (أنه كما تقولون).

(٤) لفظ الجلالة (الله) ساقط من هـ.

(٥) في ط (الصفوة) بسقوط (و).

(٦) (وهذا) ساقطة من ط، ك.

(٧) في هـ، ك (وأبوكم) بدلاً من (وأبيكم).

(٨) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ١٣٤.

(٩) في ط (فتعمل) بدلاً من (فنعمل).

(١٠) (مثلكم) ساقطة من ك.

البنـوة[١] ونجعله مثـل من سمى في الكتب ابنـاً على جهـة الاصـطفـاء والمحبـة مثـل إسـرائيـل وغيـره بـل قـد خص إسـرائيـل[٢] بـأن قـال ـ عز وجل ـ : (أنت ابني بكري)[٣] وهذا[٤] كـلام له مـذهب في اللغة القـديمة التي جـاءت بهـا الكتب، وليست بمـوجبـة الإلٰهيـة إذ كـان قـد شاركه[٥] في هذا الاسم غيره فلم لا جعلتموه كما جعل نفسه؟

ومما يؤكد المعنى في ذلك، ويزيل تأويل من يتأوله له ما لم يدعـه ولم يرض به قوله في علم الساعة. (أن ذلـك شيء[٦] لا يعلمه أحـد من الخلق ولا المـلائكة المقـربـون، ولا الابن ـ يعني نفسـه ـ إلّا الأب[٧] وحده)[٨]، ثم قال للرجل الذي أتاه فقال له: (أيها العـالم الصالـح، أي الأعمال خير لي، الذي تكون لي حياة إلى يوم الدين؟ فقال لـه: لم تقول لي صـالحاً، ليس الصـالـح إلاّ الله وحـده)[٩] فـاعتـرف لله بـأنـه واحـد لا شريك له ونفى عن نفسه، فلم يجعلهـا ـ ولا أحد من الخلق ـ أهـلاً لذلك.

وقوله للمرأة التي جاءته فقالت: (أنت ذلك النبـي الذي كنـا ننتظر مجيئه.

---

(١) في ط، ك (النبوة) بدلاً من (البنوة).
(٢) في هـ (يعقوب) بدلاً من (إسرائيل).
(٣) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ١٣٣.
(٤) في هـ (فهذا) بدلاً من (وهذا).
(٥) في هـ (يشركه)، وفي ك (شركه)، بدلاً من (شاركه).
(٦) في هـ، ك (شيئاً) بدلاً من (شيء).
(٧) في هـ، ك (الله) بدلاً من (الأب).
(٨) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ٤١٢.
(٩) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٤/ ١٢٩.

فقال لها المسيح: صدقت طوبى لك)[١]، ثم قال للشيطان[٢] حين اختبره فسامه أن يلقى نفسه من رأس الهيكل، فقال: (أمرنا أن لا نجرب الرب) ثم سامه أن يسجد له فقال: (أمرنا أن لا نسجد إلاَّ لله وحده، ولا نعبد سواه)[٣] ثم صلاته في غير وقت لله، وآخرها الليلة التي أخذته اليهود فيها، فإذا كان إلٰهاً كما زعمتم فلمن كان يصلي ويسجد؟

ثم قول الجموع الذين كانوا معه حين دخل أورشليم، وهي مدينة بيت المقدس، على الأتان لمن كان يسأله عن أمره لما راجت[٤] المدينة به: (هذا[٥] هو يسوع الناصري النبي الذي من الناصرة)[٦]، ثم قوله في بعض الإنجيل: (أخرجوا بنا من هذه المدينة فإن النبي لا يبجل في مدينته)[٧] وفي موضع آخر أنه قال: (لا يهان نبي إلاَّ في مدينته وفي بيته وأقاربه)[٨].

وقوله في بعض خطبه: (إن هذا الجيل السوء يريد آية وأنه

(١) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٤/١٢٧.
(٢) في ط (الشيطان) بدلاً من (للشيطان).
في إنجيل لوقا ــ الإصحاح الرابع: (٦ ــ . . . إذهب يا شيطان إنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد).
انظر: العهد الجديد ص ٩٦.
(٣) سبقت الإشارة إلى هذا النص.
(٤) في هـ، ك (رجت) بدلاً من (راجت).
(٥) (هذا) ساقطة من هـ، ك.
(٦) ورد في إنجيل متى (ارتجت المدينة كلها قائلة من هذا فقالت الجموع هذا يسوع النبي الذي من ناصرة) متى ٢١/١١.
انظر: العهد الجديد ص ٢٨.
(٧) ورد في إنجيل متى ٦٦١.
(٨) ورد في إنجيل متى ٦٦١.

لا يعطى[1] إلاَّ آية يونس[2]، كما كان يونس لأهـل «نينوى»[3]: (كـذلك يكون ابن البشر لهذا الجيل، رجـال نينوى)[4] يقـومون[5] في الـدين مع هـذا الجيل فيخصمـونهم لأنهم تـابـوا[6] على قـول يـونس النبـي، وإن ها هنا أفضل من يونس)[7].

ثم قول داود في نبوته عليه: (من هذا الرجل الذي ذكـرته وجعلتـه

---

(١) في هـ (يعطا) بدلاً من (يعطى).

(٢) يـونس: ابن متى ذو النون، صـاحب الحوت، ورد ذكـره في القرآن أكثـر من مـرة، وسميت سورة باسمه ــ من أنبياء بني إسرائيل ــ آمن بـه قومـه ثم انصرفـوا عنه، وفرّ إلى مركب مشحون فسقط منه فالتقمـه الحوت ولمـا صبر على بـلائه نجـاه الله ونبذه الحـوت بالعـراء وهو سقيم ــ أنبت الله فـوقه شجـرة من يقطين ــ ومـا أن برىء حتى أرسل إلى أقوام عديدين آمنوا بربهم وظفروا بنعمه.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٩٧.

(٣) نينوى: بلاد وقرى كانت بشرقي دجلة، كانت عند الموصـل في قديم الـزمان بعث الله تعالى إليهم يونس النبـي ــ عليه السلام ــ فـدعاهم إلى الله تعـالى فكذبـوه فخوفهم بعذاب الله في وقت معين وفارقهم فلما دنا ذلك الوقت وشاهدوا آثار العذاب خرجوا بـالنساء والـذراري إلى تل هنـاك في شرقي دجلة وكشفـوا رؤوسهم وتـابـوا وآمنـوا، فكشف الله عنهم العذاب، والتل باق إلى الآن ويسمى تل التـوبة، وقصتهم معـروفة في القرآن الكريم.
انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٤٧٧.

(٤) ما بين القوسين ساقط من ك، هـ.

(٥) في ط، ك (يقدمون) بدلاً من (يقومون).

(٦) في هـ، ك (تابو) بسقوط (ا).

(٧) في إنجيل «متى» الإصحاح الثاني عشر (٢٩ ــ فأجاب وقال لهم جيل شـرير وفـاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلاَّ آية يونان النبـي. ٤٠ ــ وإنه كما كـان يونـان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثـلاث ليال هكـذا يكون ابن الإنسـان في قلب الأرض ثلاثـة أيام وثلاث ليال. ٤١ ــ رجال نينوى سيقومون في الدين مع هـذا الجيل ويـدينونـه لأنهم تابوا بمناداته يونان، وهو ذا أعظم من يونان ههنا).
انظر: العهد الجديد ص ٢٢.

دون الملائكة قليلاً)[1]، ثم قول تلاميذه فيه ما شرحناه في صدر كتابنا هذا ما تقدم ووصفهم أنه رجل أتى من عند الله بالأيدي والقوة[2].

ومما يشبه ذلك أنه لما قدم تلامذته[3] فركبوا السفينة، وقال لهم: (امضوا فإني ألحق بكم فأتاهم يمشي على البحر فلما رأوه في تلك الحال قالوا: ما هذا الحال ويح، ومن الغرق صاحوا، فقال لهم يسوع: اطمئنوا ولا تخافوا أنا هو، فأجابه شمعون الصفا، وقال له: يا رب إن كنت أنت هو فاذن لي آتيك على الماء، فقال له: تعال فنزل سمعان إلى الماء ليمشي عليه، فلم يستطع وجعل يغرق، فصاح، وقال: يا رب أغثني فبسط يده يسوع فأخذه، وقال له: لم[4] تشككت يا قليل الأمانة؟)[5] قال: فبان بذلك عجز المسيح عن إتمام ما سأله شمعون الصفا، ومثله أمر الرجل الذي قال ليسوع خبر ابنته وما ينالها من الشيطان، وأنه قد[6] قدمها إلى تلاميذه، فلم يستطيعوا أن يخرجوه، وقد كان جعل لهم ذلك وغيره فأخرجه هو منها[7].

وقال في الإنجيل، وهو يذكر الأمثال التي ضربها لرؤساء الكهنة أنهم لما سمعوها منه علموا أنها في شأنهم، فهموا أن يأخذوه، ثم فرقوا

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذا النص.

(٢) يشير هنا إلى مقالة شمعون الصفا رئيس الحواريين.
وقد سبقت الإشارة إلى ذلك ٤/ ١٣٢.

(٣) في ط (تلاميذته) بدلاً من (تلامذته).

(٤) (لم) ساقطة من ط.

(٥) انظر: العهد الجديد ــ إنجيل متى ــ الإصحاح الرابع عشر ــ ص ٢٧.

(٦) (قد) ساقطة من هـ، ك.

(٧) هذه القصة مذكورة في إنجيل لوقا ــ الإصحاح التاسع ــ ص ٧٢ ــ لكنه بلفظ الابن وليست ابنه.

من الجموع لأنهم[1] كانوا ينزلونه[2] مثل النبـي)[3].

وقـال في الإنجيل؟ (لمـا جاءتـه أم ابني زنـدا[4]، وكـانت[5] من تلامذته مع ابنيها، فقال لها: ما تـريدين؟ قـالت: أريد أن تجلس !ابنـاي أحدهما عن يمينك والآخر عن شمـالك في ملكـوتك، فقـال: ليس إلى ذلك سبيل، لأنه ليس لي أن أعطيه، ولكن من وعد له من[6] أبـي)[7].

قال الحسن بن أيوب: فما يكون يا هؤلاء أفصح وأبين وأوضح من اجتمـاع هـذه الشـواهـد لكم في كتبكم، مـا رضيتم بقـولـه في نفسـه، ولا بقـول تلامـذته فيـه، ولا بقول من تنبـأ[8] عليـه من الأنبيـاء، ولا قـول جموعه الذين تولوه[9] لمن سألهم من مخـالفيهم عنه وتـركتم ذلك كله،

---

(١) في ط (لأنها) بدلاً من (لأنهم).

(٢) في هـ، ك (يتولونه) بدلاً من (ينزلونه).

(٣) في إنجيـل متى ــ الإصحاح الحـادي والعشرون: (٤٥ ــ ولمـا سمع رؤسـاء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم. ٤٦ ــ فإذا كانوا يطلبون أن يمسكوه خافـوا من الجموع لأنه كان عندهم مثل نبـي).
انظر: العهد الجديد ص ٤٠.

(٤) في هـ، ك (زيدا) بدلاً من (زندا).

(٥) في هـ، ك (وكانا) بدلاً من (وكانت).

(٦) (من) ساقطة من ط، ك.

(٧) في إنجيل متى ــ الإصحاح العشـرون: (٢٠ ــ حينئذٍ تقـدمت إليه أم ابن زبـدي مع ابنيهـا وسجدت وطلبت منـه شيئاً. ٢١ ــ فقـال لها: مـاذا تريـدين قالت لـه قـل أن يجلس ابناي هذان واحداً عن يمينك والآخر عن اليسار في ملكوتك. ٢٢ ــ فـأجاب يسوع: وقال لستما تعلمان ما تطلبان أتستطيعان أن تشربا التي سوف أشـربها أنـا وأن تصـطبغان بـالصبغة التي أصبـغ بهـا أنـا تصـطبغـان، وأمـا الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلَّا للذين أعدّ لهم من أبـي).
انظر: العهد الجديد ص ٣٦.

(٨) في هـ (نبأ) بسقوط (ت).

(٩) في هـ (قولوه) بدلاً من (تولوه).

وأخذتم بآراء قوم تأولوا لكم على علمكم بأنهم[1] قد اختلفوا أيضاً في الرأي، فقال كل قوم في المسيح ما اختاروا، واتبع كلًّا منهم[2] طائفةٌ قالوا بقولهم، ثم سلك من بعدهم[3] سبيل الآباء في الاقتداء بهم[4].

فبينوا لنا حجتكم في ذلك، وهيهات من حجة، ونحن نستوهب الله العصمة والتوفيق منه.

قال[5]: ومما يشبه ما تقدم قوله لتلاميذه في إنجيل لوقا: (فأما أنتم الذين صبرتم معي في[6] بلائي وتجاربي[7]، فإني أعدكم كما وعدني أبي الملكوت لتأكلوا[8] وتشربوا معي على مائدتي في ملكوتي)[9]، فبين أن الله ــ عز وجل ثناؤه ــ[10] وعده أن يجعله في ملكوت السماء يأكل ويشرب مع تلاميذه على مائدته، وهذا ما لا شك[11] لكم[12] فيه، وهو مخالف لقولكم فيما يصير إليه، وفي الأكل والشرب

---

(١) في ط (فإنهم) بدلاً من (بأنهم).

(٢) في ط، ك (كلامهم) بدلاً من (كلًّا منهم).

(٣) في هـ (بعد) بسقوط (هم).

(٤) في هـ، ك (افتراقهم) بدلاً من (الاقتداء بهم).

(٥) يعني الحسن بن أيوب.

(٦) في هـ، ك (مع) بدلاً من (معي في).

(٧) في ط (مخازي)، في هـ، ك (محاربي). وقد صححتها من النص في الإنجيل.

(٨) (لتأكلوا) ساقطة من هـ.

(٩) وجدنا في إنجيل لوقا ــ الإصحاح الثاني والعشرون: (٢٨ ــ أنتم الذين ثبتوا معي في تجاربي. ٢٩ ــ وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي).
انظر: العهد الجديد ص ١٣٧.

(١٠) في ط (ــ عزّ وجل ثناؤه ــ) بزيادة (عزّ و).

(١١) في هـ (يشك) بزيادة (يـ).

(١٢) (لكم) ساقطة من هـ.

والنعيم هناك، ثم قوله لشمعون حين أتته الجموع فأخذوه: (أم تظن[1] أني لست قادراً أن أطلب إلى أبي فيقيم لي اثني عشر جنداً من[2] ملائكته[3] أو أكثر، ولكن: كيف تتم[4] الكتب أنه[5] هكذا ينبغي أن يكون)[6] ولم يقل: إني قادر أن أدفعهم عن نفسي، ولا أني آمر الملائكة أن يمنعوا عني، كما يقول من له القدرة والأمر.

قال: ونجدكم تقولون في المسيح ـ عليه السلام ـ: إنه مولود من أبيه أزلي ويجب على المدعي القول أن يثبت الحجة فيه، ويعلم[7] أنه مطالب بإيضاحها لا سيما في مثل هذا الخطب الجليل الذي لا يقع التلاعب به، ولا تجترىء النفوس على ركوب الشبهات فيه، والويل الطويل لمن تأول في ذلك تأويلاً لا حقيقة له، فإنه يهلك نفسه، ومن كان من الناس معه ممن يتبع قوله، إن كان هذا الابن أزلياً على ما في شريعة إيمانكم، فليس هذا بمولود، وإن كان مولوداً فليس بأزلي، لأن اسم الأزلية إنما يقع على من لا أول له ولا آخر.

ومعنى المولود أنه حادث مفعول، وكل مفعول فله أول، فكيف

---

(١) في ط (يظن) بدلاً من (تظن).
(٢) (من) ساقطة من ك، هـ.
(٣) في هـ (ملائكة) بدلاً من (ملائكته).
(٤) في ط، ك (يتم) بدلاً من (تتم).
(٥) في هـ (أن) بدلاً من (أنه).
(٦) في إنجيل متى ـ الإصحاح السادس والعشرون: (٥٣ ـ أتظن أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدم لي أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة. ٥٤ ـ فكيف تكمل الكتب أنه هكذا ينبغي أن يكون).
انظر: العهد الجديد ص ٥٠.
(٧) (ويعلم) ساقطة من ك.

ما[1] أردتم القول فيه كان[2] بطلان الشريعة.

قال: ونسألكم أيضاً عن واحدة لم سميتم الأب أباً، والابن ابناً، فإنه إن كان[3] وجب للأب اسم الأبوة لقدمه فالابن أيضاً يستحق هذا الاسم بعينه إذ كان قديماً مثله. وإن كان الأب عالماً عزيزاً فهو أيضاً عالم عزيز تشهد[4] شريعة الإيمان له بذلك في قولها: إنه خلق الخلائق كلها، وأتقنت على يده وأنه نزل لخلاصكم، ومن قدر على ذلك لم يكن إلَّا عالماً عزيزاً، فهذه المعاني التي ذكرناها تبطل اسم الأبوة والبنوة، وفي إبطالها بطلان الشريعة التي تقول: ولد من أبيه، وإلَّا فإن كان الأب والابن متكافئين في القدم والقدرة، فبأي فضل وسلطان للأب، عليه أمره ونهاه، فصار الأب باعثاً والابن مبعوثاً والأب متبوعاً مطاعاً والابن تابعاً مطيعاً.

ومما يشهد بصحة قولنا وبطلان ما تأوله أولوكم في عبودية المسيح أن «متى»[5] التلميذ حين بنى كتابه الإنجيل[6] أول ما ابتدأ به أن قال: كتاب مولد يسوع المسيح ابن داود بن إبراهيم[7] فنسبه إلى من كان منه على الصحة، ولم يقل: إنه ابن الله، ولا إنه إلّه من إلّه، كما يقولون: فإن قلتم إن تسمية يسوع للناسوت الذي قد جعلتموه حجة بينكم وبين

---

(١) في هـ، ك (بما) بزيادة (بـ).
(٢) في هـ، ك (كان فيه) بزيادة (فيه).
(٣) في ك (فإن كان) بدلاً من (فإنه إن كان).
(٤) في ط (تشهد له) بزيادة (له).
(٥) في هـ، ك (متا) بدلاً من (متى).
(٦) (الإنجيل) ساقطة من هـ، ك.
(٧) في إنجيل متى ــ الإصحاح الأول: (ابتدأ التلميذ متى بتعريف المسيح ــ عليه السلام ــ بقوله: كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود بن إبراهيم ولد إسحاق).
انظر: العهد الجديد ص ٣.

كل من التمس الحجة منكم، عند الانقطاع فيما يعترف به للمسيح من العبودية، فقد نسق متى[1] على اسم يسوع الذي هو عندكم اسم[2] للناسوت المسيح، الذي هو جامع الناسوت واللاهوت، فأي حجة في إبطال هذا التأويل أوضح من هذا.

ومما يصحح قولنا ويؤكده قول جبريل الملك لمريم عند مخاطبته إياها: إنه ابن داود على ما ثبت من ذلك في الإنجيل.

قال: ووجدناكم قد ذكرتم في شريعة الإيمان أن يسوع المسيح بكر الخلائق، فإن كنتم ذهبتم في ذلك إلى أنه على نحو ما يسمى أول ولد الرجل وكبيرهم فجائز، وهو محقق لقولنا في عبوديته، وإن كنتم أردتم بذكر البكر أنه أول قديم، فلسنا نعرف للبكر معنى في لغة من اللغات إلَّا للأكبر من الإخوة، والأول من الولد، وبكر الخلائق لا يكون إلَّا من الخلائق.

كما أن بكر الرجل والمرأة لا يكون إلَّا من جنسهما، وباكورة الثمار لا تكون[3] إلَّا ثمرة، ولأن[4] من المحال أن يقول قائل بكر ولد آدم ملك من الملائكة، وكذلك من المحال أن يكون[5] بكر المصنوعات ليس بمصنوع وبكر المخلوقات ليس بمخلوق.

وقد قال الله ــ تعالى ــ[6] في التوراة: ــــــــــــــــ

---

(١) في هـ، ك (متا) بدلاً من (متى).
(٢) في هـ (أنتُم) بدلاً من (اسم).
(٣) في ط، ك (يكون) بدلاً من (تكون).
(٤) في هـ، ك (فلان) بدلاً من (ولأن).
(٥) (يكون) ساقطة من هـ، ك.
(٦) (ــ تعالى ــ) ساقطة من هـ، ك.
الحسن بن أيوب يحكي ما في التوراة على أنه كلام الله.

(يـا ابني بكـري)[1] أي إسرائيل، وقال في موضع آخر: (إنه نظر بنو الله إلى بنات الناس فشغفوا بهن)[2] فهل يوجب لآل إسرائيل إلهية بهذا القول؟

قال: وقلتم: إن المسيح ولد من أبيه قبل العوالم، وليس بمصنوع فليس يخلو الأب من أن يكون أولد شيئاً موجوداً أو غير مـوجود[3]. فـإن كان لم يزل موجوداً فإن الأب لم يلد شيئاً. وإن كان غير مـوجود، وإنمـا هو حادث لم يكن، فهو مخلوق كما قلنا.

قال: ومما يبين قولنا في خلق المسيح: أن هذا الاسم إنما وقع له لأنه مسح للنبـوة والخير، ومـاسحه[4] الله ــ تبـارك وتعالى ــ، وقـد قال داود في زبـوره قـولاً يشهـد على ذلـك بعينـه: (من أجـل هــذا البر مسحك الله إلّهك أكثر مما مسـح به نـظراءك)[5] فأبـان (داود بهذه الآيـة معنى المسح بإنجيله وأن ماسحه اللَّهُ إلّههُ)[6] وأنه مصطفى مكرم بـزيادة على نظرائه، وقال داود أيضاً في مزمور إحدى وثلاثين يخاطب الله: (من

---

(١) في هـ، ك (يسابق بكري) بدلاً من (يا ابني بكري).
وقد سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ٤٥٤.

(٢) في سفـر التكـوين ــ الإصحــاح السـادس: (أن أبنــاء الله رأوا بنـات النــاس أنهم حسنات، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا).
انظر: العهد القديم ص ١٠.

(٣) في ك (موجوداً) بزيادة (أ).

(٤) في هـ، ك (ومما يبيحه) بدلاً من (وماسحه).

(٥) في سفر المزامير ــ المزمور الخامس والأربعون: (٧ ــ من أجل ذلك مسحك الله إلّهـك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك).
انظر: العهد القديم ص ٨٦٤.

(٦) مـا بين القوسين كتب في هـ: (داود بهـذه الآية معنى المسيـح، فإن مـا مسحـه الله الإلّه).
وما بين القوسين ــ كـذلك ــ كتب في ك (داود) ومـا بعدهـا غير واضـح إلى قولـه: (الإلّه وأنه مصطفى...).

أجل داود عبدك لا يغلب وجه مسيحك[1] عهد الرب لداود بالحق، ولا يرجع عنه)[2] يعني بمسيحه نفسه لأن الله مسحه للنبوة والملك، وقد قال مثل هذا في غير موضع من زبوره فسمى[3] نفسه مسيح الله[4].

قال[5]: وإذا نظر في الإنجيل، وكتب «بولس»[6] وغيره، ممن يحتج به النصارى، وجد نحواً من عشرين ألف آية مما فيه اسم المسيح، وكلها تنطق بعبودية المسيح، وأنه مبعوث مربوب، وأن الله اختصه بالكرامات، ما خلا آيات يسيرة مشكلات قد تأولها كل فريق من أولئك الذين وضعوا الشريعة باختيارهم على هواهم، فأخذوا بذلك التأويل الفاسد[7]، وتركوا المعظم الذي ينطق بعبوديته، فلو كانوا قصدوا الحق لردوا تلك المشكلات الشاذة اليسيرة التي يوجد لها من التأويل خلاف ما يتأولونه على الواضحات الكثيرة التي قد بانت بغير تأويل، لأنه إنما يجب أن يقاس الجزء على الكل، ويستدل على ما غاب بما حضر، وعلى ما أشكل بما ظهر، فمن تلك الآيات المشكلات ما ذكرناه في

---

(١) في هـ (تسبيحك) بدلاً من (مسيحك).

(٢) في سفر المزامير ــ المزمور المئة واثنان وثلاثون: (١٠ ــ من أجل داود عبدك لا ترد وجه مسيحك أقسم الرب لداود بالحق لا يرجع عنه).
انظر: العهد القديم ص ٩٢٦.

(٣) في هـ (سما) بدلاً من (فسمى)، في ك (سمى) بسقوط (فـ).

(٤) في سفر المزامير ــ المزمور الأول: (٢؛ ــ قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معه (على الرب وعلى مسيحه).
انظر: العهد القديم ص ٨٣٤؛ والمزمور ٢٠ من العهد القديم ص ٨٤٥؛ والمزمور ٢٨ من العهد القديم ص ٨٥١.

(٥) (قال) ساقطة من ط.

(٦) انظر: نظم الجوهر ١/١١٦.

(٧) في هـ، ك (المفاسد) بدلاً من (الفاسد).

كتابنا هذا[1] وبينّا معناه والحجة فيه، وأنه ليس كما تأولوه.

ومنها ما يحكون[2] عن المسيح أنه قال: (أنا بأبي)[3]، وقد فسر المسيح ـ عليه السلام ـ ذلك، وكشفه، قال «يوحنا» في إنجيله: إن المسيح تضرع إلى الله في تلاميذه، وقال: يا أيها الرب القدوس احفظهم باسمك الذي أعطيتني ليكونوا هم أيضاً شيئاً[4] واحداً، كما أنا شيء واحد، وكما أنك أرسلتني إلى العالم، وكذلك أرسلهم أنا أيضاً، ثم قال بعد هذا أيضاً: إني قد منحتهم من المجد الذي أعطيتني ومنحتني، ليكونوا أيضاً شيئاً واحداً كما أنا شيء واحد، فأنابهم، وأنت بي)[5].

قال[6]: هو معنى ذلك أنه قال أنت معي وأنت[7] لي كما أنا مع تلاميذي ولهم.

قلت[8]: أو أراد أنك بي هديت الخلق وعلمتهم وأنا أهديهم

---

(١) يقصد رسالة الحسن بن أيوب.

(٢) في ط (يحكمون) بدلاً من (يحكون).

(٣) في إنجيل «يوحنا» الإصحاح السابع عشر: (١١ ـ أيها الآب القدوس في اسمك الذين أعطيتنا حفظتهم ولم يهلك منهم أحد إلاَّ ابن الهلاك ليتم الكتاب أما الآن فإني آتي إليك).
ثم قال في نفس الإصحاح: (١٢ ـ وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد. ٢٣ ـ أنا فيهم وأنت في، ليكونوا مكملين إلى واحد...).
انظر: العهد الجديد ص ١٨٠.

(٤) (شيئاً) ساقطة من ط.

(٥) انظر: هامش (٣) السابق.

(٦) يعني الحسن بن أيوب.

(٧) (معي وأنت) ساقطة من ط.

(٨) هذا الكلام لابن تيمية.

وأعلمهم[1] * والباء للسببية، فإن الله برسله هدى عباده وعلمهم *[2] والرسل علموا الغائبين عنهم، بالحاضرين[3] الذين بلغوا عنهم، وقوله ليكونوا شيئاً واحداً: أراد به اتفاق صدقهم وأمرهم ومرادهم، وهذا مفسر، وقد قال: ليكونوا هم[4] شيئاً واحداً، كما أنا شيء واحد. فقد طلب لهم مثل ما حصل له ولربه.

وهذا يبين أن قوله كما أنا شيء واحد * أي أنا موافقك[5] في أمرك ونهيك ومحبتك ورضاك، لم يرد بذلك اتحاد ذاته به *[6]، كما لم[7] يرد[8] أن تتحد ذوات بعضهم ببعض، فإنه[9] طلب لهم مثل ما حصل له من الموافقة لأمر الله ونهيه ومحبته ورضاه.

قال: أويكون ذهب فيه إلى معنى دقيق لا يعرفه، إلَّا أنه قد بطل على كل حال بهذا القول تأويلكم ممازجته ـ عز وجل ـ في اللاهوت بقوله في تلاميذه أنه[10] بهم، كما أن أباه به، لأنه إن تأول متأول في هذا المعنى أنه ذهب في[11] وصفه أنه[12] أبيه، وأن أباه به إلى مشاركته في

(١) في هـ (أعلمتهم) بدلاً من (أعلمهم).
(٢) ما بين النجمتين ساقط من ك.
(٣) في ط (فالحاضرين) بدلاً من (بالحاضرين).
(٤) (هم) ساقطة من هـ، ك.
(٥) في ط (موافق) بسقوط (ك).
(٦) ما بين النجمتين ساقط من هـ .
(٧) (لم) ساقط من ط .
(٨) في هـ (يدل) بدلاً من (يرد).
(٩) في هـ، ك (وإنه) بدلاً من (فإنه).
(١٠) في ك (إنهم) بدلاً من (إنه).
(١١) في ط (في بعض) بزيادة (بعض).
(١٢) (أنه) ساقطة من ط .

اللاهوت فقد قال في تلامذته مثل هذا القول، فيجب أن يكونوا على هذا القياس شركاء في المحل، وهذا ما لا يكون، ولا يجترىء على القول به أحد.

قال: ومن أعجب العجب أن تكون أمة كتابها ودعوتها[(١)] ومعبودها واحداً يتمسكون بأمر المسيح ـ عليه السلام ـ، وتلامذته، وإنجيله، وسنته وشرائعه، وهم مع ذلك مختلفون فيه أشد الاختلاف، فمنهم من يقول: إنه عبد، ومنهم من يقول: إنه إله، ومنهم من يقول: إنه ولد، ومنهم من يقول: إنه أقنوم وطبيعة، ومنهم من يقول: إنه أقنومان وطبيعتان.

وكل منهم[(٢)] يكفر صاحبه: ويقول: إن الحق في يده، وكلهم لا يأتي من الكتاب بحجة واضحة يثبت بها دعواه، ولا من قياسه لنفسه وتأوله بما يصح له عند المناظرة، وإنما يرجع في دينه واعتقاده إلى ما تأوله له[(٣)] المتأولون، بما يخالف إنجيلهم، وكتبهم بالهوى[(٤)] والعناد من بعضهم لبعض[(٥)]، فهم يشركون بالله على التأويل ولا شريك له، ويدعون له ولداً من جهة ما أحدثوا لأنفسهم، ـ سبحانه ـ أنى يكون له ولد!!![(٦)].

[(٧)]قال الحسن بن أيوب: وقد بيّنا الحجج في بطلان كل قول لكم

---

(١) في ط (وعبودتها) بدلاً من (ودعوتها).

(٢) (منهم) ساقطة من ط.

(٣) (له) ساقطة من ط.

(٤) في ك (بالهوا) بدلاً من (بالهوى).

(٥) (لبعض) ساقطة من ط.

(٦) هذه نهاية الجزء الثاني من الكتاب وفق تقسيم طبعة المدني، ويليه الجزء الثالث.

(٧) هذه بداية الجزء الثالث من الكتاب المطبوع ـ طبعة المدني ـ وكما يلاحظ ليس هنا مبرر لجعل التقسيم هنا، لأن الحديث متصل ببعضه ولذلك لم نقسمه وفق تقسيم المدني.

مما عقدتم به شريعة إيمانكم، ووجدنا قوماً منكم إذا نوظروا في ذلك قالوا: قد وجدنا أكثر الأديان يختلف أهلها فيها، ويتفرقون على مقالات شتى، هم عليها وكل منهم يدعي أن الصواب في يده.

وهذا أيضاً من سوء الاختيار[1]، وذهاب القلوب عن رشدها وانصرافها[2] عن سبيل حقها.

فلم يختلف أهل دين من الأديان في عقد معبودهم، ولا شكوا فيه ولا تفرقوا القول فيما اختاروه، إلَّا أهل ملل النصرانية فقط.

وسائر من سواهم إنما اختلفوا في فروع من فروع الدين وشرائعه، مثل اختلاف اليهود في أعيادهم وسنن لهم، ومثل اختلاف المسلمين في القدر.

فمنهم من قال به، ومنهم من دفعه.

وفي تفضيل قوم من أصحاب محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ على نظرائهم بعد اتفاق جماعتهم على إلَهِهم ومعبودهم وخالقهم، وأن[3] الله إلَه الخلق كلهم، واحد لا شريك له ولا ولد.

ثم اتفاقهم بعد ذلك على نبيهم محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، لا يشكون فيه، وعلى القرآن، وأنه كتاب الله المنزل على محمد المرسل، لا يختلفون فيه.

فإذا صح اتفاقهم على هذه الأصول، كان ما سواها خللاً[4] لا يقع معه كفر، ولا يبطل به دين.

---

(١) في ط، ك (الاختبار) بدلاً من (الاختيار).
(٢) في ط، ك (وانصرامها) بدلاً من (وانصرافها).
(٣) في هـ (أنه) بزيادة (هـ).
(٤) في ط (جللاً) بدلاً من (خللاً).

والبلاء العظيم الاختلاف في المعبود.

فلو أن قوماً لم يعرفوا لهم إلَهاً ولا ديناً، ثم عرض عليهم دين النصرانية، لوجب[1] أن يتوقفوا عنه، إذ كان أهله لم يتفقوا على شيء فيه.

ودل اختلافهم في مقالاتهم ومباينتها[2] ما[3] في كتبهم، على باطله.

فأما قولنا[4] في باب التوحيد، واعترافنا بوحدانية الله ــ تعالى ــ، ونفينا عنه الشركاء والأنداد والأمثال والأولاد، فهو قول لا يشكون في صحته، ولا يشك فيه أحد من أهل الكتب وسائر الملل ولا غيرهم من أهل القول بالدهر وسائر عبدة الأصنام والأوثان وكل منهم يقر به ويرجع إليه.

إلَّا أن منهم من يتابعنا على تحديد التوحيد. ومنهم من يدخل العلل فيه، بأن يقول: ثلاثة ترجع إلى واحد، وصنماً نعبده إجلالاً لله ليقربنا إلى ربنا وربه، ومدبر للأمور قديم لا بد أن نعترف به خالقها وباريها.

وكل منهم مقر بقولنا، وذاهب إلى مذهبنا على الاعتراف بالله على الجهة التي يذهب إليها وأنه واحد لا شريك له.

فقد صح عقدنا بلا شك منكم، ولا من أحد من الأمم فيه،

= ومعنى (جللاً): أي يسيراً، فكلمة «الجلل» من الأضداد، فيطلق على الأمر العظيم واليسير انظر: لسان العرب لابن منظور.

(١) في ط (وجب) بسقوط (لـ)، في ك (فوجب) بدلاً من (لوجب).

(٢) في ط، ك (وما بينها) بدلاً من (ما بينتها).

(٣) في ط (مما) بدلاً من (ما).

(٤) هذا من كلام الحسن بن أيوب يقصد به المسلمين.

ولا في شيء منه، بل تقودكم الضرورة إلى الإقرار به والاجتماع معنا عليه.

والحمد لله رب العالمين على توفيقه، وإياه نسأل أن يتم علينا فضله ويديم لنا[1] تسديده بقدرته، وأن يحيينا ويميتنا على الإسلام، غير مشركين ولا جاحدين ولا مبدلين، إنه على كل شيء قدير، وكل مستصعب عليه يسير، وهو بمن خافه واتقاه وطلب ما عنده ولم يلحد في دينه رؤوف رحيم. اهـ.

قلت[2]: هذا آخر ما كتبته من كلام الحسن بن أيوب وهو ممن كان من أجلاء علماء النصارى وأخبر الناس بأقوالهم، فنقله لقولهم أصح من نقل غيره.

وقد ذكر في كتابه من الرد على ما يحتجون به من الحجج العقلية والسمعية، وما يبطل قولهم من الحجج السمعية والعقلية[3]، ما يبين ذلك.

ونحن نذكر مع ذلك كلام من نقل مذاهبهم من أئمتهم المنتصرين لدين النصرانية، ونذكر ما ذكروه من حججهم، مثل ابن البطريق[4]،

---

(١) (فضله ويديم لنا) ساقطة من ط.

(٢) كلام المؤلف تعليقاً على آخر كلام الحسن بن أيوب.

(٣) في هـ (العقلية والسمعية) بتقديم وتأخير.

(٤) ابن البطريق: هو سعيد بن البطريق، طبيب ومؤرخ من أهل مصر ـ ولد بالفسطاط سنة ٢٦٣هـ، ٨٧٧م وأقيم بطريقاً في الإسكندرية وسمى أنتيشيوس سنة ٣٢١هـ.
وهو أول من أطلق اسم اليعاقبة على السريان الذين اتبعوا تعاليم يعقوب البرادعي المتوفى سنة ٥٧٨هـ، ولابن البطريق مؤلفات منها نظم الجوهر الذي رجع إليه شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الكتاب وله أيضاً الجدل بين المخالف والنصراني ـ مات بالإسكندرية سنة ٣٢٨هـ ٩٤٠م.
انظر: طبقات الأطباء ٨٦/٢؛ وآداب اللغة ٢٠٠/١؛ والأعلام للزركلي ١٤٤/٣.

بترك الإسكندرية، فإنه صنف كتابه الذي سماه «نظم الجوهر»[١] وذكر فيه أخبار النصارى ومجامعهم واختلافهم وسبب إحداثهم ما أحدثوه مع انتصاره لقول الملكية والرد على من خالفهم.

قال سعيد بن البطريق[٢] بطريرك[٣] الإسكندرية في تاريخه المعروف عند النصارى الذي سماه «نظم الجوهر»، وذكر فيه مبدأ الخلق وتواريخ الأنبياء والملوك والأمم وأخبار ملوك الروم وأصحاب الكراسي برومية[٤] وقسطنطينية[٥] وغيرهما، ووصف دين النصرانية، وفرق أهلها، وهو ملكي، رد على سائر طوائف النصارى، لما ذكر مولد المسيح[٦] ـ صلوات الله عليه ـ، وأنه ولد في عهد ملك الروم قيصر المسمى[٧] أغسطس[٨] لثنتين وأربعين سنة من ملكه، قال[٩]: وملك ستاً وخمسين سنة.

---

(١) **نظم الجوهر**: كتاب تاريخ كتبه سعيد بن البطريق، واسمه «كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق» إلى أخيه عيسى في معرفة التواريخ الكلية من آدم إلى الهجرة. طبع في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٥م.

(٢) في هـ، ك (ابن بطريق) بدلاً من (بن البطريق).

(٣) في ك (بطريوك) بدلاً من (بطريرك).

بطريرك: اسم يطلق على بعض الرؤساء الدينيين الذين تمتد سلطتهم إلى عدد من الأساقفة.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٣٣٨.

(٤) **رومية**: سيأتي التعريف بها ٤/ ١٩٧.

(٥) **قسطنطينية**: سبق التعريف بها.

(٦) **انظر**: تاريخ ابن البطريق ص ٨٦.

(٧) في هـ، ك (المسما) بدلاً من (المسمى).

(٨) **أغسطس**: ابن مونرخس قيصر روماني. هزم الجمهوريين عند فليبي وقهر الملوك.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٧٥؛ ونظم الجوهر ص ٨٧.

(٩) **انظر**: تاريخ ابن البطريق ص ٩٢.

قال[1]: وملك بعده ابنه «طيباريوس»[2] قيصر بـرومية، وللمسيـح خمس عشرة سنة.

وكان لقيصر هذا صديق[3] يقال له «بلاطس»[4] من قرية على شط البحر الذي تحت «قسطنطينية» ويسمى ذلك البحر «السطس»[5] ولـذلك يسمى[6] «بلاطس النبطي» فولاه على أرض «يهوذا»[7].

قال: وفي خمس عشرة سنة من ملك طيباريوس قيصر هذا[8] ظهر «يحيـى» ابن زكريا المعمداني، فعمد اليهود في الأردن لغفران الخطايا.

فجـاء المسيـح إلى يحيـى بن زكـريـا فعمـده يحيـى في الأردن،

---

(١) يعني ابن البـطريق، وقد نقـل منه الشيـخ كلامـاً كثيراً منـه شيء بـالنص ومنـه شيء بالمعنى، وقد قمنـا بـالمقارنـة فوجـدت النقل مـوافقاً في المعلومـات والشيخ يغفـل الأسمـاء في كثير الأحيـان وقد أثبتناها بالهامش نقلاً من تـاريخ ابن البـطريق. طبعـة بيروت ١٩٠٥م.

(٢) **طيباريوس**: قيصر ملك اثنتين وعشرين سنة وشهر.
انظر: نظم الجوهر ص ٩٣.

(٣) (صديق) ساقطة من هـ.

(٤) **بلاطس**: هو بيـلاطس النبطي صـديق القيصر طيبـاريوس، وبيـلاطي من جزيـرة في البحر بقرب رومية وتسمى بنطة.
انظر: نظم الجوهر ص ٩١.

(٥) في هـ، ك (البنطس) بدلاً من (السطس).
وهو بحر: بقرب رومية.
انظر: نظم الجوهر ص ٩١.

(٦) في هـ، ك (سمى) بسقوط (يـ).

(٧) **أرض يهوذا**: يهوذا الأردن.
انظر: السفر التـاسع عشـر ــ العهد القـديم ــ سفر يشـوع آية ٣٤ ــ وهي مـدينة في نفتالي لا يعلم سبب تسميتها بهذا الاسم وربما هي سيد يهوذا بقرب بنانياس.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٨٩.

(٨) (هذا) ساقطة من هـ.

ولسيدنا المسيح ثلاثون سنة، وذكر قصة قتل يحيى، وقصة الصلب المعروفة عند النصارى.

إلى أن قال[1]: وكتب «بلاطس» إلى «طيباريوس» الملك بخبر سيدنا المسيح وما تفعل تلاميذه من العجائب الكثيرة من إبراء المرضى وإحياء الموتى.

فأراد أن يؤمن بسيدنا المسيح ويظهر دين النصرانية فلم يتابعه أصحابه على ذلك. وملك اثنتين وعشرين سنة وستة أشهر.

وذكر أن في عصره بنيت مدينة «طبرية»[2] مشتقة من اسمه.

قال: وملك بعده قيصر[3] آخر أربع سنين وثلاثة أشهر، قتل بلاطس وولى شخصاً[4] كان شديداً على تلاميذ المسيح، وقتل رئيس[5] الشهداء والشمامسة، فرجم بالحجارة حتى مات.

وذكر أنه لقي التلاميذ من اليهود ومن الروم شدة شديدة، وقتل

---

(١) انظر: تاريخ ابن البطريق ٩٣/١ وما بعدها.

(٢) طبرية: مدينة بقرب دمشق بينهما ثلاثة أيام مطلة على بحيرة معروفة ببحيرة طبرية، وجبل الطور مطل عليها، بناها ملك من ملوك الروم اسمه طباري، وبها قبر لقمان الحكيم.
انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢١٧.

(٣) اسمه: عايبوس.
انظر: سعيد بن البطريق في تاريخه ٩٣/١.

(٤) اسمه: يوودس بن أرسطو بولس. ويسمى أغريان.
انظر: تاريخ ابن البطريق ٩٤/١.

(٥) اسمه: استفانوس.
انظر: تاريخ ابن البطريق ٩٤/١.

منهم خلق كثيرة، وأنه مات هذا وولى بعـده قيصر[١] آخـر، وفي[٢] زمنه وقع جوع ووبـاء، وفي زمنه كتب «متى» وبين إنجيله بـالعبرانيـة في بيت المقـدس، وفسره من العبـرانية[٣] إلى الـروميـة[٤] «يـوحنـا»[٥] صـاحب الإنجيل.

قال[٦]: وفي تسع سنين من ملكه كان «مـرقس» صاحب الإنجيـل بمـدينة الإسكنـدرية[٧] يـدعو النـاس إلى الإيمان بـالمسيـح، وأنـه أول شخص جعل بطريكاً على الإسكندرية[٨]، وأنـه صير معـه اثني[٩] عشر قسيسـاً وأمـرهم إذا مـات البـطريـرك أن يختـاروا واحـداً من الاثني[١٠]

---

(١) اسمه: قلوديوس.
انظر: تاريخ بن البطريق ١/٩٤.
(٢) في ك (المخزومي في) بدلاً من (وفي).
(٣) في هـ (بالعبرانية).
(٤) في تاريخ ابن البطريق: (اليونانية).
(٥) في هـ، ك (يحنا) بدلاً من (يوحنا).
(٦) انظر: تاريخ ابن البطريق ص ٩٥.
(٧) **الإسكنـدرية**: هي المـدينة المشهـورة بمصر ـ اختلفـوا في بانيهـا ـ قيل الإسكنـدر الأول ـ وهـو ذو القرنين ـ وقيـل: دار ابن بنت الفيلسوف الـرومي ـ وكانت قـديمـاً مدينة من بناء شداد بن عاد ـ كان بهـا آثار العمـارة والأسطوانـات الحجريـة ـ حتى قالوا: إنها تتحرك بحركة الشمس، وكانت مجمع الحكماء.
انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ١٤٣.
(٨) المذكور في تاريخ ابن البـطريق الذي بين أيـدينا الآن أن (حنـانيا) الإسكـافي الذي عمده مرقس بالإسكندرية هو الذي جعل أول بطريرك لها وليس كما ذكر المؤلف هنا بأن مرقس هو أول بطريرك لها.
وعلى هذا يكون هنـا كلام سـاقط هو (حنـانيا الإسكـافي) بعد كلمـة (جعل) ويـظهر صحة كلامنا بعد صفحة من هنا عند قوله في الصفحة بعد التالية: ومن حنانيـا الذي أصلحه مرقس البشير...
(٩) في هـ، ك (الاثنا) بدلاً من (اثني).
(١٠) في هـ، ك (الاثني) بدلاً من (الاثنا).

عشر قسيساً، ويضع الاثنا عشر قسيساً[١] أيديهم على رأسه ويباركونه ويصلحونه بطريركاً[٢]، ثم يختارون رجلاً فاضلاً قسيساً ويصيرونه معهم بدل القسيس الذي أصلحوه بتركاً ليكون اثني عشر أبداً.

فلم يزل رسمهم بالإسكندرية على هذا إلى زمن الثلاثمائة وثمانية عشر[٣].

فأمرهم بطريرك الإسكندرية الذي كان من جملة الثلاثمائة وثمانية عشر أن لا[٤] يفعل هذا فيما بعد، ومنع[٥] أن يصلح الأقساء البترك، بل[٦] يختاروا من أي بلد كان، رجلاً فاضلاً، وإذا مات البترك، اجتمع الأساقفة فأصلحوا البترك من أي بلد كان من أولئك الأقسة، أو من غيرهم.

فانقطع الرسم الأول من إصلاح الأقساء البترك، وجعل التيسير لهم في إصلاح البترك بابا، ثم سمى بترك الإسكندرية باباً[٧]، ومعناه الجد.

---

(١) (قسيساً) ساقطة من ك، ط.

(٢) في هـ (بطريكاً) بدلاً من (بطريركاً).

(٣) المقصود بزمن الثلاثمائة وثمانية عشر سنة: مجمع نيقيه، وهي ثلاثمائة وخمس وعشرين ميلادية.

انظر: كتاب أقانيم النصارى ـ أحمد حجازي السقا ـ ص ٥٩ ـ طبعة دار الأنصار القاهرة ـ سنة ١٣٩٧هـ.

(٤) (لا) ساقطة من هـ، ك.

(٥) في هـ، ك (منع) بسقوط (و).

(٦) ف هـ، ك (وأن) بدلاً من (بل).

(٧) في هـ، ك (باباپا) بدلاً من (بابا).

ومن حنانيا[1] الذي أصلحه مرقس البشير[2] إلى حادي عشر بطركاً بالإسكندرية لم يكن في عمل مصر أسقف، ولم يكن البطاركة قبله أصلحوا أسقفاً، وأن العامة لما سمعت الأساقفة يسمون البطريرك أباً قالوا: إذا كنا نحن نسمي الأسقف أباً، والأسقف يسمى البطريك أباً، فيجب علينا أن نسمي البطريرك بابا (أي الجد) إذ[3] كان أباً لأبينا، فسمي بطريرك[4] الإسكندرية من وقت «هرقل» بابا (أي الجد).

قال[5]: وخرج مرقس إلى «برقة»[6] يدعو الناس إلى الإيمان بالسيد المسيح، ومات قلوديوس[7] قيصر، وملك بعده ابنه «ناورن»[8] ثلاث عشرة سنة.

قال: وهو أول من أهاج[9] على النصارى الشر والبلاء والعذاب.

قال: وفي عصره كتب «بطرس»[10] رئيس الحواريين الإنجيل

---

(١) انظر: تاريخ ابن البطريق ١/٩٦.
وانظر: الصفحة قبل السابقة، هامش (٨).

(٢) في هـ، ك (البشير مرقس) تقديم وتأخير.

(٣) في ط (إذا) بزيادة (أ).

(٤) في هـ، ك (بطريك) بدلاً من (بطريرك).

(٥) انظر: تاريخ ابن البطريق ١/٩٦.

(٦) برقة: اسم يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية واسم مدينتها أنطابلس، وتفسيره الخمس مدن، وقال بطليموس طول مدينة برقة ثلاث وستون درجة وعرضها ثلاث وثلاثون درجة.
انظر: معجم البلدان ١/٣٨٨.

(٧) في ط (فلوريوس) بدلاً من (قلوديوس).

(٨) في ط، ك (بارون) بدلاً من (ناورن).

(٩) في هـ، ك، ط (هاج) بسقوط (أ).
في تاريخ ابن البطريق (أهاج) ص ٩٦.

(١٠) سبقت الإشارة إليه ص ٤/ ١٣٢.

(إنجيل مرقس) عن مرقس بمدينة رومية، ونسبه إلى مرقس.

قال: وفي عصر هذا الملك كتب «لوقا» إنجيله بالرومية[1] إلى رجل شريف من عظماء الروم يقال له «فوفيلا»[2] فكتب له أيضاً الأبركسس[3] الذي فيه أخبار التلاميذ.

وقد كان لوقا البشير صاحب «بولس الرسول»[4] يقول في بعض رسائله أن «لوقا» الطبيب يقول: «عليكم السلام»[5].

وقال[6]: وأخذ ثارون قيصر لبطرس فصلبه منكساً، ثم قتله، لأن بطرس قال له: إن أردت أن تصلبني فاصلبني منكساً لئلاً أكون مثل سيدي المسيح فإنه صلب قائماً، وضرب عنق بولس الرسول بالسيف.

وأقام بطرس بعد صعود المسيح اثنين وعشرين سنة.

---

(١) في تاريخ ابن البطريق (باليونانية).

(٢) في نظم الجوهر (ثاوثيلا) ص ٩٦.
وهو: رجل شريف من علماء الروم كتب لوقا له إنجيله، واسمه (تاوفيلا).
انظر: محاضرات في النصرانية ــ محمد أبو زهرة ص ٤٩.

(٣) **الأبركسس**: الأبركسيس الذي هو أخبار التلاميذ وهي الرسالة المسماة أعمال الرسل وقد كتبها لوقا إلى ثاوفيلا.
انظر: محاضرات في النصرانية ــ محمد أبو زهرة ص ٤٩.

(٤) **بولس الرسول**: كان اسمه العبري (شاول) أي (المطلوب) ولد في طرسوس في ولاية كيليكية من أعمال الأمبراطورية الرومانية وكان أبوه فريسياً من سبط بنيامين ــ ذا كفاءة علمية ــ له رحلات تبشيرية كان من نتائجها نشر الإنجيل وله رسائل كثيرة ــ قاد عبادة المسيحيين في كل أقطار العالم ــ مات سنة ٦٧ أو ٦٨م.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٧.

(٥) في تاريخ ابن البطريق نسب هذا القول لبولس ولم ينسب إلى لوقا كما هو أعلاه.

(٦) في هـ، ك (قال) بسقوط (و).
انظر: تاريخ ابن البطريق ٩٧/١.

قال: وكان مرقس صاحب الإنجيل بالاسكندرية، وبرقة يدعو الناس إلى الإيمان، فأقام[1] سبع سنين.

وفي أول سنة من ملك نارون قيصر قتل مرقس بالإسكندرية، وأحرق جسده بالنار، وذكر بعده عدة قياصرة[2]، وذكر أن طيطس[3] خرب البيت المقدس بعد المسيح بسبعين سنة بعد أن حاصرها، وأصاب أهلها جوع عظيم، وقتل كل من كان فيها من ذكر وأنثى، حتى كانوا يشقون بطون الحبالى، ويضربون بأطفالهم الصخور.

وخرب المدينة والهيكل، وأضرم بها النار[4]، وأحصى القتلى على يديه فكانوا ثلاثة آلاف ألف[5].

وذكر عدة قياصرة بعد ذلك وأنه ولي واحد منهم خمس عشرة سنة، يقال له: «ذوما طيانوس»[6] وكان شديداً جداً على اليهود، وأنه بلغه أن النصارى يقولون أن المسيح ملكهم وأن ملكه إلى الدهر.

فغضب غضباً شديداً، وأمر بقتل النصارى، وأن لا يكون في ملكه نصراني.

---

(١) في هـ، ك (أقام) بسقوط (ف).

(٢) هم: غلياس، أنون، نبطاليوس، وأسباسيانوس.

(٣) في هـ (قسطنطين) بدلاً من (طيطس).
طيطس: هو ابن للقيصر أسباسيانوس، ضم إليه أبوه عسكراً كثيراً ووجهه إلى بيت المقدس فحاصرها سنتين إلى أن فتحها وخربها.
انظر: تاريخ ابن البطريق ١/٩٨.

(٤) في هـ، ك (وضربهما بالنار) بدلاً من (وأضرم بهما النار).

(٥) انظر: تاريخ ابن البطريق ١/٩٨.

(٦) **ذوما طيانوس**: هو الابن الثاني للقيصر أسباسيانوس، وهو أخ لطيطس الذي خرب بيت المقدس.
انظر: تاريخ ابن البطريق ١/٩٩.

وكان «يوحنا» صاحب الإنجيل هناك، فسمع بهذا فخاف وهرب إلى أفسس[١].

[٢] ثم إنه[٣] أمر بإكرامهم وترك الاعتراض عليهم.

ثم تولى بعده قيصر[٤] آخر[٥] سنة وبعض أخرى، ثم ملك آخر بعده[٦] تسع عشرة سنة يسمى طرايانوس[٧].

قال[٨]: وهذا الملك أثار على النصارى بلاء عظيماً وحزناً طويلاً، وقتل شهداء كثيرة، وقتل بطريرك[٩] إنطاكية برومية، وقتل أسقف[١٠] بيت المقدس وصلبه وله مائة وعشرون سنة، وأمر أن يستعبد النصارى، إذ ليس لهم دين ولا شريعة.

---

(١) **أفسس**: هي أفسوس ــ بلد بثغور طرسوس يقال أنه بلد أصحاب الكهف.
انظر: معجم البلدان ١/٢٣١.

(٢) هنا كلام ساقط يقدر بأربعة أسطر تقريباً ذكره ابن البطريق كسبب لإكرام الملك ذوما طيانوس للنصارى.
انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١٠٠.

(٣) (أنه) ساقطة من هـ.

(٤) اسمه: (ناروواس) وقيل: (برسطيوس).
انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١٠٠.

(٥) (قيصر آخر) ساقطة من هـ، ك.

(٦) في ط (بعض) بدلاً من (بعده).

(٧) **طرايانوس**: اسمه (طرابيانوس) قيصر ــ المسمى ــ (أندريانوس).
انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١٠٠.

(٨) انظر: المصدر السابق.

(٩) اسمه: (أغناطيوس).
انظر: المصدر السابق.

(١٠) اسمه: (سمعان بن أكلاديا).
انظر المصدر السابق.

فلشدة ما استعبد النصارى، وغلظ ما نالهم من القتل، رحمتهم الروم وشهد وزراء الملك عنده أن النصارى لهم شريعة ودين، وأنه لا يحل أن يستعبدوا، فكف عنهم الأذية.

قال: وفي عصره كتب «يوحنا» إنجيله بالرومية في جزيرة يقال لها: «تيمرا»[١] من أرض الروم من أرض «أثينة»[٢] في عصر رجل من عظماء الروم فيلسوف يقال له «مومودس»[٣].

قال[٤]: وفي ذلك العصر رجع اليهود إلى بيت المقدس.

فلما كثروا وامتلأت منهم المدينة عزموا على[٥] أن يملكوا منهم ملكاً، فبلغ الخبر «طيباريوس قيصر»[٦] فوجه بقائد من قواده بجيش عظيم إلى بيت المقدس فقتل من اليهود ما لا يحصى كثرة.

---

(١) في هـ (سمرا)، وفي ك (سموا) بدلاً من (تيمرا).
وفي تاريخ ابن البطريق: (بطمس)، (تيمرا) جزيرة في أرض الروم.

(٢) في هـ (ايثينية) بدلاً من (أثينة).
في ك (اتته) بدون تنقيط.
في تاريخ ابن البطريق: (آسيا).
سبق التعريف بها.

(٣) في تاريخ ابن البطريق (كومودس).

(٤) انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١٠١.

(٥) (على) ساقطة من ط، ك.

(٦) في ك (طيبارنوس) بدلاً من (طيباريوس).
وفي تاريخ ابن البطريق (طرابيانوس).
وهو: طيباريوس بن أوغسطس قيصر ـ الذي ملك بعد أبيه وكان برومية وفي أثناء ملكه ظهر يوحنا الذي كان يعمد في الأردن.
انظر: نظم الجوهر ١/٩١.

قال: وخرج على قيصر هذا خارجي[1] مقاتل[2] ببابل[3]، فخرج إليه بنفسه فوقعت بينهم حرب شديدة، وقتل من الفريقين خلق عظيم[4]، وقتل قيصر في الحرب.

وملك بعده (اندريانوس[5] قيصر) عشرين سنة فخرج إلى ذلك الخارجي ببابل فهزمه، وصار إلى مصر فلقى منه أهل مصر شدة شديدة، وأخذ الناس بعبادة الأصنام، وقتل من النصارى خلقاً كثيراً، [6] وأصاب «إيليا»[7] ابنه علة في بدنه فكان ينفذ إلى البلدان يطلب شفاءً لعلته، فوصفوا له بيت المقدس.

فلما وافاها، رآها خراباً ليس فيها أحد إلَّا كنيسة للنصارى فأمر[8] أن تبنى المدينة وتحصن بحصن قوي.

فلما سمع اليهود أقبلوا من كل بلد وكل مدينة. فما كان إلَّا زمان قليل[9] حتى امتلأت منهم المدينة فلما كثروا

(١) لم يذكر ابن البطريق في تاريخه اسماً لهذا الخارجي.

(٢) (مقاتل) ساقطة من هـ، ك.

(٣) **بابل**: سبقت الإشارة إليها ٣/ ٣٥٣.

(٤) في هـ (كثير) بدلاً من (عظيم).

(٥) **أندريانوس**: اسمه: إيليا أندريانوس قيصر.
انظر: نظم الجوهر ص ١٠١.

(٦) هنا سقط كلام يقارب سطراً ونصف.
انظر: تاريخ ابن البطريق ١/ ١٠١.

(٧) في تاريخ ابن البطريق ذكر (إيليا) كلقب للقيصر أندريانوس، وهنا أشار المؤلف ـ رحمه الله ـ في نقله إلى أنه اسم لابن القيصر.
انظر: المصدر السابق.

(٨) في هـ، ك (أمر) بسقوط (ف).

(٩) في هـ (قليل إلَّا) بزيادة (إلَّا).

ملكوا عليهم ملكاً[1].

فاتصل الخبر بإيليا بن قيصر أندريانوس، فوجه إليهم بقائد من قواده مع خلق كثير فحاصر المدينة، فمات كل من فيها من الجوع والعطش، ثم فتحها فقتل من اليهود ما لا يحصى، وهدم الحصن، وخرَّب المدينة حتى صيرها صحراء.

قال[2]: وهذا آخر خراب بيت المقدس، وهرب من اليهود من هرب إلى مصر، وإلى الشام، وإلى الجبال، وإلى الغور.

وأمر الملك أن لا يسكن المدينة يهودي، وأن يقتل اليهود ويستأصلوا وأن يسكن المدينة اليونانيون، ويبنوا على باب الهيكل برجاً، ويجعل فوقه ألواحاً، ويكتبوا عليها اسم «إيليا الملك» وذلك من ثمان سنين من ملكه.

قال: والبرج اليوم على باب مدينة القدس، وسمي[3] محراب داود.

قال: فسمى بيت المقدس إلى هذا الوقت «إيليا».

فمن الخراب الأول الذي أخربه «طيطس» إلى هذا الخراب، ثلاث وخمسون سنة.

وامتلأت بيت المقدس من اليونانيين، فنظروا إلى النصارى يأتون

---

(١) اسمه: (برجوزيا).
انظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٠٢.

(٢) انظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٠٢.

(٣) في هـ (ويسمى) بدلاً من (وسمى).

إلى تلك المـزبلة التي فيها القبـر[1] والأقرانيـون[2]، فيصلون، فمنعوهم من ذلك.

وبنى اليونانيـون على تلك المزبلة هيكـلاً على اسم الزهـرة، فلم يقدر أحد من النصارى بعد ذلك أن يقرب ذلك الموضع.

قال[3]: ثم مات «إيليـا الملك»، وملك بعده «أنطونيوس[4] قيصـر» برومية اثنين[5] وعشرين سنة.

قـال: وفي إحدى عشـرة سنة من ملكـه صيّر يهـودا[6] أسقفاً على بيت المقدس، فأقام سنتين ومات.

قـال: فمن يعقـوب[7] أسقف المقـدس الأول، إلى يهـودا أسقف بيت المقـدس هذا، كـانت الأساقفـة الذين صيـروا على بيت المقـدس مختونين.

وذكر أنه[8] ولي بعد هذا قيصر آخر اسمه «مرقس»[9]، تسع عشرة سنة، وأنه أثار على النصار بـلاء عظيمـاً، وحزنـاً شديـداً، واستشهد في زمانه شهداء كثيرون.

---

(١) **القبر**: يعنون به قبر المسيح ـ عليه السلام ـ نظم الجوهر ١/١٢٩.

(٢) **الأقرانيون**: مكان الصلب وقد بنت فيه هيلانة الحرانيـة بناء سمى بـذلك. المصـدر السابق.

(٣) انظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٠٣.

(٤) في هـ، ك (أنطرينوس) بدلاً من (أنطونيوس).

(٥) في ط (اثني) بدلاً من (اثنين).

(٦) في نظم الجوهر: (يهوذا) بدلاً من (يهودا). انظر: نظم الجوهر ص ١٠٣.

(٧) **يعقوب**: انظر: المصدر السابق.

(٨) انظر: المصدر السابق ص ١٠٤.

(٩) (اسمه مرقس) ساقطة من هـ، ك.

قال: وكان في أيامه جوع شديد، ووباء عظيم، لم تمطر السماء سنين[١]، وكاد الملك وجميع أهل مملكته أن يهلكوا من الجوع.

فسألوا النصارى أن يبتهلوا إلى إلٰههم فدعوا[٢]، فأمطر الله عليهم مطراً عظيماً وارتفع الوباء والقحط.

قال: وكان بأيامه بأرض اليونانيين[٣] «مغنوس»[٤] الحكيم.

قال: وفي خمس سنين[٥] من ملكه صير «لولياثوس»[٦] بطريركاً[٧]، وهو أول بطريرك أصلح الأساقفة في عمل مصر، أقام ثلاثاً وأربعين سنة ومات.

• • •

---

(١) في نظم الجوهر: (سنتين).

(٢) في ط (فدفعوا) بدلاً من (فدعوا).

(٣) في هـ (اليونان) بدلاً من (اليونانيين).

(٤) في نظم الجوهر: (مغنيوس).
وهو: مغتيوس الحكيم كما ذكره ابن البطريق.
انظر: نظم الجوهر ص ١٠٤.

(٥) في نظم الجوهر: (خمس عشرة سنة).

(٦) في نظم الجوهر: (ديمترونوس).

(٧) في نظم الجوهر: (بطريركاً على الاسكندرية) بزيادة (على الاسكندرية).

فصـل

متابعة حكاية كلام ابن البطريق عن النّصارى ومناقشته في ذلك

قـال[1]: وفي ذلك العصـر كتب بطريـرك الإسكندريـة إلى أسقف بيت المقدس، وبطرك إنـطاكية[2]، وبـطرك رومية[3] في كتـاب[4] فصح النصارى[5] وصومهم[6]، وكيف يستخرج من فصحُ اليهـود[7]، فوضعـوا في ذلك كتباً كثيرة على ما هو عليه اليوم.

قال[8]: وذلك أن النصـارى كانـوا بعد صعـود سيدنـا المسيح إلى

---

(١) انظر: ص ١٠٤ من تاريخ ابن البطريق (نظم الجوهر).

(٢) **إنطاكية**: سبقت الإشارة إليها ٤/ ٨٥.

(٣) رومية مدينة في شمال غربـي القسطنطينية، عـاصمة الإمبـراطوريـة الرومـانية، منهـا انتشرت العلوم والآداب والفلسفة؛ أسسها روميولس سنة ٧٥٣ ق.م الذي صـار أول ملك لها، واشتهى أن يذهب إليها بولس لينادي بها بالإنجيل، لكن لم تحقق أمنيته، كثيرة الكنائس بها الفاتيكان مقر البابا رئيس الكنيسة الكاثوليكية.
قاموس الكتاب المقدس ص ٤١٧. وأنباء البلاد وأخبار العباد ص ٥٩١.

(٤) في ط (حساب) بدلاً من (كتاب).

(٥) **فصـح النصـارى**: عيـد قيـامـة المسيـح من بين الأمـوات وهـو بين ٢٢ مـارس إلى ٢٥ أبريل، الموسوعة العربية ص ١٢٤٧.

(٦) **صوم النصارى**: الصوم الكبير عند المسيحيين الأرثوذكس ٥٥ يوماً قبل عيد القيـامة، وصوم الميلاد أو الصوم الصغير عند المسيحيين ٤٠ يوماً قبل عيـد الميلاد، يبـدأ عند المسيحيين الغربيين في ١٦ نوفمبر، وعند الشرقيين في ٢٦ منه.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٣٧؛ ونظم الجوهر ١/ ١٢٨.

(٧) **فصح اليهود**: ذكرى هروبهم من فرعون مصر وهو يوم ١٥ نيسان. الموسوعة العربيـة ص ١٢٤٧.

(٨) انظر: تاريخ ابن البطريق (نظم الجوهر) ص ١٠٥.

السماء إذا عيدوا عيد الغطاس[1] من الغد، يصومون أربعين يوماً، ويفطرون كما فعل سيدنا يسوع المسيح، لأن سيدنا المسيح لما اعتمد بالأردن خرج إلى البرية، فأقام بها صائماً أربعين يوماً، وكان النصارى إذا أفصح اليهود، عيدوا هم الفصح.

فوضع هؤلاء البطاركة حساباً للفصح، ليصوم النصارى أربعين يوماً، ويكون فطرهم يوم الفصح، ليتم فرحهم بذلك[2].

قلت[3]: فقد أخبر عن المسيح أنه لما صام أربعين يوماً عقب المعمودية، وكان يعيد مع اليهود في عيدهم لا يعيد عقب صومه، شاركه النصارى في ذلك مدة، فصاروا يصومون أربعين عقب الغطاس الذي هو نظير المعمودية، ويعيدون مع اليهود العيد.

ثم إنهم بعد هذا، ابتدعوا تغيير الصوم، فلم يصوموا عقب الغطاس، بل نقلوا الصوم إلى وقت يكون عيدهم مع عيد اليهود، فيكون عيدهم مع عيد اليهود، وهو فصح المسيح * ويكون ذلك وقت قيامته من قبره *[4].

قال[5]: ومات (مرقص) الملك، وملك بعده (قمودوس) قيصر برومية، اثني عشرة سنة. وفي أيامه كان في أرض اليونانيين في مدينة أفرغامس[6] (جالينوس)[7] الحكيم صاحب صناعة الطب.

وذكر (جالينوس) في فهرست كتبه أنه ربى (قمودوس)[8] الملك.

---

(١) في نظم الجوهر: (الحميم) بدلاً من (الغطاس). وسبق التعريف به ٣/ ٣٠.

(٢) انتهى كلام ابن البطريق.

(٣) هذا كلام للمؤلف.

(٤) ما بين النجمتين ساقط من هـ .

(٥) انظر ص ١٠٥ من تاريخ ابن البطريق.

(٦) في نظم الجوهر: (فرغاموس) بدلاً من (أفرغامس).

(٧) سبقت ترجمته.

(٨) في ط، ك (قموذوس) بدلاً من (قمودوس).

وذكر (جالينوس) في المقالة الأولى من الكتاب المعروف بـ (كتاب أخلاق النفس)[١]: أنه كان في عصر (قمودوس) الملك، رجل يقال له (بولس)[٢] طلبه قمودوس الملك ليقتله، فهرب منه، وكان له غلامان، فقبضهما الملك، فضربهما الملك، وطلب منهما أن يدلاه على مولاهما، فلم يفعلا، لكرم أنفسهما ونخوتهما[٣] وشدة محاماتهما على مولاهما، فقتلهما، وأن من الإسكندر إلى بولس خمسمائة سنة وست عشرة سنة، وذلك في السنة التاسعة من ملك قمودوس قيصر. فهذا ما ذكر جالينوس.

قال[٤]: وكان أيضاً في أيام (ديمقراطيس)[٥] الحكيم.

قلت[٦]: هذه المدة أكثر مما ذكره (سعيد) هذا، فإنه لم يذكر من المسيح إلى هنا مائتا سنة، بل ذكر إلى الخراب مائة وثلاثة وعشرين[٧] سنة، وقد تقدم ذكره لديمقراطيس قبل هذا.

---

(١) في هـ (اختلاف النفس) بدلاً من (أخلاق النفس). وهو كتاب في الطب والهندسة من ضمن مؤلفات جالينوس.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٥٩٧.

(٢) في هـ (يونس) بدلاً من (بولس)، في نظم الجوهر (برنس).

(٣) في هـ (وتحرقهما) بدلاً من (ونخوتهما).

(٤) انظر: ص ١٠٥ من تاريخ ابن البطريق (نظم الجوهر).

(٥) **ديمقراطيس**: هو «ديمقريطس» عاش من ٤٦٠ إلى ٣٧٠ق. م، فيلسوف يوناني، يرى العالم مؤلفاً من ذرات متجانسة في طبيعتها لكنها مختلفة حجماً وشكلاً وثقلاً ولا تدرك بالحواس ولا تنقسم ولا تفنى وتتحرك دائماً، فيلتصق بعضها ببعض وتتكون الأجسام. . .
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٨٣٧.

(٦) هذا كلام للمؤلف.

(٧) في هـ ، ك (مائة وعشرين سنة) بدلاً من (مائة وثلاثة وعشرين سنة).

قال[1]: وفي عشر سنين من ملكه، ظهرت الفرس، فغلبت على (بابل)[2]، وأمدوا فارس[3]، وتملك أزدشير بن ساسان[4] بابل من أهل أصطخر[5]، وهو أول ملك ملك على فارس في المرة الثانية.

قال[6]: ومات قمودوس[7] قيصر ملك الروم، وملك بعده قيصر[8] آخر ثلاثة أشهر، ثم آخر[9]، وملك بعده برومية (سويرس)[10] قيصر سبع عشرة سنة، وذلك في أربع سنين من ملك أزدشير.

وكان هذا الملك شديداً، قد أثار على النصارى بلاء عظيماً، وعذاباً كبيراً، وقتل كل عالم منهم، وقتل خلقاً كثيراً، واستشهد في أيامه خلق كثير من النصارى في كل موضع، ثم قتل كل من كان بمصر والإسكندرية من النصارى، وهدم الكنائس، وبنى بالإسكندرية هيكلاً،

---

(١) انظر: ص ١٠٦ من تاريخ ابن البطريق (نظم الجوهر).

(٢) مدينة قديمة من إمبراطورية بابل على الفرات. جعلها حمورابي عاصمة له.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٢٩٦.

(٣) إقليم كان نواة للإمبراطورية الفارسية القديمة، وأهم مدنه شيراز وثغر بوشير.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٦٣.

(٤) هو: أزدشير بن تابك بن شاشان. ذكر هكذا في نظم الجوهر.
انظر: نظم الجوهر ص ١٠٦.

(٥) مدينة بأرض فارس قديمة بها بيت نار عظيم للمجوس، ويقولون إنه كان مسجد سليمان ــ عليه السلام ــ ينسب إليها الإصطخري صاحب كتاب الأقاليم.
انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ١٤٧.

(٦) انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١٠٧.

(٧) **قمودوس**: قيصر بن أنطونيوس ملك الروم.
انظر: نظم الجوهر ص ١٠٥.

(٨) اسمه: برطنيقوس.

(٩) (ثم) ساقطة من ط.

(١٠) في هـ (سربيون)، وفي ك (سروبيون) بدلاً من (سويرس).

وسماه هيكل الآلهة[1].

وملك بعده قيصر، وهو (أنطونيوس)[2] الأصلع ست سنين، وملك بعده قيصر آخر[3] ثلاث عشرة سنة، كانت النصارى في أيامه في هدوء وسلامة، وكانت أمه تحب النصارى، وفي أيامه سمى بطرك الإسكندرية (بابا)، أي «الجد» وملك بعده قيصر آخر[4] ثلاث سنين، وهذا أثار على النصارى بلاءً طويلاً وحزناً عظيماً، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وأخذ الناس بعبادة الأصنام، وقتل من الأساقفة خلقاً كثيراً، وقتل بترك[5] أنطاكية، فلما سمع أسقف[6] بيت المقدس بقتله، هرب وترك الكرسي.

قال[7]: ومات قيصر هذا في السنة الثانية[8] من ملك بهرام بن هرمز وملك بعده قيصر آخر[9] ثلاثة أشهر، ثم بعده آخر أربع سنين،

---

(١) **هيكل الآلهة**: بيت للنصارى، وهو بيت الأصنام. المعجم الوسيط ٢/٩٩٠ ـ طبعة القاهرة ٨٣م.

(٢) **أنطونيوس**: هو أنطونيوس قيصر فارقلوس، وهو الأصلع برومية.
انظر: ابن البطريق ص ١٠٨.

(٣) اسمه: الإكسندرس.
انظر: تاريخ ابن البطريق: ١/١١٠.

(٤) اسمه: مكسيميانوس.
انظر: المصدر السابق.

(٥) اسمه: بابيلا.
انظر: المصدر السابق.

(٦) اسمه: ناركيسوس.
انظر: المصدر السابق.

(٧) (قال) ساقطة من هـ، ك.
انظر: المصدر السابق ص ١١١.

(٨) في نظم الجوهر (السنة الثالثة) ١/١١١.

(٩) (قيصر) ساقطة من هـ، ك.
اسمه: بوبينوس. انظر نظم الجوهر ١/١١١.

واسمه (غرديانوس)[1]، وفي ثلاث سنين من ملكه مات بهرام بن هـرمز، وملك بعده بهرام بن بهرام على الفرس تسع عشرة سنة.

وفي أيامه ظهر رجل فارسي يقال له (ماني)[2] فأظهر دين المانية، وزعم أنه نبـي، فأخذه بهرام بن بهرام ملك الفرس فشقه نصفين، وأخذ من أصحابه وممن يقول بقولـه مائتي رجـل، فغرس رؤوسهم في الـطين منكسين حتى ماتوا منكسين.

وملك بعد قيصرٍ هذا (فيلبس)[3] قيصراً برومية سبـع سنين، وآمن بالسيد المسيح، ووثب عليه قائد[4] من قواده فقتله.

ثم ملك بعـده قيصر آخـر اسمه (داقنـوس)[5] وهو (دقيـانوس)[6] وذلك من عشر سنين من ملك بهرام بن بهرام، فلقي النصارى منه حـزناً طويلاً، وعذاباً شديداً، وقتل منهم من لا يحصى واستشهد في أيـامه من الشهداء خلق كثير وقتل بطرق رومية[7]. ثم خرج إلى مدينة أفسس فبنى

---

(١) في ط (غردمانوس) وصحـته (غرديانوس).

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) فيلبس: اسمه (فيلبس)، قيصر على الروم برومية، ملك سبع سنين وآمن بالمسيح.
انظر: نظم الجوهر ص ١١١.

(٤) اسمه: (داقيوس).
انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١١٢ (نظم الجوهر).

(٥) في ط (ذاقنيوس).
في نظم الجوهر: (ذاكيوس).

(٦) جملة: وهو (دقيانوس): غير موجودة في تاريخ ابن البطريق.
وهو: ذاكيوس قيصر ملك على الروم برومية سنتين، وهو الذي أمر ببناء باب الكهف على الفتية الذين ذكروا في قصة أهل الكهف.
انظر: نظم الجوهر ص ١١٢.

(٧) اسمه: (فلابيانوس).
انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١١٢.

في وسطها هيكلاً عظيماً وصير فيه الأصنام وأمر أن يسجد للأصنام، ويذبح لها، ومن لم يفعل ذلك قتل، فقتل من النصارى بأفسس خلقاً عظيماً وصلبهم على الحصن واتخذ من أولاد عظماء «أفسس» سبعة غلمان من خواصه وعلى كسوته، وقدمهم على جميع من عنده وذكر أسماءهم، أسماء أصحاب أهل[(١)] الكهف[(٢)].

قال: وهؤلاء السبعة الغلمان لم يسجدوا للأصنام، فأعلموا الملك بخبرهم، فأمر بحبسهم، ثم خرج إلى[(٣)] بعض المواضع وأطلق سبيلهم إل حين رجوعه.

فلما خرج من المدينة، أخذ الغلمان كل ما لهم فتصدقوا به، ثم خرجوا إلى جبل عظيم يقال له (جاوس)[(٤)] شرقي «أفسس» فيه كهف كبير، فاختفوا في الكهف، فكان واحد منهم في كل يوم يتنكر ويدخل المدينة، فيسمع ما يقول الناس في شأنهم، ويشتري لهم طعاماً ويرجع فيعلمهم.

فقدم[(٥)] (دقيانوس) الملك، فسأل عنهم، فقيل له: إنهم في جبل جاوس في الكهف مختفين.

فأمر الملك أن يبنى[(٦)] باب الكهف عليهم ليموتوا، وصب الله عليهم النعاس فناموا كالأموات.

---

(١) (أهل) ساقطة من ط ، ك.

(٢) أسماؤهم هي: (مقسيميانوس، أمليخس، ديانوس، مرطيموس، ديونيسيوس، أنطونيوس، يوحنا).

انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١١٢.

(٣) في ك (إلى جبل عظيم) بزيادة (جبل عظيم).

(٤) في نظم الجوهر (خاوس).

(٥) في ط (بقدوم) بدلاً من (فقدم).

(٦) في هـ (يبنا) بدلاً من (يبنى).

وأخـذ قائـد من قواده صفيحـة[1] من نحاس، وكتب فيهـا خبـرهم وقصتهم مع دقيانوس الملك، وصير الصفيحـة في صندوق نحـاس ودفنه داخل الكهف، وبنى الكهف.

ومـات الملك دقيانـوس * قيصر، وملك بعـده قيصران[2] بـرومية سنتين، ثم قيصـر آخر اسمـه «غنيونـوس» خمس عشرة سنـة *[3] وملك بعده[4] قيصر[5] آخر[6] سنة واحدة ومات[7]، وذلك من ثلاث سنين من ملك هرمز.

وفي أول سنـة من ملك هذا، صيـر «بولس» بـطركاً على إنـطاكية ويسمى «بولوس الشمشـاطي»[8] قال: وهـو الذي ابتـدع دين البوليـانية، فسمي التابعون لدينه والقائلون بمقالته بوليانيين.

قال[9]: وكانت مقالته: أن سيدنا المسيح خلق من اللاهوت إنساناً كواحد منا في جوهره، فإن ابتداء الابن من مريم، وأنـه اصطفي ليكـون مخلصـاً للجوهـر الإنسي، صحبته النعمـة الإلّهية، فحلت فيـه بالمحبـة والمشيئة، ولذلك سمي: (ابن الله).

---

(١) في هـ (صفحة) بدلاً من (صفيحة).
(٢) هما: (غليوس، يوليانوس).
انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١١٢.
(٣) ما بين النجمتين ساقط من هـ.
(٤) ما بين النجمتين السابقتين ساقط من ك، وكذلك (وملك بعده) ساقط أيضاً.
(٥) (قيصر) ساقطة من هـ.
(٦) اسمه: (قلوديوس).
انظر: المصدر السابق ص ١١٤.
(٧) (ومات) ساقطة من ط، ك.
(٨) في نظم الجوهر (السميساطي). وسبقت الإشارة إليه ٤/ ٨٥.
(٩) انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١١٤.

وقال[1]: إن الله جوهر واحد، وأقنوم واحد، ولا نؤمن بالكلمة، ولا بروح القدس.

قال[2]: وبعد موته اجتمع ثلاثة عشر أسقفاً في مدينة إنطاكية، ونظروا في مقالة «بولس» فأوجبوا على هذا الشمشاطي اللعن فلعنوه، ولعنوا من يقول مقالته وانصرفوا.

قال[3]: وبعده ملك قيصر آخر ست[4] سنين، اسمه «أوراغوس قيصر»[5].

قال[6]: وكان النصارى بالإسكندرية في أيامه يصلون في المطامير والبيوت فزعاً من الروم، ولم يكن يظهر بترك بالإسكندرية[7] لئلا يقتلوهم.

فلما صار «نارون»[8] بطركاً، ظهر، ولم يزل يداري الروم حتى بنى بالإسكندرية كنيسة (حنا)[9] و (مار مريم)[10] وملك بعده

(١) انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١١٤.
(٢) انظر: المصدر السابق.
(٣) انظر: المصدر السابق.
(٤) في نظم الجوهر (خمس) بدلاً من (ست).
(٥) في نظم الجوهر: (أورلليوس) بدلاً من (أوراغوس).
(٦) انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١١٤.
(٧) في هـ (الإسكندرية) بسقوط (بـ).
(٨) في هـ (مارون) بدلاً من (نارون).
وهو: نارون قيصر رومية الذي ملك ثلاث عشرة سنة.
انظر: نظم الجوهر ص ٩٦.
(٩) كنيسة «حنا»: هي كنيسة ماريوحنا بناها بالإسكندرية ثاوفيلوس البطريك.
انظر: نظم الجوهر ص ١٤٩.
(١٠) في هـ (مريم) بدلاً من (مار مريم).

=

قيصران[1]، ثم قيصر اسمه «فاروس»[2] وذلك في تسع سنين من ملك سابور[3] بن هرمز * وكان شديداً على النصارى، قتل الأخوين قزمان ودميان الشهيدين *[4] وملك بعده دقيطيانوس[5].

قال[6]: فمن خراب طيطس لبيت المقدس إلى ملك دقيطيانوس مائتان وست سنين، ومن مولد سيدنا المسيح إلى دقيطيانوس مائتان وست وسبعون سنة، ومن الإسكندر إلى دقيطيانوس خمسمائة وخمس وتسعون[7] سنة ومن سبي بابل إلى دقيطيانوس ألف وثلاثمائة وخمس وثلاثون سنة[8]، ومن داود إلى دقيطيانوس ألف وتسعمائة وإحدى وأربعون سنة[9].

قال[10]: وملك دقيطيانوس في إحدى عشرة سنة من ملك

= كنيسة «مار مريم»: هي كنيسة مرتمريوم بالإسكندرية بناها ثاوفيلوس البطريك.
انظر: نظم الجوهر ص ١٤٩.

(١) وهما: (طاقسطوس، قورينوس).
انظر: نظم الجوهر ١/١١٥.

(٢) قبل (فاروس) هذا ملك قيصر اسمه (برونس).
انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: نظم الجوهر ص ١١٩.

(٤) ما بين النجمتين كتب في هـ ، د (الأخوين على النصارى قبل قزمان ودمنان الشهيدين).

(٥) في نظم الجوهر (ديوكليتيانوس).

(٦) انظر: نظم الجوهر ١/١١٥.

(٧) في هـ (وسبعون) بدلاً من (وتسعون).

(٨) في نظم الجوهر (ثمان مائة وثمان وخمسون سنة).

(٩) في نظم الجوهر (ألف وثلاثمائة وخمس وثلاثون سنة).

(١٠) انظر: نظم الجوهر ١/١١٦.

سابور[1] بن هرمز ملك الفرس، وملك معه اثنان[2]، تملكا على الروم إحدى وعشرين سنة، وهؤلاء أثاروا على النصارى بلاء عظيماً، وحزناً طويلاً، وعذاباً أليماً، وشدة شديدة، تجل عن الوصف، من القتل، والعذاب، واستباحة الأموال واستشهدوا ألوفاً من الشهداء وعذبوا «ماري جرجس»[3] أصناف العذاب وقتلوه بفلسطين وقتلوا «ماري مينا»[4] و «ماري بقطر»[5] * و «أيتماخوس»[6] و «مركورس»[7] *[8] وغيرهما.

قال: وفي عشر سنين من ملكهما صير «بطرس»[9] بطركاً على الإسكندرية فأقام[10] عشر سنين، وقتل.

---

(١) انظر: نظم الجوهر ١/١١٩.

(٢) لم يذكر ابن البطريق أنه تملك مع هذا القيصر اثنان بل ذكر واحداً هو (مقسيميانوس).
انظر: المصدر السابق.

(٣) **ماري جرجس**: قتل بفلسطين وهو من قباذوكية واسمه (مار جرجس).
انظر: نظم الجوهر ١/١١٦.

(٤) **ماري مينا**: اسمه (مارمينا).
انظر: المصدر السابق.

(٥) **ماري بقطر**: واسمه (مار بقطر).
انظر: المصدر السابق.

(٦) **أيتماخوس**: واسمه (أبيماحس).
انظر: المصدر السابق.

(٧) **مركورس**: واسمه (مرقوريوس).
انظر: المصدر السابق.

(٨) ما بين النجمتين ساقط من هـ، ك.

(٩) **بطرس**: بطريرك الإسكندرية عشر سنين، ثم ضرب عنقه بالسيف.
انظر: نظم الجوهر ١/١١٦.

(١٠) في هـ، ك (أقام) بسقوط (فـ).

وفي عشرين سنة من ملكهما، ضرب عنق بطرس هذا البطرك بالإسكندرية.

قال: وكان لبطرس تلميذان، اسم أحدهما «أشلا»[(١)] والآخر «الأكصندروس»[(٢)]، وكان بالإسكندرية رجل يقال له «أوريوس»[(٣)] يقول: إن الأب ــ وحده ــ الله الفرد، و «الابن» مخلوق مصنوع، وقد[(٤)] كان «الأب» إذ لم يكن الابن.

فقال «بطرس» البطرك لتلميذيه: إن المسيح لعن «أريوس» فاحذرا أن تقبلا قوله، فإني رأيت المسيح في النوم مشقوق الثوب، فقلت له: يا سيدي، من شق ثوبك؟ فقال لي: أريوس، فاحذروا أن تقبلوه ويدخل معكم الكنيسة كنيسة الله[(٥)].

قال: وبعد قتل بطرس بخمس سنين صير «أشيلا» بطركاً على الإسكندرية، فأقام ستة أشهر ومات.

وكان «أريوس» قد استعان على «أشلا» بأصدقائه فأورى[(٦)] أنه قد رجع عن تلك المقالة، فقبله «أشلا» وأدخله الكنيسة وجعله قسيساً.

---

(١) في نظم الجوهر: (أشبلا).
هو: بطرك الإسكندرية بعد بطرس، أقام ستة أشهر ومات.
انظر: نظم الجوهر ١/١١٧.

(٢) في نظم الجوهر: (الأكسندرس).
هو: بطرك الإسكندرية بعد أشيلا، أقام ستة عشرة سنة ومات.
انظر: نظم الجوهر ١/١٢٤.

(٣) سبقت ترجمته ص ٦١٩.

(٤) (قد) ساقطة من هـ.

(٥) انظر: نظم الجوهر ١/١١٦، ١١٧.

(٦) في نظم الجوهر: (وأوراه).

قال[1]: وأما «دقيطيانوس» الملك، فكان يطلب النصارى فيقتلهم.

فبينما هو يسير في طلبهم إذ بلغ إلى موضع يقال له «ملطية»[2] فصب الله عليه نقمته، فوقع في علل عظيمة، وأمراض عظيمة حتى ذاب جسمه، وكان الدود يتساقط من بدنه[3] إلى الأرض، وسقط لسانه من حنكه ومات.

وملك بعده قيصران، أحدهما المشرق والشام وأرض الروم، والآخر رومية ونحوها، وكان[4] أحدهما اسمه «علانيوس»[5] والآخر «مقصطيوس»[6] فكانا كالسباع الضارية على النصارى، وأثارا[7] عليهم البلاء والجلاء وما لا يصفه واصف، وفعلا بهم ما لم يفعله أحد من الملوك قبلهم.

وملك معهما على بزنطية[8] وما والاها «قسطس»[9] أبو قسطنطين،

---

(١) انظر: نظم الجوهر ١/١١٧.

(٢) مدينة مشهورة بأرض الروم بها جبل فيه عين يخرج منها ماء عذب ضارب إلى البياض يشربه الإنسان لا يضره شيئاً فإذا جرى إلى مسافة يسير حجراً صلداً.
انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٦٤.

(٣) في هـ (بين يديه) بدلاً من (من بدنه).

(٤) (كان) ساقطة من هـ، ك.

(٥) في نظم الجوهر (غلاريوس).

(٦) في هـ، ك (دقطيطيوس) بدلاً من (مقصطيوس).
وفي نظم الجوهر (مكسنبتوس).

(٧) في ط (وأثاروا) بدلاً من (وأثارا).

(٨) **بزنطية**: بيزنطة مدينة قديمة تقوم استانبول اليوم على موقعها، أسسها الإغريق (٦٥٨ق. م) وغدت سريعاً مركزاً تجارياً هاماً بسبب موقعها على مضيق البسفور.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٤٦٦.

(٩) **قسطس**: هو قسطس بن والنتيوس بن أرسيس بن ذاكيوس ابن كلوديوس الملك الذي =

وكان رجلاً ديناً مبغضاً للأصنام، محباً للنصارى.

فخرج «قسطس» إلى ناحية الجزيرة و«الرها»[1]، فنزل في قرية من قرى الرها يقال لها «كفرجاث»[2] فنظر فيها امرأة حسنة جميلة يقال لها هيلانة، وكانت قد تنصرت على يدي أسقف الرها، وتعلمت قراءة الكتب.

وولدت هيلانة قسطنطين فتربى بـ«الرها» وتعلم حكم اليونانيين، وكان غلاماً حسن الوجه، قليل الشر، وديعاً محباً للحكمة.

وأما «علانيوس» فكان رجلاً وحشياً، شديد البأس، مبغضاً للنصارى جداً، كثير القتل لهم، محباً للنساء، ولم يترك للنصارى بنتاً بكراً إلَّا أخذها وأفسدها وقتلها، وكذلك أصحابه، وهكذا كانوا يفعلون بالنصارى، وكان النصارى في شدة شديدة جداً معهم.

وبلغه خبر قسطنطين وأنه غلام هاد، قليل الشر، كثير العلم والخير.

وأخبره الحكماء الذين له والمنجمون أن «قسطنطين» سيملك ملكاً عظيماً، فهم بقتله.

= كان برومية على عهد الحواريين، وهو زوج هيلانة أم قسطنطين ــ الملك.
انظر: نظم الجوهر ١/١٢٢.

(١) **الرها**: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ، بها بنيت الكنيسة المعروفة بالرها التي بنتها هيلانة أم قسطنطين.
انظر: نظم الجوهر ١/١٣٠؛ والموسوعة العربية الميسرة ص ٨٨١.

(٢) في هـ (كفرجات) بدلاً من (كفرجاث). وفي نظم الجوهر (كفرفخار). وقد قال الحموي: **كفرجديا**: قرية من قرى الرها كانت ملكاً لولد هشام بن عبد الملك. وقيل من قرى حران.
انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٤/٤٦٩.

وعلم قسطنطين بذلك، فهرب من الرها، وذهب إلى مدينة «بزنطية» ووصل إلى أبيه «قسطس» فسلم إليه الملك.

وبعد قليل مات «قسطس» وصب الله على «علانيوس» الملك عللا عظيمة، حتى تقطع لحمه وتهرأ[1]، وبقي مطروحاً لا يقدر أحد أن يقترب منه.

فعجب الناس مما ناله، ورحمه أعداؤه مما حل به.

فرجع إلى نفسه وقال: لعل هذا الذي بي مما أقتل النصارى.

فكتب إلى جميع عماله أن يطلقوا النصارى من الحبوس، وأن يكرموهم ولا يؤذوهم، ويسألونهم أن يدعوا له في صلاتهم.

فصلى النصارى على الملك ودعوا له، فوهب الله له العافية ورجع إلى أفضل مما كان عليه من الصحة والقوة.

فلما صح وقوي، رجع إلى أشر مما كان عليه من الردى.

وكتب إلى جميع عماله أن يقتلوا النصارى ولا يعيش في مملكته نصراني، ولا يسكنوا مدينة ولا قرية له.

فمن كثرة القتلى كانوا يحملون على العجل، ويرمون بهم في البحار والصحارى، وقتل «مار جرجس»[2] وأخاه[3] بمدينة «قباذوقية»[4]

---

(١) في هـ (وانهرا) بدلاً من (وتهرأ).

(٢) انظر: نظم الجوهر ١/١١٦.

(٣) أخو «مارجرجس» اسمه: مارمينا.
انظر: المصدر السابق.

(٤) لعلها قباذق، ولاية واسعة في بلاد الروم من مدنها: قونية، وملقونية، معجم البلدان ٤/٣٠٣.

وهما من أهلها، وقتل «بربارة»[1]، وذكر حرباً جرت بينه وبين سابور، لما تنكر سابور، وجاء إليه متنكراً وعرفه[2].

قال: وأما مقسطيوس، فكان شريراً على أهل «رومية» واستعبد كل من كان برومية وخاصة النصارى، فكان ينهب أموالهم، ويقتل رجالهم ونساءهم وصبيانهم.

فلما سمع أهل رومية بملك «قسطنطين» وأنه مبغض للشر، محب للخير، وأن أهل مملكته[3] معه في هدوء وسلامة، كتب رؤساء رومية إلى قسطنطين يسألونه ويطلبون إليه أن يخلصهم من عبودية «مقسطيوس» عدو الله.

فلما قرأ كتبهم اغتم غماً شديداً، وبقي متحيراً، ولا يدري كيف يصنع.

فبينما هو متفكر، إذ ظهر له من نصف النهار في السماء صليب من كواكب تضيء مكتوباً حوله (بهذا تغلب).

فقال لأصحابه: رأيتم ما رأيت؟ قالوا: نعم.

فآمن من ذلك الوقت بالنصرانية، وذلك لست سنين من بعد موت أبيه[4].

---

(١) انظر: نظم الجوهر ١١٨/١.

(٢) المقصود هنا هو ما ذكره ابن البطريق مما حصل بين سابور بن هرمز، والقيصر مكسيميانوس.
انظر: نظم الجوهر ص ١١٩ ـ ١٢١.

(٣) في هـ (مملكته صالحة) بزيادة (صالحة).

(٤) هو: قسطس، وسبقت ترجمته ٤/ ٢٠٩.
انظر: نظم الجوهر ١/ ١٢١.

فتجهز قسطنطين، واستعد لمحاربة مقسطيوس ملك رومية، وعمل صليباً كبيراً من ذهب، وصيره على رأس البند، * وخرج يريد مقسطيوس.

فلما سمع مقسطيوس، أن قسطنطين قد وافاه لمحاربته، استعد لحربه، وعقد جسراً على النهر[1] الذي قدام رومية *[2] وخرج مع[3] جميع أصحابه يحارب قسطنطين[4].

فأعطى قسطنطين النصرة عليه، فقتل من أصحاب مقسطيوس مقتلة عظيمة، وهرب مقسطيوس، وغرق هو وأصحابه حتى امتلأ البحر ـ وهو النهر الذي عند رومية ـ غرقى وقتلى.

وخرج أهل رومية إلى قسطنطين بالإكليل الذهب وكل أنواع اللهو واللعب، فلقوا قسطنطين وفرحوا فرحاً عظيماً.

فلما دخل المدينة أمر أن تدفن أجساد النصارى الشهداء المصاليب وكل من كان من النصارى هرب أو نفاه مقسطيوس يرجع إلى بلده * وموضعه ومن أخذ له شيء رد إليه *[5].

وأقام أهل رومية سبعة أيام يعيدون للملك وللصليب[6] ويفرحون.

فلما سمع الخبر «علانيوس» جمع ما قدر عليه وتجهز لقتال قسطنطين.

---

(١) انظر: نظم الجوهر ص ١٢١.
(٢) ما بين النجمتين ساقط من هـ، ك.
(٣) في هـ، ك (معه) بدلاً من (مع).
(٤) في هـ (مقسطيوس) بدلاً من (قسطنطين).
(٥) ما بين النجمتين ساقط من هـ، ك.
(٦) في هـ، ك (والصليب) بدلاً من (وللصليب).

فلما عاينـه، انهزمـوا من بين يديـه وأخذهم بـالسيف، وقتل منهم مقتلة عظيمة ومنهم من أسر، ومنهم من استأمن.

وأفلت عـلانيوس عـريانـاً فلم يزل يتقـوى مـوضعـاً مـوضعـاً حتى وافى[1] مـدينته فجمـع الكهنة[2] والسحـرة والعرافين الـذين كان يحبهم ويقبل منهم، فضرب أعناقهم لئلا يقعوا في يد قسطنطين.

وصبّ[3] الله على علانيـوس ناراً في جـوفـه حتى كـانت أحشـاؤه تتقـطع من الحر الـذي كان يجـده في جوفـه، وسقط على الأرض وتهرأ لحمه على عظمه ومات[4].

وملك قسـطنطين الـدنيـا في هـدوء وسـلامـة، وذلـك في إحـدى وأربعين سنة من ملك «سابور» بن هرمز، ملك الفرس.

قال[5]: وتنصر قسطنطين في مدينة يقال لها (نيقـوميديـا)[6] وذلك في اثني عشـرة سنة من ملكـه، وأمـر ببنـاء الكنـائس في كـل بلد، وأن يخرج من بيت المال الخراج مما يعمل به أبنية الكنائس.

---

(١) في هـ (وافق) بدلاً من (وافى).
(٢) في هـ (كهنة إليه) بدلاً من (الكهنة).
(٣) في ط (وصير).
(٤) في ك (ومات وأهلكه الله تعالى).
(٥) انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١٢٣.
(٦) في ط (فيقوميديا) بدلاً من (نيقوميديا).
وهي مدينة قديمة شمال غرب آسيا الصغرى على موقعها اليوم مدينة (أزميت) التركية أعـاد تأسيسهـا نيقوميـدس الأول سنـة ٢٦٤ق. م، ودمـرهـا القـوط سنـة ٢٥٨ق. م واختارها دقليديانوس عاصمة شرقية، واحتلت القسطنطينية مكانها.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٨٦٧.

قـال[1]: وفي خمس سنين من ملكـه، صيـر «الأكصنـدروس» بطريركاً[2] على الإسكندرية، وهو تلميذ بطركها بطرس الذي قتل، وهـو رفيق «أشـلا» فـأقـام[3] ست عشـرة سنـة، وفي خمس عشـرة سنـة من ريـاسته، كـان المجمع[4] بمـدينة «نيقيـة»[5] الـذي رتبت فيهـا الأمـانـة الأرثذكسية[6].

فمنع الأكصندروس بتـرك الإسكندريـة أريوس من دخـول الكنيسة ولعنه وقال: إن أريوس ملعون، لأن بطرس البترك قبـل أن يستشهد قـال لنا: إن الله لعن أريوس فلا تقبلوه ولا تدخلوه الكنيسة.

وكـان على مدينـة «أسيوط»[7] من عمـل مصر، أسقف يـرى رأي أريوس فلعنه أيضاً.

وكان بالإسكندرية هيكل عظيم كـانت «كلاوبـطرة»[8] الملكة بنتـه

---

(1) انظر: نظم الجوهر ١/١٢٤.

(2) في ك، هـ (بطركاً) بدلاً من (بطريركاً).

(3) في ك، هـ (أقام) بدلاً من (فأقام).

(4) **مجمـع نيقية**: كـان سنة **٣٢٥**م عقـد النصـارى المجمـع المسكـوني العـالمي الأول وأصدر قانون الإيمان العام.
انظر: أقانيم النصارى ص **٥٩** ــ د. أحمد حجازي السقا ــ دار الأنصار.

(5) سبق التعريف بها.

(6) في ط (الأرتدكسية) بدلاً من (الأرثذكسية).

(7) **أسيـوط**: مـدينـة في غـربـي النيـل من نـواحي الصعيـد، كثيـرة الخيـرات عجيبـة المنتـزهات وهي أكبـر مدن الصعيـد وعاصمـة محافـظة أسيوط، لمـا صورت الـدنيا للرشيد لم يستحسن غير كورة أسيوط، بها خمس وسبعون كنيسة للنصارى.
انـظر: معجم البلدان ١/١٩٣؛ آثار البـلاد وأخبـار العبـاد ص **١٤٧**؛ والمـوسـوعـة العربية الميسرة ص **١٦٤**.

(8) **كـلاوبطرة**: هي كليـوبطرة السـابعة ابنـة بطليمـوس الثـاني عشـر، تـزوجت أخـاهـا بطليموس الثـالث عشر، وارتقيـا العرش سـوياً بمقتضى وصيـة أبيهما سنـة **٥١**ق. م =

على اسم زحل[1]، وكان فيه صنم من نحاس عظيم يسمى «ميكائيل» وكان أهل الإسكندرية ومصر في اثني عشر يوماً في شهر «هتور»[2] وهو «تشرين الثاني» يعيدون لذلك الصنم عيداً عظيماً، ويذبحون الذبائح الكثيرة.

فلما صار هذا بطركاً على الإسكندرية وظهرت النصرانية، أراد أن يكسر الصنم ويبطل الذبائح.

فامتنع عليه أهل الاسكندرية، فاحتال لهم بأن قال: إن هذا صنم لا منفعة فيه ولا مضرة، فلو صيرتم العيد لميكائيل الملاك، وجعلتم هذه الذبائح له، كان أنفع لكم عند الله، وكان خيراً لكم من هذا الصنم فأجابوه إلى ذلك.

فكسر الصنم، وأصلح منه صليباً وسمى الهيكل «كنيسة ميكائيل» [وهي الكنيسة التي تسمى قيسارية، احترقت بالنار وقت موافاة الجيوش من المغاربة القرامطة[3]، مع المسمى

= كانت سيدة شجاعة واسعة الثقافة والأطماع قوية الإرادة، سيرتها استرعت انتباه أجيال من الكتاب والشعراء لأنها آثرت الموت على حياة الذل وانتحرت في النهاية، وهي التي بنت هيكلاً عظيماً وأسمته هيكل زحل.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤٧٧؛ ونظم الجوهر ١/٨٦ ــ ٨٨.

(١) زحل: أحد الكواكب الكبرى ــ ترتيبه السادس من الشمس ــ يبلغ حجمه ٧٣٤ مرة حجم الأرض ــ وكتلته ٩٤,٩ مرة قدر كتلتها ــ وكثافته $\frac{١}{٨}$ كثافتها.

انظر: المسوعة العربية الميسرة ص ٩٢١.

(٢) هتور: هو الشهر الثالث من التقويم القبطي يتبع النظام المصري القديم، والسنة القبطية تبدأ من ــ توت، بابه، هاتور. . . إلخ، والشهر ثلاثون يوماً يليها خمسة أو ستة أيام تسمى بالنسيء. . .

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٥٣٩.

(٣) القرامطة: هم أصحاب أبي سعيد بن بهرام الجنابي القائم بالبحرين صاحب مذهب القرامطة، كانوا يقولون بنبوة عبد الله بن الحارث الكندي، ويعبدونه،

أبو عبيـد الله[١]، وكان معـه أمير من أصحابه يسمى حباسة[٢]، وذلك في خلافة المعتضد بالله[٣].

وكـان عـامله على مصـر يـومئـذ، مـولاه المعـروف «بتكين الحاجب»[٤]، رجل تركي فنفر إلى المغاربة، وجاءه مدد من الشـرق مع الخادم الملقب «مونس»[٥] الأستاذ.

وعبادتهم له تدل على أنهم اعتقدوه بعد النبوة إلٰهاً، وفرض عليهم سبع عشرة صـلاة لنفسه في اليوم والليلة في كل صلاة ١٥ ركعة وكان يقول بالتناسخ وقـد اختلفوا فيمـا بينهم.

انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ٤٦.

(١) **أبو عبيد الله**: هو أبو القـاسم عبيد الله بن سليمـان بن وهب أول وزير للمعتضـد بالله مات سنة ٢٢٨هـ.

انظر: تاريخ الأمم الإسلامية ٣١٥/٢.

(٢) **حباسة**: وجـدنا في شذرات الذهب (في سنة ٣٠٢هـ عاد المهدي ونائبه حبـاسة إلى الإسكندرية فتمت وقعة كبيرة قتل فيها حبـاسة، فـرد المهدي إلى القيـروان)٢٣٨/٢ ولـم نجد ذكراً لحباسه في سوى ذلك.

(٣) **المعتضـد بالله**: أبـو العباس أحمـد بن أبـي أحمـد المـوفق طلحـة بن المتـوكـل بن المعتصم تولى الخلافـة بعد المعتضـد على الله سنة ٢٧٩هـ وعمـره ٣٧ سنة، قـوي القلب جريئاً شجاعاً مهيباً وافر العقل ظاهر الجبروت، من أهم إصـلاحاتـه ما يعـرف بالتاريخ المعتضدي وإسقاط المكوس، توفي ببغداد ٢٨٩هـ.

انظر: تاريخ بغداد ٤٠٣/٤؛ والبـداية والنهـاية ٨٦/١١؛ وفـوات الوفيـات ٧٢/١؛ وشـذرات الذهب ١٩٩/٢.

(٤) لعله سبكتكين الحاجب التركي مـولى المعز الـديلمي وحاجبـه، قلده الطائـع الإمارة وأعطاه اللواء ولقبه بنور الدولة، مات سنة ٣٦٤هـ.

انظر: البداية والنهاية ص ٢٨٢/١١.

(٥) **مونس الأستاذ**: الملقب بالمظفـر المعتضدي أحـد الخدام الـذين بلغوا رتبـة الملوك وكان من خدم المعتضد العباسي وكان أبيضاً فارساً شجـاعاً من السـاسة الـدهاة ولـد سنـة ٢٣١هـ وبقي ستين سنة أميـراً وندب لحـرب المغـاربـة العبيـديين وولى دمشق =

فهـرب منه أبـو عبيد الله وحباسـة وجنـودهمـا][1]، وصيـر العيـد لميكائيل الملك والذبائح.

وإلى اليـوم القبط بمصر والإسكنـدرية يعيـدون في هذا اليـوم عيد ميكائيل الملاك، ويذبحون فيه الذبائح الكثيرة، وكذلك الملكيـة يعيدون في هذا اليوم عيد ميكائيل الملاك، وصار رسماً إلى اليوم.

قال: فلما منع بترك الإسكندرية «أريوس» من دخول الكنيسة ولعنه خرج أريوس مستعدياً عليـه ومعه أسقفـان[2]، فاستغـاثوا إلى قسـطنطين الملك .

وقال: أريوس: إنه تعدى علي وأخرجني من الكنيسة ظلماً.

وسـأل الملك أن يشخص «الأكصنـدروس» بـطرك الإسكنـدريـة ليناظره قدام الملك:

فوجه قسطنطين برسول إلى الإسكندرية فأشخص البطرك، وجمـع بينه وبين «أريوس» ليناظره فقال قسطنطين لأريوس: اشرح مقالتك.

= للمقتـدر وقد تمـرد عليه فلمـا تولى الخليفـة القـاهـر بـالله وقتـل مؤنسـاً وذلـك سنـة ٣٢١هـ .

انـظر: البدايـة والنهايـة ١١/١٦٣ ـ ١٧٣؛ والنجـوم الـزاهـرة ٣/٢٣٩؛ والأعـلام للزركلي ٨/٢٩٢.

(١) ما بين القوسين المربعين في الصفحة السابقة وهذه الصفحة. هو من كلام ابن تيمية ولكن لم يفرق بينه وبين كلام ابن البطريق في جميع النسخ، حتى ط.

(٢) أحدهما يسمى (أورمانيوس) أسقف مدينة نيقوميدية.
والآخر يسمى (أوسابيوس) أسقف مدينة فيلا.
انظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٢٥.

قـال أريـوس: أقـول: إن الأب كـان إذ لم يكن الابن، ثم الله[1] أحدث الابن، فكان كلمة له إلاَّ أنه محدث مخلوق، ثم فوض الأمر إلى ذلك الابن المسمى «كلمة» فكان هو خالق السماوات والأرض وما بينهما كمـا قـال في إنجيله، إذ يقـول: «وهـب لي سـلطانـاً على الـسمـاء والأرض»[2] فكان[3] هو الخالق لهما بما أعطى من ذلك.

ثم إن الكلمة تجسدت من مريم العذراء ومن روح القدس، فصار ذلك مسيحاً واحداً.

فـالمسيح الآن معنيـان ـ كلمـة و ـ جسـد، إلاَّ أنهمـا جميعـاً مخلوقان.

قال[4]: فأجـابه عنـد ذلك بـطرك الإسكندريـة وقال: تخبـرنا الآن أيما[5] أوجب علينا عندك، عبادة من خلقنا أو عبادة من لم يخلقنا؟

قال أريوس: بل عبادة من خلقنا.

قال له البطرك: فإن كان خالقنا الابن كما وصفت، وكـان «الابن» مخلوقـاً، فعبـادة الابن المخلوق أوجب من عبـادة الأب الـذي ليس بخالق، بل تصير عبادة الأب الخالق للابن كفـراً، وعبادة الابن المخلوق إيماناً، وذلك من أقبح الأقاويل.

فـاستحسن الملك وكل من حضـر مقالـة البطرك، وشنـع عنـدهم

---

(١) في هـ (أنه) بدلاً من (الله).

(٢) في تاريخ ابن البطريق (قد أعطيت كل سلطان على السماوات والأرض). انظر ٢/١٢٥.

(٣) في هـ (وكان) بدلاً من (فكان).

(٤) انظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٢٥.

(٥) في نظم الجوهر (أيهما).

مقالة أريوس، ودار بينهما أيضاً مسائل كثيرة.

فأمر قسطنطين البطرك الأكصندروس أن يلعن «أريوس» وكل من قال بمقالته.

فقال له: بل يوجه الملك فيشخص البطاركة والأساقفة حتى يكون لنا مجمع، ونضع فيه قضية، ونلعن أريوس، ونشرح الدين ونوضحه للناس.

فبعث قسطنطين الملك إلى جميع البلدان، فجمع البطاركة والأساقفة فاجتمع في مدينة «نيقية» بعد سنة وشهرين، ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً[١] وكانوا مختلفي الآراء مختلفي الأديان.

فمنهم من يقول: المسيح ومريم إلٓهان من دون الله، وهم المريمانية[٢]، ويسمون المريميين.

---

(١) هو مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥.
وسببه اشتداد الخلاف بين الطوائف المسيحية الأولى وتباعد مسافات الخلاف تباعداً شديداً لا يمكن أن يكون معه وفاق.
والخلاف دار حول شخص المسيح... أهو رسول من عند الله فقط...؟ أم له صلة بالله أكبر من رسول؟
وجاءت على إثر ذلك مقالة أريوس: إن الأب وحده الله، والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الأب إذا لم يكن الابن.
وانعقد المجمع على إثر ذلك وتدخل قسطنطين ــ إمبراطور الرومان ــ واجتمعوا في نيقية وكان عددهم ٢٠٤٨ من الأساقفة وأجمعوا على لعن أريوس.
انظر: محاضرات في النصرانية للإمام محمد أبو زهرة ص ٢١ ــ ٢٤.

(٢) هذه الفرقة يطلق عليها البربرانية ويسمون المريميين.
انظر: جـ نظم الجوهر ١٢٦/١.

ومنهم من كان يقول: إن المسيح من الأب، بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة نار، فلم تنقص الأولى لإيقاد الثانية منها، وهي مقالة «سبارينون»[1] وأشياعه.

ومنهم من كان يقول: لم تحبل مريم لتسعة أشهر، وإنما مر نور في بطن مريم كما يمر الماء في الميزاب، لأن «كلمة الله» دخلت من أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها، وهي مقالة «ألبان»[2] وأشياعه.

ومنهم من كان يقول: إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت، كواحد منا في جوهره، وأن ابتداء الابن من مريم، وأنه اصطفى ليكون مخلصاً للجوهر الإنسي، صحبته النعمة الإلّهية فحلت فيه المحبة والمشيئة، فلذلك سمى «ابن الله» ويقولون: إن الله جوهر واحد، وأقنوم واحد يسمونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة، ولا بروح القدس، وهي مقالة «بولص الشمشاطي» بطرك إنطاكية وأشياعه، وهم البوليانيون[3].

ومنهم من كان يقول بثلاثة آلهة، لم يزل صالح وطالح وعدل بينهما، وهي مقالة «مرقيون»[4] وأشياعه.

---

(١) في نظم الجوهر (سابليوس).
انظر: نظم الجوهر ص ١٢٦.
(٢) **ألبان**: (أليان وأشياعه).
انظر: نظم الجوهر ص ١٢٦.
(٣) **البوليانيون**: سبقت الإشارة ٤/ ٨٥.
(٤) انظر: نظم الجوهر ١/١٢٦.

وزعموا أن «مرقيون» رئيس الحواريين، وأنكروا «بطرس»[1] السليح.

ومنهم من كان يقول: ربنا هو المسيح، وهي مقالة بولس الرسول، ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً.

قال[2]: فلما سمع قسطنطين الملك مقالاتهم، عجب من ذلك وأخلى لهم داراً، وتقدم لهم بالإكرام والضيافة، وأمرهم أن يتناظروا فيما بينهم لينظر من معه الحق فيتبعه.

فاتفق منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً على دين واحد، ورأى واحد، فناظروا بقية الأساقفة المختلفين فأفلجوا عليهم حججهم وأظهروا الدين المستقيم، وكان أيضاً باقي الأساقفة مختلفي الأديان والآراء.

وصنع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً، مجلساً خاصاً عظيماً، وجلس في وسطه، وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعها إليهم وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على المملكة لتصنعوا ما بدا لكم، لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين.

فباركوا على الملك وقلدوه سيفه، وقالوا له: أظهر دين النصرانية وذب عنه.

---

(١) **بطرس السليح**: اسم يوناني معناه «صخرة أو حجر»، وكان هذا الرسول يسمى أولاً سمعان بن يونان من بيت صيدا، وقد سماه المسيح بهذا الاسم وهو أحد الحواريين الاثنا عشر وكان صياداً ورأس الكنيسة في مهدها، وأقام في أنطاكيا ثم نزح إلى روما داعياً، واستشهد هناك له كنيسة باسمه بنيت سنة ٣٢٦م ثم جددت في القرن ١٥.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١٧٤؛ والموسوعة العربية الميسرة ص ٣٧٨؛ وإنجيل يوحنا ــ الإصحاح الأول ــ فقرة ٤٠، ٤١.

(٢) انظر: نظم الجوهر ١/١٢٦.

ووضعوا له أربعين كتاباً، فيها السنن والشرائع، وفيها ما يصلح أن يعمل به الأساقفة وما يصلح للملك أن يعمل بما فيها.

وكان رئيس المجمع والمقدم فيه الأكصندروس بطريرك الإسكندرية، وبطرك[1] الإنطاكية، وأسقف بيت المقدس[2].

ووجه بطرك رومية[3] من عنده رجلين[4]، فاتفقوا على نفي «أريوس» وأصحابه ولعنوهم، وكل من قال مقالته، ووضعوا الأمانة[5] وثبتوا أن الابن مولود من الأب قبل كل الخلائق، وأن الابن من طبيعة الأب غير مخلوق.

واتفقوا على أن يكون فصح النصارى في يوم الأحد الذي يكون بعد فصح اليهود، وأن لا يكون فصح اليهود مع فصح النصارى في يوم واحد، وثبتوا ما وضعه من[6] تقدم ذكره من حساب الصوم والفصح،

---

(١) اسمه (أسطات).
انظر: نظم الجوهر ١/١٢٧.

(٢) اسمه (مقاريوس).
انظر: المصدر السابق.

(٣) اسمه (سلبسطرس).
انظر: المصدر السابق.

(٤) قسيسان، أحدهما يسمى (بقطر)، والآخر (فيكنتيوس).
انظر: المصدر السابق.

(٥) سبقت الإشارة إليها ٤/٢٢٠.

(٦) «من» هنا اسم موصول يقصد بها الذين وضعوا هذه الأمور المذكورة، وهم كما ذكر ابن البطريق:
أ ــ بطريرك الإسكندرية (الاكصندروس)، (ديمتريوس).
ب ــ أسقف بيت المقدس (غايانوس).
ج ــ بطريرك إنطاكيا (مقسيموس) وبطرك رومية (بقتر).
انظر: المصدر السابق.

وأن يكون فطر النصارى يوم فصحهم يـوم الأحد الـذي يكون بعـد فصح اليهود.

لأن النصـارى ــ كما قلنـا من قبل ــ كـانوا إذا عيـدوا عيد الحميم ــ وهو عيد الغطاس ــ صاموا من الغد أربعين يوماً ويفطرون.

فـإذا كان عيـد اليهود عيـدوا معهم الفصح، فصيـروا يوم الفصـح للفطر، ومنعوا أن يكـون للأسقف زوجـة، وذلك أن الأسـاقفة منـذ وقت الحواريين إلى مجمع الثلاثمائة وثمانية عشر كان لهم نساء، لأنه كان إذا اختير واحد أسقفاً، وكانت له زوجة، تبيت معـه ولم تتنح عنـه، ما خـلا البطاركة، فإنه لم تكن لهم نساء ولا كانوا ــ أيضاً ــ يصيرون أحداً بطركاً له زوجة.

قال[١]: وانصرفوا مكرمين[٢] محظوظين، وذلك في سبـع عشرة[٣] سنة من ملك «قسطنطين».

قال[٤]: وسن قسطنطين الملك ثلاث سنن:

أحدها: كسر الأصنام وقتل كل من يعبدها.

والثـانية: أن لا يثبت في الـديوان إلاَّ أولاد النصـارى، ويكـونـون أمراء وقواد.

---

(١) انظر: نظم الجوهر ١٢٨/١.

(٢) الـذين انصـرفـوا مكـرمين هم: أعضـاء مجمـع نيقيـة وعـددهم ثـلاثمـائـة وثمـانيـة عشر.
انظر: المصدر السابق.

(٣) في نظم الجوهر: (تسع عشرة سنة).
انظر: المصدر السابق.

(٤) انظر المصدر السابق.

والثالثة: أن يقيم الناس جمعة الفصح والجمعة التي بعدها، لا يعملون فيها عملاً، ولا يكون فيها حرب.

قال[1]: وتقدم قسطنطين إلى أسقف بيت المقدس أن يطلب موضع المقبرة والصليب، ويبني الكنائس، ويبدأ ببناء القيامة[2] المقدسة.

فقالت «هيلانة» أم قسطنطين للملك[3]: إني نذرت أن أصير إلى بيت المقدس، فأطلب المواضع المقدسة فأبنيها، فدفع الملك إليها أموالاً كثيرة جزيلة.

وسارت إلى بيت المقدس مع أسقف بيت المقدس، فلما وصلت، لم يكن لها حرص ولا همة، إلَّا طلب الصليب.

فجمعت اليهود والسكان في بيت المقدس، واختارت منهم عشرة، ومن العشرة ثلاثة، كان واحد منهم يقال له «يهوذا» فسألتهم أن يدلوها على موضع الصليب، فامتنعوا وقالوا: ليس عندنا علم منه ولا خبرة بالموضع.

فأمرت بهم فطرحتهم في جب ليس فيه ماء، فأقاموا سبعة أيام لم يطعموا ولم يسقوا، فقال أحدهم ـ الذي اسمه يهوذا ـ لصاحبيه: إن أباه عرفه بالموضع الذي تطلب هذه المرأة، وإن جده عرف أباه.

فصاح الاثنان من الجب: أخرجونا حتى نعلم الملكة بحال هذا الرجل.

---

(١) انظر: نظم الجوهر ١ / ١٢٩.

(٢) في ط (القمامة) بدلاً من (القيامة).

(٣) في ط (الملك) بدلاً من (للملك).

فأخرجوهم، فأخبروا الملكة بما قال لهما «يهوذا» فأمرت بضربه بالسياط، فأقر أنه يعرف الموضع، فخرج حتى جاء إلى الموضع الذي فيه المقبرة والأقرانيون، وكانت مزبلة عظيمة هناك، فصلى وقال: اللَّهم إن كان في هذا الموضع المقبرة، فأسألك أن تزلزل المكان، وتخرج منه دخاناً حتى نؤمن[1]، فزلزل الموضع وخرج منه دخان كما سأل فآمن.

فأمرت «هيلانة» بكنس الموضع من التراب، فظهرت المقبرة والأقرانيون، ووجد ثلاثة صلبان، قالت «هيلانة»: كيف لنا أن نعلم بصليب[2] السيد المسيح؟ وكان بالقرب منهم عليل شديد العلة، قد يئس منه، فوضع الصليب الأول عليه، والثاني والثالث، فقام المريض وليس به شيء يكره.

فعلمت «هيلانة» أنه الصليب الذي لسيدنا المسيح، فجعلته في غلاف من ذهب، وحملته معها، وجملته بما تقدر عليه، وأظهرت كل ما كان مدفوناً من آثار سيدنا المسيح، وحملته إلى ابنها «قسطنطين» وبنت كنيسة القيامة[3] في موضع الصليب والأقرانيون وكنيسة قسطنطين وانصرفت وأمرت أسقف بيت المقدس أن يبني باقي الكنائس، وذلك في اثنين وعشرين سنة[4] من ملك قسطنطين.

قال[5]: فمن ميلاد سيدنا المسيح إلى أن وجد الصليب، ثلاثمائة وثمانية وعشرون سنة، وذكر[6] أنه بعد هذا اجتمعوا بمجمع عظيم ببيت

---

(١) في ط، ك (يؤمن) بدلاً من (نؤمن).

(٢) في ط (بصلب) بدلاً من (بصليب).

(٣) في ط (القمامة) بدلاً من (القيامة).

(٤) (سنة) ساقطة من هـ، ك.

(٥) انظر: نظم الجوهر ١ / ١٣٠.

(٦) انظر: المصدر السابق ص ١٣١.

المقدس[1].

وكان معهم رجل قد دسه بطرك القسطنطينية وجماعة معه ليسألوا بطرك الإسكندرية، وكان هذا الرجل لما رجع إلى الملك أظهر أنه مخالف لأريوس، وكان يرى رأيه ويقول بمقالته. فقام هذا الرجل واسمه «مانيوس»[2] فقال: إن أريوس لم يقل إن المسيح خلق الأشياء، ولكن قال به خلقت الأشياء، لأن «كلمة الله» التي بها خلق السماوات والأرض وإنما خلق الله الأشياء بكلمته، ولم تخلق الأشياء كلمته، كما قال سيدنا المسيح في الإنجيل المقدس: «كل بيده كان، ومن دونه لم يكن شيء» فقال: به كانت الحياة، والحياة نور البشر، وقال: في هذا العالم والعالم به تكون، فأخبر أن الأشياء به تكونت ولم يخبر أنها كونت له. قال: فهذه كانت مقالة «أريوس». ولكن الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً تعدوا عليه وظلموه وحرموه ظلماً وعدواناً.

فرد عليه بطرك الإسكندرية وقال: أما أريوس فلم يكذب عليه الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً ولا ظلموه، لأنه إنما قال: إن «الابن» خالق الأشياء دون الأب.

وإذا كانت الأشياء إنما خلقت بالابن دون أن يكون الأب لها خالقاً فقد يجب أن يكون ما خلق منها شيئاً، وفي ذلك تكذيب للمسيح، قوله: «الأب يخلق وأنا أخلق»[3] وقال: «إن أنا لم أعمل عمل أبي

---

(١) هذا هو المجمع الثالث ببيت المقدس سنة ٣٢٨م.

(٢) اسمه (أثناسيوس).
انظر: نظم الجوهر ١/١٣١.

(٣) في إنجيل متى ـ الإصحاح الخامس: (٢١ ـ لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء).
انظر: العهد الجديد ص ١٥٤.

فلا تصدقوني»[1]، وقال: «كما أن الأب يحيي من يشاء ويميته كذلك الابن يحيي من يشاء ويميته»[2].

فدل على أنه يحيي ويخلق، وفي هذا تكذيب لمن زعم أنه ليس بخالق، وإنما خلقت به دون أن يكون خالقاً له. وأما قولك: إن الأشياء كونت به، فإنما كنا لا نشك أن المسيح حي فعال، وكان قد دل بقوله: (إثما[3] أفعل الخلق والحياة)[4]، كان قولك: «به كونت الأشياء»، إنما هو راجع في المعنى إلى أنه كونها فكانت به[5] مكونة، ولو لم يكن ذلك كذلك لتناقض القولان.

قال[6]: ورد عليه أيضاً فقال: «أما قول من قال من أصحاب أريوس إن الأب يريد الشيء فيكونه الابن، والإرادة للأب، والتكوين للابن»، فإن ذلك يفسد أيضاً، إذ كان الابن عنده مخلوقاً فقد صار حظ المخلوق في الخلق أوفى من حظ الخالق فيه، وذلك أن هذا أراد وفعل، وذاك أراد ولم يفعل، فهذا أوفر حظاً في فعله من ذاك، ولا بد لهذا أن يكون في فعله لما يريد ذلك، بمنزلة كل فاعل من الخلق لما يريد الخالق منه، ويكون حكمه كحكمه في الجبر والاختيار، فإن كان

---

(١) في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح العاشر: (٣٧ ـ إن كنت لست أعمل عمل أبي فلا تؤمنوا بي).
انظر: العهد الجديد ص ١٦٧.

(٢) في إنجيل متى ـ الإصحاح الخامس: (٢١ ـ لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء).
انظر: العهد الجديد ص ١٥٤.

(٣) في هـ (إني) بدلاً من (إثما).

(٤) لم نعثر على هذا النص في العهد الجديد، لا منسوباً للمسيح ولا لغيره.

(٥) (به) ساقطة من هـ.

(٦) انظر: نظم الظوهر ١/١٣٢.

مجهولاً فلا شيء له في الفعل، وإن كان مختاراً فجائز أن يطاع، وجائز أن يعصى وجائز أن يثاب، وجائز أن يعاقب، وهذا أشنع في القول.

قال[1]: ورد عليه أيضاً وقال: إن كان الخالق إنما خلقه بمخلوق فالمخلوق غير الخالق بلا شك، فقد زعمتم أن الخالق يفعل بغيره، والفاعل بغيره محتاج إلى متممٍ ليفعل به، إذ كان لا يتم له الفعل إلَّا به، والمحتاج إلى غيره منقوص، والخالق يتعالى عن هذا كله.

قال: فلما دحض بطرك الإسكندرية[2] حجج أولئك المخالفين، وظهر لمن حضر بطلان قولهم، تحيروا وخجلوا، فوثبوا على بطرك الإسكندرية فضربوه حتى كاد أن يقتل، فخلصه من أيديهم ابن أخت قسطنطين، وهرب بطرك الإسكندرية[3] المحتج على أصحاب «أريوس» وصار إلى بيت المقدس من غير حضور أحد من الأساقفة. ثم أصلح دهن «الميرون»[4] وقدس الكنائس ومسحها بدهن الميرون، وسار إلى الملك فأعلمه بالخبر فصرفه الملك إلى الإسكندرية.

• • •

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) (بطرك الإسكندرية) ساقطة من ك.

(٣) في هـ، ك (إسكندرية) بسقوط (الـ).

(٤) **دهن الميرون**: هي مركبات من الدهون لها رائحة عطرية بسبب ما يضاف إليها، وتكون جامدة أو مائعة.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة.

فصل

قال[1]: وأمر الملك أن لا يسكن يهودي بيت المقدس ولا يجوز بها، ومن لم يتنصر يقتل، فتنصر من اليهود خلق كثير، وظهر دين النصرانية.

فقيل لقسطنطين الملك: إن اليهود يتنصرون من فزع القتل، وهم على دينهم، قال الملك: كيف لنا أن نعلم ذلك منهم؟

قال بولس البترك[2]: إن الخنزير في التوراة حرام، واليهود لا يأكلون لحم الخنزير، فأمر أن تذبح الخنازير وتطبخ لحومها وتطعمهم منها، فمن لم يأكل منه علمنا أنه مقيم على دين اليهودية.

فقال الملك: إذا كان الخنزير في التوراة حراماً، فكيف يجوز لنا أن نأكل لحم الخنزير ونطعمه الناس؟

فقال له بولس البترك: إن سيدنا المسيح قد أبطل كل ما في التوراة وجاء بناموس آخر وبتوراة جديدة، وهو الإنجيل، وفي إنجيله المقدس (أن كل ما يدخل البطن ليس بحرام ولا بنجس، وإنما ينجس الإنسان الذي يخرج من فيه)[3].

---

(١) انظر: نظم الجوهر ص ١٣٣.

(٢) بولس: هو بطريرك القسطنطينية مكان (أوصابيوس).
انظر: نظم الجوهر ص ١٣٢.

(٣) في إنجيل متى ــ الإصحاح الخامس عشر (أن كل ما يدخل الفم يمضي إلى الجوف ويندفع إلى الخارج وما يخرج من الفم فمن القلب يصدر وذلك ينجس الإنسان * لأن من القلب تخرج أفكار شريرة قتل وزنى وفسق وسرقة وشهادة زور وتجديف). =

وقال بولس الرسول في رسالته إلى أهل مدينة فورينيوس[1] الأولى[2]: (الطعام للبطن آلته لها، والبطن للطعام، وله يلعن)[3]، ومكتوب في الإبركسس ــ يعني أخبار الحواريين ــ أن بطرس رئيس الحواريين كان في مدينة «يافا»[4] في منزل رجل دباغ يقال له «سيمون»[5] وأنه صعد إلى المنزل ليصلي وقت ست ساعات من النهار، فوقع عليه سبات فنظر إلى السماء قد تفتحت، وإذا إزار قد نزل من السماء حتى بلغ الأرض.

وفيه: كل ذي أربع قوائم على الأرض من السباع والذئاب وغير ذلك من طير السماء. وسمع صوتاً يقول له: يا بطرس، قم فاذبح وكل، فقال بطرس: يا رب ما أكلت شيئاً نجساً قط ولا * وسخاً قط. فجاء

انظر: العهد الجديد ص ٢٨٠؛ وإنجيل مرقس ــ الإصحاح السابع ص ٦٨.

(١) (إلى أهل مدينة فورينيوس) ساقطة من: هـ، ك.

(٢) في هـ، ك (لما ولى) بدلاً من (الأولى).

(٣) (آلته لها، والبطن للطعام، وله يلعن) ساقطة من هـ، ك.
وقد وجدنا في رسالة بولس إلى أهل كورنتوس ــ الإصحاح السادس (١٣ ــ الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة والله سيبيد هذا وتلك).
انظر العهد الجديد ص ٢٧٤.

(٤) **يافا**: تقع غرب فلسطين على البحر المتوسط وهي ثغر بيت المقدس تبادلها الكابيون والسوريون ــ وقد سميت عند قدماء المصريين (يابو) ــ وغالبية سكانها من العرب إلى عام ١٩٤٨م حينما وقعت في أيدي اليهود.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٧٧.

(٥) **سيمون**: اسم عبراني معناه (السامع)، وفي الأصل لفظه نفس لفظ (سمعان)، وكان يدهش شعب السامرة بسحره ورأى سيمون المعجزات التي تجري على يد فيلبس فأيقن أنها تجري بقوة أعظم من سحره واعتمد ولازم فيلبس، وكان له أتباع يقال لهم السيمونيون.
انظر: العهد الجديد ــ الإصحاح الثامن ــ أعمال الرسل ٩/٣٠٣؛ وقاموس الكتاب المقدس ص ٤٩٧.

صوت ثانٍ: كل ما طهره الله فليس بنجس *[1]، وفي نسخة أخرى: ما طهره الله فلا تنجسه أنت.

ثم جاء الصوت بهذا ثلاث مرات، ثم إن الإزار ارتفع إلى السماء، فعجب بطرس وتحير فيما بينه وبين نفسه[2].

فبهذا المنظر وبما قال سيدنا المسيح في إنجيله المقدس أمر بطرس وبولس أن نأكل كل ذي أربع قوائم من الخنزير وغيره من جميع الحيوان حلالاً لنا.

فأمر الملك أن تذبح الخنازير وتطبخ لحومها، وتقطع صغاراً صغاراً، وتصير على أبواب الكنائس في كل مملكته يوم أحد الفصح، وكل من خرج من الكنيسة يلقم لقمة من لحم الخنزير، فمن لم يأكل منه يقتل، فقتل لأجل ذلك خلق كثير.

---

(١) ما بين النجمتين ساقط من ك.

(٢) في سفر أعمال الرسل ـ الإصحاح العاشر (ثم فيما هم يسافرون ويقتربون إلى المدينة صعد بطرس على السطح ليصلي نحو الساعة السادسة * فجاع كثيراً واشتهى أن يأكل بينما هم يهيئون له وقعت عليه غيبة * فرأى السماء مفتوحة وإناء نازلاً عليه مثل ملاءة عظيمة مربوطة بأربعة أطراف ومدلاة على الأرض * وكان فيها كل دواب والوحوش والزحافات وطيور السماء وصار إليه صورة قم يا بطرس اذبح وكل).

انظر: العهد الجديد ص ٢٠٧.

وتكملة للمطلوب:

(فقال بطرس: كلا يا رب لأني لم آكل قط شيئاً دنساً أو نجساً * فصار إليه أيضاً صوت ثانية ما طهره الله لا تدنسه أنت * وكان هذا على ثلاث مرات ثم ارتفع الإناء أيضاً إلى السماء).

انظر: المصدر السابق ص ٢٠٧، ٢٠٨؛ أعمال الرسل ـ الإصحاح ١١١، ص ٢١٠.

قال سعيد[1]: وكان لقسطنطين ثلاثة أولاد، أكبرهم قسطنطين[2] بن قسطنطين، وذلك حين ملك أزدشير[3] بن سابور بن هرمز على الفرس، وملك بعده سابور[4] بن سابور لخمس سنين من ملك قسطنطين.

قال[5]: وفي ذلك العصر اجتمع أصحاب «أريوس» وكل من قال بمقالته إلى الملك قسطنطين، فحملوا له دينهم ومقالتهم، وقالوا: إن الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً الذين كانوا اجتمعوا بنيقية قد أخطأوا وحادوا عن الحق في قولهم: إن الابن متفق مع الأب في الجوهر. فتأمر أن لا يقال هذا، فإنه خطأ. فأراد الملك أن يفعل ذلك.

قال[6]: وفي ذلك العصر ظهر على الأقرانيون ـ وهو الجلجلة ـ نصف النهار صليب من نور، من الأرض إلى السماء يفوق ضوؤه ضوء الشمس، فكان يبلغ إلى طور زيتا[7]، فرأى ذلك كل من كان في بيت المقدس من كبير وصغير.

---

(١) يعني: سعيد بن البطريق.
انظر: نظم الجوهر ص ١٣٤.

(٢) والثاني اسمه (قسطس) والثالث اسمه (قطنتيوس).
انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: نظم الجوهر ص ١٣٥.

(٤) انظر: نظم الجوهر ص ١٣٥.

(٥) انظر: المصدر السابق.

(٦) انظر: نظم الجوهر ١/١٣٥.

(٧) **طور زيتا**: الجزء الثاني بلفظ الزيت من الأدهان، وفي آخره ألف. علم مرتجل لجبل يقرب رأس عين عند قنطرة الخابور على رأسه شجر زيتون يسقيه المطر، ولذلك سمي طور زيتا، وقد مات فيه سبعون ألف نبي قتلهم الجوع والعري والقمل.
انظر: معجم البلدان ٤/٤٨.

فكتب أسقف بيت المقدس[1] إلى قسطنطين بن قسطنطين بالخبر وقال: في أيام أبيك السعيد ظهر صليب كواكب من السماء في نصف النهار، وفي أيامك ظهر أيها الملك على الأقرانيون صليب من نور يفوق نوره نور الشمس في نصف النهار.

وكتب إليه أن لا يقبل قول أصحاب أريوس فإنهم حائدون عن الحق، كفار، قد لعنهم الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً، ولعنوا كل من يقول بمقالتهم. فقبل قوله.

قال[2]: وفي ذلك الوقت غلبت مقالة «أريوس» على قسطنطينية وأنطاكية، وبابل، والإسكندرية.

فسمى التابعون[3] لأريوس والقائلون بمقالته «أريوسيين» مشتقاً من اسمه.

قال: وفي ثاني سنة من ملك قسطنطين، صير على أنطاكية بطرك أريوسي[4] ثم بعده آخر أريوسي[5]، ثم بعده آخر مناني[6]، وصير على قسطنطينية بترك مناني[7].

---

(١) اسمه: كيرللس.
انظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٣٥.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) في ك (التابعون لذلك) بزيادة (لذلك).

(٤) اسمه: (فبريانوس).
انظر: نظم الجوهر ١/١٣٥.

(٥) اسمه بلاسيوس. المصدر السابق ص ١٣٦.

(٦) اسمه: (أوزكسيو). المصدر السابق.

(٧) اسمه: (أصابيوس). المصدر السابق.

قـال: ففي عشر سنين من ملكـه صير على قسـطنطينيـة بطرك[1]، وكان يقول: روح القدس مخلوقة، وأقام[2] عشر سنين ومات.

ونقـل بعد ذلـك بطرك أنـطاكيـة فصيـر على قسـطنـطينيـة، وكـان منانياً[3].

قـال[4]: وأما أهـل مصر والإسكنـدريـة فكـان أكثـرهم أريـوسيين ومنـانيين، فغلبـوا على كنـائس مصـر فـأخـذوهـا، ووثبـوا عـلى بـترك الإسكنـدرية ليقتلوه، فهـرب منهم، واستخفى، وصيروا على إسكنـدرية بتـركاً منانياً[5].

وفي ذلك الزمان، قدم من القسطنطينيـة إلى الإسكندريـة قائـد[6] وكان أريوسياً، فنفى الملكي[7] وأقام بطركاً أريوسياً[8].

فلما خرج القائد قتـل الملكيون ذلـك البتـرك الأريـوسي وأحرقـوه بالنار.

---

(١) اسمه: (مكذونيوس). المصدر السابق.

(٢) في هـ، ك (أقام) بسقوط (و).

(٣) اسمه: (أوذكسيوس).
انظر: نظم الجوهر ١/١٣٦.

(٤) (قال) ساقطة من هـ، ك.

(٥) اسمه: (إغريفوريوس).
انظر: نظم الجوهر ١/١٣٦.

(٦) اسمه: (سوبريانوس). المصدر السابق.

(٧) (ملكي) يعني: مناني.
هو: (إثناسيوس).
انظر: نظم الجوهر ١/١٣٦.

(٨) اسمه: (جريج).
انظر المصدر السابق.

ومات الملك قسطنطين بن قسطنطين وله في الملك أربع وعشرون سنة.

وملك بعده يوليانوس[1] الملك الكافر على الروم سنين[2] وأراد أن يرد الناس إلى عبادة الأصنام، وقتل من الشهداء خلقاً كثيراً[3].

وفي أول سنة من ملكه وثب الأريوسيون ببيت المقدس على أسقفها الملكي[4] الذي كتب بظهور الصليب ليقتلوه، فهرب منهم، فصيروا أسقفاً[5] أريوسياً.

قال: وفي ثاني سنة من ملكه صير على أنطاكية بطركاً[6] على الأمانة، أقام خمساً وعشرين سنة.

وفي إحدى وعشرين سنة من رياسته، كان المجمع الثاني[7] بقسطنطينية.

قال: وكان في عصره أهل مدينة «نيريار»[8] كلهم صابئون، فوضع

---

(١) **بوليانوس**: الملك وكان كافراً وأراد رد الناس إلى عبادة الأصنام.
انظر: ابن البطريق ص ١٣٧.

(٢) في نظم الجوهر ١/١٣٦ (سنتين) بدلاً من (سنين).

(٣) (كثيراً) ساقطة من ط.

(٤) اسمه: (كورللس).
انظر: نظم الجوهر ١/١٣٧.

(٥) اسمه: (أراقليوس) المصدر السابق.

(٦) اسمه: (مليطيانوس). المصدر السابق.

(٧) **المجمع الثاني**: بالقسطنطينية عام ٥٥٣م، وقد أيد قرارات مجمع نيقية ومجمع القسطنطينية الأول، ومجمع خلقدونية، ولعن وطرد أصحاب الفكرة التي شاعت حينئذٍ عن تناسخ الأرواح، وأن شخص المسيح لم يكن حقيقة بل خيال.
انظر: مقارنة الأديان المسيحية ٢/١٩٦ ـ أحمد شلبي ـ النهضة المصرية.

(٨) في قاموس الكتاب المقدس **ثياتيرا**: مدينة في آسيا الصغرى ٢٨١ق. م بها إحدى الكنائس السبع ص ٢٣٩، ولم أجد غير ذلك في كتب البلدان.

أسقف «نيريار[١] ميمرا[٢]» في ميلاد المسيح ويقول[٣] في ابتدائه[٤] الميمر[٥]: السيد[٦] ولد مختوناً * فخذوا المسيح من السماء واستقبلوه على الأرض، فلما قرأه عليهم، استهزأوا به، وأقبلوا يضحكون منه، فلما كان عيد الحميم وضع «ميمرا» في عيد الحميم *[٧] هتك فيه دين الصابئين وفضحهم فيه، ومكن فيه دين النصرانية.

قال: وكان في عصر يوليانوس الملك الكافر أول راهب[٨] سكن برية مصر وبنى الديارات[٩]، وجمع الرهبان.

وكان آخر[١٠] بالشام وهو أول من سكن برية «الأردن» وجمع الرهبان. وبنى الديارات.

قال: وخرج هذا الملك الكافر لقتال «سابور» ملك الفرس، فلسوء مذهبه، ورداءة دينه، وما أراد أن يأخذ بعبادة الأصنام، ظفر به ملك

---

(١) (نيريار) ساقطة من هـ، ك.

(٢) في ط (وأميمرا) بدلاً من (ميمرا).

(٣) (ويقول) ساقطة من ك.

(٤) في هـ (ابتداءه).

(٥) (الميمر) ساقطة من ط.

(٦) في هـ، ك (المسيح) بدلاً من (السيد).

(٧) ما بين النجمتين ساقط من هـ، ك.

(٨) اسمه: (أنبا أنطون).
انظر: نظم الجوهر ١/١٣٧.

(٩) الديارات: جمع دير ــ أماكن للعبادة يتعبد فيه الرهبان ولا يكاد يكون في المصر الأعظم إنما يكون في الصحارى ورؤوس الجبال.
انظر: معجم البلدان ٢/٤٩٥.

(١٠) اسمه: (أنبا إيلاريون).
انظر: نظم الجوهر ١/١٣٧.

الفرس فقتله، وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة[1].

وذكر أسقف[2] «قيسارية» أنه كان جالساً في محرابه، وحذاؤه لوح، فيه صورة «ماري مركورس»[3] الشاهد، فنظر إلى اللوح فلم يرَ فيه صورة الشاهد، فعجب من ذلك إذ غابت، فلم يكن إلَّا ساعة، حتى عادت صورة الشاهد إلى اللوح، وفي طرف الحربة المصورة التي في يد الشاهد شبيه بالدم، فتعجب من ذلك وبقي متحيراً، حتى بلغه أن الملك الكافر قتل في الحرب.

فعلم أن «ماري مركوس» الشاهد قتله، لشدة بغضه الذي[4] كان للنصارى، وما كان عزم عليه من عبادة الأصنام.

وذكر[5] بعد هذا جماعة من البتاركة والأساقفة، كان بعضهم أريوسياً، وبعضهم منانياً، وبعضهم ملكياً، وذكر فتناً بينهم وتعصب كل طائفة لبتركها، حتى يقتل بعضهم بعضاً، وينفي بعضهم بعضاً.

وذكر[6] أنه اختلفت آراء النصارى، وكثرت مقالاتهم، وغلبت عليهم مقالة «أريوس» وأنهم ملكوا عليهم ملكاً اسمه «تذوس»[7]، وأن

---

(١) انظر: المصدر السابق ص ١٣٨

(٢) اسمه: (باسيليوس).
انظر: نظم الجوهر ١٣٨/١.

(٣) في نظم الجوهر ١٣٨/١ (مرقوريوس الشهيد).

(٤) (الذي) ساقطة من هـ، ك.

(٥) هذا كلام ابن تيمية عن ابن البطريق.
انظر: تاريخ ابن البطريق: آخر ١٣٨/١ وما بعدها.

(٦) ما حكاه ابن تيمية عن ابن البطريق موجود في تاريخه ١٤٠/١ وما بعدها.

(٧) في هـ (تدرس) بدلاً من (تذوس).
وفي نظم الجوهر: (ثاوذوسيوس).

الوزراء والقواد اجتمعوا إليه، ذاكرين أن مقالات الناس اختلفت وفسدت وغلبت عليهم مقالة «أريوس» و «مقدينوس»[1]، فينظر الملك في هذا ويذب عن النصرانية، ويوضح الأمانة المستقيمة.

وكتب إلى بطرك إسكندرية[2]، وأنطاكية[3]، ورومية[4]، وأسقف بيت المقدس[5]، فحضروا مع أساقفتهم بقسطنطينية، إلَّا بطرك رومية فإنه كتب وأنفذ بالأمانة المستقيمة.

فاجتمع بقسطنطينيةماية وخمسون أسقفاً[6]، وكان المقدم البطاركة الثلاثة[7]، فدفع الملك إليهم كتاب بطرك رومية، فكان صحيحاً موافقاً[8]، وكان يزعم أن روح القدس إلَه، ولكن مخلوق مصنوع.

فقال بطرك الإسكندرية: ليس روح القدس عندي معنى غير

---

(١) في هـ (مقدونوس) بدلاً من (مقدينوس).
وهو: (مكدونيوس) كما سماه ابن البطريق.

(٢) اسمه: (ثيموثاوسيوس).
انظر: نظم الجوهر ١/١٤٤.

(٣) اسمه: (ملاثيوس).
انظر: المصدر السابق.

(٤) اسمه: (دامسيوس). المصدر السابق.

(٥) اسمه: (كيرللس). المصدر السابق.

(٦) هذا هو المجمع القسطنطيني الأول سنة ٣٨١م، وقرار المجمع هو: لعن (مقدونيوس).
انظر: نظم الجوهر ١/١٤٥؛ ومحاضرات في النصرانية ــ أبو زهرة ــ ص **١٣٢**.

(٧) وهم: بطريرك الإسكندرية، وبطريرك إنطاكية، وأسقف بيت المقدس، الذين استجابوا لدعوة الملك، وقد سبق ذكر أسماءهم.

(٨) هنا كلام ساقط اختل بموجبه المعنى وهو: (ونظروا في مقالة «مكدونيوس»).
انظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٤٥.

حياته، فإذا قلنا إن روح القدس مخلوق، فقد قلنا: إن حياته مخلوقة، وإذا قلنا: إن حياته مخلوقة، فقد زعمنا أنه غير حي، وإذا زعمنا أنه غير حي، فقد كفرنا، ومن كفر وجب عليه اللعن.

فاتفقوا على لعن مقدونيوس، فلعنوه وأشياعه، ولعنوا البطاركة الذين كانوا بعده يقولون بقوله، ولعنوا أسقف[١] لونيه[٢] وأشياعه، ولعنوا بوليناريوس وأشياعه[٣]، لأنه كان يقول: إن الأب والابن وجه واحد.

ولعنوا بوليناريوس وأشياعه لأنه كان يقول: إن جسد سيدنا المسيح بغير فعل[٤].

وثبتوا أن روح القدس خالقة غير مخلوقة، إلّه حق، وأن طبيعة الأب والابن جوهر واحد، وطبيعة واحدة.

وزاد[٥] في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً الذين اجتمعوا في مدينة نيقية[٦]: (وبروح القدس المحيي، المميت، المنبثق، من الأب)[٧].

---

(١) اسمه (أسابليوس). المصدر السابق.

(٢) في نظم الجوهر: (لوبية). المصدر السابق.

(٣) هكذا في جميع النسخ، لكن هذا الكلام زائد على ما في نظم الجوهر ١/١٤٥ ـ منه ولعل الصحيح حذفه، لأن ذكر بوليناريوس جاء في الفترة التي بعدها، والكلام الذي بعد الجملة الزائدة منسوب لأسقف لونية وأشياعه. والله أعلم.

(٤) في نظم الجوهر (بلا عقل).
انظر: نظم الجوهر ١/١٤٥.

(٥) في نظم الجوهر (وزادوا) وهو أصح.

(٦) المجمع الأول. راجع ص ٧٤٧.

(٧) في نظم الجوهر: (وبروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد).

وثبتوا أن الأب وحده والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة[1] وجوه، وثلاثة خواص في وحدانية واحدة، وكيان واحدة، وثلاثة أقانيم إله واحد جوهر واحد، طبيعة واحدة.

وثبتوا أن جسد سيدنا المسيح بنفس ناطقة عقلية[2].

قال: فمن المجمع الأول إلى هذا المجمع الثاني، ثمان وخمسون سنة.

قال: وأطلق بطرك الإسكندرية للبطاركة والأساقفة والرهبان، أكل اللحم من أجل المنانية، ليعرف المناني منهم، لأن المنانية لا يرون أكل اللحم، ولا شيئاً من الحيوان البتة.

وكان أكثر أساقفة مصر منانية، فأكل بطاركة مصر وأسقفهم اللحم[3].

وأما بطاركة رومية وقسطنطينية وأساقفتها ورهبانها، فلم يأكلوا اللحم، وأكلوا بدل اللحم السمك، وأقاموه مقام اللحم إذ كان حيواناً[4].

قال سعيد بن البطريق[5]: لم يطلق أكل اللحم على أنهم يعتاضون منه بالسمك، إذ ليس بذبيحة، ويمنعون أكل اللحم، إذ كان قد أخطأ الذين أقاموا السمك مقام اللحم، وسيدنا المسيح فقد أكل

---

(١) في ط (ذو ثلاثة) بدلاً من (وثلاثة).

(٢) في نظم الجوهر (عاقلة ناطقة).
انظر: نظم الجوهر ١/١٤٦.

(٣) انظر: نظم الجوهر ١/١٤٦.

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) في ط (ابن البطريك) بدلاً من (ابن البطريق).

اللحم، فوجب ــ ضرورة ــ أكل اللحم، اقتداء بالسيد المسيح، ولو يوماً واحداً في السنة، ليزيلوا الشك من مذهب المنانية.

قال: وفي الأبركسس مكتوباً، ما نظره بطرس السليح[1] بـ «يافا»[2] من تنزل السبنية[3]، وفيها كل ذي أربع قوائم[4]، ولهذا[5] الحكم كل من لم يأكل اللحم مخالف لشريعة النصرانية، ومضاهاه لمذهب الصابئة الروم، وهم لا يغتسلون إلى اليوم، لأن المنانية لا يرون الغسل بالماء، فلما طال بهم الزمان أقاموه على هذه السنة.

وقال قوم: إنما تركوا الغسل بالماء لشدة برد بلادهم وبرد الماء عندهم، وأنه لا يتهيأ لهم بالجملة أن يقربوا الماء في الشتاء، لثلجه وبرده، فصار سنة جارية، شتاء وصيفاً.

والمنانية صنفان: السماعون[6]، والصديقون.

فالسماعون: يصومون في كل شهر أياماً معلومة.

والصديقون: يصومون الدهر كله، ولا يأكلون إلَّا ما نبت من الأرض.

---

(١) في هـ (المليح) بدلاً من (السليح).
وهو: رئيس الحواريين.
(٢) في هـ (ينا) بدلاً من (يافا).
(٣) في هـ (السسمة) بدلاً من (السبنية).
ولعلها: (السمينية) نسبة إلى سيمون صاحب الدار.
(٤) في تاريخ ابن البطريق (١/١٤٧) ذكر قصة بطرس رئيس الحواريين التي رأى فيها رؤيا عند ما كان في يافا في سطح منزل رجل دباغ... إلخ.
راجع ٤/٢٣١.
(٥) في هـ (وبهذا) بدلاً من (ولهذا).
(٦) في نظم الجوهر (١/١٤٨): (السماكون).

فلما تنصروا خافوا أن يتركوا أكل اللحم فيعلم بهم، فجعلوا لأنفسهم صياماً، فصاموا الميلاد والحواريين[1].

فلما طال بهم الزمان وتربوا في هذا الصوم، أكلوا اللحم، فتبعتهم في ذلك النساطرة، واليعاقبة، والمارونية[2]، وصارت سنة، استحسنتها الملكية فتبعوهم، وخاصة المقيمون ببلاد الإسلام[3].

وأما الروم فما تركوا أكل اللحم في أيام صوم الميلاد وصوم الحواريين، وتلك الأيام التي يظن[4] أنها من جملة الصوم الكبير.

فمن أحب أن يصوم الميلاد والحواريين والسيدة ولا يأكل لحماً، فليس بواجب وليس لأحد قطع اللحم طول السنة إلاَّ في صوم الأربعين المقدسة فقط، ومن فعل بضد ذلك مخالف راجع إلى أصحاب الآراء المختلفة.

قال: وفي ثمان سنين من ملك «ثذوس» ظهرت الفتية[5] الذين كانوا هربوا من «ذاقيوس»[6] الملك، واختفوا[7] في الكهف[8].

---

(١) في نظم الجوهر: (الميلاد والسيدة والحواريين) وبعدها جملة أغفلها ابن تيمية هي (مع الأرثوذكسيين وتركوا في هذه الأصوام أكل السمك).

(٢) في نظم الجوهر: (النسطوريون، واليعقوبيون، والمارونيون.

(٣) في هـ (سلام) بسقوط (الأ).
في ط (الشام) بدلاً من (الإسلام).
في نظم الجوهر (بأرض الإسلام).

(٤) في ط (نظن) بدلاً من (يظن).

(٥) في ط (فتية) بسقوط (ال).

(٦) سبق ذكره في أول كلام ابن البطريق ٤/١٢٥ من كتابنا هذا، واسمه هناك (داقنوس)، وقال وهو (دقيانوس).

(٧) في هـ (واختلفوا) بدلاً من (واختفوا).

(٨) ارجع لصفحة ٤/١٢٦ من كتابنا هذا حيث ذكر أول القصة.

وذلك أن الرعاة ـ على طول الزمان ـ كانوا إذا جازوا بذلك الموضع الذي هو الكهف قلعوا الطوب المبني على باب الكهف، حتى عاد مفتوحاً كالباب.

فلما انتبهت الفتية توهموا أنهم كانوا نياماً ليلة واحدة، فقالوا لصاحبهم الذي كان يذهب يبتاع لهم الطعام: امض واشتر لنا طعاماً واستعلم خبر «ذاقنوس».

فلما خرج إلى باب الكهف نظر إلى البنيان والهدم، ثم مضى حتى بلغ باب المدينة وهي «أفسس» فرأى باب المدينة عليه صليب كبير منصوب فأنكر ذلك في نفسه، وقال: أحسب أني نائم، فأقبل يمسح عينيه، وينظر يميناً وشمالاً: هل يرى من يعرفه، فلم ير. فبقي متحيراً وقال: لعلي أخطأت الطريق، ولعل هذه مدينة أخرى.

ثم دخل[1] المدينة فدفع دراهم مما كان معه، عليها صورة «ذاقيوس» الملك، فأنكر عليه، وقالوا: لعله أصاب كنزاً، ثم قالوا: من أين لك هذه الدارهم، وإلاَّ قتلناك فلم يكلمهم.

وصاح[2] الناس، فاجتمع إليه خلق كثير وكلموه فلم يكلمهم، فصاروا به إلى بطريق المدينة[3]، وكلمه فلم يتكلم، فهدده فلم يتكلم، فجاء إليه أسقف المدينة[4]، فكلمه وخوفه وقال: إنك إن لم تكلمني وتقل لي من أين لك هذه الدراهم وإلاَّ قتلتك.

---

(١) في ك (دخل) بسقوط (ثم).
(٢) في هـ (فصاح) بدلاً من (وصاح).
(٣) اسمه: (أنثيبطرس).
انظر: نظم الجوهر ١/١٥١.
(٤) اسمه: (مرقس). المصدر السابق.

وإنما كان يمتنع من الكلام خوفاً من «ذاقيوس» الملك.

فقالوا له: إنه قد مات وملك بعده جماعة ملوك، فضربوه حتى آلمه الضرب، فخبرهم بحاله على جليتها.

فقالوا له: إن «دقيانوس»[1] قد مات وملك بعده ملوك كثيرة، والملك اليوم «ثذوس» الكبير، وقد ظهر دين النصرانية.

ثم سار معهم إلى الكهف فنظروا إلى أصحابه والصندوق النحاس الذي فيه الصحيفة الرصاص مكتوب فيها قصتهم وخبرهم.

فكثر تعجبهم وكتبوا إلى الملك يعلمونه بخبرهم، فركب وسار إلى مدينة أفسس فنظر إليهم وكلمهم.

وبعد ثلاثة أيام دخل إليهم فوجدهم أمواتاً[2]، فأمر أن يتركوا في الكهف ولا يخرجوا، ولكن يدفنوا فيه وتبنى عليهم كنيسة، وتسمى بأسمائهم ويعيد لها عيد[3] في كل سنة في ذلك اليوم، وانصرف إلى قسطنطينية.

قال: فمن وقت هرب الفتية من ذاقيوس إلى الكهف، إلى الوقت الذي ظهروا فيه وماتوا، مائة وسبع، أو تسعة وأربعون سنة[4].

قلت[5]: هذا مما أخطأ فيه، فإن الله تعالى أخبر أنهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً.

---

(١) في ط (ذاقيوس) بدلاً من (دقيانوس).

(٢) في نظم الجوهر: (قد تنيحوا).

(٣) في نظم الجوهر: (ويعيدوا لهم عيداً).

(٤) في نظم الجوهر (١/١٥١): ثلاث مائة واثنتين وسبعين سنة.
وهذا التاريخ وكذلك التاريخ المثبوت في النص أعلاه مخالفان لما في القرآن ــ كما سيوضحه المؤلف بعد ذلك.

(٥) كلام ابن تيمية.

لكن بعض المفسرين، زعموا أن هذا قول بعض أهل الكتاب لقوله: (الله أعلم بما لبثوا) وليس كذلك، فإن الله لم يذكر هذا عن أهل الكتاب، بل ذكره كلاماً منه تعالى.

[1] قال سعيد[2]: وفي زمنه[3] كانت قصة بترك قسطنطينية «يوحنا» الملقب بـ«فم الذهب»[4] وتولى بعده ابنه «ثذوس»[5] الصغير اثنين وأربعين سنة لإحدى عشرة سنة من ملك «يزدجرد بن بهرام».

وفي زمنه جعل «نسطورس»[6] الذي تنسب إليه مقالة النسطورية بطركاً على قسطنطينية.

قال: وكان نسطورس يقول: إن مريم العذراء ليست بوالدة إلٰهاً على الحقيقة، ولذلك كان اثنان:

أحدهما: الذي هو إلٰه مولود من الأب، **والآخر**: الذي هو إنسان مولود من مريم، وأن هذا الإنسان الذي يقول: إنه مسيح بالمحبة متوحد مع ابن إلٰه، ويقال له إلٰه وابن إلٰه، ليس بالحقيقة، ولكن موهبة، واتفاق الإسمين والكرامة شبيهاً بأحد الأنبياء.

فبلغ قوله بطرك الإسكندرية[7] فأنكر ذلك، وكتب إليه يقبح عليه

---

(١) سقط من النقل: (مات «طاوذوسيوس» وملك بعده ابنه «أركاديوس»).
انظر: نظم الجوهر ١/١٥٢.

(٢) (سعيد) ساقطة من ك.

(٣) المقصود زمن (أركاديوس).

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) **ثذوس**: هذا حفيد (تذوس) أو (تاوذوسيوس) الكبير الذي اكتشف في زمنه أهل الكهف.

(٦) سبقت الإشارة إليه ص ٣/٢٨.

(٧) اسمه: (كرللس).
انظر: نظم الجوهر ١/١٥٦.

فعله ومقالته، ويعرفه فساد ما هو عليه ويسأله الرجوع إلى الحق، فجرت بينهما رسائل كثيرة، ولم يرجع نسطورس عن مقالته.

فكتب[1] إلى بطرك أنطاكية يسأله أن يكتب إلى نسطورس ويعرفه قبح فعله ورأيه وفساد مقالته، ويسأله الرجوع إلى الحق.

فكتب[2] إلى نسطورس: إن هو لم يرجع اجتمعوا ولعنوه، وجرت بينهما رسائل كثيرة، فلم يرجع[3].

فكتبوا إلى بطرك رومية وأنطاكية، وبطرك بيت المقدس أن يجتمعوا في مدينة «أفسس» لينظروا في مقالة نسطورس.

فاجتمع[4] بالمدينة مايتا أسقف، مقدمهم بطرك الإسكندرية، وتأخر بطرك أنطاكية فلم ينتظروه، وبعثوا إلى نسطورس فلم يحضر معهم، فنظروا في مقالته وأوجبوا عليه اللعن، فلعنوه ونفوه، وثبتوا أن مريم العذراء والدة الإله، وأن المسيح إله حق وإنسان معروف بطبيعتين متوحدة في الأقنوم.

وهذا هو خلاف المحبة لأن نسطورس كان يقول: إن التحيد (أي الاتحاد) اتفاق الوجهين، وأما التحيد (أي الاتحاد المستقيم) فإنما هو أن يكون أقنوماً واحداً من طبيعتين.

فلما لعنوا نسطورس، قدم يوحنا بطرك أنطاكية، فلما وجدهم قد لعنوه قبل حضوره، غضب وقال: ظلمتم نسطورس ولعنتموه باطلاً،

---

(١) الذي كتب هو بطرك أنطاكية الإسكندرية إلى بطرك أنطاكيا المسمى (يوحنا). المصدر السابق.

(٢) الذي كتب هو بطرك أنطاكية.

(٣) (فلم يرجع) ساقطة من ك.

(٤) في ك (فأجمع) بدلاً من (فاجتمع). وهذا هو مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م. انظر: محاضرات في النصرانية، لأبي زهرة ص ١٣٥.

وتعصب مع نسطورس، فجمع الأساقفة الذين قدموا معه، فقطع بطرك إسكندرية وقطع أسقف أفسس.

فلما رأى أصحاب بطرك إسكندرية قبح فعاله وقع بينهم شر عظيم، وخرجوا من أفسس، وصار أصحاب بطرك إسكندرية والمشرقيون حزبين، فلم يزل ثذوس الملك حتى أصلح بينهم.

وكتب المشرقيون صحيفة وثبتوا فيها الأمانة الصحيحة، وقالوا فيها: إن مريم العذراء القديسة ولدت إلٰهاً ربنا يسوع المسيح[1]، الذي هو مع أبيه في الطبيعة، ومع الناس[2] في الناسوت، وأقروا بطبيعتين ووجه واحد، وأقنوم واحد، ولعنوا نسطورس، ووجهوا بالصحيفة إلى بطرك إسكندرية فقبل الصحيفة، وأجابهم عنها بموافقتهم على ذلك.

وقال قوم: لما قبل صحيفة المشرقيين بدا له، ولم يقبل طبيعتين، ووجهاً واحداً.

قال[3] سعيد بن البطريق: وهم في ذلك كاذبون، لأن كتبه تنطق بذلك[4].

ثم أرسل نسخة صحيفة المشرقيين إلى جماعة من الأساقفة يعلمهم أن المشرقيين رجعوا إلى الإيمان، وأنهم غير موافقين لنسطورس.

قال: فمن المجمع الثاني إلى المائة والخمسين أسقفاً المجتمعين بمدينة قسطنطين، ولعنوا مقدونيوس إلى هذا المجمع المائتين أسقفاً المجتمعين بأفسس على نسطورس، إحدى وخمسون سنة.

---

(١) (المسيح) ساقطة من ط.
(٢) في ط (الناسوت) بدلاً من (الناس).
(٣) في ط (وقال) بزيادة (و).
(٤) انظر: نظم الجوهر ١/١٥٨.

قال: ولما نفي نسطورس صار إلى مصر، فأقام بضيعة في صعيد مصر يقال لها «أخميم»[1] ومات ودفن بها.

وكانت مقالته قد اندرست فأحياها من بعده بزمن طويل مطران «نصيبين»[2] في عصر بوسيطيانوس[3] ملك الروم، و «قباد بن فيروز»[4] ملك الفرس، فبثها بالمشرق، فلذلك كثر النسطورية بالمشرق، وخاصة أرض فارس[5] بالعراق والموصل، ونصيبين، والفرات والجزيرة.

قال سعيد بن البطريق[6]: رأيت أن أرد على النسطورية في هذا الموضع وأبين بطلان قولهم وفساده، لأن النسطورية في عصرنا هذا خالفوا قول نسطور القديم، وزعموا أن نسطور كان يقول: إن المسيح جوهران وأقنومان، إلّه تام بأقنومه وجوهره، وإنسان تام بأقنومه وجوهره.

وإن مريم ولدت المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته، لأن الأب عندهم ولد إلّهاً ولم يلد إنساناً، ومريم ولدت إنساناً ولم تلد إلّهاً.

---

(١) **أخميم**: مدينة بصعيد مصر على الشاطىء الشرقي للنيل تجاه سوهاج، وهي مركز بمحافظة جرجا، اشتهرت في العصر المسيحي بأديرتها الكثيرة وينسب إليها ذو النون المصري.

انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ١٣٩؛ والموسوعة العربية الميسرة ص ٦٦.

(٢) اسمه: (برصوما).
انظر: نظم الجوهر ١/١٥٨.

(٣) **بوسبطيانوس**: هو بوستينيانوس ملك الروم.
انظر: نظم الجوهر ص ١٥٨.

(٤) **قباد بن فيروز**: هو قباد بن فيروز ملك الفرس.
انظر: نظم الجوهر ص ١٥٨.

(٥) في ط (أهل فارس) بزيادة (أهل).

(٦) في ط (ابن البطريق) بسقوط (سعيد).
انظر: نظم الجوهر ١/١٥٩.

فيقال لهم: إن كان الأمر على ما تقولون، فالمسيح مسيحان وابنان فمسيح إلَه، وابن إلَه، ومسيح إنسان، وابن إنسان، لأنه[1] لا بد لمريم من أن تكون ولدت المسيح، أو لم تلده.

فإن كانت ولدته، فلا بد أن يكون[2] ولاداً روحانياً أو[3] جسمانياً.

فإن كان جسمانياً، فهو غير الذي ولده الأب، وذلك يوجب أن يكون مسيحان.

وإن كان روحانياً، فالمسيح ابن واحد، أقنوم واحد، مسيح واحد.

والدليل على ذلك صفيحة الحديد التي تتحد بها النار، فإنها سيف واحد تحرق، وتمنع، وتقطع، وتضيء[4].

ولا[5] يجوز أن يكون من الجهة الحديدية هي المحرقة المضيئة من غير جهة النار إذ كان ما لم يكن فيه نار من الحديد غير محرق.

ولا الجهة النارية هي القاطعة المانعة، إذ كان شأن النار الإضاءة والإحراق، لا القطع.

فقد ثبت بهذا وصح ما تعتقده الملكية من أن المسيح أقنوم واحد، وبان زيف قول النسطورية: إن المسيح أقنومان[6].

---

(١) (لأنه) ساقطة من ك.

(٢) في ط (تكون) بدلاً من (يكون).

(٣) (أو) ساقطة من ك.

(٤) في نظم الجوهر ١٥٩/١ (تحرق، وتقطع، وتضيء، وتلمع).

(٥) في ط، ك (لا) بسقوط (و).

(٦) انتهى كلام ابن البطريق.

قلت[1]: يقال لهذا[2]: إن قول النسطورية والملكية، وإن كانا باطلين، فقول الملكية أشد بطلاناً وأعظم كفراً وتناقضاً، وما ذكره هذا[2] باطل.

أما قوله: لو كان الأمر على ما تقولون، فالمسيح مسيحان.

فيقال له: هذا إنما يلزم أن لو كان اللاهوت بمجرده يسمى مسيحاً فإن النسطورية وافقوهم على باطل، وهو أن الرب ولد إلّهاً، وهذا باطل.

ولم يقل أحد قط من الأنبياء، لا في الإنجيل ولا غيره: إن صفة الله القائمة به مولودة، ولا أن الرب له مولود قديم أزلي.

ولكن إذا قدر أن الأمر كذلك، فصفة الله لم يسمها أحد مسيحاً.

فإذا قدر أن اللاهوت والناسوت جوهران أقنومان لا اتحاد بينهما، لم يلزم أن يكون اللاهوت مسيحاً، ولا هناك مسيح هو إلّه، ولا مسيح هو ابن إلٰه.

وقد تقدم عن نسطور أنه كان يقول: إن هذا الإنسان الذي نقول: إنه مسيح متوحد بالمحبة مع ابن إلّه ويقال له إلّه وابن إلّه، ليس[3] بالحقيقة[4]، ولكن موهبه[5].

* فقد صرح بأن المسيح هو الإنسان فقط دون اللاهوت، وأن

---

(١) هذا جواب ابن تيمية.
(٢) يعني: (سعيد بن بطريق).
(٣) (ليس) ساقطة من ك.
(٤) في ك، هـ، (في الحقيقة) بدلاً من (بالحقيقة).
(٥) (ولكن موهبه) ساقطة من ك، و ط.

المسيح ليس بإله ولا ابن إله في الحقيقة *[1].

فبطل ما ألزمه إياه، من أنه يلزم أن يكون هنا مسيحان.

وأما قوله: لا بد لمريم من أن تكون ولدت المسيح، أو لم تلده.

فيقال: بل ولدت المسيح وهو الإنسان، وهو غير اللاهوت الذي تزعمون أن الأب ولده، وليس في ذلك مسيحان، بل مسيح واحد إنسان مخلوق.

وأيضاً فقوله: فإن كان ولدته فلا بد أن يكون ولاداً روحانياً أو جسمانياً فإن كان روحانياً، فالمسيح ابن واحد، أقنوم واحد، مسيح واحد. تقسيم باطل، وحجة فاسدة داحضة.

فإن مريم لم تلد ولادة روحانية، بل خرج الولد من فرجها كما تخرج أولاد النساء من فروجهن، سواء كانت عذرتها[2] باقية أو لم تكن.

وأما ما ذكره من التمثيل بصفيحة الحديد، فلو قدر أنه مثل مطابق لم يدل على صحة قولهم، بل غايته أنه يدل على إمكانه.

فأين الدليل على أن هذا هو الواقع؟ فليس فيه ما يدل على صحة قول الملكية وفساد قول خصومهم، فكيف وهو تمثيل غير مطابق؟

فإن الحديد إذا اتحدت به[3] النار، كان الحديد قد استحال[4] عن صفته، فلم يبقَ حديداً محضاً، وليست ناراً محضاً، والخشب[5]

(١) ما بين النجمتين ساقط من هـ، ك.

(٢) (عذرتها) ساقطة من ك.
والمقصود (عذريتها) أي بكارتها.

(٣) في هـ (بها) بدلاً من (به).

(٤) في ط، ك (استحالت) بدلاً من (استحال).

(٥) في هـ (كالخشب) بدلاً من (والخشب).

وغيره إذا أحرق[1] وصار ناراً، فليس هو خشباً محضاً، وليس هو ناراً محضة بسيطة.

فمن شأن الشيئين ــ إذا اتحدا ــ أن يستحيل كل منها إلى جوهر ثالث وطبيعة ثالثة، ليست لا هذا ولا هذا، كالماء واللبن إذا اتحدا، فإن ذلك يصير جوهراً ثالثاً وطبيعة ثالثة، لا لبناً محضاً، ولا ماء محضاً وكذلك النار مع الحديد أو الخشب أو غير ذلك، فإن ذلك يصير جوهراً ثالثاً، ليس حديداً محضاً ولا خشباً محضاً، ولا ناراً محضة، لكن الحديد إذا برد هو حديد، لكنه تغيرت حقيقته، فالنار تلينه وتذهب خبثه، ولا يبقى ــ بعد اتحاده بالنار ــ كما كان قبل، والخشب يصير فحماً وهو جوهر ثالث، إذ كان من طبع النار أنها تؤثر في كل جسد بحسبه، فتؤثر[2] في الحديد بحسبه، وفي الخشب بحسبه.

وكل شيئين اتحدا فإنهما يصيران جوهراً ثالثاً وأقنوماً[3] ثالثاً وطبيعة ثالثة.

فإن كان اللاهوت والناسوت قد اتحدا ــ كما زعموا ــ فقد استحالت صفة اللاهوت، واستحالت صفة الناسوت، فلم يبقَ اللاهوت لاهوتاً، ولا الناسوت ناسوتاً، بل صارا جوهراً ثالثاً، لا لاهوت ولا ناسوت، وهم ينكرون هذا القول، وهو باطل.

فإن رب العالمين لا يتبدل، ولا تستحيل[4] صفاته بصفات[5]

---

(١) في هـ (احترق) بدلاً من (أحرق).

(٢) في ك (فيؤثر) بدلاً من (فتؤثر).

(٣) في ك (وقنوماً) بدلاً من (وأقنوماً).

(٤) (وتستحيل) هكذا في جميع النسخ، والسياق يقتضي أن يقال (ولا تستحيل).

(٥) في هـ (إلى صفات) بدلاً من (بصفات).

المحدثات، ولا ينقلب القديم ولا شيء من صفاته محدثاً، ولا يستحيل القديم الرب الخالق، والمخلوق المحدث إلى شيء ثالث.

بل صفات الرب التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها[1] لا تتبدل، ولا تنقلب، ولا تستحيل، فضلاً عن أن تستحيل إلى أمر ثالث.

ثم هذا الثالث، إن كان قديماً خالقاً، صار هنا خالقين قديمين.

وإن كان مخلوقاً محدثاً، كان الخالق قد صار مخلوقاً محدثاً، ومعلوم أن استحالة الخالق إلى خالق آخر[2] أو إلى مخلوق، ممتنع ظاهر الامتناع.

ومما يوضح هذا، أن ما مثلوا به من الحديدة المحماة بالنار هي جوهر ثالث، يجري على نارها ما يجري على حديدها، فإذا طرقت، فالتطريق واقع على نارها كما هو واقع على حديدها، وكذلك إذا مدت، وكذلك إذا بصق عليها، وكذلك إذا ألقيت في الماء.

فإن كان هذا التمثيل مطابقاً، لزم أن يكون ما حل بالناسوت قد حلّ باللاهوت.

فيكون رب العالمين، هو الذي يأكل ويشرب، ويبول ويتغوط، وهو الذي صفع عندهم، وبصق في وجهه، وجعل الشوك على رأسه، وضرب بالسياط، وصلب ومات، وتألم، كما يحكى مثل هذا عن اليعقوبية.

وهذا لازم لكل من قال بالاتحاد، حتى النسطورية إن قالوا: إنهما

---

(١) (التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها) ساقطة من ك، هـ.

(٢) في ط (آخره).

متحدان[1] بالمشيئة، بمعنى أن مشيئة هذا عين[2] مشيئة هذا.

بخلاف ما إذا قالوا: إن مشيئته موافقة لمشيئته ليست إياها، ولهذا قال ــ تعالى ــ:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[3].

* فذكر ــ سبحانه وتعالى ــ: أنهما كانا يأكلان الطعام *[4] لأن ذلك من أظهر الأدلة على أنهما مخلوقان مربوبان، إذ الخالق أحد صمد[5] لا يأكل ولا يشرب.

وذكر مريم مع المسيح لأن من النصارى من اتخذها إلٰهاً آخر، فعبدها كما عبد المسيح.

والذين لا يقولون بهذا: كثير منهم يطلب منها كل ما يطلب

(١) في ط (متحدون) بدلاً من (متحدان).

(٢) (عين) ساقطة من هـ.

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٢ ــ ٧٥.

(٤) ما بين النجمتين ساقط من هـ، ك.

(٥) في هـ، ك (إذ كان هو الخالق أحداً صمداً) بدلاً من (إذ الخالق أحد صمد).

من الله، حتى يقول لها: اغفري لي وارحميني، وغير ذلك، بناء على أنها تشفع في ذلك إلى ابنها.

فتارةً يقولون: يا والدة الإلَه، اشفعي لنا إلى الإلَه، وتارةً يسألونها الحوائج التي تطلب من الله ولا يذكرون شفاعة، وآخرون يعبدونها كما يعبدون المسيح.

وقد ذكر سعيد بن البطريق هذا عنهم، لما ذكر اجتماعهم عند قسطنطين بـ «نيقية»(١).

قال: وكانوا مختلفي الآراء، مختلفي الأديان.

فمنهم من يقول: المسيح وأمه إلَهان من دون الله، وهم: (المريمانيون، ويسمون المريمانية)(٢)، كذلك قال ابن حزم(٣)، وقد قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾(٤).

وهو ـ سبحانه ـ لم يحك هذا عن جميع النصارى بل سأل

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذا المجمع ص٧٤٧.

(٢) ما بين القوسين كتب في هـ. (وهم المريمانية وبسموم المريمانيين) وسبق التعريف بهم.

(٣) سبقت الإشارة إليه ص ٦١٩.

(٤) سورة المائدة: الآيتان ١١٦، ١١٧. في هـ، ك (إذ قال الله) بسقوط (و).

المسيح سؤالاً يقرع به من اتخذه وأمه إلّهين من دون الله.

قال ابن البطريق[1]: ويقال للنسطورية أيضاً، أخبرونا عن الناسوت (التي اتحدت بها اللاهوت وسمى)[2] مسيحاً، هل لم يزل مسيحاً منذ كان في بطن مريم إلى حين وضعته[3] وأرضعته وشب[4] وصلب وقتل، أم كان ثلاثين سنة وهو واحد من الناس، ثم اتحد بعد ذلك اللاهوت بالناسوت فكان مسيحاً؟

فإن قالوا: لم يكن مسيحاً وهو في بطن مريم، وإنما ولدت مريم إنساناً كان ثلاثين سنة وهو واحد من الناس، ثم اتحد بعد ذلك اللاهوت بالناسوت فكان مسيحاً، تركوا قولهم وكذبوا الإنجيل وبولص، وجميع كتب الكنيسة، وخرجوا عن مقالة النصرانية.

وإن قالوا: إن اللاهوت اتحد[5] في الناسوت[6] عند الحمل، وأنه كان مسيحاً وهو محمول ومولود ومرضع إلى أن صلب وقتل، قد أقروا أن مريم ولدت إلّهاً مسيحاً واحداً، أقنوماً واحداً[7].

فيقال[8] له: هذا التقسيم يدل على بطلان قول النصارى الذي ابتدعه طوائفهم الثلاثة وغيرهم، فإن الاتحاد يزعمون أنه كان من حين حملت به مريم، وأنه كان ينمو قليلاً قليلاً، كنمو جسد المسيح،

---

(١) انظر: نظم الجوهر ص ١٥٩.
(٢) في هـ (الذي اتحد به المسيح اللاهوت وسميا).
(٣) في هـ (حيث ولدته) بدلاً من (حين وضعته).
(٤) في هـ (وسب) بدلاً من (وشب).
(٥) في ك (اتحدت) بزيادة (ت).
(٦) في هـ، ك (بالناسوت) بدلاً من (في الناسوت).
(٧) انتهى كلام ابن البطريق.
(٨) هذا جواب ابن تيمية ــ رحمه الله ــ.

والاتحاد باطل، كما قد قرر غير مرة، ولو قدر أنه ممكن، لظهر أثر ذلك.

فإن الله لما كلم موسى من الشجرة، ظهر من الآيات والعظمة ما دل على ذلك. ولذلك كان إذا كلم موسى يظهر آيات ذلك.

وكذلك ما أخبر به في التوراة وغيرها من مصاحبته لبني إسرائيل، وهو مما ظهر أثره، وإن لم يكن متحداً ولا حالاً في شيء من ذلك.

ولما تجلى من طور سينا وأشرق من «ساعير» واستعلن من جبال «فاران» بما أنزله من كتبه، ظهر آثار ذلك، وإن لم تكن ذاته متحدة ولا حالة بفاران ولا طور سينا، باتفاق الأمم.

فكيف تكون ذاته متحدة بما في بطن مريم، أوحالة فيه، ولا يظهر أثر ذلك؟

وأيضاً فيقال له: قد يقول النسطورية له: الناسوت كان مسيحاً من حين الحمل، بمعنى أنه كان طاهراً مقدساً لا بمعنى اتحاد اللاهوت به.

وإن قالوا: المسيح اسم اللاهوت والناسوت جميعاً، فيقال: ليس في كتب الأنبياء ما يقتضي هذا، والنسطورية يسلمون ذلك، لكن قد يقولون: إن المسيح اسم لهما كما أن الإنسان اسم للروح والجسد.

ثم قد يقال لجسد الإنسان الميت: هذا الإنسان، فيقال وهو في بطن مريم أمه قبل نفخ الروح فيه: هذا الجنين وهذا الحمل. فكذلك إذا قيل له: مسيح بدون اللاهوت.

وأيضاً فقد تقول النساطرة باقتران اللاهوت من حين الحمل، ولا يلزم أن يكون قد ولدت إلهاً، إذ لم يقولوا بالاتحاد، بل قالوا: هما

جوهران أقنومان، ولدت أحدهما ولم تلد الآخر، كما تقول الملكية معهم: إنه صلب أحدهما ولم يصلب الآخر، ومات أحدهما ولم يمت الآخر، وتألم أحدهما ولم يتألم الآخر.

فكيف جوز الملكية حين الموت أن يحل الموت والصلب، والأكل والشرب[1]، وسائر الأمور البشرية بأحد الجوهرين دون الآخر، ولم يجوزوا ــ حين الولادة ــ أن تلد مريم أحد الجوهرين دون الآخر؟ وهل هذا إلَّا من تناقضهم؟ كقولهم جميعاً: إنه صعد إلى السماء، وقعد عن يمين أبيه مع قولهم: إن اللاهوت مع الناسوت[2] قعد عن يمين الآب.

ويقولون مع ذلك: إن اللاهوت القاعد عن يمين[3] الآخر هو ذلك الآخر، وهما جوهر واحد، وإله واحد، مع قوله: إنه إله حق من إله حق، فمناقضتهم كثيرة.

ولا ريب أن قول النسطورية أيضاً متناقض، لكن لا يمكن أن نصحح قول الملكية دون قولهم، بل قول الملكية أعظم فساداً وتناقضاً.

فالنسطورية يقولون: الإله لم يولد ولم يصلب.

واليعقوبية يقولون: ولد وصلب.

والملكية يقولون: ولد ولم يصلب.

ومتى جاز أن يولد، جاز أن يموت ويصلب، وإن لم يجز أن يصلب ويموت، لم يجز أن يولد.

---

(١) (والأكل والشرب) ساقطة من هـ، ك.

(٢) في هـ (الناسوت من إله حق) بزيادة (من إله حق).

(٣) في هـ (يمين الله) بزيادة (الله).

فتجويز أحدهما ومنع الآخر، تناقض.

ويقال للملكية: أنتم تقولون: إن اللاهوت اتحد بالناسوت عند الحمل، وكان مسيحاً وهو مصفوع ومصلوب وميت ومتألم، وتقولون[1]: هذا كان بالناسوت دون اللاهوت، فهذا التناقض من جنس تناقض النساطرة[2].

قال ابن البطريق[3]: ويقال للنساطرة أيضاً: متى اتحدت الكلمة بالإنسان؟ أقبل الولادة أم في حال الولادة؟

فإن قالوا: قبل الولادة، قلنا لهم: قبل الولادة، قبل الحمل، أو قبل الولادة وهو حمل؟

فإن قالوا: قبل الولادة وقبل الحمل، فقد زعموا أنه اتحد قبل أن يكون إنساناً وقبل أن يصور[4]. فإن كان ذلك كذلك فسد قول النسطورية: إن القديم اتحد بإنسان جزئي، لأن الإنسان الجزئي إنما كان إنساناً جزئياً لما صار مصوراً بشرياً[5].

فيقال[6] له: هذا السؤال لازم للطوائف الثلاثة، فإنهم يقولون بالاتحاد أعظم من النساطرة.

فإن قيل: هم يقولون: إنه اتحد بإنسان كلي، كان هذا من أفسد الأقاويل، فإن المسيح بشر معين جزئي، يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه، لم يكن إنساناً كلياً.

---

(١) في هـ (ويقولون) بدلاً من (وتقولون).

(٢) انتهى جواب المؤلف.

(٣) انظر: نظم الجوهر ١/١٦٠.

(٤) هنا زيادة (وقولك) في جميع النسخ.

(٥) انتهى كلام ابن البطريق.

(٦) هذا جواب ابن تيمية.

ثم قـال[1]: ويلزمهم، أن يزعمـوا أن اللاهـوت قد كـان حل مـع الناسوت تسعة أشهر ونحوها من بدء الحمل مقيماً معه في الموضع الذي يحمل فيه الجنين، ثم ولدا معاً، وهـذا خلاف قـولهم: إن مريم ولـدت المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته[2].

فيقال[3]: قد يقولون: إنه ولد الناسوت دون اللاهوت، كمـا يقول الملكية: إنه صلب الناسوت دون اللاهوت.

وإن كـان هذا متنـاقضاً، فـالنساطـرة أقـل تنـاقضـاً، لأن الملكيـة يقولون: إنهما شخص واحد، أقنوم واحد، فقد اتحد أحدهما بالآخر.

فـإذا جاز مـع هذا أن يفـارق أحدهمـا الآخر في الأكـل والشـرب والصلب والموت، فمن قال: إنهما جوهران أقنومان، هو أولى أن يقـول ولدت أحدهما دون الآخر[4].

ثم قال: وإن قالوا: اتحد به وهو حمل صورة تامة.

قلنا لهم: فقد كان الإله حملاً قبل الـولادة، وإذا جاز أن يحمـل، جاز أن يولد[5].

فيقـال[6]: هم لا يقولـون: بأنهمـا صارا شخصـاً واحـداً، أقنومـاً واحداً، بل يقولون: جوهران أقنومان وحينئذ فلا يقـولون: حملت بـإله،

---

(١) كلام ابن البطريق. نظم الجوهر ١/١٦٠.
(٢) انتهى كلام ابن البطريق.
(٣) هذا جواب ابن تيمية.
(٤) انتهى جواب المؤلف، وبدأ بعده كلام ابن البطريق.
انظر: نظم الجوهر ١/١٦٠.
(٥) انتهى كلام ابن البطريق.
(٦) هذا جواب ابن تيمية.

ولا ولدت إلٰهاً، كما لا يقول الملكية: صلب اللاهوت، ومات اللاهوت، مع قولهم بأن اللاهوت والناسوت اتحدا[1].

قال: فإن قالوا: كان الاتحاد في حال الولادة.

قلنا: فقد ولدت مريم الكلمة إذا مع الإنسان، والكلمة عندنا وعندهم إله، فقد ولدت مريم إلٰهاً.

فإن قالوا: نعم، قلنا: فإذا جاز أن يولد، فلم لا يجوز أن يكون حملاً؟ فإذا أجازوا ذلك، تركوا قولهم، وإن لم يجيزوه قلنا: فما الفرق بين أن يكون مولوداً، وبين أن يكون محمولاً؟ فإن قالوا: ليس الإلٰه مولوداً، ولم يكن الاتحاد قبل الولادة، وهو أن يكون محمولاً ولا في حال كونه ولداً في حال الولادة.

قلنا: فهذا نقض قولكم: إن مريم ولدت المسيح، لأن المسيح ــ عندكم ــ ليس هو الإنسان وحده، ومريم ــ عندكم ــ إنما ولدت الإنسان وحده.

وإذا كان المسيح ليس هو الإنسان وحده، وعندكم إنما ولدت الإنسان وحده قبل الاتحاد، فإنما ولدت إذاً، ما ليس بمسيح، إذ كان إنما كان مسيحاً بالاتحاد، وكان الاتحاد بعد الولادةَ فإنما كان مسيحاً بعد الولادة.

فإذا كان هذا ــ عندكم ــ فاسداً، وكانت مريم ولدت المسيح، فمريم لم تلد الإنسان وحده، وهذا يوجب أنها قد ولدت الإلٰه مع الإنسان، ويوجب أن الاتحاد كان قبل الولادة.

---

(١) انتهى جواب المؤلف، وبدأ بعده كلام لابن البطريق.
انظر: نظم الجوهر ١/ ١٦٠.

قال: فقد تبين زائف ما تعتقده النسطورية، من أن مريم ولدت المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته، وصح أن مريم ولدت إلٰهاً مسيحاً واحداً.

قال: ويقال لهم: إذا زعمتم أن المسيح جوهران، جوهر قديم وجوهر محدث، ثم زعمتم أن مريم ولدت المسيح، فقد أقررتم أن مريم ولدت هذين الجوهرين اللذين هما المسيح، وإذا ولدتهما، وأحدهما إلٰه، فقد ولدت إلٰهاً قديماً، ولا يجوز أن تلد إلاَّ ما كان محمولاً، فهذا يوجب أنها قد كانت حاملة لذلك الإلٰه.

فقد تبين زائف[1] ما تعتقده النسطورية، أن مريم لم تحمل إلٰهاً، ولم تلده، وصح ما تعتقده الملكية أن مريم ولدت إلٰهاً مسيحاً واحداً، وابناً واحداً، أقنوماً واحداً[2].

فيقال له[3]: ليس هذا التناقض من النسطورية بأعظم من تناقض الملكية فإنهم ـ مع قولهم باتحاد اللاهوت والناسوت، وأنهما شخص واحد ـ يقولون: إن أحدهما كان يأكل ويشرب، ويصوم ويصلي ويتصرف، وأنه أخذ وصفع، ووضع الشوك على رأسه وصلب وتألم، ومات دون الآخر.

فإذا كان قول النسطورية متناقضاً، فقول الملكية أعظم تناقضاً، فإذا منعوا أن تحمل[4] المرأة وتلد الناسوت دون اللاهوت لأجل الاتحاد الذي بينهما، وجب أن يمنعوا أن يأكل ويشرب، ويصلب ويقتل أحدهما

---

(١) في نظم الجوهر ١/١٦١: (فساد) بدلاً من (زايف).

(٢) انتهى كلام ابن البطريق.

(٣) هذا جواب ابن تيمية.

(٤) في هـ (تحبل) بدلاً من (تحمل).

دون الآخر لأجل الاتحاد بطريق الأولى.

وكون الصلب والقتل أعظم منافاة للربوبية من حمل مريم به وولادته إياه، لا يمنع كون كل ذلك ممتنعاً على الله.

ومن جوز عقله أن يكون رب العالمين خرج من فرج مريم وهي بكر، فقد جعل رب العالمين يخرج من ثقب صغير، وهذا أعظم ما يكون من الإمتناع.

ومن جوز عليه هذا، جوز عليه أن يخرج من كل ثقب مثل ذلك الثقب وأكبر منه، وجوز أن يخرج رب العالمين من فم كل حيوان وفرجه، ومن شقوق الأبواب وغير ذلك من الثقوب.

وإن قالوا: ذاك مكان طاهر، قيل: أفواه الأنبياء والصالحين أطهر من كل فرج في العالم، فيجوز أن يخرج من فم كل نبي وولى لله ومن أذنه، ومن أنفه، فإن هذه الخروق والثقوب أفضل من فروج النساء، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

فهؤلاء النصارى يقولون: إن كون الله مولوداً من فرج مريم، غير كونه مولوداً في الأزل من الأب، بل هما ولادتان، روحانية، وجسمانية.

وهم إذا طولبوا بتفهيم ما يقولونه وقيل لهم: هذا لا يتصور أن يكون رب العالمين يخرج من ثقب ضيق، لا فرج، ولا فم، ولا أذن، ولا غير ذلك من الأثقاب، قالوا: هذا فوق العقل، واعترفوا بأن هذا لا يتصوره العقل.

فيقال لهم: هذا الكلام لم يقله نبي من الأنبياء، ولم ينطق به[1] نبي من الأنبياء بأن مريم حملت برب العالمين وولدته، بل ولا نطق

---

(١) (به) ساقطة من ط، ك.

نبي من الأنبياء بأن الله مولود ولا شيء من صفاته مولود، لا علمه، ولا حياته، ولا غير ذلك.

ولا نطق نبي من الأنبياء لا المسيح ولا غيره بأن الله اتحد بشيء من المخلوقات.

وليس في الإنجيل وغيره مما ينقل عن الأنبياء شيء من ذلك، بل غاية ما فيها كلمات مجملة متشابهة، كقوله: (أنا وأبي واحد)[١]، كما قال الله لمحمد:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾[٢].

وقوله: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[٣].

فإذا قال بعض ملاحدة المسلمين من الشيعة[٤]، أو المتصوفة[٥]،

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ٣٣٨.

(٢) سورة الفتح: من الآية ١٠.

(٣) سورة النساء: من الآية ٨٠.

(٤) ملاحدة المسلمين من الشيعة، فمن الزيدية: أبو خالد الواسطي ومنصور بن الأسود وهارون بن سعد المعجمل وغيرهم، ومن الإمامية وسائر أصناف الشيعة سالم بن أبي الجعد وسالم بن أبي حفصة وغيرهم، ومن مؤلفي كتبهم هشام بن الحكم وعلي بن منصور وغيرهم، ومن المتأخرين أبو جعفر الطوسي.
انظر: الملل والنحل ص ١٩٠.

(٥) **المتصوفة**: هم فرقة ابتدعوا في دين الله، وساروا خلف مشايخهم في الأعمال والأقوال التي لم يرد بها كتاب ولا سنة ولا إجماع، ومن آخر مراحلهم مرحلة «وحدة الوجود» التي هي عندهم عبادة باطنها الكفر والإلحاد وإباحة المحظورات.

انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٦٢؛ ومقدمة ابن خلدون ص ٤٧٣؛ والصلة بين التصوف والتشيع ـ د. مصطفى كامل ص ٣٧٦.

أو غيرهم: إن الله[1] اتحد بمحمد، لقوله:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾.

كان هذا من جنس قول النصارى.

والآية لم تدل على ذلك، بل مبايعة الرسول مبايعة لله، لأن الرسول أمر بما أمر الله، ونهى عما نهى الله عنه.

فليس في كلام الأنبياء أن الله ولا شيئاً[2] من صفاته، مولود الولادة التي يسمونها ولادة عقلية وروحانية، ولا في كتبهم أن شيئاً من صفات الله تسمى ابناً لله، ولا أن اللاهوت ابن الله، فضلاً عن أن ينطقوا بأن الله مولود من امرأة ولادة، وخرج من فرجها، فيكون مولوداً ولادة جسمانية.

ولهذا لما تنازعت النصارى في ذلك لم يكن لمن ادعاه على من نفاه حجة من نصوص الأنبياء، غاية ما عندهم التمسك بألفاظ متشابهة وتغيير[3] ألفاظ صريحة محكمة، تبين أن المولود إنما هو بشر.

فإذا قالوا في الألفاظ المتشابهة: لا نعلم مراد الرسول بها، كان هذا مما قد يعذرون به، فإن المتشابه[4] من النصوص لا يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم.

فإذا قالوا: لسنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله،

---

(١) (الله) مكررة في ط.

(٢) في هـ، ك (ولا شيء) بدلاً من (ولا شيئاً).

(٣) في هـ، ك (معها) بدلاً من (وتغيير).

(٤) في ط، هـ (المتشابهة) بدلاً من (المتشابه).

كانوا شاهدين على أنفسهم بعدم العلم، وشهادة الإنسان على نفسه مقبولة.

بخلاف القول الذي تكلموا به هم، وزعموا أن معناه يدل عليه كلام الأنبياء، أو يدل عليه العقل، فإن عليهم أن يبينوا معناه الذي عنوه به، وعليهم أن يبينوا أنه قد دل على ذلك شرع أو عقل.

فإذا قالوا: نفس الكلام الذي قلناه لا نتصور معناه، كانوا معترفين أنهم يقولون على الله ما لا يعلمون، وهذا حرام عليهم.

وإن قالوا: إن كلام الأنبياء دل على ذلك، كان غاية ما عندهم التمسك بالمتشابه، وحينئذ فيطالبون بتفسير المتشابه، والجمع بينه وبين المحكم على وجه صحيح معلوم، وإلاَّ فإذا قالوا: هذا فوق العقل لا نفهمه.

قيل لهم: فدعوا المتشابه لا تحتجوا به، ولا تذكروا[1] له معنى، تزعمون أنكم لا تعقلونه.

* فمتى ثبت عن الأنبياء قول وقال قوم: إنا لا نفهمه، فإنهم يصدقون على أنفسهم.

وأما إذا فسروا كلام الأنبياء بقول عبروا به على مراد الأنبياء وقالوا: هذا مرادهم مع تعبيرهم عنه بعبارات أخرى، طولبوا بأن يبينوا ذلك المعنى، وقيل لهم: إن فهمتم ما قلتموه فبينوه، وإن لم تفهموه فلا تتكلموا بلا علم *[2].

---

(١) في ط (ولا تذكرون) بدلاً من (ولا تذكروا). وقبلها (ولا تحتجون) بدلاً من (لا تحتجوا).

(٢) ما بين النجمتين ساقط من ك.

قال سعيد بن البطريق[1]: أن أئمة الضلالة ـ أعني نسطوريوس[2] وأرطيوس[3] وديسقورس[4] وسورس[5] ويعقوب البرادعي[6] وأشياعهم ـ الذين أرادوا أن يقيموا الزيف والمحال ولم يرجعوا[7] إلى خشية الله وزاغوا عن سبيل الحق لسوء رأيهم، فقد تورطوا في بحر الضلالة.

وهم ـ جميعاً ـ فيما ارتطموا فيه من ضلالتهم يضمرون جهلاً منهم باتحاد لاهوت سيدنا المسيح بناسوته، ويتورط كل واحد منهم في وجه من وجوه الخلطة، ويتمسك به.

فقد رأيت أن أوضح وجه الخلطة، وأبين ذلك لتقف على فساد قولهم: إن من عظيم تدبير الله وكمال عدله وجليل رحمته، أن بعث كلمته الخالقة التي بها خلق كل شيء. وهي التي[8] من جوهره ليست مخلوقة، ولكن مولودة منه قبل كل الدهور، ولم يكن الله بلا كلمته ولا روحه قط، ولا كانت الكلمة بريّة منه قط، ولا من روحه الخالقة ولا من جوهره، فهبطت كلمة الله الخالقة بقوامها القائم الدائم الثابت، الذي لم يزل ولا يزال، فالتحمت من مريم العذراء وهي جارية طاهرة

---

(١) انظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٦١.
(٢) في هـ (نسطورس) ـ بدلاً من ـ (نسطوريوس).
انظر: نظم الجوهر ١/١٦١.
(٣) **أرطيوس**. انظر: المرجع السابق.
(٤) **ديقورس**. انظر: المرجع السابق.
(٥) اسمه (سويرس) المصدر السابق.
(٦) انظر: المصدر السابق.
(٧) في ط (يراجعوا) بدلاً من (يرجعوا).
(٨) (وهي التي) ساقطة من جميع النسخ.
انظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٦١.

مختارة من نسل داود، اصطفاها الله لهذا التدبير من نساء العالمين، وطهرها بروح القدس، روحه[1] الجوهرية، حتى جعلها أهلاً لحلول كلمة الله الجوهرية بها، فاحتجبت الكلمة الخالقة بإنسان مخلوق خلقته لنفسها، بمسرة الأب وموازرة روح القدس، خلقاً جديداً من غير نطفة آدمية جرت عليها الخطيئة، ومن غير مجامعة بشرية ولا انفكاك عذرة تلك الجارية المقدسة، فهو إنسان تام بجسده ونفسه الدموية وروحه الكلمانية التي من صورة الله في الإنسان وشبهه، فكانت مسكناً لله في حلوله واحتجا به للطفها عن جميع ما لطف من الخلائق كلهم.

واعلم أنه لا يرى شيء من لطيف الخلق إلَّا في غليظ الخلق، ولا يرى ما هو لطيف من اللطيف إلَّا مع ما هو أغلظ منه فيما يظهر لأهل الأثقال من غليظ الخلق.

وإنا وجدنا روح الإنسان العاقلة الكلمانية ألطف من لطيف الخلق، فلذلك كانت أولى خلق الله بحجاب الله، فكانت لها حجاباً ولمن هو ألطف منها، وكانت النفس الدموية لها حجاباً، والجسد الغليظ حجاباً.

فعلى هذا، خالطت كلمة الله الخالقة لنفس الإنسان الكاملة بجسدها ودمها وروحها العاقلة الكلمانية، وصارت كلمة الله بقوامها قواماً لتثليث الناسوت التي كمل جوهرها بتقويم قوام كلمة الله إياها، لأنها لم تخلق ولم تك شيئاً إلَّا بقوام[2] من كلمة الله الذي خلقها وكونها

---

(١) في ط (وروحه) بزيادة (و).

(٢) في ط (ألا يقول) بدلاً من (إلَّا بقوام).
انظر: نظم الجوهر ١٦٢/١ (إلَّا بقوام).

لا من شيء لا[1] سبق قبل ذلك في بطن مريم ولا من شيء[2] كان لها من نطفة ولا من غير ذلك غير قوام الكلمة الخالقة الذي هو أحد التثليث الإلٰهي، فذلك القوام معدود معروف مع الناس لما ضم إليه وخلقه له، التحم به من جوهر الإنسان، فهو بتوحيد ذلك القوام الواحد، قوام لكلمة الله الخالقة، واحد في التثليث بجوهر لاهوته، واحد في الناس بجوهر ناسوته وليس باثنين، ولكن واحد مع الأب والروح، وهو إياه، واحد مع الناس جميعاً بجوهرين مختلفين، من جوهر اللاهوت الخالق، وجوهر الناسوت المخلوق، بتوحيد القوام الواحد، قوام الكلمة التي هي الابن المولود من الله قبل الأدهار كلها، وهو إياه المولود من مريم العذراء في آخر الزمان من غير مفارقة من الأب ولا من روح القدس[3].

قلت[4]: فهذا كلام سعيد بن البطريق الذي قرر به دين النصارى، وفيه من الباطل ما يطول وصفه، لكن نذكر من ذلك وجوها:

الوجه الأول: قوله: إن من عظيم تدبير الله أن بعث كلمته الخالقة، التي بها خلق كل شيء من جوهره ليست مخلوقة ولكن مولودة منه[5]، فهبطت كلمة الله الخالقة بقوامها القائم الدائم، فالتحمت من مريم العذراء.

فيقال: قد جعلت الكلمة الخالقة، وقلت ــ بعد هذا ــ: ولا كانت الكلمة برية منه، ولا من روحه الخالقة، وقلت ــ بعدها ــ:

---

(١) في نظم الجوهر: (سبق).
(٢) في هـ، ك (سبب) بدلاً من (شيء).
(٣) انتهى كلام ابن البطريق ١/١٦٣.
(٤) هذا جواب ابن تيمية.
(٥) في ط (منها) بدلاً من (منه).

فاحتجبت الكلمة الخالقة بإنسان مخلوق خلقته لنفسها بمسرة[1] الأب ومؤازرة روح القدس جميعاً، خلقاً جديداً.

فيقال لهم: أخالق العالم ـ عندكم ـ خالق واحد وهو إله واحد، أم للعالم ثلاثة آلهة خالقون؟

فإن قالوا: إن الخالق واحد، وهم ثلاثة آلهة[2] خالقون، كما أنهم في كثير من كلامهم يصرحون بثلاثة آلهة، وثلاثة خالقين، ثم يقولون: إله واحد، وخالق واحد.

فيقال: وهذا تناقض ظاهر، فإما هذا، وإما هذا.

وإذا قلتم: الخالق واحد، له ثلاث صفات، لم ننازعكم في أن الخالق له صفات، لكن لا يختص بثلاثة.

فإن قالوا بثلاثة آلهة خالقين، كما قد كثر منهم في كثير من كلامهم بان كفرهم وعظم شركهم، وبان أن شركهم أعظم من كل شرك في العالم فغاية المجوس الثنوية[3]، إثبات اثنين، نور، وظلمة، وهؤلاء يثبتون ثلاثة.

ثم الأدلة السمعية في التوراة والإنجيل والزبور وسائر كلام الأنبياء مع الأدلة العقلة المبينة لكون الخالق واحداً، كثيرة جداً، لا يمكن حصرها هنا.

وإن قالوا: إن الخالق واحد، له صفات، قيل لهم: فهذا مناقض لقولكم: إنه بعث كلمته الخالقة، وقولكم: «ولا كانت الكلمة برية منه

---

(١) في هـ (ثمرة) بدلاً من (بمسرة).

(٢) (آلهة) ساقطة من هـ ، ك.

(٣) سبق التعريف بها.

ولا من روحه الخالقة» وقولكم: «فهبطت الكلمة الخالقة» وقولكم: «فاحتجبت الكلمة الخالقة بإنسان مخلوق، خلقته لنفسها بمسرة الأب ومؤازرة الروح». فهذا يقتضي أن الكلمة خالقة وأن الروح خالقة، وأنها خلقت بمسرة الأب الخالق ومؤازرة الروح الخالقة، وهذا الخالق هبط، والأب لم يهبط.

فإذا كان الخالق واحداً له صفات، لم يكن هنا إلَّا خالق واحد.

الوجه الثاني: قولكم: «بعث كلمته الخالقة التي بها خلق كل شيء»، وقد نطقت الكتب بأن الله يخلق الأشياء بكلامه فيقول لها: (كن فيكون) هكذا في القرآن[1]، والتوراة[2]، وغيرهما.

لكن الخالق هو الله تعالى يخلق بكلامه، ليس كلامه خالقاً.

ولا يقول أحد قط: إن كلام الله خلق السماوات والأرض.

والتوراة كلام الله، والإنجيل كلام الله، ولا يقل أحد: إن شيئاً من ذلك خلق السماوات والأرض، ولا يقول أحدٌ: يا كلام الله اغفر لي وارحمني.

فقول هؤلاء: إن كلمته هي الخالقة وإنه خلق بها، كلام متناقض.

فإنها إن كانت هي الخالقة[3]، لم تكن هي المخلوق به، فالمخلوق به ليس هو الخالق.

الوجه[4] الثالث: أن يقال: قولكم: «كلمة الله الخالقة» أهي

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿كن فيكون﴾، سورة يٓس: من الآية ٨٤.

(٢) إشارة إلى ما ورد في أول سفر التكوين بالعهد القديم (ليكن كذا وليكن كذا).

(٣) في هـ، ك (الخالق) بدلاً من (الخالقة).

(٤) (الوجه) ساقطة من هـ، ك.

كلام الله كله، أم هي بعض كلام الله، أم هي المعنى القائم بالذات القديم الأزلي[1]، الذي يثبته ابن كلاب[2]، أم حروف وأصوات قديمة أزلية كما يقوله بعض الناس، أم هي الذات المتكلمة؟

فإن كانت هي الذات المتكلمة، فهي الأب والرب، وتكون هي الموصوفة بالحياة، فلا يكون هناك كلام مولود، ولا كلمة أرسلت ولا غير ذلك مما ذكره، وهذا خلاف قولهم كلهم، فإن الكلمة المتحدة بالمسيح ليست هي الأب عندهم.

وإن قالوا: بل هي كلام الله كله.

قيل لهم: فيكون المسيح هو التوراة، والإنجيل والقرآن وسائر كلام الله. وهذا لا يقولونه، ولم يقله أحد ولا يقوله عاقل.

وإن قالوا: إنها هي المعنى الواحد القديم الأزلي، أو الحروف[3] والأصوات القديمة الأزلية.

قيل لهم: هذان القولان، وإن كانا باطلين، فإن قلتم بهما، لزمكم أن يكون المسيح هو كلام الله كله، فإن هذين ـ عند من يقول بهما ـ هما جميع كلام الله.

والتوراة، والإنجيل وسائر كلام الله، عبارة عن ذلك المعنى القائم بذات الله، وهو الحروف والأصوات القديمة القائمة بالذات عند من يقول بهذين.

---

(١) في هـ، ك (الأزل) بدلاً من (الأزلي).

(٢) **ابن كلاب**: هو عبد الله بن سعيد بن كلاب من أهل البصرة، كان نصرانياً فأسلم وفارق قومه، له مذهب في الكلام مشهور.
انظر البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ١٩.

(٣) في هـ (والحروف) بسقوط (أ).

وإن قلتم: إن المسيح بعض كلمات الله، فحينئذٍ لله كلمات أخر غير المسيح، فاجعلوا كل كلمة خالقاً، كما جعلتم الكلمة المتحدة بالمسيح خالقاً، إذ كنتم تقولون: «الكلمة هي الخالقة وهي المخلوق بها فقولوا عن سائر كلمات الله: إنها خالقة مخلوق بها، وحينئذٍ فيتعدد الخالق بتعدد كلمات الله.

وإذا كانت كلمات الله لا نهاية لها، كان الخلق خالقون لا نهاية لهم، وهذا غاية الباطل والكفر.

وبالجملة أي شيء فسروا به الكلمة تبين به فساد قولهم، ولكنهم يتكلمون بما لا يفهمونه، ويقولون الكذب والكفر المتناقض، وإنما عندهم تقليد من أضلهم، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[1].

الوجه[2] الرابع: أن يقال لهم: ما[3] لم يعلم[4] بالمعقول، فليس في المنقول[5] ما يدل عليه، وأنتم لا تدعون أنكم عرفتموه بالعقل، لكن بما نقل عن الأنبياء، وأنتم قد فسرتم كلمته بعلمه وحكمته، وروح القدس بحياته، فمن أي نبي تنقلون أن علم الله وحكمته مولودة منه، وأنه يسمى ابناً، وأن علمه أو حكمته خلق كل شيء، وأن حياته خلقت كل شيء، وأن علمه خالق وإلّه ورب، وحياته خالقة وإلّه ورب، وليس

(١) سورة المائدة: من الآية ٧٧.

(٢) (الوجه) ساقطة من هـ، ك.

(٣) في هـ (هذا الكلام) بدلاً من (ما).

(٤) في ك (علم) بدلاً من (ما لم يعلم).

(٥) في هـ (العقول) بدلاً من (المنقول).

في الأنبياء[1] من سمى شيئاً من صفات الرب ولـداً له ولا ابنـاً، ولا ذكر أن الله ولد شيئاً من صفـاته. فـدعواكم أن صفتـه القديمـة الأزلية ولـدت مرتين، مرة ولادة قديمة أزلية، وولادة حادثة من فرج مريم، كذب معلوم على الأنبيـاء لم يقل أحـد منهم: إن الله ولـد، ولا إن شيئـاً من صفـاتـه ولده، لا ولادة روحانية، ولا ولادة جسمانية.

وهـذا وإن أبطل قـول الملكيـة، فهـو لقـول[2] اليعقـوبيـة، أشـد إبطالاً، وهو مبطل أيضاً لقول النسطورية، فإنهم يقـولون: بـالأمانـة التي فيها أنه مولود قديم أزلي، فإن طوائفهم الثلاثة متفقون على الأمـانة التي ابتدعوها في زمن قسطنطين بعد أكثر من ثلاثمائة سنة من المسيح.

الوجه[3] الخامس: قولكم بعث كلمته الخالقة، فهبطت كلمـة الله الخـالقة التي بهـا خلق كل شيء، ليست مخلوقـة، ولكن مولـودة منـه، ولم يكن الله بلا كلمته، ولا روحه قط.

من قال من الأنبياء: أنه لم يكن بلا روحـه قط، أو أن روحه صفـة له قديمة، أو أنها حياته؟

وكلام الأنبياء كله ينطق بأن روح الله وروح القدس ونحو ذلـك هو ما ينزله على الأنبياء، كـالوحي والتـأييد، أو المـلائكة، فليست روح الله صفة قائمة به ولا غيرها، ولكنها أمر بائن عنه.

الوجه[3] السـادس: أنه إذا كـان قد بعث كلمتـه الخالقـة وهبطت والتحمت من مريم، فهو نفسـه رب العالمين، هبط والتحم من مـريم أم

(١) في هـ (الأشياء) بدلاً من (الأنبياء).

(٢) في هـ (كقول) بدلاً من (لقول).

(٣) (الوجه) ساقطة من هـ، ك.

رب العالمين نفسه، لم يهبط ولم يلتحم[1] من مريم، وإنما هبط والتحم الكلمة التي أرسلها.

فإن قلتم: هو نفسه هبط والتحم، كان الأب الوالد للكلمة، هو الذي هبط والتحم، وكان الأب هو الكلمة، وهذا مناقض لأقوالكم.

وإن قلتم: إن المبعوث الهابط الملتحم ليس هو الأب، بل هو كلمة الرب فقد جعلتموه الخالق، فيكون هناك خالقان، خالق أرسل فهبط والتحم، وخالق أرسل ذلك ولم يهبط ولم يلتحم، وقد أثبتم خالقاً ثالثاً، وهو الروح، وهذا تصريح بثلاثة آلهة خالقين.

الوجه السابع: أنه قال: إن الله بعث كلمته الخالقة التي بها خلق كل شيء فمع كونه جعلها خالقة، جعل أنه بها خلق كل شيء، والذي خلق بها كل شيء هو خالق، فجعلها خالقة، وجعل خالقاً آخر، وجعل أحد الخالقين قد خلق الآخر به كل شيء، وجعل هذا الخالق قد بعث ذاك الخالق الذي به خلق كل شيء، وجعل الكلمة الخالقة احتجبت بإنسان مخلوق خلقته لنفسها بمسرة الأب ومؤازرة روح القدس خلقاً جديداً.

وإذا كانت هي الخالقة بمسرة الأب الخالق على الخلق، فالأب لم يخلقه، بل سر بذلك، وروح القدس وازرت ذلك، والخالق خلق الخلق.

ومعلوم أنه إذا كان للخالق من يوازره على الخلق، لم يكن مستقلاً بالخلق، بل يكون له فيه شريك.

فهذه الكلمة، تارةً يقولون: هي الخالقة، وتارةً يقولون: خلق بها

---

(١) في هـ (يلحم) بدلاً من (يلتحم).

الخالق فخلقت، وتارة يقولون: إن روح القدس وازرها في الخلق، فهذه أربعة أقوال ينقض بعضها بعضاً.

فإن كان الله هو الخالق لكل شيء فالخالق واحد، فليس هناك خالق آخر ولا شريك له في الخلق.

والخالق إذا خلق الأشياء بقوله: «كن» لم يكن كلامه خالقاً، ولو كانت كل كلمة إلّهاً خالقاً، لكان الآلهة الخالقون كثيرين لا نهاية لهم.

ثم قال: ليست بمخلوقة ولكن مولودة منه من قبل كل الدهور.

فيقال: من من الأنبياء سمى شيئاً من صفات الله مولوداً قديماً أزلياً[1]؟ فكيف يكون مولود قديم أزلي[2]؟ وهل يعقل مولود إلَّا محدثاً[3]؟

وأيضاً فإذا جاز أن تكون الكلمة التي يفسرونها بالعلم أو الحكمة مولودة منه، فكذلك حياته[4] مولودة منه، وإن كانت حياته منبثقة منه فكلمته منبثقة منه.

فجعل إحدى الصفتين الأزليتين مولودة من[5] الأزل غير منبثقة، والأخرى ليست مولودة من الأزل. بل منبثقة، مع كونه باطلاً، فهو متناقض وتفريق بين المتماثلين.

فإنه إن جاز أن يقال للصفة القديمة الأزلية: إنها مولودة منه فالحياة مولودة.

---

(١) في هـ (مولوداً له وأيضاً) بدلاً من (مولوداً قديماً أزلياً).
(٢) في ك، هـ (أزل) بدلاً من (أزلي).
(٣) في ك (إلَّا محدثاً) غير ظاهرة.
(٤) في ط، ك (تكون) بدلاً من (حياته).
(٥) في هـ (هي) بدلاً من (من).

وإن جاز أن يقال: إنها منبثقة، فالكلمة منبثقة.

وأيضاً فكون الصفة إلّهاً خالقاً، وإثبات ثلاثة آلهة خالقين مع قولهم: إن الخالق واحد، تناقض آخر.

وأيضاً فقوله: «ولم يكن الله بلا كلمته ولا روحه قط» إن أراد بروحه حياته، فهذا صحيح، لكن من من الأنبياء سمى حياة الله روحه؟ ومن الذي جعل الله روحاً قديمة أزلية؟ وهل هذا إلَّا افتراء على الأنبياء؟

وليس لقائل أن يقول: إن هذا نزاع لفظي فلا اعتبار به، لأن هذا تفسير لكلام الأنبياء، فهم الذين تكلموا بروح الله وروح القدس ونحو ذلك، ولم يرد أحد بذلك حياة الله قط.

فتسمية حياة الله روحاً، وتفسير مراد الأنبياء بذلك، افتراء على الله ورسله.

الوجه الثامن: قوله: «فهبطت كلمة الله الخالقة بقوامها القائم الدائم الثابت الذي لم يزل ولا يزول، فالتحمت من مريم العذراء، وهي جارية طاهرة، مختارة من نسل داود، اصطفاها الله لهذا التدبير من نساء العالمين وطهرها بروح القدس، روحه الجوهرية، التي جعلها أهلاً لحلول كلمة الله الجوهرية بها، فاحتجبت الكلمة الخالقة بإنسان مخلوق خلقته لنفسها، بمسرة الأب، ومؤازرة روح القدس، خلقاً جديداً».

فيقال: إن الكتب دلت على أن المسيح تجسد من روح القدس، ومن مريم العذراء البتول، وهكذا هو في الأمانة التي لهم، وبهذا أخبر القرآن حيث أخبر في غير موضع، أنه نفخ في مريم من روحه مع إخباره أنه أرسل إليها روحه.

قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾[3].

فالكتب الإلٓهية يصدق بعضها بعضاً.

لكن دعواكم أن روح القدس، روح الله الجوهرية (أي حياته القديمة الأزلية) أمر مخالف لجميع كتب الله وأنبيائه.

فلم يفسر أحد منهم روح القدس بصفة الله، لا جوهرية، ولا غير

---

(١) سورة مريم: الآيات ١٦ ـ ٢٣.
في هـ، ك (ليهب) بدلاً من (لأهب).

(٢) سورة الأنبياء: من الآية ٩١.

(٣) سورة التحريم: من الآية ١٢.

جوهرية ولا قديمة، ولا غير قديمة، ولا أرادوا بذلك حياة الله.

فقولكم هذا، تبديل لكلام الله وكلام أنبيائه ورسله، كما أنكم في قولكم إن كلمة الله أو علمه، أو حياته، مولودة منه، وإن صفته القديمة الأزلية هي ابنه مما[1] حرفتم فيه كلام الأنبياء، فلم يرد أحد منهم هذا المعنى بهذا اللفظ قط، ولم يطلق في جميع الكتب التي عندكم لفظ الابن المولود، إلَّا على محدث مخلوق لا على شيء قديم أزلي، لا موصوف ولا صفة، لا علم ولا كلام، ولا حكمة، ولا غير ذلك.

وكل ولادة في الكتب الإلّهية التي عندكم وغيرها، فهي ولادة حادثة زمانية، وكل مولود، فهو محدث مخلوق[2] زماني، ليس في الكتب ولادة قديمة أزلية ولا مولود قديم أزلي، كما أنكم ذكرتم ذلك في أمانتكم وغيرها.

فلو كان ما ذكرتموه ممكناً في العقول، لم يجز أن تجعلوه[3] موجوداً واقعاً، وتقولوا: الأنبياء أرادوا ذلك، إلَّا أن يكونوا بينوا أن ذلك مرادهم.

فإذا كان كلامهم صريحاً في أنهم لم يريدوا ذلك، والمعقول الصريح يناقض ذلك، كان ما قلتموه كذباً على الله وعلى أنبيائه ورسله ومسيحه، وكان باطلاً في المعقول، وكنتم ممن قيل فيه:

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[4].

---

(١) في ط، ك (ما) بدلاً من (مما).

(٢) في هـ (مخلوق محدث) بزيادة (محدث).

(٣) في هـ، ك (تجعله) بدلاً من (تجعلوه).

(٤) سورة الملك: من الآية ١٠.

ثم يقال: أنتم قلتم: «إن الكلمة الخالقة هبطت فالتحمت من مريم، واحتجبت بإنسان مخلوق خلقته لنفسها»، وقلتم: «إن مريم حملت بالإله الخالق وولدته، الذي هو الابن».

فإذا جوزتم أن تكون مريم هي أمًّا للخالق الذي هو الابن حملته وولدته فلم لا يجوز أن تكون زوجة للخالق الذي هو الأب، مع أن الخالق التحم من مريم؟ وقد قلتم: لم يكن الله بلا كلمته ولا روحه قط، ولا كانت الكلمة برية منه قط، ولا من روحه الخالقة، ولا من جوهره؟

فجعلتم الروح خالقة، والله الذي هو الأب خالقاً، والمسيح قد تجسد من الروح الخالقة ومن مريم، فكما[1] أن مريم أمه، فالروح الخالقة بمنزلة أبيه.

وأيضاً فمريم، لها اتصال بالأب وبروح القدس، وكلاهما أب للمسيح على ما ذكرتموه.

فإذا كانت مريم متصلة بكل واحد ممن جعلتموه أباً للمسيح، وقلتم إن الخالق التحم من مريم، فهذا أبلغ ما يكون من جعل الخالق زوج مريم.

ومهما فسرتم به اتحاد اللاهوت بناسوت المسيح المخلوق منها، كانت تفسير التحام اللاهوت بناسوت مريم حتى يصير زوجاً لمريم أولى وأحرى، وليس في ذلك نقص ولا عيب إلَّا وفي كون اللاهوت ابن مريم، ما هو أبلغ منه في النقص والعيب.

ومعلوم أن أم[2] الإنسان أعلى قدراً عنده من زوجته، وأن تسلطه

(١) في هـ (وكما) بدلاً من (فكما).

(٢) (أم) ساقطة من ط.

على زوجته أعظم منه على أمه، فإن الرجل مالك للزوجة، قوام عليها والمرأة أسيرة عند زوجها، بخلاف أمه.

فإذا جعلتم اللاهوت الخالق القديم الأزلي ابناً لناسوت مريم بحكم الاتحاد مع كونه خالقاً لها بلاهوته وابناً لها بناسوته، ولم يكن هذا ممتنعاً عندكم ولا قبيحاً، فأن تكون مريم صاحبة له وزوجة وامرأة بحكم الالتحام بالناسوت أولى وأحرى.

وإن كان هذا ممتنعاً وقبيحاً، فذاك أشد امتناعاً وقبحاً.

* ولهذا ذهب طوائف من النصارى إلى أن مريم امرأة الله وزوجته[1] وقالوا: أبلغ[2] من ذلك، حتى ذكروا شهوته للنكاح[3].

ولقد قال بعض *[4] أكابر عقلاء الملوك ممن كان نصرانياً: إنهم كانوا إذا «نبهوا على قولهم: إن عيسى ابن الله لم يفهم[5] من ذلك إلَّا أن الله أحبل أمه وولدت له[6] المسيح ابنه *[7] كما يحبل الرجل المرأة وتلد له الولد، فيكون قد انفصل من الله جزء في مريم بعد أن نكحها، وذلك الجزء الذي من الله ومن مريم، ولدته مريم، كما تلد المرأة الولد الذي منها ومن زوجها، وقد قالت الجن المؤمنون:

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[8].

---

(١) في هـ (زوجة الله وصاحبته) بدلاً من (امرأة الله وزوجته).

(٢) في ط (إنما هو أبلغ) بزيادة (إنما هو).

(٣) في ط (شهرة النكاح) بدلاً من (شهوته للنكاح).

(٤) ما بين النجمتين غير ظاهر في ك.

(٥) في ط (يفهموا) بدلاً من (يفهم).

(٦) (الله أحبل أمه وولدت له) ساقطة من هـ .

(٧) ما بين النجمتين غير ظاهر في ك.

(٨) سورة الجن: من الآية ٣.

فنزهوه عن هذا وهذا، وهؤلاء الجن المؤمنون أكمل عقلاً وديناً من هؤلاء النصارى.

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1].

فقوله: «أنى يكون له ولد» تقديره من أين يكون له ولد؟ فـ(أنى) في اللغة بمعنى «من أين ذلك» وهذا استفهام إنكار.

فبين ــ سبحانه ــ أنه يمتنع أن يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة، مع أنه خالق كل شيء، وأن هذا الولد يمتنع أن يكون، وأن هذا الامتناع مستقر[2] في صريح المعقول.

ثم إذا كانت الكلمة التي هي الخالق المخلوق به، قد حلت في جوف مريم، والتحمت من مريم وخلقت منها إنساناً هو المسيح خلقته لنفسها واحتجبت به واتحدت به، فهل كان خلقها لهذا الإنسان قبل الاتحاد والاحتجاب أم حين ذلك؟

فإنه بعد ذلك ظاهر الامتناع، محال[3] أنها بعد الاحتجاب به والاتحاد خلقته بل لا بد أن تكون[4] خلقته قبله أو معه.

فإن كان معه، لزم كون المخلوق متحداً بالخالق دائماً، لم تمر

---

(١) سورة الأنعام: من الآية ١٠١.
في ط ذكر أن هذه الآية في سورة المائدة.

(٢) (مستقر) ساقطة من ك.

(٣) في هـ (بحال) بدلاً من (محال).

(٤) في هـ (يكون) بدلاً من (تكون).

عليه لحظة إلَّا وهو[1] متحد به.

فإذا أمكن أن يقارن المخلوق خالقه ـ وعندهم أنه أقام تسعة أشهر حملاً كعامة الناس، وقد ذكر ذلك[2] سعيد بن البطريق هذا ـ فإذا كان كذلك، كان الرب متحداً بالمضغة والجماد، الذي لا روح فيه.

وإذا جاز عليه هذا، جاز أن يتحد بسائر الجمادات، وهذا على قول الأكثرين[3] الذين يقولون: إن الروح، إنما نفخت فيه بعد أربعة أشهر * ومن قال أنها نفخت فيه من حين أخذ الجسد من مريم *[4] وهذا يشبه[5] قول جمهور النصارى الذين يقولون: إن المسيح مات وصلب وفارقته الروح[6] الناطقة[7] المنفوخة فيه، والإله المتحد به لم يفارقه أبداً[8]، فإنهم[9] يقولون: إنه من حين اتحد بناسوت المسيح لم يفارقه، بل هو الآن متحد به، وهو في السماء قاعد عن يمين أبيه، وذلك القاعد هو الخالق القديم، والأب هو الإله الخالق القديم الأزلي، وهما مع ذلك إله واحد.

والمقصود هنا أنهم يقولون باتحاد اللاهوت بجسد لا روح فيه قبل النفخ وبعد الموت إلى أن قام من قبره، فعادت[10] الروح إليه، وحينئذٍ

---

(١) في هـ (هو) بسقوط (و).

(٢) (ذلك) ساقطة من ط.

(٣) في هـ (للأكثرين) بدلاً من (الأكثرين).

(٤) ما بين النجمتين ساقط من هـ، ك

(٥) في هـ، ك (أشبه) بدلاً من (يشبه).

(٦) في هـ، ك (مستقر الروح) بزيادة (مستقر).

(٧) في ط (الباطلة)، وفي ك (غير ظاهرة) بدلاً من (الناطقة).

(٨) (أبداً) ساقطة من هـ، ك.

(٩) (فإنهم) ساقطة من ك.

(١٠) في هـ (فعاد) بسقوط (ت).

لم يظهر من تلك المضغة[1] شيء[2] من العجائب.

وهم يستدلون على إلّهية المسيح بالعجائب، مع أنه كان الإلّه متحداً به قبل أن يظهر العجائب، وحينئذٍ فلا يلزم من عدم ظهور العجائب من شيء، الجزم بأن الرب لم يتحد به مع إمكان الاتحاد.

ويلزم أن كل جامد وحي ظهرت منه العجائب، أن يكون ذلك دليلاً على أن الرب اتحد به.

وحينئذٍ فعباد العجل أعذر من النصارى، وإن كان من عباد الأصنام من يقول: إن الصنم خلق السماوات والأرض، فهو أعذر من النصارى، لأن ظهور العجائب من الحيوان الأعجم والجماد، أعظم من ظهورها من الإنسان الناطق، لا سيما الأنبياء والرسل، فإن الأنبياء والرسل، معروفون بظهور العجائب على أيديهم. فإذا ظهرت على يد من يقول: إني نبي مرسل، كانت دليلاً على نبوته، لا على إلّهيته.

والمسيح كان يقول: إني نبي مرسل، كما ذكر ذلك في الإنجيل في غير موضع، فأما الحيوان الأعجم والجماد، فلا يجوز أن يكون نبياً.

فإن جاز الاتحاد بالمضغة والجسم المقبور الذي لا روح فيه، فاتحاده بالعجل وبالصنم أولى، وحينئذٍ فخوار العجل عجيب منه.

فاستدلال عباد العجل بذلك على أنه إلّه، خير من استدلال النصارى على إلّهية المضغة إن قدر ظهور شيء من العجائب التي قد يستدلون بها.

---

(١) في هـ (الصفة) بدلاً من (المضغة).

(٢) (شيء) ساقطة من ط، ك.

وإن كانت تلك لا تدل إلَّا على نبوته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم تسليماً ـ .

الوجه التاسع: قوله: «فاحتجبت الكلمة الخالقة بإنسان مخلوق خلقته لنفسها»، وقوله: «فكانت[1] مسكناً في حلوله واحتجابه للطفها عن جميع ما لطف من الخلائق كلهم».

يقال لهم ـ أولاً ـ : من أين لك أن روح الإنسان ألطف من جميع المخلوقات؟ وأنها ألطف من الملائكة والروح الذي قال الله فيه:

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾[2].

وإنها ألطف من الروح التي نفخ في آدم منه بقوله:

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[3].

وبتقدير أن تكون[4] ألطف، فأنت لا تقول: إن الاحتجاب والاتحاد كان بروح الإنسان مجردة، بل بالجسد الناسوتي الدموي الغليظ، وتقول[5]: «إن الخالق التحم من مريم العذراء» فتجعل[6] الخالق قد التحم من لحم[7] مريم، ومن[8] رحمها الذي هو لحم ودم،

---

(١) في هـ (وكانت) بدلاً من (فكانت).

(٢) سورة النبأ: من الآية ٣٨.
(إلَّا من أذن له الرحمن) ناقصة من هـ .

(٣) سورة ص: من الآية ٧٢، وسورة الحجر: من الآية ٢٩.

(٤) في هـ (يكون) بدلاً من (تكون).

(٥) في هـ (ويقول) بدلاً من (وتقول).

(٦) في هـ (فجعل) بدلاً من (فتجعل).

(٧) (من لحم) ساقطة من هـ .

(٨) في هـ (من) بسقوط (و).

وهذه أجساد كثيفة، بل جمهورهم يقول: إنه[1] اتحد بجسد لا روح فيه قبل النفخ وبعد الموت وقبل أن يقوم من قبره.

وحينئذٍ فقولك: «فكانت مسكناً لله في حلوله واحتجابه للطفها عن جميع ما لطف من الخلائق كلهم «وصف ممنوع، والتعليل به باطل، فإنه لو كان مسكناً للطفه، لم يجز أن يسكن إلَّا في الروح اللطيفة، فلما أثبت اتحاداً بالجسد الكثيف، بطل قولك: «إنه اتحد بالإنسان للطفه».

الوجه العاشر: قولكم[2]: «واعلم أنه لا يرى شيئاً[3] من لطيف الخلق إلَّا في غليظ الخلق، ولا يرى ما هو لطيف من اللطيف إلَّا مع ما هو أغلظ منه».

يقال لهم: إما أن يكون الله لما اتحد بالمسيح عندكم قد رآه الناس وعاينوه، أو لم يره أحد.

فإن قلتم: قد رآه الناس وعاينوه، فهذا مخالف[4] للحس والشرع والعقل.

أما الحس، فإن أحداً ممن رأى المسيح لم يرَ شيئاً يتميز[5] به المسيح عن[6] غيره من البشر، غير العجائب التي ظهرت على غيره، منها ما هو أعظم مما ظهر عليه، ولم يرَ إلَّا بدن المسيح الظاهر، لم يرَ باطنه، لا قلبه ولا كبده ولا طحاله، فضلاً عن أن يرى روحه، فضلاً عن

---

(١) (إنه) ساقطة من ط، ك.
(٢) في هـ، ك (قولك) بدلاً من (قولكم).
(٣) في أ شيء.
(٤) (مخالف) ساقطة من هـ.
(٥) في هـ (يميز) بدلاً من (يتميز).
(٦) في هـ (من) بدلاً من (عن).

أن يرى الملائكة الذين يوحون إليه، فضلاً عن أن يرى الله، إن قدر أنه كان متحداً به، أو حالاً فيه.

فدعوى المدعي أن من رأى المسيح، فقد رأى الله عياناً ببصره في غاية المباهتة والمكابرة والكذب، لو قدر أن الله حال فيه، أو متحد به.

فإنه من المعلوم أن الملائكة تنزل[1] على المسيح وغيره، وتتصل بأرواحهم، والناس لا يرون الملائكة، بل الجن تدخل في بني آدم والناس لا يرونهم، وإنما يرون جسد المصروع.

وكل إنسان معه قرينه من الملائكة، وقرينه من الجن، وهو ـ نفسه ـ لا يرى ذلك، ولا يراه من حوله.

وتحضره الملائكة وقت الموت، ولا يراهم من حوله، مع أنه هو يراهم، قال ـ تعالى ـ:

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[2].

فإذا كانت هذه المخلوقات، التي اتفق أهل الملل على اقترانها بالإنسان واتصالها بهم، وأن رؤيتها ممكنة، لا يراها الناس، فكيف يقال: إن المسيح الذي لم يرَ الناس منه إلَّا ما رأوه من أمثاله من الرسل كإبراهيم، وموسى، ولم يكن له قط شيء يتميز به عن جنس الرسل، فكيف يقال: إن الذين رأوه، رأوا الله عياناً بأبصارهم؟

---

(١) في هـ (نزلت) بدلاً من (تنزل).

(٢) سورة الواقعة: الآيات ٨٣ ـ ٨٧.
في ط (بلغت الروح الحلقوم) بزيادة (الروح) وهو خطأ.

وأما الشرع، فموسى، والمسيح وغيرهما من الأنبياء، أخبروا أن أحداً لا يرى الله في الدنيا.

وأما العقل، فإن رؤية بعض ملائكة الله، أو بعض الجن يظهر لرائيها من الدلائل والأحوال ما يطول وصفه، فكيف بمن رأى الله؟

والذين رأوا المسيح، لم يكن حالهم إلاَّ كحال سائر من رأى الرسل، منهم الكافر به المكذب له، ومنهم المؤمن به، المصدق له، بل هم يذكرون من إهانة ناسوته ما لا يعرف عن نظرائه من الرسل، مثل ضربه، والبصاق في وجهه، ووضع الشوك على رأسه وصلبه وغير ذلك.

وأيضاً، فمعلوم أن من رأى الله، إما أن يعرف أنه الله، أو لا يعرف.

فإن عرف أنه رأى الله، كان الذين رأوا المسيح قد علموا أنه الله، ولو علموا ذلك، لحصل[1] لهم من الاضطراب ما يقصر عنه الخطاب.

وإن كانوا لم يعرفوه، فهذا في غاية الامتناع، حيث صار رب العالمين لا يميز بينه وبين غيره من مخلوقاته، بل يكون كواحد منهم، ولا يميز بينه وبينهم، ولا يعرف الرائي أن هذا هو الله.

ولوازم هذا القول الفاسدة[2] كثيرة جداً.

وإن قالوا: إن الله لم يرَ، لما اتحد بالمسيح * وإنما رئي جسد المسيح الذي احتجب به الله *[3] فقولهم بعد ذلك: «واعلم أنه لا يرى شيء من لطيف الخلق إلاَّ في غليظ الخلق، ولا يرى ما هو لطيف من

---

(١) في هـ (لم يحصل) بدلاً من (لحصل).

(٢) في هـ (الفاسد) بسقوط (ة).

(٣) ما بين النجمتين ساقطة من ك.

اللطيف إلاَّ مع ما هو أغلظ منه» كلام لا فائدة فيه. إذ كان هذا مثلاً ضربوه لله، ليبينوا أنه يرى[1].

فإذا سلموا أنه لم يرَ، لم يكن في هذا المثل فائدة، بل كان هذا[2] استدلالاً على شيء يعلمون أنه باطل.

وأيضاً فما ذكروه، من أن اللطيف لا يرى إلاَّ في الغليظ، باطل، فإن اللطيف كروح الإنسان، لا ترى في الدنيا وإن علم وجودها، وأحس الإنسان بروحه وصفاتها، فرؤيتها بالبصر غير هذا. يبين ذلك:

الوجه الحادي عشر: قولهم: «وإنّا وجدنا روح الإنسان العاقلة الكلمانية ـ يعنون النفس الناطقة ـ ألطف من لطيف الخلق، فلذلك كانت أولى[3] خلق الله بحجاب الله، فكانت له حجاباً، وكانت النفس الدموية لها حجاباً، والجسد الغليظ حجاباً.

فعلى هذا خالطت كلمة[4] الله الخالقة نفس الإنسان الكاملة لجسدها[5] ودمها، وروحها العاقلة الكلمانية، وصارت كلمة الله، بقوامها، قواماً لتثليث الناسوت التي كمل جوهرها بتقويم قوام كلمة الله إياها، لأنها لم تخلق، ولم تك شيئاً إلاَّ بقول من كلمة الله الذي خلقها وقومها، لا من شيء سبق قبل ذلك في بطن مريم، ولا من سبب كان لها من غير ذلك غير قوام الكلمة الخالقة الذي هو أحد التثليث الإلّهي.

---

(١) في هـ (رى) بسقوط (يـ).
(٢) (هذا) ساقطة من هـ.
(٣) في هـ (أول) بدلاً من (أولى).
(٤) في هـ (كلمات) بدلاً من (كلمة).
(٥) في هـ (بجسدها) بدلاً من (لجسدها).

فيقال لهم: هذا الكلام يقتضي أن الخالق احتجب بالنفس الناطقة والنفس الناطقة احتجبت بالبدن.

وأنتم تصرحون[1] بأن نفس الكلمة التي هي الخالق، وهي الله عندكم، التي خلقت لنفسها إنساناً احتجبت به، وقلتم: هو إنسان تام بجسده ونفسه الدموية، وروحه الكلمانية، أي نفسه الناطقة التي هي صورة الله في الإنسان وشبهه، فكانت مسكناً لله في حلوله واحتجابه.

فصرحتم بأن البدن مع الروح، مسكن لله في حلوله واحتجابه، وأنه هو الذي خلق ذلك البدن والروح، وقلتم: إن هذه الكلمة الخالقة المحتجبة التي قلتم: إنها الله، التحمت من مريم العذراء.

فإذا كان الله الخالق قد التحم من مريم العذراء، فمعلوم أن ذلك قبل نفخ النفس الناطقة التي سميتموها، الروح الكلمانية في المسيح.

وإذا كان الخالق ـ تعالى ـ، قد التحم بجسد لا روح فيه، والتحامه به أبلغ من حلوله فيه، ثم اتخذ[2] الجسد حجاباً قبل نفخ الروح الكلمانية فيه، فكيف يقال: إنما حل في الروح لا في البدن، وهو قد التحم بالبدن واتخذ منه جزءاً مسكناً له وحجاباً قبل أن ينفخ فيه الروح الكلمانية؟

وقلتم أيضاً: فعلى هذا خالطت كلمة الله الخالقة لنفس الإنسان الكاملة، بجسدها ودمها، وروحها العاقلة الكلمانية.

وهذا[3] تصريح بأن الخالق خالط الإنسان بجسده ودمه وروحه.

---

(١) في هـ، ك (مصرحون) بدلاً من (تصرحون).

(٢) في هـ، ك (اتحد) بدلاً من (اتخذ).

(٣) في ط، ك (هذا) بسقوط (و).

فكيف تقولون[1]: إنما احتجبت بالروح اللطيفة، مع تصريحكم بأن الخالق اختلط بالجسد والدم.

وهذا أيضاً يناقض قول من قال: إنه اتحد به اتحاداً بريـاً من الاختلاط.

فقد صرحتم هنا أنه اختلط به، وسيأتي نظائر هذا في كلامهم، يصرحون فيه باختلاط اللاهوت بالناسوت.

الوجه الثاني عشر: قولكم: «غير قوام الكلمة الخالقة الذي هو أحد التثليث الإلّهي، فذلك القوام معدود معروف مع الناس، لما ضم إليه وخلقه له التحم به من جوهر الإنسان، فهو بتوحيد ذلك القوام الواحد قوام الكلمة[2] الله[3] الخالقة، واحد في التثليث بجوهر لاهوته، واحد من الناس بجوهر ناسوته، وليس باثنين، ولكن واحد مع الأب والروح، وهو إياه واحد مع الناس جميعاً بجوهرين مختلفين، من جوهر اللاهوت الخالق، وجوهر[4] الناسوت المخلوق، بتوحيد القوام الواحد قوام الكلمة، التي هي الابن المولود من الله من قبل كل الدهور وهو إياه المولود من مريم العذراء في آخر الزمان من غير مفارقة من الأب، ولا من روح القدس».

فيقال: في هذا الكلام، بل فيما تقدم ذكره، ما يطول تعداده ووصفه من التناقض والفساد، والكلام الباطل، والكلام الذي تكلم به قائله، وهو لا يتصور ما يقول مع سوء التعبير عنه، كقوله: «وهو إياه»

(١) في ط، (وتقولون) بزيادة (و).
(٢) في هـ (الكلمة) بزيادة (ا).
(٣) لفظ الجلالة (الله) ساقطة من هـ.
(٤) في ط (وهو) بدلاً من (وجوهر).

فيضع الضمير المنفصل موضع المتصل، ويعطف أحدهما على الآخر بلا واو عطف إلى أمثال ذلك مما[1] يطول ذكر معانيه، وذلك أن قولهم في نفسه باطل لا حقيقة له، وهم لم يتصوروا معنى معقولاً، ثم عبروا عنه، حتى يقال: قصروا في التعبير، بل هم في ضلال وجهل لا يتصورون معقولاً، ولا يعرفون ما يقولون، بل ولا لهم اعتقاد يثبتون عليه في المسيح، بل مهما قالوه من بدعهم كان باطلاً، وكانوا هم معترفون بأنهم لا يفقهون ما يقولون.

لهذا يقولون: «هذا فوق[2] العقل» ويقولون: «قد اتحد به بشر لا يدرك» فما لا يدرك وما هو فوق العقل، ليس لأحد أن يعتقده ولا يقوله برأيه.

لكن إذا أخبرت الرسل الصادقون بما يعجز عقل الإنسان عنه، علم صدقهم، وإن نقل عنهم ناقل ما يعلم بصريح العقل بطلانه، علم أنه يكذب عليهم، إما في اللفظ والمعنى، وإما في أحدهما.

وأما إذا كان هو يقول القول الذي يذكر أنه علم صحته، أو أنه فسر به كلام الأنبياء، وهو لا يتصور ما يقوله ولا يفقهه، فهذا قائل على الله وعلى رسله ما لا يعلم، وهذا قد ارتكب أعظم المحرمات، قال ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3].

---

(١) في هـ (ما) بدلاً من (مما).

(٢) في هـ (قول) بدلاً من (فوق).

(٣) سورة الأعراف: من الآية ٣٣.

في ك (بغير حق) بدلاً من (بغير الحق). في هـ (به سلطاناً قال وأن...) بزيادة (قال).

* وقال ــ تعالى[1] ــ عن الشيطان:

﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] *[3].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (171) لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (172) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[4].

وقد[5] اتفق أهل الملل على أن القول على الله بغير علم حرام، والله ــ سبحانه ــ نهاهم أن يقولوا على الله إلَّا الحق، فكان هذا نهياً أن يقولوا الباطل، سواء علموا أنه باطل أو لم يعلموا.

فإنهم إن لم يعلموا أنه باطل، فلم يعلموا أنه حق أيضاً، إذ الباطل يمتنع أن يعلم أنه حق، وإن اعتقد معتقدٌ اعتقاداً فاسداً أنه حق، فذلك

---

(١) (تعالى) ساقطة من هـ.

(٢) سورة البقرة: من الآية ١٦٩.

(٣) ما بين هذه النجمتين ساقط من ك.

(٤) سورة النساء: الآيات ١٧١ ــ ١٧٣.
في ك (فيزيدهم) بدلاً من (ويزيدهم).

(٥) (قد) ساقطة من هـ، ك.

ليس بعلم، فلا تقولوا على الله ما لا تعلمون.

وإن علموا أنه باطل، فهو أجدر أن لا يقولوه.

وعامة النصارى ضلال لا يعلمون أن ما يقولونه حق، بل يقولون على الله ما لا يعلمون.

والمقصود أن الباطل في كلامهم كثير، كقولهم: «فهو بتوحيد ذلك القوام الواحد، قوام لكلمة الله الخالقة».

والمسيح عندهم اسم للاهوت والناسوت جميعاً، اسم للخالق والمخلوق، وأحدهما متحد بالآخر، فهو بتوحيد ذلك القوام، قوام لكلمة الله الخالقة.

وسواء أريد بذلك أن الناسوت واللاهوت قوام للاهوت أو أن الناسوت[1] قوام للاهوت، وهم يمثلون ذلك بالروح والجسد والنار والحديد، فيكون كما لو قيل: إن الجسد والروح، أو الجسد قوام[2] للروح، أو النار والحديد[3]، أو الحديد قوام للنار.

فيقال: الخالق الأزلي الذي لم يزل ولا يزال، هل يكون المحدث المخلوق قواماً له؟ فيكون المخلوق المصنوع المحدث المفتقر إلى الله من كل وجه قواماً للخالق الغني عنه من كل وجه؟ وهل هذا إلَّا من أظهر الدور الممتنع؟

فإنه من المعلوم بصريح العقل واتفاق العقلاء، أن المخلوق

---

(١) في هـ (والناسوت) بدلاً من (أو أن الناسوت).
في ك (أو الناسوت) بسقوط (أن).

(٢) في هـ، ك (قواماً) بدلاً من (قوام).

(٣) في هـ، ك (أو الحديد) بدلاً من (والحديد).

لا قوام له إلَّا بالخالق، فإن كان الخالق قوامه بالمخلوق، لـزم أن يكون كل من الخالق والمخلوق قوامه بالآخر، فيكـون كل منهمـا محتاجـاً إلى الآخر، إذ ما كان قوام الشيء به، فإنه[1] محتاج إليه.

وهذا ــ مع كونه يقتضي أن الخالق يحتاج إلى مخلوقـه ــ وهو من الكفر الواضح، فإنه يظهر امتناعه بصريح العقل، وهـذا لازم للنصارى، سواء قالوا[2] بالاتحـاد أو بالحلول بـلا اتحاد، وإن كـانت فرقهم الثـلاث يقولون بنوع من الاتحاد، فإنه مع الاتحاد كل من المتحدين لا بـد له من الآخر، فهو محتـاج إليه كمـا يمثلون به في الـروح مع البـدن والنار مـع الحديد.

فإن الروح التي في البدن محتاجة إلى البدن، كمـا أن النار في[3] الحديد محتاجة إلى الحديدة.

وكذلك الحلول، فـإن كل حـال محتاج إلى محلول[4] فيـه، (وهو من الكفر الواضح فإنه يظهر امتناعه بصريح العقل)[5].

فإن ذلك المخلوق إن قدر أنه موجود بنفسه قديم أزلي، فليس هو مخلوقـاً، ومـع هـذا فيمتنـع أن يكـون كـل من القـديمين[6] الأزليين[7] محتاجاً إلى الآخر، سواء قدر أنه فاعل لـه، أو تمام الفـاعل لـه، أو كان

---

(١) في هـ ، ك (فإن الشيء) بدلاً من (فإنه).
(٢) في هـ (قالوه) بدلاً من (قالوا).
(٣) في هـ (والنار التي في) بدلاً من (كما أن النار في).
(٤) في هـ (محله) بدلاً من (محلول).
(٥) ما بين القوسين ساقط من هـ ،ك.
(٦) في ك (القديم) بدلاً من (القديمين).
(٧) في ك (الأزلي) بدلاً من (الأزليين).

مفتقراً إليه بوجه من الوجوه، لأنه إذا كان مفتقـراً إليه بـوجه من الـوجوه، لم يكن موجوداً إلَّا به.

فإن الموجود لا يكون موجوداً إلَّا بوجود لوازمه، ولا يتم وجـوده إلَّا به. فكل ما قدر أنه محتاج إليه لم يكن موجوداً إلَّا به.

فإذا كان كل من القديمين محتاجاً إلى الآخر، لزم أن لا يكون هذا موجوداً إلَّا بخلق ذلك ما به تتم حاجة الآخر، وأن لا يكون هذا مـوجوداً إلَّا بخلق ذلك ما به تتم حاجة الآخر.

والخالق لا يكون خالقاً، حتى يكـون موجـوداً، ولا يكون مـوجوداً إلَّا بلوازم وجـوده، فيلزم أن لا يكـون هـذا مـوجـوداً حتى يجعله الآخـر موجوداً، ولا يكون ذاك موجوداً حتى يجعله الآخر موجوداً، إذ كان جعله لما لم يتم به وجوده، يتوقف وجوده عليه، فـلا يكون مـوجوداً إلَّا بـه فلا فرق بين أن يحتاج أحدهما إلى الآخر في وجوده أو فيما لا يتم وجوده إلَّا به وهذا هو الدور القبلي الممتنع باتفاق العقلاء.

وأما الدور المعي، وهو أنه لا يوجد هذا إلَّا مع هـذا، ولا هذا إلَّا مع هذا كالأبوة مع البنوة، وكصفات الرب بعضها مع بعض، وصفاته مع ذاته، فإنه لا يكون عالماً إلَّا مع كونه قادراً، ولا يكون عالماً قادراً إلَّا مع كـونه حيـاً، ولا يكون حيـاً إلَّا مع كـونه عالمـاً قـادراً، ولا تكون صفـاته موجودة إلَّا بذاته، ولا ذاته موجودة إلَّا بصفاته، فهذا جائز في المخلوقين اللذين يفتقران إلى الخالق الذي يحدثهما جميعاً كالأبوة والبنـوة، وجائـز في الرب الملازم لصفاته ــ تعالى ــ.

وأما إذا قدر قديمان أزليان ربان فاعلان، امتنـع أن يكون أحـدهما محتـاجاً إلى الآخـر، إذ كان وجـوده لا يتم إلَّا بما يحتـاج وجـوده إليـه، ولا يكون فاعلاً لشيء إن لم يتم وجوده، فيمتنع مع نقص كـل منهما عن

تمام وجوده، أن يكون فاعلاً لغيره تمام وجود ذلك الغير، ولهذا لم يقل بهذا أحد من الأمم.

ولكن الذي قاله النصارى أنهم جعلوا قوام الخالق ــ تعالى ــ بالمخلوق.

فيقال لهم: هذا أيضاً ممتنع في صريح العقل، أعظم من امتناع قيام كل من الخالقين بالآخر، وإن كان هذا أيضاً ممتنعاً فإن المخلوق مفتقر في جميع أموره إلى الخالق، فيمتنع ــ مع فقره في وجوده وتمام وجوده إلى الخالق ــ أن يكون قوام الخالق به، لأن ذلك يقتضي أن يكون مقيماً له، وأن يكون تمام وجوده به، فيكون المخلوق لا وجود لشيء منه إلَّا بالخالق.

فالقدر الذي يقال: إنه يقيم به الخالق هو من الخالق والخالق خالقه، وخالق كل مخلوق، فلا وجود له ولا قيام إلَّا بالخالق، فكيف يكون به قيام الخالق؟

وليس هذا كالجوهر وأعراضه اللازمة، أو كالمادة والصورة عند من يزعم أن الصورة جوهر إذا كانا متلازمين، فإن هذا من باب الدور المعي، كالنبوة مع الأبوة، وهذا جائز كما تقدم، إذ كان الخالق لهما جميعاً هو الله.

وأما مع كون كل منهما هو الخالق، فهو ممتنع، ومع كون أحدهما خالقاً، والآخر مخلوقاً، فهو أشد امتناعاً.

والرب ــ تعالى ــ غني عن كل ما سواه من كل وجه، وكل ما سواه فقير إليه من كل وجه، وهذا معنى اسمه «الصمد» فإن الصمد الذي يصمد إليه كل شيء، لافتقاره إليه، وهو غني عن كل شيء لا يصمد

إلى شيء، ولا يسأله شيئاً ـ سبحانه وتعالى ـ ، فكيف يكون قوامه بشيء من المخلوقات؟

وهذا الاتحاد الخاص من النصارى يشبه ـ من بعض الوجوه ـ قول أهل الوحدة والاتحاد العام، الذين يقولون كما يقوله ابن عربي[1] صاحب «الفصوص»[2] و «الفتوحات المكية»[3]: إن أعيان المخلوقات ثابتة في العدم، ووجود الحق فاض عليها، فهي مفتقرة إليه من حيث الوجود المشترك العام، وهو وجوده، وهو مفتقر إليها من حيث الأعيان الثابتة في العدم، وهو ما يختص به كل عين عين، فيجعل كل واحد من الخالق والمخلوق مفتقرة إلى الآخر.

ويقولون: الوجود واحد، ثم يثبتون تعدد الأعيان، ويقولون: هي مظاهر ومجالي.

فإن كان المظهر والمجلى غير الظاهر، فقد ثبت التعدد، وإن كان

---

(١) **ابن عربي**: هو محمد بن علي بن عربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بمحيي الدين بن عربي، الملقب بالشيخ الأكبر فيلسوف من أئمة المتكلمين في كل علم، ولد في مرسيه بالأندلس سنة ٥٦٠هـ وانتقل إلى الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز ماراً بمصر فأنكر عليه أهلها بعض الشطحات التي صدرت عنه فعمل بعضهم على إراقة دمه كالحلاج، وحبس ثم تخلص فنجا، واستقر في دمشق حتى مات بها سنة ٦٣٨هـ ، وهو شيخ أهل وحدة الوجود وكان زكياً حافظاً، وله مؤلفات صوفية كثيرة من أضخمها «الفتوحات المكية». قال ابن كثير فيها ما يعقل وما لا يعقل، وله كتابه المسمى «فصوص الحكم»، فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح، وله تصانيف كثيرة غير ذلك.

انظر: البداية والنهاية ١٣/١٥٦؛ وفوات الوفيات ٣/١٠٤٣٥؛ وشذرات الذهب ٥/١٩٠؛ وميزان الاعتدال ٣/١٠٨؛ والأعلام للزركلي ٧/١٧٠.

(٢) **الفصوص**: كتاب من مؤلفات ابن عربي، مطبوع باسم (فصوص الحكم).

(٣) **الفتوحات المكية**: كتاب من مؤلفات ابن عربي. مطبوع.

هو إياه، فلا تعدد، فلهذا يضطرون إلى التناقض كما يضطر إليه النصارى، حيث[1] يثبتون الوحدة مع الكثرة، وينشدون (فيعبدني وأعبده ويحمدني وأحمده)[2]، وهؤلاء بنوا قولهم على أصلين فاسدين:

أحدهما: أن أعيان الممكنات ثابتة في العدم، كقول من يقول من أهل الكلام: إن المعدوم شيء ثابت في العدم، وهذا القول فاسد عند جماهير العقلاء.

وإنما حقيقة الأمر أن المعدوم يراد إيجاده ويتصور ويخبر به ويكتب قبل وجوده، فله وجود في العلم والقول والخط. وأما في الخارج، فلا وجود له.

والوجود هو الثبوت، فلا ثبوت له في الوجود العيني الخارجي، وإنما ثبوته في العلم، أي يعلمه العالم قبل وجوده.

والأصل الثاني: أنهم جعلوا نفس وجود رب العالمين الخالق القديم الأزلي الواجب بنفسه، هو نفس وجود المربوب المصنوع الممكن، كما قال ابن عربي: * ومن عرف ما قررناه في الأعداد وأن نفيها عين[3] إثباتها، علم أن الحق المنزه هو الخلق المشبه. فالأمر

---

(١) (حيث) ساقطة من هـ.

(٢) هذا بيت من قصيدة لابن عربي في كتابه فصول الحكم ـ فص حكمة مهيمية في كلمة إبراهيمية، ومنها:

فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده
ففي حال أقربه وفي الأعيان أجحده
فيعرفني وأنكره وأعرفه فأشهده

راجع شرح هذه الأبيات: شرح الدكتور عفيفي للفصوص ص ٦٥؛ شرح القاشاني للفصوص ص ٢٤.

(٣) في هـ (عن) بدلاً من (عين).

للخالق هو المخلوق، والأمر المخلوق هو الخالق كل ذلك من عين واحدة، لا بل هو العين الواحدة وهو العيون الكثيرة * وهو «يا أبتِ افعل ما تؤمر *[1] إلى أن قال وما ذبح سوى نفسه: وما نكح سوى نفسه[2].

وقال: ومن أسمائه الحسنى العلي، على من يكون علياً وما هو إلَّا هو؟ أو عن ماذا يكون علياً وما ثم إلَّا هو؟ فعلوه لنفسه، وهو من حيث الوجود عين الموجودات، فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها، وليست إلَّا[3] هو.

وقد نقل عن أبي سعيد الخراز[4] أنه قيل له: بماذا عرفت ربك؟ قال: بجمعه بين الأضداد وقرأ قوله:

﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[5].

أراد بذلك أنه مجتمع[6] في حقه ــ سبحانه ــ، ما يتضاد في حق غيره، فإن المخلوق لا يكون أولاً آخراً، باطناً ظاهراً[7].

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه كان يقول: «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك

---

(١) ما بين النجمتين ساقط من هـ، ك.

(٢) ذكر هذا الكلام في كتاب فصوص الحكم لابن عربي من ص ٧ ــ ٧٧.

(٣) (إلَّا) ساقطة من ط، ك.

(٤) هو: أحمد بن عيسى أبو سعيد الخراز، شيخ الصوفية وأحسنهم كلاماً، أول من تكلم في علم الفناء والبقاء. توفي سنة ٢٨٦هـ.
انظر: شذرات الذهب ١٩٢/٢؛ والبداية والنهاية ٨١/١١.

(٥) سورة الحديد: من الآية ٣.

(٦) في هـ (يجتمع) بدلاً من (مجتمع).

(٧) في هـ (ظاهراً باطناً) تقديم وتأخير.

شيء»[1]، فجاء هذا الملحد[2] وفسر قول أبي سعيد بأن المخلوق هو الخالق. فقال: قال أبو سعيد، وهو وجه من وجوه الحق ولسان من ألسنته ينطق عن نفسه بأن الله لا يعرف إلّا بجمعه بين الأضداد في الحكم عليه بها، فهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، فهو عين ما ظهر وهو عين ما بطن في حال ظهوره، وما ثم من يراه غيره، وما ثم من بطن عنه سواه، فهو ظاهر لنفسه، باطن عن نفسه، وهو المسمى أبو سعيد الخراز، وغير ذلك من أسماء المحدثات ولهذا قال بعض النصارى لمن يقول مثل هذا ويحكيه عن شيوخه ويقول إنه مسلم: «أنتم كفرتمونا لأجل أن قلنا: إن الله هو المسيح، وشيوخكم يقولون: إن الله هو أبو سعيد الخراز، والمسيح خير من أبي سعيد»[3].

وهؤلاء يجيبون النصارى بجواب يتبين به أنهم أعظم إلحاداً من النصارى.

فيقولون للنصارى: «أنتم خصصتموه بالمسيح، ونحن نقول: هو وجود كل شيء، لا نخص المسيح».

ولهذا قال بعضهم لأحذق هؤلاء «التلمساني»[4] الملقب بالعفيف: أنت نصيري.

---

(١) انظر:
* صحيح مسلم ـ كتاب الذكر والدعاء ـ باب ١٧ ـ حديث رقم ٦١ ـ عن سهيل، قال: كان أبو صالح يأمرنا ـ الحديث بلفظه.
* مسند الإمام أحمد ٢/٤٠٤ ـ عن أبي هريرة ـ الحديث بلفظه.
* سنن الترمذي ـ دعوات باب ١٣٨/١٩ ـ حديث رقم ٣٤٦٠ ـ عن أبي هريرة الحديث بلفظه.

(٢) يقصد: ابن عربي الطائي.

(٣) أبي سعيد ـ الخراز. راجع الصفحة السابقة هامش (٤).

(٤) **العفيف التلمساني**: سبقت الإشارة إليه ١٨٦/٣.

فقال نصير جزء مني، فإن النصيرية[1] أتباع أبي شعيب «محمد بن نصير» يقولون في علي بن أبي طالب نظير ما يقوله النصارى في المسيح، كذلك سائر الغلاة في علي، أو في أحد من أهل بيته، أو في الإسماعيلية[2] بني عبيد المنتسبين إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر[3]، كالحاكم[4] وغيره، ـــــــــــــــــ

---

(١) **النصيرية**: لم ينسبوا إلى شيخ، وهم القائلون بإلهية علي ـ رضي الله عنه ـ ويسبون فاطمة ـ رضي الله عنها ـ بنت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بكل قبيح ـ لعنهم الله ـ ويسبون الحسن والحسين ـ رضي الله عنهما ـ ويقولون أن خير الناس عبد الرحمن بن ملجم ـ قاتل علي ـ رضي الله عنه ـ قالوا: لأنه خلص روح اللاهوت من الجسد والتراب، وقد غلبوا على الأردن ومدينة طبرية في زمن متقدم.
انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ٣٧.

(٢) **الإسماعيلية**: هم المنتسبون إلى محمد بن إسماعيل ـ وليسوا على دينه ـ بل قالوا: إنه الذي إليه كتم السر الباطن عندهم ـ الذي أنزل الله ـ تعالى ـ على رسوله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأمره بكتمه عن الناس إلَّا عن وصيه وخليفته علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قالوا: إنه ـ سبحانه ـ أمره أن يختار من أمته أفضلهم ويعلمه شطر ما اطلع عليه من أنوار ذلك العلم، فاختار علياً واستكتمه ألَّا يخرج منه ذلك إلَّا لمن يخلفه من الأئمة المعصومين من ذريته حتى انتهى ذلك إلى محمد بن إسماعيل.
انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ٤٧.

(٣) **محمد بن إسماعيل بن جعفر**: هو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق الحسيني الطالبي الهاشمي إمام عند القرامطة، وترى الطائفة الإسماعيلية أنه قام بالإمامة بعد وفاة أبيه، ويقال بأنه مات في فرغانة أو في نيسابور، والقرامطة تعتبره من أهل العزائم. أما الدروز فيطلقون عليه الناطق السابع ويقولون إنه رفع التكاليف الظاهرية ومن الباطنية من يعتقد أنه نبي نسخ شريعة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.
انظر: منهاج السنَّة؛ وتلبيس إبليس؛ والأعلام للزركلي ٦/٢٥٨.

(٤) **الحاكم**: هو منصور بن نزار بن معد بن إسماعيل بن العبيدي الفاطمي، أبو علي الحاكم بأمر الله، ويقال له العبيدي، والحاكم بأمره، متقلب غريب الأطوار من خلفاء الدولة الفاطمية بمصر، ولد سنة ٣٧٥هـ بالقاهرة وتولى الحكم وعمره إحدى عشرة =

أو في الحـــلاج[1]، أو في بعض من الشيوخ الذين يقولون في واحـد من هؤلاء باتحاد اللاهوت به أو حلولـه فيه، نظير ما تقوله النصارى في المسيح.

وهؤلاء[2] يقولون بأن الحلول والاتحاد محـدث، وأن القديم حـل أو اتحد بالمحدث بعد أن لم يكونا متحدين.

وأما أولئك[3] فيقولون بالوحدة المطلقة، فمحققوهم يقـولون: إنـه وجود كل شيء، لا يقولون باتحاد وجودين، ولا بحلول أحدهما بالآخر.

بـل قد يقـولون: إن الـوجـود هـو ثبـوت[4] وجـود الحق، وثبـوت الأشياء اتحدا، وكل منهما مفتقر إلى الآخر.

فالحق إذا ظهر كان عبداً، والعبد إذا بطن كان رباً.

ويقـولون: إذا حصـل لك التجلي الـذاتي، وهو هـذا، لم تضـرك عبادة الأوثان ولا غيـرها، بـل يصرحـون بأنـه عين الأوثان والأنـداد، وأن

= سنة بعد وفاة أبيه، وأعلنت الدعوة إلى تأليهه سنة ٤٠٧هـ، وقام بـدعوتـه محمد بن إسماعيل الدرزي، وحسن بن حيدرة الفرغاني، وكادا يفشلان، ولكن ظهـر حمزة بن علي بن أحمد، فقويت الدعوة به، وكان الحاكم متناقضاً سفاكاً للدماء يمشي وحـده أحياناً كثيرة، وكان غالباً ما يركب حماراً، وذاق الناس منه في مدة حكمه بلاءً ومحنـاً وفتناً، واستهتـر في أعوامـه الأخيرة إلى أن فقـد في إحـدى الليـالي سنـة ٤١١هـ، ويقال أن رجلاً اغتـاله غيـرة لله وللإسـلام، ويقال أن أختـه ست الملك دست له من اغتاله، أما أتباعه فيشيعون أنه احتجب وسيعود.

انظر: وفيات الأعيان ٥/٢٩٢؛ والبداية والنهاية ١٢/٩؛ وشذرات الذهب ٣/١٩٢؛

(١) **الحلاج**: سبقت الإشارة إليه ٣/٣٨٦.

(٢) يعني: النصارى.

(٣) يعني: أهل وحدة الوجود.

(٤) في هـ (والثبوت)، وفي ك (هو الثبوت).

أحداً لم يعبد غيره، كما يقول ابن عربي مصوباً لقوم نوح[1] الكفار (ومكروا مكراً كباراً)، قال[2] لأن الدعوة إلى الله مكر بالمدعو، فإنه ما عدم من البداية فيدعى إلى الغاية «ادعوا إلى الله» فهذا عين المكر، فأجابوه «مكراً» كما دعاهم «مكراً» فقالوا في مكرهم: «لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سوعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً» إذا تركوهم[3] جهلوا عن الحق على قدر[4] ما تركوا من هؤلاء.

فإن للحق في كل معبود وجهاً، يعرفه من عرفه، ويجهله من جهله، كما قال في المحمديين: ﴿**وقضى ربك ألَّا تعبدوا إلَّا إياه**﴾[5]، أي حكم[6] فما[7] حكم الله بشيء إلَّا وقع. فالعارف يعرف من عبد، وفي أي صورة ظهر حتى عبد، وأن التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة، وكالقوى المعنوية في الصور الروحانية، فما عبد غير الله في كل معبود.

وصوب هذا الملحد فرعون[8] في قوله: ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾[9]

---

(١) **نوح**: سبقت الإشارة إليه ٣/ ١٥٧.
(٢) (قال) ساقطة من ط، ك.
(٣) في هـ (إذا تركوا هؤلاء) بدلاً من (إذا تركوهم).
(٤) في هـ (بقدر) بدلاً من (على قدر).
(٥) سورة الإسراء: من الآية ٢٣.
(٦) (أي حكم) ساقطة من ط، ك.
(٧) في هـ (وما) بدلاً من (فما).
(٨) **فرعون**: كلمة مصرية معناها (البيت الكبير)، وهو لقب لملوك مصر، ومن الفراعنة المذكورين في العهد القديم عدد من بينهم فراعنة إبراهيم ويوسف والتسخير والخروج، والمقصود به هنا فرعون مصر الذي أرسل إليه موسى ــ عليه السلام ــ. انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٦، وانظر: قصة موسى في كتب التفسير.
(٩) سورة النازعات: من الآية ٢٤.

قال: ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت، وأنه الخليفة بالسيف وإن جار في العرف الناموسي لذلك قال: **﴿أنا ربكم الأعلى﴾** أي وإن كان الكل أرباباً بنسبةٍ ما، فأنا الأعلى منهم بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم.

قال: ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله لم ينكروه، وأقروا له بذلك وقالوا له: إنما تقضي هذه الحياة الدنيا (فاقضِ ما أنت قاض) فالدولة لك.

قال: فصح قول فرعون (أنا ربكم الأعلى) وإن كان فرعون عين الحق.

وصوب أيضاً أهل العجل في عبادتهم العجل، وزعم أن موسى رضي بذلك. فقال: ولما كان موسى أعلم بالأمر من هارون، لعلمه بأن الله قضى أن لا نعبد إلَّا إياه، وما حكم الله[1] بشيء إلَّا وقع، كان[2] عتبه[3] على هارون لإنكاره وعدم اتساعه، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل من[4] يراه عين كل شيء.

ومن هؤلاء طائفة لا يقولون بثبوت الأعيان في العدم، بل يقولون ما ثم وجود إلا وجود الحق.

لكن يفرقون بين المطلق والمعين فيقولون: هو الوجود المطلق الساري في الموجودات المعينة، كالحيوانية الثابتة في كل حيوان، والإنسانية الثابتة في كل إنسان، وهذا الذي يسمى الكلي الطبيعي.

---

(١) لفظ الجلالة (الله) ساقط من هـ.

(٢) في هـ (وكان) بزيادة (و).

(٣) في ط، ك (عيبه) بدلاً من (عتبه).

(٤) (من) ساقطة من ط.

ويسمون هذا الوجود، الإحاطة فيقولون: هو[1] الوجود المطلق إما بشرط الإطلاق عن كل قيد، وهذا يسمى الكلي العقلي.

وهذا عند عامة العقلاء، لا يوجد إلَّا في الذهن لا في الخارج، ولكن يحكى عن شيعة «أفلاطون»[2] أنهم أثبتوا هذه الكليات[3] المجردة عن الأعيان في الخارج، وقالوا: إنها قديمة أزلية إنسانية مطلقة، وحيوانية مطلقة، ويسمونها المثل الأفلاطونية، والمثل المعلقة.

وقد رد ذلك عليهم إخوانهم «أرسطو»[4] وشيعته، وجماهير العقلاء وبينوا أن هذه إنما هي متصورة في الأذهان لا موجودة في الأعيان، كما يتصور الذهن عدداً مطلقاً ومقادير مطلقة، كالنقطة، والخط، والسطح، والجسم التعليمي ونحو ذلك مما يتصوره الذهن، وليس من[5] ذلك شيء في[6] الموجودات الثابتة في الخارج.

وهذا المطلق بشرط الإطلاق، يظن هؤلاء ثبوته في الخارج[7]، وقد يسمونه الإحاطة، وهو الوجود المجرد عن جميع القيود، ثم بعده الوجود المطلق لا بشرط، وهو العام المنقسم[8] إلى واجب وممكن،

---

(١) (هو) ساقطة من ط، ك.

(٢) **أفلاطون**: سبقت الإشارة إليه ٣/ ٢٨٥.

(٣) في ط، ك (الكلمات) بدلاً من (الكليات).

(٤) **أرسطو**: هو أرسطوطاليس بن نيقوب خوس، ولد سنة ٣٨٤ق. م، فيلسوف وحكيم مشهور، تتلمذ على أفلاطون، وله كتب كثيرة في مختلف الفنون من المنطق والطبيعيات والإلّهيات والأخلاق. مات سنة ٣٢٢ق. م.
انظر: الملل والنحل للشهرستاني ٢/ ٣٦٢.

(٥) في ط، ك (في) بدلاً من (من).

(٦) في ط، ك (من) بدلاً من (في).

(٧) (في الخارج) ساقطة من ط.

(٨) في هـ (والوجود العام المطلق ينقسم) بدلاً من (وهو العام المنقسم).

إلى قديم وحادث ونحو ذلك، كانقسام الحيوان إلى ناطق وأعجم.

وهذا المطلق لا بشرط يوجد في الخارج، فإن الاسم * المفرد يصدق عليه فيقال هذا حيوان، هذا إنسان، وإن كان الاسم *[1] العام شامل لأنواعه وأشخاصه لكن لا يوجد في الخارج إلَّا مقيداً معيناً.

ومن قال: إنه يوجد في الخارج كلياً، فقد غلط، فإن الكلي لا يكون كلياً قط إلَّا في الأذهان لا في الأعيان، وليس في الخارج إلَّا شيء معين، إذا تصور منع نفس تصوره من وقوع الشركة فيه، ولكن العقل يأخذ القدر المشترك الكلي بين المعينات، فيكون كلياً مشتركاً في الأذهان.

وهؤلاء يجعلون الوجود الواجب هذا، وقد يجعلونه بعد هذا، فيقولون: هذا فرق الواجب.

وهذا الوجود الكلي إذا قيل: إنه لا يوجد في الخارج إلَّا معيناً، فلا موجود في الخارج سوى الموجودات المعينة المشخَّصة، بما فيها من الصفات القائمة بها.

وإن قدر وجوده في الخارج، فهو إما جزء من المعينات، وإما صفة لها.

فعلى الأول، لا يكون في الخارج موجود هو رب الموجودات المعينة.

وعلى الثاني يكون رب الموجودات جزءها أو صفة لها.

ومعلوم بصريح العقل أن صفة الشيء القائمة به، لا تخلق

---

(١) ما بين النجمتين ساقط من ط، ك.

الموصوف وأن جزء الشيء لا يخلق الشيء، بل جزء الشيء، جزء[1] من الشيء.

فإذا كان هو الخالق للجملة، كان خالقاً لنفسه، وكان بعض الشيء[2] خالقاً لكله.

ومن هؤلاء من يقول: إن الرب في العالم كالزبد في اللبن، والدهن في السمسم ونحو ذلك، فيجعلونه جزءاً من العالم المخلوق[3]. ونفس تصور هذا يكفي في العلم بفساده.

لكن هؤلاء يقولون: لمن تبعهم[4] إن لم تترك العقل والنقل لم يحصل لك التحقيق والتجلي[5] الذي حصل لنا، ويقولون: ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل.

فقلت لبعضهم: إن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه[6] أكمل الناس كشفاً، وهم يخبرون بما يعجز عقول الناس عن معرفته، لا بما يعرف في عقولهم أنه باطل، فيخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول.

فمن دونهم إذا أخبر عن شهود وكشف، يعلم بصريح العقل بطلانه علم أن كشفه باطل.

وأما إن كان لم يعلم بطلانه، فهذا قد يمكن فيه[7] إصابته، وقد

---

(١) في هـ (بعض) بدلاً من (جزء).

(٢) في ط (شيء) بسقوط (ال).

(٣) (المخلوق) ساقطة من هـ.

(٤) (لمن تبعهم) ساقطة من ط، ك.

(٥) (التجلي) ساقطة من ط، ك.

(٦) (وسلامه) ساقطة من ط، ك.

(٧) (فيه) ساقطة من ط، ك.

يمكن خطؤه، لأن غير الأنبياء ليس بمعصوم[1].

وهؤلاء سمعوا باسم الله وقصدوا عبادته ومعرفته، فوقفوا على أثره في مصنوعاته، فظنوا أنه هو، كمن سمع بالشمس، فلما أن رأى الشعاع المنبسط في الهواء والأرض، ظن أن ذلك هو الشمس، ولم يصعد بصره وبصيرته إلى الشمس التي في السماء.

وكذلك هؤلاء لم تصمد بصائر قلوبهم إلى رب العالمين، الذي فوق كل شيء، المباين لمخلوقاته.

وسر ذلك، أنهم يشهدون بقلوبهم وجوداً مطلقاً بسيطاً، ليس له اسم خاص، كالحي، والعليم، والقدير. ولا له صفة، ولا يتميز[2] فيه شيء عن شيء، وهذا هو الوجود المشترك.

لكن هذا الشهود هو في نفوسهم، لا حقيقة له في الخارج، وكثير ممن يخاطبهم لا يتصور ما يشهدونه، فيظنون أنه لم يفهم ما شهدوه.

وقد خاطبت غير واحد منهم، وبينت له أن هذا الذي يشهدونه هو في الذهن، وبتقدير أن يكون موجوداً في الخارج، فهو صفة للموجودات، أو جزء منها، ويظنون مع ظنهم أنه موجود في الخارج، أنه لم يبق في الخارج غير ما شهدوه، فإنهم يغيبون عن الحس الذي يدرك المعينات ويغيبون عقولهم عن تصورها، حتى لا يميزوا بين موجود وموجود، ويقولون: الحس فيه تفرقة، ثم[3] يشهدون هذا الوجود

---

(١) في هـ (لم يكن معصوماً) بدلاً من (ليس بمعصوم).
(٢) في هـ (تمييز) بدلاً من (يتميز).
(٣) في هـ (لم) بدلاً من (ثم).

المطلق مع عزلهم الحس، فيظنون أن هذا المطلق هو نفس المعينات، وأنه ما بقي موجوداً أصلاً.

فيقال لهم: لو قدر أن الوجود الكلي ثابت في الخارج كلياً، وأنكم شهدتم ذلكِ، فمعلوم عند كل عاقل أن وجود[1] الكلى المشترك، لا يناقض وجود المعين المختص.

فالحيوانية، والإنسانية المشتركة المطلقة، لا تناقض أعيان الحيوان وأعيان الإنسان، وحينئذ فثبوت أعيان الموجودات حاصل في الخارج.

وهب أنكم غبتم عن هذا ولم[2] تشهدوه، فالغيبة عن شهود الشيء لا يوجب عدمه في نفسه.

فإذا لم يشهد العبد الشيء، أو لم يرده، أو لم يعلمه، أو لم يخطر بقلبه[3] أو فنى عن شهوده، أو اصطلم، أو غاب، لم يلزم من ذلك أن يكون الشيء صار في نفسه[4] معدوماً فانياً لا حقيقة له، بل الفرق ثابت بين أن يعدم الشيء في نفسه ويفنى ويتلاشى، وبين أن يعدم شهود الإنسان له وذكره ومعرفته.

وهؤلاء[5] ـ من ضلالهم ـ يظنون أنه إذا فنى شهودهم للموجودات، كانت فانية في أنفسها[6]، فلم يكن[7] موجوداً إلَّا

(١) في هـ (الوجود) بزيادة (ال).
(٢) في هـ (لم) بسقوط (و).
(٣) في هـ (عليه) بدلاً من (بقلبه).
(٤) في هـ (في نفسه صار) بزيادة (صار).
(٥) يقصد أهل وحدة الوجود.
(٦) في هـ (نفسها) بدلاً من (أنفسها).
(٧) (يكن) ساقطة من ك.
في هـ (يبق) بدلاً من (يكن).

ما تخيلوه[1] من الوجود المطلق.

ويقولون: الكثرة والتفرقة[2] في الحس، فإذا فنى شهود القلب عن الحس، لم يبق تفرقة ولا كثرة، ويظنون أن شهود الحس حينئذ خطأ، والعقل هو الذي يشهد الكليات، والمطلقات دون الحس، فإذا أبطلوا ما شهده الحس لم يبق معهم إلاَّ الوجود الكلي.

ثم يظنون ـ مع ذلك ـ أنه هو الله، فيبقى الرب ـ عندهم ـ وهماً وخيالاً في نفوسهم لا حقيقة له في الخارج كما قال بعض حذاقهم وهو التستري[3] صاحب ابن سبعين[4] (وهمك هو بتشخيص ما تحته

---

(١) في ط (ما يخيلونه) بدلاً من (تخيلوه). (٢) في هـ (التفرقة والكثرة).

(٣) في ط، ك (الششتري) بدلاً من (التستري).

التستري: هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عبد الله التستري العابد الزاهد المشهور لقي ذا النون المصري بمكة المكرمة، ولد بتستر من بلاد الأهواز سنة ٢٠٠هـ، وتوفي سنة ٢٨٣هـ بالبصرة وقد تخرج على خاله محمد بن سوار وكان متصوفاً له اجتهاد وافر ورياضة عظيمة، قال صاحب شذرات الذهب طريقة سهل تشبه طريق الملامتية.

انظر: وفيات الأعيان ٢/٤٢٩؛ وحلية الأولياء ١٠/١٨٩؛ وشذرات الذهب ٢/١٨٢؛ والبداية والنهاية ١١/٧٤.

(٤) **ابن سبعين**: هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الأشبيلي المرسي أبو محمد من زهاد الفلاسفة ومن القائلين بوحدة الوجود، ولد في مرسيلية بالأندلس سنة ٦١٤هـ ودرس العربية والأداب بها وانتقل إلى سبتة وحج مراراً واشتهر أمره وكفره كثير من الناس، وقال الذهبي عنه اشتهر عن ابن سبعين أنه قال: لقد تحجر ابن آمنة واسعاً بقوله لا نبي بعدي، وأعظم من هذا قوله في الله ـ تبارك وتعالى ـ (إنه حقيقة الموجودات) وله مؤلفات كثيرة منها الحروف الوضعية في الصور الفلكية وشرح كتاب إدريس ـ عليه السلام ـ، وقد فصد بمكة، فترك الدم ينزف منه حتى مات سنة ٦٦٩هـ.

انظر: فوات الوفيات ٢/٢٥٣؛ والبداية والنهاية ١٣/٢٦١؛ وشذرات الذهب ٥/٣٢٩.

شيء)[1]، وقال:

ترى[2] الوجود واحداً[3] وأنت ذاك وليس عليك زائد ما ثم سواك[4]

وقلت لبعض حذاقهم: هب أن هذا الوجود المطلق ثابت في الخارج وأنه عين الموجودات المشهودة، فمن أين لك أن هذا هو رب العالمين الذي خلق السماوات والأرض وكل شيء؟

فاعترف بذلك وقال: هذا ما فيه حيلة.

والحس الباطن أو الظاهر إن لم يقترن به العقل الذي يميز بين المحسوس وغيره وإلَّا دخل فيه من الغلط من جنس ما يدخل على النائم والممرور[5]، والمبرسم[6]، وغيرهم، ممن يحكم بمجرد الحس الذي لا عقل معه.

والبهائم قد تكون أهدى من هؤلاء، كما قال ــ تعالى ــ:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[7].

---

(١) هذا الكلام نسبه الشيخ إلى التستري، وقد بحثنا عنه فلم نهتد إليه.

(٢) في ط، ك (يرى) بدلاً من (ترى).

(٣) في ط، ك (واحد) بدلاً من (واحداً).

(٤) هذا البيت جزء لم نعثر عليه.

(٥) **الممرور**: الذي غلبت المرة، وهي إحدى الطبائع والأمزجة البدنية، لسان العرب ٤٦٦/٣.

(٦) **المبرسم**: قال في مختار الصحاح للرازي «البرسام علة معروفة وقد برسم الرجل فهو مبرسم» ص ٤٨. والذي نعرفه أن البرسام نوع من الجنون أو نحوه. والله أعلم.

(٧) سورة الأعراف: الآية: ١٧٩.

وهؤلاء يصرحون برفض السمع والعقل، فدخلوا في قوله:

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[1].

ويلزمون أنفسهم الغيبة عن العقل والحس الظاهر والشرع، فلهذا[2] يقول أحذقهم التلمساني:

فقل لحسك غب وجداً وذب طرباً فيها وقل لزوال العقل لا تزل
واصمت إلى أن تراها فيك ناطقة فإن وجدت لساناً قائلاً فقل[3]

وهؤلاء، لبسط الكلام عليهم موضع آخر.

والمقصود ـ هنا ـ أن النصارى زعموا أن اللاهوت محتاج إلى ما اتحد به من الناسوت، وهؤلاء زعمٓوا أن رب العالمين محتاج إلى كل ما سواه من الأعيان الثابتة في العدم.

فإن كل من قال: إن رب العالمين اتحد بغيره، فكل من المتحدين مفتقر إلى[4] الآخر، مع استحالة كل منهما، وتغير حقيقته، ولا[5] كذلك الحلول المعقول، فإن الحلول لا يعقل إلاَّ إذا كان الحال قائماً بالمحل[6] محتاج إليه، سواء أريد بذلك حلول الصفات والأعراض في الموصوفات والجواهر، أو أريد به حلول الأعيان.

---

(١) سورة الفرقان: من الآية ٤٤.
(٢) في هـ (ولهذا) بدلاً من (فلهذا).
(٣) هذه الأبيات: نسبها المؤلف للتلمساني.
ولم نعثر على مكانها بالرغم من شدة البحث.
(٤) في ط (عليه) بدلاً من (إلى).
(٥) (لا) ساقطة من هـ.
(٦) (والقائم بالمحل) ساقطة من ط، ك.

فإن كون أحد الجسمين محلاً للآخر، كحلول الماء في الظرف، هو يوجب افتقاره إليه.

وما يحل في قلوب المؤمنين من معرفة الرب والإيمان به، هو قائم بقلوبهم محتاج إليه.

وكذلك ما يثبته[١] الفلاسفة من الهيولي[٢] والصورة[٣]، ويقولون: إن الهيولي محل للصورة، ويعترفون[٤] ـ مع ذلك ـ بأن الصورة محتاجة إلى الهيولي.

والقائلون بوحدة الوجود، قد يجعلون الخالق مع المخلوقات كالصورة مع الهيولي، «كما يشير إليه ابن سبعين»[٥] ويقول[٦] هو في الماء ماء، وفي النار نار، وفي كل شيء بصورة ذلك الشيء، كما قد[٧] بسط الكلام على هؤلاء في مواضع غير هذا الكتاب[٨].

وإذا قالوا: إن الرب حل في المسيح، كما حل في غيره، وهو الحلول الموجود في كلام داود عندهم، حيث قالوا: أنت تحل في قلوب القديسين[٩]، فقد عرف أن هذا حلول الإيمان به ومعرفته وهداه

---

(١) في هـ (تثبته) بدلاً من (يثبته).

(٢) **الهيولي**: كلمة يونانية يراد بها المادة الأولى وهي كل ما يقابل الصورة.
انظر: المعجم الفلسفي ص ٢٠٨؛ والموسوعة العربية الميسرة ص **١٩٣٣**.

(٣) **الصورة**: مصطلح فلسفي يراد به ما يقابل المادة.
انظر: المعجم الفلسفي ص ١٠٧؛ والموسوعة العربية الميسرة ص **١١٣٦**.

(٤) في هـ (يعترفون) بسقوط (و).

(٥) (كما يشير إليه ابن سبعين) ساقطة من هـ.

(٦) في هـ (ويقولون) بدلاً من (ويقول).

(٧) في هـ (وقد) بدلاً من (كما قد).

(٨) (الكتاب) ساقطة من هـ.

(٩) لم نعثر على هذا النص في مزامير داود، ولا في العهد القديم.

ونـوره والمثال العلمي، كمـا قـد بسط في مـوضـع آخـر، ولهـذا يسمى ظهوراً والشعاع الحـال على الأرض والهواء، عـرض قائم بـذلك، وهـو مفتقر إلى الأرض والهواء.

والـرسـل ــ صلوات الله عليهم ــ، أخبـروا بـأن الله فـوق العـالم بعبارات متنوعة، تارة يقولون: هو العلي وهو الأعلى، وتارة يقولـون: هو في السماء كقوله:

﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾[1].

وليس مـرادهم بـذلـك أن الله في جـوف السمـاوات، أو أن الله يحصره شيء من المخلوقات، بل كلام الرسل كله يصدق بعضه بعضاً، كما قال ــ تعالى ــ:

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[2].

وقد قال ــ تعالى ــ:

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[3].

وثبت في الصحيح عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنـه قال: «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأن الآخـر فليس بعدك شيء و»[4] أنت

---

(١) سورة الملك: الآية ١٧.
(فإذا هي تمور) ساقطة من ط، ك.
(٢) سورة الصافات: الآيات ١٨٠، ١٨٢.
(٣) سورة الحديد: من الآية ٣.
(٤) ما بين القوسين ساقط من ط، ك.

الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء[1]، فأخبر أنه لا يكون شيء فوقه.

ولهذا قال غير واحد من أئمة[2] السلف: إنه ينـزل إلى السماء[3] الدنيا، ولا يخلو العرش منه، فلا يصير تحت المخلوقات وفي جوفها قط، بل العلو عليها صفة لازمة له حيث وجد مخلوق، فلا يكون الرب إلَّا عالياً عليه.

وقول الرسل «في السماء» أي في العلو، ليس مرادهم أنه في جوف الأفلاك بل السماء العلو، وهو إذا كان فوق العرش، فهو العلي الأعلى وليس هناك مخلوق، حتى[4] يكون الرب محصوراً في شيء من المخلوقات ولا هو في جهة موجودة، بل ليس موجوداً إلَّا الخالق والمخلوق، والخالق بائن عن مخلوقاته، عال عليها، فليس هو في مخلوق أصلاً، سواء سمى ذلك المخلوق جهة أو لم يسم جهة.

ومن قال: إنه في جهة موجودة تعلو عليه، أو تحيط به، أو يحتاج إليها بوجه من الوجوه، فهو مخطىء.

كما أن من قال: ليس فوق السماوات رب، ولا على العرش إله، ومحمد لم يُعرج به إلى ربه، ولا تصعد الملائكة إليه، ولا تنـزل الكتب منه، ولا يقرب منه شيء، ولا يدنو إلى شيء، فهو أيضاً مخطىء.

ومن سمى ما فوق العالم جهة، وجعل العدم المحض جهة، وقال

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث في ٣/ ٤٩١.

(٢) (أئمة) ساقطة من ط، ك.

(٣) في ط، ك (سماء) بسقوط (ال).

(٤) (حتى) ساقطة من هـ.

هو في جهة ــ بهـذا المعنى ــ أي هو نفسـه فوق كـل شيء، فهذا معنى صحيح.

ومن نفى هذا المعنى بقوله: ليس في جهة فقد أخطأ.

بـل طريق الاعتصـام أن ما أثبتـه الرسـل لله، أثبت لـه، ومـا نفتـه الرسل[1] عن الله، نفى عنه.

والألفـاظ التي لم تنـطق[2] الـرسـل فيهـا بنفي، ولا إثبـات كلفظ «الجهة» «والحيز» ونحو ذلك لا يطلق نفياً، ولا إثباتاً إلَّا بعد بيان المراد.

فمن أراد بمـا أثبت معنى صحيحاً، فقـد أصاب في المعنى، وإن كان في اللفظ خطأ.

ومن أراد بمـا نفاه معنى صحيحـاً، فقـد أصـاب في المعنى، وإن كان في لفظه خطأ.

وأمـا من أثبت بلفظه حقـاً وباطـلاً، أو نفى بلفظه حقـاً وبـاطـلاً، فكلاهما مصيب فيما عناه من الحق، مخطىء فيما عناه من الباطـل، قد لبس الحق بالباطل، وجمع في كلامه حقاً وباطلاً.

والأنبياء كلهم متطابقون على أنه في العلو.

وفي القـرآن والسنة مـا يقـارب ألف دليـل على ذلـك، وفي كـلام الأنبياء المتقدمين ما لا يحصى.

• • •

(١) (الرسل) ساقطة من هـ.
(٢) في هـ (ينطق) بدلاً من (تنطق).

فصل

قال سعيد بن البطريق[١]: وذلك مثل ما أن الشعاع المولود من عين الشمس، الذي يملأ ضوؤه ما بين السماء والأرض نوراً، وفي بيت من البيوت يكون فيه ضياء بنوره، من غير مقارنة لعين الشمس التي تولد منها حقاً[٢]، لأنه لم ينقطع من العين، ولا من الضوء، فكذلك سكن الله[٣] في الناسوت من غير أن يفارقه الأب، فهو مع الناسوت، وهو مع الأب وروح القدس حقاً[٤].

فيقال[٥]: هذا التمثيل لو قدر أنه صحيح، فإنما يشبه من بعض الوجوه قول من يقول: إنه بذاته في كل مكان، كشعاع الشمس، الذي يظهر في الهواء والأرض.

وأما النصارى، فإنهم يخصونه بناسوت المسيح دون سائر النواسيت ولو مثل[٦] بهذا من يقول: إنه بذاته في كل مكان، لكان باطلاً، فكيف النصارى؟ فإن الضوء إنما يكون في الهواء وسطوح الأرض، لا يكون تحت السقوف، والغيران وباطن الأرض.

---

(١) انظر: نظم الجوهر ١/١٦٣.
(٢) (حقاً) ساقطة من هـ.
(٣) في نظم الجوهر ١/١٦٣ (ابن الله) بدلاً من (الله).
(٤) انتهى كلام ابن البطريق.
(٥) هذا جواب ابن تيمية.
(٦) في هـ، ك (قال) بدلاً من (مثل).

ثم هذا التمثيل[1] باطل من وجوه:

أحدها: أن الشعاع ليس متولداً من جرم الشمس، ولا شعاع النار متولد من جرم النار، بل هو حادث بائن عن جرم الشمس، ولكنها سبب في حصوله.

ولهذا يشبه به العلم الحاصل في قلب المتعلم بسبب تعلم العلم من غير أن يكون من ذات علم العالم.

ولهذا يشبه علم العالم بالسراج الذي يقتبس كل أحد من نوره، وهو لم ينقص.

بخلاف تولد المولود عن والده، فإنه متولد من عينه.

والشعاع القائم بالهواء والأرض، ليس هو قائماً بذات الشمس والنار، بل هو عرض قائم بمحل آخر، والعرض الواحد لا يكون في محلين.

والنصارى يقولون: إن الكلمة التي هي علم الله أو حكمته، متولدة منه، وهي قديمة أزلية، والصفة قائمة بالموصوف، فالصفة مثل ما يقوم بذات الشمس من استدارة وضوء، فذاك صفة لها، وهو غير الشعاع القائم بالهواء، فإن ذاك بائن عنها، فكيف يجعل هذا هو هذا؟

فإن قالوا: نحن مقصودنا أن حكمة الله وعلمه ونوره أنزله إلى المسيح وأفاضه على المسيح، كما يفيض الشعاع عن الشمس.

قيل لهم: فهذا قدر مشترك بين المسيح وسائر الأنبياء، فلا اختصاص للمسيح بذلك.

---

(١) في هـ، ك (تمثيل) بسقوط (الـ).

الوجه الثاني: قولهم: الـذي يملأ ضـوؤه ما بين السمـاء والأرض نوراً، وفي بيت من البيوت يكـون فيه حقـاً من غير مقـارنة لعين الشمس التي تولد منها حقاً.

فيقال لهم: الشعاع الذي بين السماء والأرض، هـو الضوء، وهـو النور.

فقـولكم: إن الشعاع يمـلأ ضوؤه مـا بين السمـاء والأرض نـوراً، يقتضي أنه شعاع، وضوء شعاع، ونور حدث[1] عن ذلـك، وهذا غلط، بـل ليس هنا إلَّا جـرم الشمس، التي في السماء وشعـاعها، وهـو الضوء والنور الذي ما بين السماء والأرض.

الثـالث: قولكم: «من غيـر مفارقـة عين الشمس» يقتضي أن هـذا الشعـاع هو نفس مـا قام بـالشمس، وهذا مكـابـرة للحس والعقـل، بـل الشعاع الذي قام بالهواء والأرض، عـرض لم يقم بالشمس فقط.

وكل شعاع بقعة، فليس هو عين الشعاع الذي في البقعة الأخرى، وإن كان هو نظيره ومثله، وجنس الشعاع يجمعهما، كمـا أن شعاع هـذا السراج، ليس هو شعاع هذا السراج وإن قدر اختـلاطهما حتى يقـوى[2] الضـوء، ولا حركـة هذا الهـواء هي حركـة هـذا الهـواء، ونـظائـر ذلـك متعددة.

الـرابع: قـولكم: «كذلـك الله سكن في الناسـوت[3] من غيـر أن يفارقه الأب» تمثيل باطل.

(١) في هـ ، ك (صدر) بدلاً من (حدث).
(٢) في هـ ، ك (يرى) بدلاً من (يقوى).
(٣) في هـ (بالناسوت) بدلاً من (في الناسوت).

فإن الشمس نفسها لم تكن في الهواء والأرض، وإنما سكن شعاعها.

فوزانه أن يقال[1]: فكذلك سكن نور الله وبرهانه، وهداه، وروحه.

وهذا إذا قلته، فهو منقول عن الأنبياء، تنطق كتبهم بأن نور الله وروحه وهداه في قلوب المؤمنين، لكن لا اختصاص للمسيح بذلك.

قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾[2].

قال أبي بن كعب[3]: مثل نوره في قلب المؤمن[4].

وفي الترمذي عن أبي سعيد[5]، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله»، ثم قرأ قوله:

---

(١) في هـ، ك (يقول) بدلاً من (يقال).

(٢) سورة النور: من الآية ٣٥.

(٣) في هـ (أبي بن أبي كعب).

أبي بن كعب: هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل شهد بدراً وما بعدها وكان ـ رضي الله عنه ـ ممن جمع القرآن الكريم، وقد اختلف في تاريخ وفاته فقيل سنة عشرين، وقيل اثنتين وعشرين، وقيل ثلاثين من الهجرة.

انظر: تهذيب التهذيب ١/١٨٧؛ وأسد الغابة ١/٤٩.

(٤) هذا الأثر سبقت الإشارة إليه ٣/١٤٥.

(٥) **أبي سعيد الخدري**: سبق التعريف به.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[1].

الخامس: إنكم إذا جعلتم الله نفسه ساكناً في المسيح، فوزانه أن تكون الشمس نفسها ساكنة في موضع صغير من الأرض.

وهذا التمثيل يبطل قولكم: (إن الله أعلا وأعظم وأجل وأكبر)[2]، والله أجل وأكبر وأعظم من كل شيء، والشمس آية من آياته، ومخلوق من مخلوقاته، ومع هذا فلو قال قائل: إن الشمس سكنت في جوف امرأة وخرجت من فرج تلك المرأة، لكان كل عاقل يعلم فساد قوله، وينسبه إلى الجهل العظيم، أو الجنون، وسواء قال: إن الشمس نفسها نزلت أو لم تنزل.

وأنتم تقولون: إن رب العالمين سكن في بطن مريم، ويقول أكثركم ـ كالملكية واليعقوبية ـ: إنه خرج من فرج مريم.

ولو قال قائل عما هو من أصغر مخلوقات الله كوكب من الكواكب، أو جبل من الجبال، أو صخرة عظيمة: إن ذلك كان في بطن امرأة وخرج من فرجها، لضحك الناس من قوله، فكيف بمن يدعي مثل ذلك في رب العالمين؟

وإذا قالوا: إن الله نزل إلى السماء الدنيا، أو نزل إلى الطور وكلم موسى من العليقة، أو في عمود الغمام ونحو ذلك، فليس في شيء من

---

(١) سورة الحجر: من الآية ٧٥.
انظر: الحديث في سنن الترمذي ـ كتاب التفسير ـ سورة الحجر ـ حديث رقم ٥١٣٣ ـ عن أبي سعيد الخدري.
وقد سبقت الإشارة إلى هذا الحديث ٣/ ١٤٦.

(٢) ما بين القوسين ساقط من هـ، ك.

ذلك أنه اتحد بمخلوق، لا سماء، ولا طور، ولا شجرة، ولا كان كلامه قائماً بشيء مخلوق، لا شجرة ولا غيرها.

وعندهم أنه اتحد بالمسيح، وكان صوت المسيح القائم به، هو صوت رب العالمين بلا واسطة.

• • •

فصل

الردّ على تشبيه النّصارى حلول كلمة الله في الناسوت بالكتابة في القرطاس

قال سعيد بن البطريق[1]: ومثلما أن كلمة الإنسان المولودة من عقله تكتب في قرطاس، فهي في القرطاس كلها حقاً من غير أن تفارق العقل الذي منه ولدت، ولا يفارقها العقل الذي ولدها، لأن العقل بالكلمة يعرف، لأنها فيه، والكلمة كلها في[2] العقل الذي ولدها، وكلها في نفسها، وكلها في القرطاس الذي التحمت به، فكذلك كلمة الله، كلها في الأب الذي ولدت منه، وكلها في نفسها وفي الروح، وكلها في الناسوت التي حلت فيها والتحمت بها[3].

فيقال[4]: هذا التمثيل حجة عليكم، وعلى فساد قولكم، لا حجة لكم، وذلك يظهر بوجوه:

أحدها: أن يقال: إن كان حلول كلمة الله ـ التي هي المسيح ـ في الناسوت، مثل كتابة الكلام في القرطاس، فحينئذٍ يكون المسيح من جنس سائر كلام الله، كالتوراة، وزبور داود، والإنجيل، والقرآن، وغير ذلك، فإن هذا كله كلام الله، وهو مكتوب في القراطيس باتفاق أهل

(١) في هـ، ك (بطريق) بسقوط (الـ).
انظر: تاريخ سعيد بن البطريق (نظم الجوهر) ١/١٦٣.

(٢) في هـ (من) بدلاً من (في).

(٣) (بها) ساقطة من هـ.
وانتهى كلام ابن البطريق.

(٤) هذا جواب ابن تيمية.

الملل، بـل الخلق كلهم متفقـون على أن كـلام كـل متكلم يكتب في القراطيس، وقد قال ــ تعالى ــ في القرآن:

﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ (١).

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ (٢).

وقـال:

﴿ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ (٣).

وقـال:

﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴾ (٤).

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾ (٥).

وإذا كانت الكلمة التي هي(٦) المسيح عندكم هكـذا، فمعلوم أن كلام الله المكتوب في القراطيس، ليس هو إلٰهاً خالقاً، وهو كـلام كثير، لا ينحصر في كلمة، ولا كلمتين.

ولـو قـال قـائـل: يـا كـلام الله اغفــر لي وارحمني، أو يـا تـوراة،

---

(١) سورة البروج. الآيتان ٢١، ٢٢.

(٢) سورة الواقعة: الآيات ٧٧ ــ ٧٩.

(٣) سورة البينة: الآيتان ٢، ٣.

(٤) سورة عبس: الآيات ١١ ــ ١٦.

في هـ، ك (إنه تذكرة) بدلاً من (إنها تذكرة).

(٥) سورة الطور: الآيات ١ ــ ٣.

(٦) في هـ، ك (الذي هو) بدلاً من (التي هي).

أو يا إنجيل، أو يا قرآن اغفر لي وارحمني، كان قد تكلم بباطل عند جميع أهل الملل والعقلاء.

وأنتم تقولون: المسيح إلّه خالق، وهو يدعى ويعبد، فكيف تشبهونه بكلام الله المكتوب في القراطيس؟

الثاني: أن الكلام المكتوب صفة للمتكلم، يقوم[1] به[2] ويكتب[3] في القراطيس[4] عند سلف أهل الملل وجماهيرهم.

وعند بعضهم، هو عرض مخلوق، يخلقه في غيره[5].

فالجميع متفقون، على أن الكلام صفة تقوم بغيرها، ليس[6] جوهراً قائماً بنفسه.

والمسيح ـ عندكم ـ لاهوته جوهر قائم بنفسه، وهو إلّه حق من إلّه حق وهو ـ عندكم[7] ـ إلّه تام وإنسان تام.

فكيف تجعلون الإلّه الذي هو عين قائمة بنفسها، كالصفة التي لا تقوم إلَّا بغيرها.

الثالث: قولكم: «إن كلمة الإنسان مولودة من عقله» لو كان صحيحاً فالتولد لا يكون إلَّا حادثاً.

وأنتم تقولون: إن كلمة الله القديمة الأزلية، متولدة منه قبل

---

(١) في هـ (تقوم) بدلاً من (يقوم).
(٢) (به) ساقطة من ط، ك.
(٣) في هـ (تكتب) بدلاً من (ويكتب).
(٤) في ك. هـ (القرطاس) بدلاً من (القراطيس).
(٥) يشير إلى مذهب المعتزلة بهذا الكلام.
(٦) في هـ، ك (ليس صفة) بزيادة (صفة).
(٧) (عندكم) ساقطة من هـ.

الدهور، وتقولون ــ مع هذا ــ هي إله[1].

وهذا كما أن بطلانه معلوم بصريح العقل، فهي بدعة وضلالة[2] في الشرع، فإنه لم يسم أحد من الأنبياء شيئاً من صفات الله ابناً له، ولا قال: إن صفته متولدة منه، ولفظ «الابن» لا يوجد عندكم عن الأنبياء إلَّا اسماً لناسوت مخلوق، لا[3] لصفة الله القديمة، فقد بدلتم كلام الأنبياء بهذا الافتراء.

الرابع: قولكم «مولودة من عقله» إن أردتم «بعقله» العين القائمة بنفسها التي يسميها[4] قلباً وروحاً ونفساً، أو نفساً ناطقة، فتلك إنما تقوم بها المعاني، وأما الألفاظ فإنما تقوم بفمه ولسانه.

وإن أردتم «بعقله» مصدر عقل يعقل عقلاً، فالمصدر عرض قائم بالعقل، وهو عرض[5] من جنس العلم والكلمة والعمل الصالح.

وإن أردتم بالعقل، الغريزة التي في الإنسان، فهو أيضاً عرض.

الخامس: أن تسميتكم تكلم الإنسان بالمعنى أو اللفظ تولداً، أمر اخترعتموه، لا يعرف عن نبي من الأنبياء، ولا أمة من الأمم، ولا في لغة من اللغات.

وإنما ابتدعتم هذا لتقولوا: إذا كان كلام الإنسان متولداً منه، فكلام الله متولد منه.

ولم ينطق أحد من الأنبياء بأن كلام الله تولد منه، ولا أنه ابنه ولا أن علمه تولد منه، ولا أنه ابنه.

---

(١) في هـ (هذا) بدلاً من (إله).
(٢) في هـ (وضلال) بدلاً من (وضلالة).
(٣) في ط (ولا) بزيادة (و).
(٤) في هـ (تسميها) بدلاً من (يسميها).
(٥) (عرض) ساقطة من هـ، ك.

السادس: قولكم: «إن كلمة الإنسان المولودة من عقله تكتب في القرطاس، فهي في القرطاس كلها حقاً، من غير أن تفارق العقل الذي منه ولدت»، إلى قولكم: «الكلمة كلها في العقل الذي ولدها، وكلها في القرطاس الذي التحمت به «مكابرة ظاهرة معلومة الفساد بصريح العقل، فإن وجود الكلام في القلب واللسان، ليس هو عين وجوده مكتوباً في القرطاس بل القائم بقلب المتكلم معان: طلب، وخبر، وعلم، وإرادة، والقائم بنفسه، حروف مؤلفة هي أصوات مقطعة، أو هي حدود أصوات مقطعة، وليس في قلب الإنسان ولا فمه، مداد كالمداد الذي في القرطاس.

والكلام مكتوب في القرطاس باتفاق العقلاء، مع علمهم بأنه ليس في القرطاس علم وطلب وخبر قائم به، كما تقوم[1] بقلوب المتكلم، ولا قام به أصوات مقطعة مؤلفة، ولا[2] حروف[3] كالأصوات القائمة بفم المتكلم، بل لفظ الحرف يقال على الحرف المكتوب: إما المداد المصور، وإما صورة المداد وشكله. ويقال على الحرف المنطوق: إما الصوت المقطع، وإما حد الصوت ومقطعة وصورته.

وكل عاقل يميز بحسه وعقله بين الصوت المسموع من المتكلم، وبين المداد المرئي بالبصر، ولا يقول عاقل: إن هذا هو هذا، ولا يقال: إن هذا وهذا هو نفس المعنى القائم بقلب المتكلم، فكيف تقولون[4]: إن الكلمة في القرطاس كلها، وكلها في العقل الذي ولدها، وكلها في نفسها؟

---

(١) في هـ (يقوم) بدلاً من (تقوم).
(٢) (ولا) ساقطة من هـ ، وممحوة من ك.
(٣) في سائر النسخ (حروفاً) ومن المفروض أن تكون (حروف).
(٤) في ط (يقولون) بدلاً من (تقولون).

السابع: أن حرف «في» التي يسميها النحاة ظرفاً، يستعمل في كل موضع بالمعنى المناسب لذلك الموضع.

فإذا قيل: إن الطعم واللون والريح، حال في الفاكهة، أو العلم والقدرة، والكلام حال[1] في المتكلم، فهذا معنى معقول.

وإذا قيل: إن هذا حال في داره، أو إن الماء حال في الظرف فهذا معنى آخر.

فإن ذاك حلول صفة في موصوفها، وهذا حلول عين قائمة، تسمى جسماً وجوهراً، في محلها، ومنه يقال لمكان القوم: المحلة، ويقال: فلان حل بالمكان الفلاني.

وإذا قيل: الشمس والقمر في الماء، أو في المرآة، أو وجه فلان في المرآة، أو كلام فلان في هذا القرطاس، فهذا له معنى يفهمه الناس، يعلمون أنه قد ظهرت الشمس والقمر والوجه في المرآة، ورؤيت فيها، وأنه لم يحل بها ذات ذلك، وإنما حل فيها مثال شعاعي عند من يقول ذلك.

وكذلك الكلام إذا كتب في القرطاس، فالناس يعلمون أنه مكتوب فيه ومقروء فيه، ومنظور فيه، ويقولون: نظرت في كلام فلان وقرأته وتدبرته وفهمته ورأيته ونحو ذلك، كما يقولون: رأيت وجهه في المرآة وتأملته ونحو ذلك.

وهم ــ في ذلك كله صادقون ــ يعلمون ما يقولون، ويعلمون أن نفس جرم الشمس والقمر والوجه لم يحل في المرآة، وأن نفس ما قام به من المعاني والأصوات لم تقم[2] بالقرطاس، بل كانت المرآة واسطة

---

(١) (حال) ساقطة من هـ.

(٢) في هـ (يقم) بدلاً من (تقم).

في رؤية الوجه فهو المقصود بالرؤية، وكان القرطاس واسطة في معرفة الكلام، فهو المقصود بالرؤية[1]، ويعلمون أن حاسة البصر باشرت ما في المرآة من الشعاع المنعكس، ولكن المقصود بالرؤية، هو[2] الشمس، وحاسة البصر باشرت ما في القرطاس من المداد المكتوب، ولكن المقصود بالرؤية هو[2] الكلام المكتوب.

ويعلمون أن نفس المثال الذي في المرآة ليس هو الوجه، وأن نفس المداد المكتوب به، ليس هو الكلام المكتوب، بل يفرقون بينهما كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾[3].

ففرق ـ سبحانه ـ بين الكلمات وبين المداد، الذي يكتب به الكلمات.

فكيف يقال: إن هذا هو هذا، وأن الكلمة في القرطاس كلها وهي في المتكلم كلها؟

الثامن: أن الكلام له معنى في المتكلم، يعبر عنه بلفظه، واللفظ يكتب في القرطاس، فالمكتوب في القرطاس هو اللفظ المطابق للمعنى، لا يكتب المعنى بدون كتابة اللفظ الذي كتب بالخط، ليعرف ما كتب.

فدعوى هؤلاء أن نفس المعنى الذي في القلب كله، هو في القرطاس كله جعل لنفس المعنى هو الخط، وهذا باطل.

---

(١) في ط (بالرؤية وكان) بزيادة (وكان).

(٢) (هو) ساقطة من هـ.

(٣) سورة الكهف: من الآية ١٠٩.

التاسع: أنه لا ريب أن كلام المتكلم يقال: إنه قائم به.

ويقال ـ مع ذلك ـ إنه مكتوب في القرطاس، ويقال: هذا هو كلام فلان بعينه، وهذا هو ذاك، ونحو ذلك من العبارات التي تبين[1] أن هذا المكتوب في القرطاس، هو هذا[2] الكلام الذي تكلم به المتكلم بعينه، لم يزد فيه ولم ينقص، لم يكتب كلام غيره.

ولا[3] يريدون بذلك أن نفس الخط نفس الصوت، أو نفس المعنى. فإن هذا لا يقوله عاقل.

فإن قيل: ففي المسلمين من يقول: إن كلام الله القديم الأزلي، أو كلام الله، الذي ليس بمخلوق، هو حال في الصدور والمصاحف من غير مفارقة.

ومن هؤلاء من يقول: إنه يسمع من الإنسان الصوت القديم، أو الصوت الذي ليس بمخلوق.

ومنهم من يقول: إن الحرف القديم، أو الذي ليس بمخلوق، هو في القرطاس، وحكى عن بعضهم أنه يقول ذلك في المداد.

ومن هؤلاء من يقول: إن القديم حل في المصحف ونحو ذلك.

فتقول النصارى: نحن مثل[4] هؤلاء.

قيل: **الجواب من وجوه**:

أحدهما: أن المقصود بيان الحق الذي بعث الله به رسله، وأنزل

(١) في ط (تتبين) بزيادة (تـ).

(٢) (هذا) ساقطة من هـ، ك.

(٣) في هـ، ك (لا) بسقوط (و).

(٤) (مثل) ساقطة من ط.

به كتبه، والرد على من خالف ذلك من النصارى وغيرهم.

ونحن لا ننكر أن في المنتسبين إلى الإسلام طوائفاً[1]، منهم منافقون ملحدون وزنادقة، ومنهم جهال ومبتدعة[2]، ومنهم من يقول مثل قول النصارى، ومنهم من يقول شراً منه، فالرد على هؤلاء كلهم، والعصمة ثابتة لكتاب الله وسنّة رسوله.

وما اجتمع عليه عباده المؤمنون. فهذا لا يكون إلَّا حقاً، وما تنازع فيه المسلمون، ففيه حق وباطل.

الوجه الثاني: أن يقال هؤلاء الذين قالوا في القرآن ما قالوه، ليس قولهم مثل قول النصارى.

فإن النصارى جعلوا للَّه ولداً قديماً أزلياً سموه «كلمة» وقالوا: إنه إلٰه يخلق ويرزق، وإنه اتحد بالمسيح، فجعلوا المسيح ـ الذي هو الكلمة عندهم ـ إلٰهاً يخلق ويرزق.

وليس في طوائف المسلمين المعروفة من يقول: إن كلام الله إلٰه يخلق ويرزق.

ولكن محمد وغيره من الرسل، ـ عليهم السلام[3] ـ، بلغوا إلى الخلق كلام الله الذي تكلم به.

فكان الصحابة والتابعون لهم بإحسان على أن القرآن والتوراة والإنجيل وغير ذلك من كلام الله، هو كلام الله الذي تكلم به، وأن الله أنزله وأرسل به ملائكته، ليس هو مخلوقاً بائناً عنه خلقه في غيره.

---

(١) (طوائفاً) ساقطة من ط .

(٢) في ط، ك (مبتدعة) بسقوط (و).

(٣) (عليهم السلام) ساقطة من هـ ، ك.

ويقولون: إن هذا القرآن هو كلام الله، الذي بلغه رسوله، والمسلمون يقرؤونه، ويسمع من القارىء كلام الله، لكن يقرؤونه بأفعالهم وأصواتهم، ويسمعونه من القارىء الذي يقرؤه بصوت نفسه، فالكلام كلام الباريء، والصوت صوت القارىء.

ويقولون: إن الله تكلم به، وكلم به موسى، وأن موسى سمع نداء الله بأذنه فكلمه الله بالصوت الذي سمعه موسى، كما بين ذلك في كتب الله، القرآن، والإنجيل[1]، والتوراة وغير ذلك.

فحدث بعد الصحابة، وأكابر التابعين طائفة معطلة يقولون: إن الله لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً، فقتل المسلمون مقدمهم «الجعد»[2] وصار لهم مقدم يقال له «الجهم»[3] فنسبت إليهم الجهمية[4]، نفاة الأسماء والصفات.

تارة يقولون: إن الله لم يتكلم ولم يكلم موسى، وإنما أطلق ذلك مجازاً.

---

(١) (الإنجيل) ساقطة من هـ، ك.

(٢) **الجعد**: الجعد بن درهم من الموالي كان مؤدباً لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ولكنه أظهر القول بخلق القرآن بعد أن أخذه عن أبان بن سمعان اليهودي، قال عنه الذهبي: مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، وكان الجعد زنديقاً شهد عليه الناس بذلك وطلبه الخليفة هشام بن عبد الملك وسيره إلى خالد بن عبد الله القسري والي العراق فقتله في عيد الأضحى سنة ١١٨هـ أمام الناس بعد أن قال: «أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً» ثم نزل فذبحه.

انظر: ميزان الاعتدال ١/٣٩٩؛ والبداية والنهاية ٩/٣٥٠؛ الأعلام للزركلي ٢/١١٤؛ والكامل لابن الأثير ٥/١٦٠.

(٣) **الجهم**: سبقت الإشارة إليه ٣/ ٢٩٤.

(٤) سبق التعريف بها.

وتارة يقولون: تكلم ويتكلم حقيقة، ولكن معنى ذلك أنه خلق كلاماً في غيره، سمعه موسى، لا أنه نفسه قام به كلام، وهذا قول من يقوله من المعتزلة[1] ونحوهم.

وزين هذا القول بعض ذوي الإمارة[2]، فدعوا[3] إليه مدة وأظهروه وعاقبوا من خالفهم، ثم أطفىء ذلك، وأظهر ما كان عليه سلف الأمة، أن القرآن، والتوراة، والإنجيل، كلام الله، تكلم هو به. منه بدا، ليس ببائن منه، وليس بمخلوق خلقه في غيره.

ولما أظهر الله هذا، والناس يتلون قول الله ــ تعالى ــ:

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[4].

صار بعض أهل الأهواء يقول[5]: إنما يسمع صوت القارىء، وصوته مخلوق، وهو كلام الله، فكلام الله مخلوق.

ولم يميز هذا، بين أن يسمع الكلام من المتكلم به، كما سمعه موسى من الله بلا واسطة، وبين أن يسمع من المبلغ عنه.

ومعلوم أنه لو سمع كلام الأنبياء وغيرهم من المبلغين، لم يكن صوت المبلغ هو صوت المبلغ عنه، وإن كان الكلام كلام المبلغ عنه، لا كلام المبلغ.

فكلام الله إذا سمع من المبلغين عنه، أولى أن يكون هو كلام الله

---

(١) سبق التعريف بها.
(٢) المقصود به: (المأمون الخليفة العباسي) والخلفاء الذين جاؤا بعده، ونصروا رأيه في خلق القرآن.
(٣) في هـ (ودعوا) بدلاً من (فدعوا).
(٤) سورة التوبة: من الآية ٦.
(٥) (يقول) ساقطة من هـ.

لا كلام المبلغين، وإن بلغوه بأصواتهم.

فجاءت طائفة ثانية فقالوا: هذا المسموع ألفاظنا وأصواتنا وكلامنا، ليس هو كلام الله، لأن هذا مخلوق، وكلام الله ليس بمخلوق.

وكان مقصود هؤلاء تحقيق أن كلام الله غير مخلوق، فوقعوا في إنكار أن يكون هذا القرآن كلام الله، ولم يهتدوا إلى أنه ـ وإن كان كلام الله، فهو كلام الله مبلغاً عنه ـ ليس هو كلامه مسموعاً منه، ولا يلزم إذا كانت أفعال العباد وأصواتهم مخلوقة ليست هي كلام الله، أن يكون الكلام الذي يقرؤونه بأفعالهم وأصواتهم كلامهم، ويكون مخلوقاً ليس هو كلام الله.

وهؤلاء[1] الذين قالوا: ليس هذا كلام الله، منهم من قال: هو حكاية لكلام الله، وطردوا ذلك في كل من بلغ كلام غيره أن يكون ما بلغه حكاية لكلام المبلغ عنه لا كلامه.

وأهل الحكاية منهم من يقول: إن كلام الرب يتضمن حروفاً مؤلفة، إما قائماً بذاته على قول بعضهم، أو مخلوقة في غيره على قول بعضهم، والقائم بذاته معنى واحد.

ومن هؤلاء من قال: الحكاية تماثل المحكي عنه، فلا نقول هو حكاية بل هو عبارة عنه، والتقدير عندهم «فأجره حتى يسمع كلام[2] عبارته أو حكايته».

فجاءت طائفة ثالثة، فقالت: بل قد[3] ثبت أن هذا المسموع[4]

---

(١) في ط (وثم هؤلاء) بزيادة (ثم).

(٢) (كلام) ساقط من هـ، ك.

(٣) (قد) ساقطة من هـ، ك.

(٤) (المسموع) ساقطة من ط.

كلام الله، وكلام الله ليس بمخلوق[1]، وهذا المسموع هو الصوت، فالصوت غير مخلوق.

ثم من هؤلاء من قال: إنه قديم، ومنهم من قال: ليس بقديم، ومنهم من قال: يسمع صوت الرب والعبد، ومنهم من قال: إنما يسمع صوت الرب.

ثم منهم من قال: إنه قديم، ومنهم من قال: إنما يسمعه من العبد.

وهؤلاء منهم من قال: إن صوت الرب حل في العبد، فضاهوا النصارى.

ومنهم من قال: بل نقول[2]: ظهر فيه من غير حلول. ومنهم من يقول[3]: لا يطلق لا[4] هذا ولا هذا.

وكل هذه الأقوال محدثة مبتدعة، لم يقل شيئاً منها[5] أحد من الصحابة ولا[6] التابعين لهم بإحسان، ولا إمام من أئمة المسلمين كمالك[7]، والثوري[8]، ـــــــــــــــ

(١) في هـ (مخلوق) بسقوط (بـ).
(٢) في هـ (هو) بدلاً من (نقول).
(٣) في هـ (من قال) بدلاً من (من يقول).
(٤) (لا) ساقطة من ط، ك.
(٥) في ط (منها شيئاً) تقديم وتأخير.
(٦) (لا) ساقطة من ط؛ ك.
(٧) سبقت ترجمته.
(٨) **الثوري**: هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري بن عبد مناة أبو عبد الله ــ أجمع الناس على دينه وورعه وزهده ــ ولد بالكوفة سنة ٩٧هـ ونشأ بها وطلبه المنصور للقضاء فأبى وسكن مكة والمدينة ثم طلبه المهدي فتوارى إلى أن مات بالبصرة سنة =

والأوزاعي[1]، والليث بن سعد[2]، وأبي حنيفة[3]، وأبي يوسف[4] ومحمد[5]،

= ١٦١هـ له من الكتب الجامع الكبير، والجامع الصغير في الحديث: وكان آية في الحفظ.

انظر: وفيات الأعيان ٢/٢٨٦؛ وتهذيب التهذيب ٤/١١١؛ والبداية والنهاية ١٠/١٣٤؛ وشذرات الذهب ١/١٦١؛ وسير أعلام النبلاء ٧/٢٢٩.

(١) **الأوزاعي**: هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي أبو عمرو إمام الديار الشامية في الفقه والزهد ــ ولد في بعلبك سنة ٨٨هـ ونشأ في البقاع وسكن بيروت وعرض عليه القضاء فامتنع، وكان ممن لا يخاف في الله لومة لائم، وكان بارعاً في الكتابة مسترسلاً، وقد نقل عنه أنه أجاب في سبعين مسألة من مسائل العلم ــ وهو عالم أهل الشام في زمانه ــ مات سنة ١٥٧هـ في بيروت.

انظر: وفيات الأعيان ٣/١٢٧؛ وسير أعلام النبلاء ٧/١٠٧؛ وحلية الأولياء ٦/١٣٥؛ وشذرات الذهب ١/٢٤١؛ وتهذيب التهذيب ٦/٢٣٨؛ والبداية والنهاية ١٠/١١٥.

(٢) **الليث بن سعد**: هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث الفهمي بالولاء إمام أهل مصر في عصره وعالم حافظ، ولد في قلقشندة قرية من قرى الوجه البحري في مصر سنة ٩٤هـ وقد حج وسمع من نافع مولى ابن عمر وكان له في كل يوم أربعة مجالس وله مؤلفات كثيرة ــ توفي في القاهرة سنة ١٧٥هـ.

انظر: تاريخ بغداد ١٣/٣؛ وحلية الأولياء ٧/٣١٨؛ وتهذيب التهذيب ٨/٤٥٩؛ ووفيات الأعيان ٤/١٢٧؛ وسير أعلام النبلاء ٨/١٣٦.

(٣) **أبو حنيفة**: سبقت ترجمته.

(٤) **أبو يوسف**: سبقت ترجمته ٣/٣٤٢.

(٥) **محمد بن الحسن**: هو محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء أبو عبد الله الفقيه الحنفي ــ أصله من قرية علي باب دمشق في وسط الغوطة اسمها حرست وفد أبوه من الشام إلى العراق فولد محمد بواسط سنة ١٣١هـ ونشأ بالكوفة وطلب العلم والحديث وسمع من أبي حنيفة سنتين ثم تفقه على أبي يوسف صاحب أبي حنيفة ــ تولى القضاء للرشيد فترة ــ مات بالري سنة ١٨٩هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٤/١٨٤؛ وسير أعلام النبلاء ٩/١٣٤؛ وتاريخ بغداد ٢/١٧٢؛ وشذرات الذهب ١/٣٢١؛ والبداية والنهاية ١٠/٢٠٢.

والشافعي[1]، وأحمد بن حنبل[2]، وإسحاق بن راهويه[3]، وابن عيينة[4] وغيرهم.

بل هؤلاء كلهم متفقون على أن القرآن منزل غير مخلوق، وأن الله أرسل به جبريل، فنزل به جبريل على نبيه محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، فبلغه محمد إلى الناس فقرأه الناس بحركاتهم وأصواتهم، وليس شيء من أفعال العباد وأصواتهم قديماً ولا غير مخلوق، ولكن كلام الله غير مخلوق، ولم يكن السلف يقولون: القرآن قديم.

ولما أحدث الجهمية وموافقوهم من المعتزلة وغيرهم أنه مخلوق بائن من الله، قال السلف والأئمة: إنه كلام الله غير مخلوق.

---

(١) **الشافعي**: هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي أبو عبد الله أحد الأئمة الأربعة المجتهدين والمتبوعين وإليه تنسب الشافعية، ولد في غزة بفلسطين سنة ١٥٠هـ وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين وزار بغداد مرتين، ثم قصد مصر وتوفي بها سنة ٢٠٤هـ.
انظر: تاريخ بغداد ٢/٥٦؛ والبداية والنهاية ١٠/٢٥١؛ ووفيات الأعيان ٤/١٦٣؛ وطبقات الحنابلة ١/٢٨٠؛ وشذرات الذهب ٢/٩؛ وتهذيب التهذيب ٩/٢٥؛ وسير أعلام النبلاء ١٠/٥.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) **ابن عيينة**: هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي مولاهم الكوفي ولد بالكوفة سنة ١٠٧هـ ، ونقله أبوه إلى مكة كان إماماً عالماً ثبتاً حجة زاهداً ورعاً مجمعاً على صحة حديثه وروايته وحج سبعين حجة، وقد أدرك نيفاً وثمانين نفساً من التابعين فحمل عنهم علماً جماً وأتقن وجود وجمع وصنع وعمر دهراً وازدحم الخلق عليه وانتهى إليه علواً الإسناد وتوفي بمكة ١٩٨هـ ودفن ـ رحمه الله ـ بالحجون.
انظر: وفيات الأعيان ٢/٣٩١؛ وسير أعلام النبلاء ٨/٤٥٤؛ وتاريخ بغداد ٩/١٧٤؛ وميزان الاعتدال ٢/١٧٠؛ وتهذيب التهذيب ٤/١١٧؛ وشذرات الذهب ١/٣٥٤.

ولم يقل أحد من السلف: إن الله تكلم بغير قدرته ومشيئته، ولا أنه معنى واحد قائم بالذات، ولا أنه تكلم بالقرآن[1] أو التوراة أو الإنجيل[2] في الأزل بحرف وصوت قديم، فحدث بعد ذلك طائفة فقالوا: إنه قديم.

ثم منهم من قال: القديم هو معنى واحد قائم[3] بالذات، هو معنى جميع كلام الله.

وذلك المعنى إن عبر عنه بالعبرية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، والأمر والنهي والخبر صفات له لا أنواع له.

ومن هؤلاء من قال: بل هو قديم، وهو حروف، أو حروف وأصوات أزلية قديمة، وأنها هي التوراة والإنجيل والقرآن.

فقال الناس لهؤلاء: خالفتم الشرع والعقل في قولكم: إنه قديم، وابتدعتم بدعة لم يسبقكم إليها أحد من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، وفررتم من محذور إلى محذور، كالمستجير من الرمضاء[4] بالنار.

ثم قولكم: إنه معنى واحد، وهو مدلول جميع[5] العبارات، مكابرة للعقل والشرع فإنا نعلم ـ بالاضطرار ـ أنه ليس معنى آية

---

(١) في ط (به القرآن) بدلاً من (بالقرآن).
وفي ك (به القرآن) بزيادة (به).
(٢) في هـ (الإنجيل به) بزيادة (به).
(٣) (قائم) ساقطة من هـ، ك.
(٤) في هـ (بالرمضاء) بدلاً من (من الرمضاء).
(٥) في ط (لجميع) بزيادة (ل).

الكرسي، هو معنى آية الدين ولا معنى ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ هو معنى[1] سورة الإخلاص.

والتوراة إذا عربناها لم تصر هي القرآن العربي الذي جاء به محمد، وكذلك إذا ترجمنا القرآن بالعبرية، لم يكن هو توراة موسى.

وقول من قال منكم: إنه حروف، أو حروف وأصوات أزلية، ظاهر الفساد، فإن الحروف متعاقبة، فيسبق بعضها بعضاً، والمسبوق بغيره لا يكون قديماً لم يزل، والصوت المعين لا يبقى زمانين، فكيف يكون قديماً أزلياً؟

والسلف والأئمة لم يقل أحد منهم بقولكم، لكن قالوا: إن الله تكلم بالقرآن وغيره من الكتب المنزلة، وإن الله نادى موسى بصوت سمعه موسى بأذنه، كما دلت على ذلك النصوص.

ولم يقل أحد منهم: إن ذلك النداء الذي سمعه موسى قديم أزلي، ولكن قالوا: إن الله لم يزل متكلماً إذا شاء وكيف شاء، لأن الكلام صفة كمال لا صفة نقص، وإنما تكون صفة كمال إذا قام به، لا إذا كان مخلوقاً بائناً عنه، فإن الموصوف إلَّا بما قام به، لا يتصف بما هو بائن عنه، فلا يكون الموصوف حياً عالماً قادراً متكلماً رحيماً مريداً، بحياة قامت بغيره، ولا بعلم وقدرة قامت بغيره. ولا بكلام ورحمة وإرادة قامت بغيره.

والكلام بمشيئة المتكلم وقدرته أكمل ممن لا يكون بمشيئته وقدرته.

وأما كلام يقوم[2] بذات المتكلم بلا مشيئته وقدرته، فإما أنه ممتنع

---

(١) (معنى) ساقطة من ط.

(٢) في ط (قائم يقوم) بزيادة (قائم).
وفي ك (قائم) بدلاً من (يقوم).

أو هو صفة نقص كما يدعى مثل ذلك في المصروع.

وإذا كان كمالاً، فدوام الكمال له وأنه لم يزل موصوفاً بصفات الكمال، أكمل من كونه صار متكلماً بعد أن لم يكن، لو قدر أن هذا ممكن، فكيف إذا كان ممتنعاً؟

وكان أئمة السنَّة والجماعة، كلما ابتدع في الدين بدعة، أنكروها ولم يقروها، ولهذا حفظ الله دين الإسلام، فلا يزال في أمة محمد طائفة هادية مهدية ظاهرة منصورة.

بخلاف أهل الكتاب، فإن النصارى ابتدعوا بدعاً خالفوا بها المسيح وقهروا من خالفهم ممن كان متمسكاً بشرع المسيح، حتى لم يبقَ حين[1] بعث الله محمداً من هو متمسك بدين المسيح، إلَّا بقايا من أهل الكتاب كما قال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في الحديث الصحيح: «إن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلَّا بقايا من أهل الكتاب»[2].

فلما أظهر قوم من الولاة أن القرآن مخلوق ودعوا الناس إلى ذلك، ثبت الله أئمة السنَّة وجمهور الأمة، فلم يوافقوهم، وكان المشار إليه من الأئمة إذ ذاك أحمد بن حنبل.

ثم بقي ذلك القول المحدث، ظاهراً، نحو أربع عشر سنة وأئمة الأمة وجمهورها ينكرونه[3]، حتى جاء من الولاة من منع[4]، من إظهاره

(١) في هـ (حتى) بدلاً من (حين).
(٢) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث ٣/ ١٦.
(٣) في هـ (منكره)، وفي ك (تنكره) بدون نقط.
(٤) يشير إلى الخليفة العباسي «المتوكل على الله».
انظر: البداية والنهاية ١٠/ ٣٣٧.

والقول به، فصار مخفياً كغيره من البدع، وشاع عند العامة والخاصة أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

فأراد بعض الناس أن يجيب عن شبهة من قال: إن هذا الذي يقوم بنا مخلوق، فقال: القرآن كلام الله غير مخلوق، ولكن ألفاظنا بـه مخلوقة، وتلاوتنا له مخلوقة.

وربما قالوا: هذا الـذي نقرأه مخلوق، أو هـذا ليس هو كـلام الله فقصدوا معنى صحيحاً، وهـو كون صفـات العباد وأصـواتهم[1] وأفعالهم مخلوقة.

لكن غلطوا حيث أطلقوا القول، أو أفهموا الناس بـأن هذا القـرآن الذي يقرؤه المسلمون مخلوق، ولم يهتدوا إلى[2] أنّا إذا أشرنـا إلى كلام متكلم قـد بلغ عنـه، فقلنـا مثـلاً لمـا روي عن النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ كقوله: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امـرىء ما نـوى»[3]: هذا كلام رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[4]، أو لقول الشاعر: «ألا

---

(١) (وأصواتهم) ساقطة من هـ، ك.
(٢) (إلى) ساقطة من هـ.
(٣) انظر:
* الإمـام البخـاري ـ في عـدة مـواضـع من صحيحـه ـ عن عمـر بن الخطاب ـ ـ رضي الله عنه ـ منها كتاب بدء الوحي ـ باب ١ ـ بلفظه.
* الإمام مسلم ـ في عدة مواضع من صحيحه ـ عن عمر بن الخطاب ـ منها كتاب الإمارة ـ باب ٣ ـ ٥ ـ بلفظه.
* سنن ابن مـاجـه ـ كتـاب الـزهـد ـ بـاب النيـة ٢١ ـ حـديث رقم ٤٢٢٧ ـ عن عمر بن الخطاب ـ بلفظه.
(٤) (ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ) ساقطة من ط، ك.

كل شيء ما خلا الله باطل»[1]، هذا كلام[2] لبيد بن ربيعة[3]، ونحو ذلك.

فإنا نشير إلى نفس الكلام معانيه ونظمه وحروفه، لا إلى ما يختص بالمبلغ من حركته وصوته، بل ولا صوت المبلغ عنه وفعله.

فإن كون الحي متحركاً أو مصوتاً، قدر مشترك بين الناطق والأعجم، وليس هذا صفة له[4].

والكلام الذي[5] يتميز به[6] الناطق عن الأعجم، إنما يتميز بالمعاني القائمة به. وباللفظ المطابق لها. من الحروف المنظومة بالأصوات المقطعة.

وهذا أمر يختص به المتكلم بالكلام، لا المبلغ عنه، فليس للمبلغ[7] إلاَّ تأدية ذلك.

ولهذا لو قال قائل لشعر لبيد: «ألا كل شيء ما خلا الله باطل» فقال: هذا شعري أو كلامي لكونه أنشده بصوته، لكذبه الناس.

ولو قال: هذا الذي أقوله، مثل شعر لبيد لكذبه الناس[8]، وقالوا بل هو شعره[9] نفسه، ولكن أديته بصوتك.

---

(١) هذا صدر بيت للبيد وعجزه قوله: «وكل نعيم لا محالة زائل».

(٢) في هـ، ك (شعر) بدلاً من (كلام).

(٣) لبيد بن ربيعة: سبقت الإشارة إليه ٣/ ٢٦٧.

(٤) في هـ (الكمال) بدلاً من (له).

(٥) في ط، ك (التي) بدلاً من (الذي).

(٦) في ط، ك (بها) بدلاً من (به).

(٧) في ط (الجميع) بدلاً من (للمبلغ).

(٨) (الناس) ساقطة من ك.

(٩) في هـ (شعر) بسقوط (ه).

بخلاف ما إذا قال قائل[1]، قولاً نظماً أو نثراً، وقال آخر مثله، فإن الناس يقولون: هذا مثل قول فلان، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾[2].

وقال عن القرآن:

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾[3].

ولهذا لو قال قارىء: أنا آتي بقرآن مثل[4] قرآن محمد وتلاه نفسه وقال: هذا مثله. لأنكر الناس ذلك وضحكوا منه، وقالوا: هذا القرآن الذي جاء به هو[5]، ليس هو كلام آخر مماثل له.

فإذا كان القرآن الذي يقرؤه المسلمون، هو كلام الله الذي بلغه الرسول، لم يجز أن يقال: ليس هو بكلام الله، بل هو مثل[6] له، أو حكاية عنه، أو عبارة.

وإذا كان معلوماً إنما هو كلام الله، فقد تكلم الله[7] به ـ سبحانه ـ، لم يخلقه بائناً عنه، ولم يجز أن يقال لما هو كلامه: إنه مخلوق.

فإذا قيل عن ما يقرؤه المسلمون: إنه مخلوق، والمخلوق بائن

---

(١) (قائل) ساقطة من هـ.

(٢) سورة البقرة: من الآية ١١٨.

(٣) سورة الإسراء: من الآية ٨٨.

(٤) في هـ (بمثل) بزيادة (بـ).

(٥) (هو) ساقطة من هـ.

(٦) في ط (مثله) بدلاً من (مثل).

(٧) لفظ الجلالة (الله) ساقطة من هـ.

عن الله، ليس هو كلامه، فقد جعل مخلوقاً ليس هو بكلام الله، فصار[1] الأمة يقولون: هذا كلام الله، وهذا غير مخلوق، لا يشيرون بذلك إلى شيء من صفات المخلوق، بل إلى كلام الله الذي تكلم به وبلغه عنه رسوله.

والمبلغ إنما بلغه بصفات نفسه، والإشارة في مثل هذا، يراد بها الكلام المبلغ، لا يراد بها ما به وقع التبليغ.

وقد يراد بهذا، الثاني، مع التقييد كما في مثل الاسم إذا قيل: عبدت لله، ودعوت الله، فليس المراد أن المعبود المدعو، هو الاسم الذي[2] هو اللفظ، بل المعبود المدعو هو المسمى باللفظ، فصار بعضهم يقول الاسم هو غير المسمى، حتى قيل لبعضهم: أقول دعوت الله، فقال: لا تقل هكذا، ولكن قل دعوت المسمى بالله، وظن هذا الغالط أنك إذا قلت ذلك، فالمراد دعوت هذا اللفظ، ومثل هذا يرد عليه في اللفظ الثاني.

فما من شيء عبر عنه باسم، إلَّا والمراد بالاسم هو المسمى، فإن الأسماء لم تذكر إلَّا لبيان المسميات، لا أن الاسم نفسه هو ذات المسمى.

فمن[3] قال: إن اللفظ والمعنى القائم بالقلب هو عين المسمى، فغلطه واضح.

ومن قال: إن المراد بالاسم في مثل قولك: دعوت الله وعبدته،

---

(١) في ط (فضار) بدلاً من (فصار).

(٢) (هو الاسم الذي) ساقطة من ك.

(٣) في هـ، ك (وإن) بدلاً من (فمن).

هو نفس اللفظ، فغلطه واضح، ولكن اشتبه على الطائفتين ما يراد بالاسم ونفس اللفظ.

كذلك أولئك اشتبه عليهم نفس كلام المتكلم المبلغ عنه الذي هو المقصود بلفظ[1] المبلغ وكتابته بنفس صوت المبلغ ومداده.

والفرق بين هذا وهذا، واضح عند عامة العقلاء.

وإذا كتب كاتب اسم الله في ورقة، و[2]نطق باسم الله في خطابه وقال قائل: أنا كافر بهذا ومؤمن بهذا، كان مفهوم كلامه أنه مؤمن أو كافر بالمسمى المراد باللفظ والخط، لا أنه يؤمن ويكفر بصوت أو مداد.

فكذلك من قال لما يسمعه من القراء ولما يكتب في المصاحف: أن هذا كلام الله.

أو قال لما يسمع من جميع المبلغين لكلام غيرهم ولما يوجد في الكتب: هذا كلام زيد[3]، فليس مرادهم ذلك الصوت والمداد، إنما هو المعنى واللفظ الذي بلغه زيد بصوته وكتب في القرطاس بالمداد.

فإذا قيل عن ذلك: إنه مخلوق، فقد قيل: إنه ليس كلام الله، ولم يتكلم به.

ومن قصد نفس الصوت أو المداد، وقال: إنه مخلوق، فقد أصاب، كما أن من قصد نفس الصوت أو الخط وقال: ليس هذا هو كلام الله، بل هو مخلوق، فقد أصاب، لكن ينبغي أن يبين مراده بلفظ لا لبس فيه.

---

(١) في ط (بفلظ) بدلاً من (بلفظ).

(٢) في هـ (أو) بزيادة (أ).

(٣) في ط (الله) بدلاً من (زيد).
(زيد) ساقطة من ك.

فلهذا كان الأئمة كأحمد بن حنبل وغيره، ينكرون على من أطلق القول بأن اللفظ بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق، ويقولون: من قال: إنه مخلوق فهو جهمي، ومن قال: إنه غير مخلوق فهو مبتدع *[1] ومن قال: إنه مخلوق هنا، فقد يقولون: ليس هو كلام الله، وهذا خلاف المتواتر عن الرسول، وخلاف ما يعلم بمثل ذلك بصريح المعقول.

فإن الناس يعلمون ـ بعقولهم ـ أن من بلغ كلام غيره، فالكلام كلام المبلغ عنه الذي قاله مبتدياً أمراً بأمره مخبراً بخبره، لا كلام من قاله مبلغاً عنه مؤدياً.

ولهذا كان النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول في المواسم[2]: «ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي؟ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»[3] رواه أبو داود وغيره، عن جابر.

ولما أنزل الله ـ تعالى ـ[4]:

﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾[5].

(١) ابتداء من هنا وحتى نهاية هذا الفصل مفقود من ك.

(٢) في هـ (الموسم) بدلاً من (المواسم).

(٣) انظر:

* سنن ابن ماجه ـ المقدمة ـ باب ١٣ ـ حديث رقم ٢٠١ ـ عن جابر بن عبد الله بلفظه من دون جملة «لأبلغ كلام ربي» الأولى.

* وسنن الترمذي ـ أبواب فضائل القرآن ـ باب ٢٣ ـ حديث رقم ٣٠٩٣ ـ عن جابر ـ رضي الله عنه ـ بلفظ ابن ماجه.

* ومسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/٣٩٠ ـ عن جابر بن عبد الله ـ من حديث طويل بمعناه.

(٤) (ـ تعالى ـ) ساقطة من هـ.

(٥) سورة الروم: الآيات ١ ـ ٣.

قال بعض الكفار لأبي بكر الصديق[1]: هذا كلامك أم[2] كلام صاحبك؟ قال: ليس بكلامي ولا كلام صاحبي، ولكنه كلام الله.

فلهذا اشتد به[3] إنكار أحمد بن حنبل وغيره من أئمة الإسلام، وبالغ قوم في الإنكار عليهم وقالوا: لفظنا بالقرآن غير مخلوق، وأطلقوا عبارات تتضمن و[4]تشعر أن يكون شيء من صفات العباد غير مخلوقة، فأنكر ذلك أحمد وغيره، كما أنكر ذلك ابن المبارك[5]، وإسحاق بن راهويه[6]، والبخاري[7] وغير هؤلاء من أئمة السنَّة، وبينوا: أن الورق والمداد وأصوات العباد وأفعالهم مخلوقة، وأن كلام الله الذي يحفظه العباد ويقرؤونه ويكتبونه غير مخلوق.

فكلام[8] أئمة السنَّة والجماعة كثير[9] في هذا الباب، متفق غير مختلف وكله صواب.

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) في هـ (أو) بدلاً من (أم).

(٣) (به) ساقطة من هـ.

(٤) (تتضمن و) ساقطة من ط.

(٥) **ابن المبارك**: هو عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، أبو عبد الرحمن مولى بني حنظلة، ولد سنة ١١٨، وجمع بين العلم والزهد وتفقه على سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وروى عنه الموطأ، وكان كثير الانقطاع في الخلوات، وكان شاعراً، قصر شعره على الزهد والحث على الجهاد، قدم العراق والحجاز والشام ومصر واليمن وسمع كثيراً، وكان ثقة مأموناً إماماً حجة كثير الحديث، توفي سنة ١٨١هـ بقرية هيث على شاطىء الفرات.

انظر: تاريخ بغداد ١٠/١٥٢؛ وحلية الأولياء ٨/١٦٢؛ والبداية والنهاية ١٠/١٧٧؛ وسير أعلام النبلاء ٨/٣٧٨.

(٦) **ابن راهويه**: سبقت ترجمته.

(٧) **البخاري**: سبقت ترجمته.

(٨) (كثير) ساقطة من هـ.

ولكن قد يبين بعضهم في بعض الأوقات ما لا يبينه غيره لحاجته في ذلك.

فمن ابتلي بمن يقول: ليس هذا كلام الله كالإمام أحمد، كان كلامه في ذم من يقول: هذا مخلوق، أكثر من ذمه لمن يقول: لفظي مخلوق.

ومن ابتلي بمن يجعل بعض صفات العباد غير مخلوق، كالبخاري صاحب الصحيح، كان كلامه في ذم من يجعل ذلك غير مخلوق أكثر مع نص أحمد والبخاري وغيرهما، على خطأ الطائفتين.

● ● ●

فصل

قال سعيد بن البطريق[1]: وليس حلول كلمة الله الخالقة والتحامها بجوهر الناسوت، عن انتقال ولا تغير ولا احتيال من واحد من الجوهرين عن كثافة، فلا الإلّهي احتال أن يكون إلّهاً خالقاً، ولا الناسي احتال عن أن يكون ناسياً مخلوقاً.

والاحتيال والتغير، إنما يلزم الخلطة إذا كانت من خلقين ثقيلين غليظين، مثل الماء والخمر، أو الماء[2] والعسل، أو السمن[3] والعسل، والذهب والورق والنحاس والرصاص وما أشبه ذلك، لأن كله[4] ثقيل غليظ، وكل ثقل تخالطه ثقلة لا محالة، يلزمه التغير حتى يصير إلى ما كانت عليه الأثقال[5]، فلا الخمر خمراً، ولا الماء ماء بعد اختلاطهما ـ ولكنهما احتالا جميعاً عن جوهرهما، فصارا إلى أمر متغير، ليس هو أحدهما بعينه، ولا أحدهما خالص من الفساد والاحتيال عن حاله.

فأما إذا كانت الخلطة من خلق لطيف وخلق غليظ، لم يخالط تلك الخلطة تغير ولا احتيال، مثل خلطة النفس والجسد إنساناً واحداً،

---

(١) انظر: تاريخ ابن البطريق (نظم الجوهر) ١/١٦٣.

(٢) في هـ (والماء) بسقوط (أ).

(٣) في هـ، ك (والسمن) بسقوط (أ).

(٤) في هـ (كل) بدلاً من (كله).

(٥) في هـ، ك (الأفعال) بدلاً من (الأثقال).

أحدهما يلتحم[1] بالآخر من غير أن تكون النفس تغيرت واحتالت، أي استحالت عن جوهرها أن[2] تكون نفساً تعرفها بفعالها، ولا الجسد تغير ولا احتال عن حاله وأفعاله، ومثل ما كان تخالط[3] النار والحديد، فيلتحمان جميعاً، فيكونان جمرة واحدة، من غير أن تكون النار قد تغيرت إلى أن تكون حديدة ثقيلة تشج[4] وتقطع، ولا الحديدة تغيرت واحتالت إلى[5] أن تكون ناراً تحرق، فكذلك تفعل كل خلطة مؤلفة من شيئين مختلفين، أحدهما روحاني لطيف، والآخر ثقلي[6] غليظ، مثل النفس والجسد والنار والحديد، ومثل الشمس المخالطة للماء والطين وكل رطوبة وحمأة، فهي لا تتغير ولا تحتال عن نورها ونقائها وضوئها، مع مخالطتها كل سواد وسخ، ونتن ونجس.

قال[7]: والخلطة تكون على ثلاثة أوجه:

أحدها: خلطة باختلاط من الطبيعتين الثقيلتين واحتيالهما وفسادهما، مثل خلطة الخمر والماء، والخل والعسل، والذهب والورق والرصاص[8] والنحاس، فإن في ذلك كله وما أشبهه، احتيالاً وفساداً، لأن مزاج الخمر والماء، ليس بخمر ولا ماء، لاحتيال كل واحد منهما عن طبعه، واختلاطهما بفسادهما وتغيرهما عن حالهما.

---

(١) في ط (ملتحماً).
(٢) في هـ، ك (أي) بدلاً من (أن).
(٣) في هـ (يخالطه) بدلاً من (تخالط).
(٤) في هـ (تشرج) بدلاً من (تشج).
(٥) في هـ (إلّا) بدلاً من (إلى).
(٦) في هـ (ثقيل) بدلاً من (ثقلي).
(٧) انظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٦٤ وما بعدها.
(٨) (والرصاص) ساقطة من هـ.

وكـذلك خلطة الخـل والعسـل، قـد صـارت لا خـلاً ولا عسـلاً، لاحتيال كل واحد منهما، وخلطة الذهب والورق على مثل ذلك صـارت على غيـر صحة لا من الـذهب ولا من الورق، وخلطة الـورق والنحـاس على غيـر صحة، لا من الـورق ولا من النحاس. فهـذا وجه من الـوجوه الثلاثة.

والـوجـه الثـاني: خلطة[1] افتـراق من الـطبيعتين الثقيلتين، وقـد تعـرف من تلك الخلطة كـل واحـدة من الـطبيعتين ثـابتـة في الأخـرى، بقوامها ووجهها، مثل الزيت والماء في قنديل واحد، ومثل الكتـان والقز في ثوب واحد منسوج بكتان مضلع بقـز، ومثل صنم نحـاس، رأسه من ذهب ومـا أشبـه ذلــك، ممـا لا ينبغي[2] أن يسمى خلطة مـع افتـراق الطبيعتين والقوامين، مثل ما لا ينبغي أن يكون بين الماء والقلة التي هـو فيها خلطة، لأن طبيعة القلة فخار، قوامها قلة، وليس بينهما وبين المـاء خلطة، بل أشد الفرقة.

وكذلك الماء والزيت، لولا أن وعاء القنديل الذي هما فيه ضمهما ما اجتمعا.

وكذلك الكتان والقز، ليس بينهما خلطة، وإن كانا في ثوب واحـد ولا بين الذهب والنحاس ولم يسبكا، خلطة، وإن جمعهما صنم واحد.

فهاتان الخلطتان لا تكونا أبداً إلاَّ في أثقال جسمانيات غليظة.

فإن التحم بعضهما ببعض مثلما يذاب الذهب والنحاس ويفـرغان جميعاً، وقعت في وجه خلطة الاحتيـال والفساد، لأن تلك النقـرة ليست بذهب صحيح، ولا بنحاس صحيح.

---

(١) في ط (خطه) بدلاً من (خلطة).

(٢) في هـ (ينفي) بدلاً من (ينبغي).

فإن لم تلحم وألزم بعضها بعضاً، مثل طوق يكون من نحاس وذهب، وقعت من وجه خلطة الافتراق التي لا يحق لها أن تسمى خلطة.

وفي هذين الوجهين: وقع نسطورس وأشياعه، فلزموا خلطة الاحتيال والفساد. فزعموا أن الطبيعة الإلّهية، والطبيعة الناسية اختلطا في المسيح الواحد. فهو ذو[1] قوام واحد بطبيعة واحدة، مختلطة من طبيعتين مختلفتين، إلّهية وناسية، فأقروا[2] أنهما قد احتالا، والاحتيال فساد.

وألزموا على هذا القول الكافر، طبيعة الله المصائب والموت، وصيروا المسيح لا إلّهاً صحيحاً، ولا إنساناً، مثل الذهب والنحاس.

فنسطورس وأشياعه لزموا خلطة الفرقة والانقطاع، فزعموا: أن المسيح الواحد ذو طبيعتين مختلفتين، الإلّهية وناسية، وذو قوامين معروفين، إلّهي، وناسي، فصيروا الفرقة خلطة، كالطوق الملون نصفين، أحدهما ذهب، والآخر نحاس، والثوب المبطن، ظاهره خز، وباطنه قطن، ليس بينهما خلطة في طبيعة ولا قوام.

وليس لهم ــ على هذا ــ أن يؤمنوا بمسيح واحد، لأن الطوق الملون طوقان، والثوب المبطن ثوبان.

فالمسيح مثل ذلك، مسيحان، واحد إلّهي بطبيعته وقوامه، مثل قضيب الذهب في الطوق الملون، ومثل ظهارة الخز في الثوب المبطن.

والآخر ناسي، مثل قضيب[3] النحاس في الطوق، وبطانة القطن في الثوب.

---

(١) في هـ (ذر) بدلاً من (ذو).

(٢) في هـ (فأقرا) بدلاً من (فأقروا).

(٣) في هـ (فضة) بدلاً من (قضيب)، في ك (فصة) بدلاً من (قضيب).

والعجب كل العجب كيف لم يفصل[1] أهل الخلاف والشقاق بين[2] الصنفين كليهما[3]، ولم يفهموا أن هاتين الخلقتين أنهما خلقتان ذواتا أثقال جسمانية غليظة، ليس فيهما شيء من الخلق الروحاني اللطيف الخفيف ولذلك لا تقدر الأثقال الغليظة على الخروج من هذين الوجهين من وجوه الخلطة، لأنهما إن اختلطا خلطة ملتحمة ممتزجة، صارت إلى احتيال وفساد، وإن قامت على حالها، لا تلتحم، ولا يمتزج بعضها ببعض، فهي على وجه خلطة[4] الافتراق، ومنقطعة بعضها من بعض، وإن جمعها صنم واحد أو ثوب واحد، فليس يوجد لشيء من الأثقال الجسمانية وجه خلطة، سوى هذين الوجهين أبداً، إما فساد، وإما انقطاع، إلَّا أن تكون الخلطة في اثنين، أحدهما ثقيل جسماني، والآخر لطيف روحاني، فإن ذلك هو:

الوجه الثالث من الخلطة: وهي خلطة الحلول بلا اختلاط ولا احتيال ولا فساد ولا فرقة ولا انقطاع، لكنها نفاذ الطبيعة الروحانية في الطبيعة الثقيلة السفلية حتى تنتشر في جميعها وتحل بكلها، فلا يبقى موضع من الطبيعة الثقيلة السفلية خلواً من الطبيعة الروحانية، ولا احتيال من الثقيلة الجسمانية عن طبيعتها الغليظة الثقيلة ولا تغيير ولا فساد لإحداهما مثل خلطة النفس والجسد، ومثل خلطة النار والحديد في قوام جمرة واحدة، فهي جمرة واحدة بالقوام من[5] طبيعة نار ملتحمة، مخالطة لطبيعة الحديدة بلا فرقة من انقطاع، ولا تخليط احتيال وفساد،

---

(١) في هـ، ك (يعقل) بدلاً من (يفصل).

(٢) في هـ (من) بدلاً من (بين).

(٣) في هـ، ك (كلاهما) بدلاً من (كليهما).

(٤) (خلطة) ساقطة من هـ، ك.

(٥) في هـ، ك (في) بدلاً من (من).

وقد انتشرت النار[1] في جميع الحديدة، ولبستها، وأنالت النار الحديدة من قوامها وقوتها حتى أنارت الحديدة وأحرقت، ولم تنل النار من ضعف الحديدة شيئاً من السواد ولا البرودة[2].

فعلى هذا الوجه من الخلطة دبرت كلمة الله الخالقة خلطتها للطبيعة البشرية:

فهو مسيح واحد ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل الأدهار، كلها نور من نور، إلّه حق من إلّه حق، مولود ليس بمخلوق من سوس أبيه وجوهره وطبيعته، وهو إياه من مريم العذراء المولود منها في آخر الزمان بقوام واحد، قوام ابن الله الوحيد الجامع للطبيعتين كلتيهما، الإلّهية التي لم تزل في البدء قبل كل بدء، والناسية التي كونت في آخر الزمان المقوم بالقوام الأزلي.

فهو مسيح واحد، بقوام واحد أزلي ذو طبيعتين: إلّهية لم تزل، وناسية خلقها له والتحم بها من مريم العذراء، فقوامه ذلك، قوام الطبيعة الإلّهية والطبيعة الناسية، جامعاً لهما بلا اختلاط، ولا فساد، ولا فرقة انقطاع، لم يزل قوام الطبيعة الإلّهية، ثم هو قوام الطبيعة الناسية، قد خلقها وكونها وقومها بقوامه، الذي لم يزل يقيم إلَّا به، ولم يعرف إلا له[3].

والجواب[4] عن هذا الكلام ــ بعد * أن يقال: إنه تناقض،

(١) (النار) ساقطة من هـ.
(٢) في هـ (البروقة) بدلاً من (البرودة).
(٣) انتهى كلام ابن البطريق في نظم الجوهر ١/١٦٧.
(٤) هذا جواب ابن تيمية.

فجعل[1] هذا تارةً اختلاطاً، وتارةً يقول: ليس هو[2] اختلاطاً *[3] ــ أن يقال: إنه ــ أولاً ــ[4] قد يجعل[5] هذا الحلول والالتحام اختلاطاً، ويقول: إنه لا يكون فيه استحالة ولا تغير، ويقول[6]: * الاستحالة والتغيير إنما يلزم الخلطة، إذا كانت من خلقين غليظين كالماء والخمر *[7]، فأما إذا كانت من لطيف وكثيف لم يخالط تلك الخلطة تغير ولا احتيال ــ أي استحالة ــ ، ويقول: والخلطة تكون على ثلاثة أوجه، ثم يقول[8]: أحدهما كالخمر والماء، والثاني كالزيت والماء، والكتان والقز. ثم يقول: وما أشبه ذلك مما لا ينبغي أن يسمى خلطة مع افتراق الطبيعتين فيجعله من أقسام الخلطة، ثم يقول: ولا ينبغي أن يسمى خلطة.

وليس المقصود المنازعات اللفظية، بل يقول: دعواه أن أحد نوعي الاختلاط يكون عن تغير واستحالة، بخلاف النوع الآخر الذي هو اختلاط لطيف وغليظ، دعوى ممنوعة، ولم يُقِم عليها دليلاً، بل يقول: هي باطلة، بل لا يكون الاختلاط بين شيئين إلاَّ مع تغير واستحالة.

وما ذكره من الأمثال والشواهد فهي حجة عليه لقوله: «فأما إذا كانت الخلطة من خلق لطيف وخلق غليظ، لم يخالط تلك الخلطة تغير

(١) في هـ (لجعل) بدلاً من (فجعل).
(٢) في هـ (هذا) بدلاً من (هو).
(٣) ما بين النجمة والنجمة التي في الصفحة السابقة.
(٤) (أن يقال: إنه ــ أولاً ــ) ساقطة من هـ .
(٥) في هـ ، ك (جعل) بسقوط (يـ).
(٦) في هـ ، ك (وقال) بدلاً من (ويقول).
(٧) ما بين هذه النجمتين ساقطة من هـ، ك.
(٨) (ثم يقول) ساقطة من هـ ، ك.

ولا احتيال، مثل خلطة النفس والجسد إنساناً واحداً، أحدهما ملتحم بالآخر من غير أن تكون النفس تغيرت واحتالت عن جوهرها، أن تكون نفساً تعرفها بفعالها ولا الجسد تغير واستحال عن حاله وفعاله».

فيقال: هذا قول باطل ظاهر البطلان لكل من تصوره، فإن الجسد إذا خلا عن النفس، مثل ما يكون قبل نفخ الروح فيه، وما يكون بعد مفارقة الروح له بالموت، بل آدم ـ عليه السلام ـ أبو البشر، خلق من تراب وماء، وصار صلصالاً كالفخار، ثم نفخت فيه الروح، فصار جسداً هو لحم وعظم وعصب ودم.

فهل يقول عاقل: إن جسد آدم[1] قبل النفس وبعدها على صفة واحدة لم يتغير ولم تستحل، وذريته من بعده يخلق أحدهم من نطفة ثم[2] علقة ثم مضغة، فيكون جسداً ميتاً، ثم ينفخ فيه الروح، فيصير الجسد حياً بعد أن كان ميتاً؟

وأي تغيير أعظم من انتقال الجسد من الموت إلى الحياة؟

ومعلوم بالحس والعقل، الفرق بين الحي والميت، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾[3].

والجسد إذا لم ينفخ فيه الروح فهو موات ليس له حس ولا حركة إرادية، ولا يسمع ولا يبصر[4]، ولا ينطق ولا يعقل، ولا يبطش ولا يأكل،

---

(١) في هـ، ك (هذا دم) بدلاً من (جسد آدم).
(٢) (ثم) ساقطة من هـ.
(٣) سورة فاطر: من الآية ٢٢.
(٤) في هـ (ولا سمع ولا بصر) بدلاً من (ولا يسمع ولا يبصر).

ولا يشـــرب، ولا يمني، ولا ينكـح، ولا يتفكـــر، ولا يحب ولا يبغض، ولا يشتهي، ولا يغضب.

فإذا اتصلت به النفس تغيرت[1] أحواله واستحالت صفاته، وصـار حساساً متحركاً بـالإرادة، فكيف يقال مثـل خلطة النفس والجسد إنسـاناً واحـداً، أحـدهمـا يلتحم بـالآخــر، من غيـر أن تكــون النفس تغيـرت واستحالت عن جوهرها، أن تكون نفساً يعرفها بفعالها، ولا الجسـد تغير ولا استحال عن حاله وأفعاله؟

فهل يقول عاقل يتصور ما يقول: إن الجسد كان حالـه وفعالـه مع مفارقة النفس له، كحاله وفعاله مع مخالطتها له؟

وهل يقول عاقل: إن الجسد بعد مـوته ومفـارقة النفس لـه، حالـه وفعـاله، كحـاله وفعـالـه إذا كـانت النفس مختلطة بـه، وهـو إذا مـات، كالجماد لا يسمـع ولا يبصر، ولا ينـطق ولا يبطش ولا يمشي، قـد جمد دمه وأسود، ولم يبق سائلاً، وتغير سحنته[2] ولونه؟ وتغير الجسد بـالحياة بعد الموت، وبالموت بعد الحياة، من أعظم التغيرات والاستحالات.

وكذلك النفس، فإن النفس ــ عند اتصالها بـالبدن ــ تلتـذ بلذته، وتتألم بألمه.

فإذا أكل البدن، وشرب ونكح واشتم، التذت النفس، وإذا ضرب البدن، وصفع وأهين، وحط الشوك على رأسه وبصق في وجهه، تألمت النفس بذلك.

فـإذا شبهوا اتحـاد الرب بـالمسيـح بـاتحـاد النفس بـالبـدن، وهم

(١) في ط (وتغيرت) بزيادة (و).

(٢) في ط (صحته)، وفي هـ (سنحته) بدلاً من (سحنته).

يقـولون: إن المسيـح وكل أحـد إذا ضرب وصفـع وصلب فتألم بـدنـه، تألمت نفسه أيضاً.

فإن كل الألم[1] مع نفس المسيح وجسـده، كالنفس مـع الجسد، وجب أن يكـون الرب يتـألم بتألم النـاسوت، ويجـوع بجوعـه، ويشبـع بشبعـه، فإن ألم الجـوع ولـذة الشبـع، يحصـل للنفس إذا جـاع البـدن وشبع.

وأيضـاً فالمسيـح عندهم إلٰه تـام وإنسان تـام، والإلٰه إلٰـه[2] قبـل الاتحاد والإنسان إنسان قبل الاتحاد.

فهم يقولون: إنهما بعد الاتحاد إلٰه تام كما كان، وإنسان تـام كما كان.

فنظير هذا أن يكون الإنسـان المركب من بـدن ونفس، نفساً تـامة وبدناً تاماً، وأن تكون الحديدة[3] المحماة، حديداً تاماً، وناراً تـامـة [4] وهـو[5] بـاطـل. بـل الإنسـان مـركب من نفس وبـدن، والإنسـان اسم لمجموع، ليس الإنسان روحاً والإنسان بدناً.

فلو كان الاتحاد حقاً، لوجب أن يقـال: إن المسيح نصفـه لاهوت ونصفه ناسوت، وهو مركب من هذا وهذا.

ولا يقال: إن المسيح نفسه إنسان تام، والمسيح نفسه إلٰه تام، فإن تصور هذا القول على الوجه التام يـوجب العلم الضروري، حيث جعلوا

---

(١) في هـ (الإلٰه) بدلاً من (الألم).
(٢) في هـ (الذي) بدلاً من (إلٰه).
(٣) في هـ (الجمرة) بدلاً من (الحديدة).
(٤) في هذا المكان، في هـ زيادة (وخشبة تامة وناراً تامة).
(٥) في هـ (وهذا) بدلاً من (وهو).

المسيح الذي هو المبتدأ، الموضوع المخبر عنه المحكوم عليه، هو إنسان تام وإلٰه تام، يوجب أن يكون نفس الإنسان هو نفس الإلٰه.

ولو قيل هذا في مخلوقين، فقيل: نفس الملك نفس البشر، لكان ظاهر البطلان، فكيف إذا قيل في رب العالمين؟ لا سيما وكثير من النصارى لا يقولون: إن جسد المسيح مخلوق، بل يصفون الجميع بالإلٰهية[1] وهذا مقتضى قول أئمتهم القائلين: إن المسيح إلٰه تام لكنهم تناقضوا فقالوا ـ مع ذلك ـ: وهو إنسان تام، فكأنهم قالوا: هو الخالق ليس هو الخالق، هو مخلوق ليس هو مخلوق، فجمعوا بين النقيضين[2]. وهذا حقيقة قول النصارى، لا سيما واتحاد اللاهوت بناسوت المسيح ـ عندهم ـ اتحاد لازم لم يفارقه البتة، فيكون ذلك أبلغ من الاتحاد العارض، ومن[3] أن الرب كان متحداً بجسد لا روح فيه، ثم بالجسد مع نفخ الروح فيه، ثم بالجسد بعد مفارقة الروح له، وحيث دفن في القبر ووضع التراب عليه.

ومعلوم أن الإنسان إذا كانت فيه النفس وجعلت في التراب معه[4]، تألمت النفس ألماً شديداً، ثم[5] تفارق البدن.

ومن العجائب أنهم يقولون: إن المسيح صلب ومات، ففارقته النفس الناطقة، وصار الجسد لا روح فيه، واللاهوت ـ مع هذا ـ متحد لم يفارقه وهو في القبر، واللاهوت متحد به، فيجعلون اتحاده به أبلغ من اتحاد النفس بالبدن.

---

(١) في هـ (باللاهوتية) بدلاً من (بالإلٰهية).

(٢) في هـ (وهذا جمع بين النقيضين) بدلاً من (فجمعوا بين النقيضين).

(٣) في هـ، ك (في) بدلاً من (من).

(٤) (معه) ساقطة من ط.

(٥) في هـ، ك (لم) بدلاً من (ثم).

والنفس ـ عند اتصالها بالبدن ـ تتغير وتتبدل صفاتها وأحوالها، ويصير لها من الصفات والأفعال ما لم يكن بدون البدن، وعند مفارقة البدن تتغير صفاتها وأفعالها.

فإن كان تمثيلهم مطابقاً. لزم أن يكون الرب قد تغيرت أوصافه وأفعاله لما اختلط بالمسيح، كما تتغير صفات النفس وأفعالها، ويكون الرب قبل هذا الاختلاط كالنفس المجردة التي لم تقترن[1] ببدن.

وأيضاً فالنفس والبدن شريكان في الأعمال الصالحة والفاسدة، لهما الثواب وعليهما العقاب، والثواب والعقاب على النفس، أكمل منه على البدن فإن كان الرب كذلك، كان جميع ما يفعله المسيح باختياره فعل الرب، كما أن جميع ما يفعله البدن باختيار فعل النفس عن التي تخاطب بالأمر والنهي[2]، فيقال لها: كلي واشربي، وانكحي، ولا تأكلي[3] ولا تشربي ولا تنكحي.

فإن كان الرب مع الناسوت كذلك، كان الرب هو المأمور والمنهي بما يأمر به المسيح، وكان الرب هو المصلي الصائم العابد الداعي، وبطل قولهم: يخلق ويرزق بلاهوته، ويأكل ويعبد بناسوته.

فإن النفس والبدن لما اتحدا كانت جميع الأفعال الاختيارية للنفس والبدن، فإذا صلَّى الإنسانِ وصام ودعا، فالنفس والبدن يوصفان بذلك جميعاً، بل النفس أخص بذلك، وكذلك إذا أمر أو نهى. فكلاهما موصوف بذلك[4]، وكذلك إذا ضرب، فألم الضرب يصل

---

(١) في هـ (تقرف) بدلاً من (لم تقترن).

(٢) (النهي) ساقطة من هـ.

(٣) (واشربي وانكحي ولا تأكلي) ساقطة من ك.
(وانكحي) ساقطة من هـ.

(٤) (بذلك) ساقطة من هـ.

إليهما كما تصل إليهما لذة الأكل والجماع.

بل أبلغ من ذلك أن الجنى إذا دخل في الإنسي وصرعه وتكلم على لسانه، فإن الإنسي يتغير، حتى يبقى الصوت والكلام الذي يسمع منه، ليس هو صوته وكلامه المعروف.

وإذا ضرب بدن الإنسي فإن الجني يتألم بالضرب ويصيح ويصرخ ويخرج منه ألم الضرب، كما قد جرب الناس من ذلك ما لا يحصى، (ونحن قد فعلنا من ذلك ما يطول وصفه)[1].

فإذا كان الجني تتغير صفاته وأحواله لحلوله في الإنسي، فكيف بنفس الإنسان؟

وعندهم اتحاد اللاهوت بالناسوت أتم وأكمل من اتحاد النفس بالجسد.

فهل يقول عاقل ـ مع هذا الاتحاد ـ : إنهما جوهران، لكل منهما أفعال اختيارية لا يشركه الآخر فيها؟

ويقولون ـ مع قولهم بالاتحاد ـ : إن الذي كان يصلي ويصوم ويدعو ويتضرع ويتكلم[2] ويتألم ويضرب ويصلب، هو نظير البدن، والذي كان يأمر وينهي ويخلق ويرزق، هو نظير النفس.

هذا مع قولهم: إن مريم ولدت اللاهوت مع الناسوت، وإنه اتحد به مع كونه حياً وقبل حياته وعند مماته، والجسد في ذلك كله كسائر أجساد الآدميين، لم يظهر فيه شيء من خصائص الرب أصلاً، بل ولا بعد إتيانه بالآيات، فإن تلك كان يجري مثلها وأعظم منها على يد

(١) ما بين القوسين ساقط من هـ، وغير واضح في ك.

(٢) في ط (يتعلم) بدلاً (يتكلم).

الأنبياء، فهذا أقرب أمثالهم وقد ظهر فساده.

وأبعد منه وأشد فساداً، تمثيلهم ذلك بالنار والحديد.

ومعلوم عند كل من له خبرة، أن النار إذا اتصلت بشيءٍ من الأجسام الحيوانية والنباتية والمعدنية[1]، مثل جسد الإنسان وغيره، ومثل الخشب والقصب والقطن وغيره، ومثل الحديد والذهب والفضة، فإنها تغير ذلك الجسد وتبدل صفاته عما كانت، فتحرقه أو تذيبه أو تلينه. والنار المختلطة به لا تبقى ناراً محضة بل تستحيل وتتغير أيضاً.

فقول هؤلاء: «ومثل ما تختلط النار والحديد، فيلتحمان جميعاً، فيكونان جمرة واحدة من غير أن تكون النار تغيرت إلى أن تكون حديدة ثقيلة تشج وتقطع، ولا الحديدة تغيرت واستحالت إلى أن تكون ناراً تحرق» كلام باطل ملبس، فإن الجمرة ليست حديدة محضة ولا ناراً محضةً بل نوعاً ثالث.

وقوله: «لم تتغير النار إلى أن تصير حديدة، ولا الحديدة إلى أن تصير ناراً» تلبيس.

فإن الاختلاط لا يتضمن الاستحالة، والتغير، كاختلاط الكثيفين الذي سلمه مثل الماء والخمر، والماء والعسل، والسمن والعسل، والذهب والورق، والنحاس والرصاص قد قال فيه: إنه لا الخمر خمر، ولا الماء ماء بعد اختلاطهما ولكنهما استحالا جميعاً عن جوهرهما، فصارا إلى أمر متغير ليس هو أحدهما بعينه، ولا أحدهما خالصاً من الفساد والاستحالة عن حاله.

فيقال له: فهذا الذي سلمت فيه الفساد والاستحالة، لم يصر

---

(١) في ط (والجمادية) بدلاً من (والمعدنية).

الخمر فيه ماء، ولا الماء فيه خمراً[1]، فكذلك مورد النزاع إذا لم تصر النار حديدة، ولا الحديدة ناراً، لم ينفعك هذا النفي، ولم يكن هذا مانعاً من الاستحالة إلى نوع ثالث، ومن الاستحالة والفساد كما ذكرته في اختلاط الكثيفين. فإنه معلوم أن ما خالطته النار واتحدت به، غيرته وأحالته وأفسدت صورته الأولى. والنار الملتحمة به ليست ناراً محضة.

ومعلوم أيضاً أن الجمرة التي ضربتها مثلاً للمسيح فقلت: إن الله وعيسى اتحدا كاتحاد النار والحديد حتى صارا جمرة، فمعلوم أن الجمرة إذا ضربت بالمطرقة أو وضعت في الماء، أو مدت، فإن هذه الأفعال تقع بالمجموع لا تقع على حديدة بلا نار، ولا نار بلا حديدة.

فيلزم من ذلك أن يكون ما حل بالمسيح من ضرب وبصاق في الوجه ووضع الشوك على الرأس، ومن أكل وشرب وعبادة، ومن مشي وركوب، ومن حمل وولادة، وغير ذلك مما حل بالمسيح، ومن موت، إما متقدم وإما متأخر إذا نزل إلى الأرض، ومن صلب ــ على قولهم ــ : أن يكون جميع ذلك حل بالمسيح الذي هو عندهم إله تام وإنسان تام، من غير فرق بين لاهوته ولا[2] ناسوته، كما يكون ما يحل بجمرة النار، من حمل ووضع وطرق بالمطرقة، ومد وتصوير بشكل[3] مخصوص، وإلقاء في الماء، وغير ذلك حال بمجموع[4] الجمرة، لا يقول عاقل: إن ذلك يحل بالحديد دون النار، بل هو حال بالجمرة المستحيلة من حديدة ونار، ومن خشبة ونار، وليست حديدة محضة،

---

(١) (ولا الماء فيه خمراً) ساقطة من ك.
(له) ساقطة من هـ.
(٢) (لا) ساقطة من ط، ك.
(٣) في هـ (وقد تصور مشكل) بدلاً من (ومد وتصوير بشكل).
(٤) في هـ، ك (مجموع) بسقوط (بـ).

ولا ناراً محضة، ولا مجموع حديد محض، ونار محضة، بل جوهر ثالث مستحيل من[1] حديد ونار كسائر ما يستحيل بالاتحاد والاختلاط إلى حقيقة ثالثة.

فلا فرق بين[2] الشيئين إذا اتحدا واختلطا وصارا شيئاً واحداً من أن يكونا كثيفين، أو يكون أحدهما كثيفاً والآخر لطيفاً، لا بد في ذلك كله أن يحصل لكلٍّ منهما من التغير والاستحالة ما يوجب الاتحاد، وأن يكون المتحد المختلط المركب منهما شيئاً ثالثاً، ليس هو أحدهما فقط، ولا هو مجموع كل منهما على حاله.

فقولهم: «إنه مع الاتحاد إنسان تام وإله تام» كلام فاسد[3] معلوم الفساد بصريح العقل.

وكلما ضربوا له مثلاً، كان المثل حجة على فساد قولهم، بل مع الاتحاد ليس بإنسان تام ولا إله تام[4]، لكنه شيء ثالث مركب من إنسان[5] استحال وتغير، وإله استحال وتغير.

وإذا كان كل من هذين باطلاً ــ بل إنسانية المسيح باقية تامة كما كانت لم تستحل ولم تتغير، ورب العالمين باق بصفات كماله، لم يستحل ولم يتصف بشيء من خصائص المخلوقات، ولا استحال عما كان عليه قبل ذلك ــ كان قولهم ظاهر الفساد.

---

(١) في هـ، ك (عن) بدلاً من (من).

(٢) في هـ، ك (في) بدلاً من (بين).

(٣) (فاسد) ساقطة من هـ، ك.

(٤) (تام) ساقطة من ك.

(٥) في ط (إنسان ثالث) بزيادة (ثالث).

فهذا مثلهم الثاني الذي ضربوه لله حيث شبهوا المسيح أو[1] الله مع الإنسان بالنفس مع الجسد، وشبهوه بالنار مع الحديد، وهذا المثل أشد فساداً وأظهر[2].

وأما المثل الثالث ـ وهو تمثيل ذلك بالشمس مع الماء والطين ـ فهو أشد فساداً، فإنهم قالوا كما تقدم: «ومثل الشمس المخالطة للماء والطين وكل رطوبة وحمأة، فهي[3] لا تتغير ولا تستحيل عن نورها وبقائها وضوئها، مع مخالطتها كل سواد ووسخ ونتن ونجس».

فيقال: أما جرم الشمس الذي في السماء فلم يخالط شيئاً من الماء والطين، ولا اتحد به ولا حل فيه بوجه من الوجوه، بل بينهما من البعد ما لا يقدر قدره إلّا الله، والله ـ تعالى ـ أجل وأعظم وأبعد من مخالطة الإنسان من الشمس للماء والطين.

فإذا كانت الشمس نفسها لم تتحد[4] ولم تختلط، ولا حلت[5] في الماء والطين، بل ولا بغيرها من المخلوقات. فرب العالمين أولى أن ينزه عن الاتحاد والاختلاط والحلول بشيء من المخلوقات.

ولكن شعاع الشمس حل بالماء والطين والهواء وغير ذلك مما يقوم به الشعاع، كما يحل شعاع النار في الأرض والحيطان، وإن كان نفس جرم النار القائم بنفسه الذي في ذبالة المصباح هو جوهر قائم بنفسه، لم تحل ذاته في شيء من تلك المواضع.

---

(١) (المسيح أو) ساقطة من هـ.

(٢) (وأظهر) ساقطة من هـ.

(٣) في هـ (فمتى) بدلاً من (فهي).

(٤) في ك (تحد) بسقوط (تـ).

(٥) في هـ (ولا حل)، وفي ك (بما حل) بدلاً من (ولا حلت).

ولفظ الضياء والنور ونحو ذلك، يراد به الشيء بنفسه المستنير[1] كالشمس والقمر وكالنار، قال ـ تعالى ـ :

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾[2].

وقال: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾[3].

وسمَّى ـ سبحانه ـ الشمس سراجاً وضياء، لأن فيها ـ مع الإنارة والإشراق ـ تسخيناً وإحراقاً، فهي بالنار أشبه، بخلاف القمر فإنه ليس فيه ـ مع الإنارة ـ تسخيناً، فلهذا قال: ﴿**جعل الشمس ضياء والقمر نوراً**﴾.

والمقصود هنا، أن لفظ الضياء والنور ونحو ذلك، يراد به الشيء المستنير[4] المضيء القائم بنفسه، كالشمس والقمر والنار، ويراد به الشعاع الذي يحصل بسبب ذلك في الهواء والأرض، وهذا الثاني عرض قائم بغيره ليس هو الأول، ولا صفة قائمة بالأول، ولكنه حادث بسببه.

فالشعاع الذي هو الضوء والنور الحاصل على الماء والطين والهواء وغير ذلك، هو عرض قائم بغيره، وليس هو متحداً به البتة.

فهذا المثل لو ضربته النسطورية، الذين يقولون: «إن الناسوت واللاهوت جوهران بطبيعتين[5]، حل أحدهما بالآخر» لكان تمثيلاً باطلاً، فإن الشمس لم تحل بغيرها، ولا صارت مشيئتها ومشيئة غيرها

(١) في هـ (المستدير) وهي غير ظاهرة في ك.

(٢) سورة يونس: من الآية ٥.

(٣) سورة النبأ: من الآية ١٣.

(٤) في هـ (المستدير) بدلاً من (المستنير).

(٥) في هـ ، ك (بطبيعتان) بدلاً من (بطبيعتين).

واحدة كما تقوله النسطورية، بل شعاعها حل بغيره، والشعاع حادث وكائن عنها.

فإذا قيل: إن ما يكون عن الرب من نوره وروح قدسه وهداه وكلامه[1] ومعرفته، يحل بقلوب أنبيائه والمؤمنين من عباده، ومثل ذلك بحلول الشعاع بالأرض، كان أقرب إلى العقول، ولهذا قال ـ تعالى ـ:

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ﴾[2].

قال أُبي بن[3] كعب: مثّل نوره في قلوب المؤمنين بهذا[4].

وكذلك إذا قيل: نوره أو هداه أو كلامه، وسمي ذلك روحاً، يحل في قلوب المؤمنين، فهو بهذا الاعتبار، والله قد سمى ذلك روحاً فقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[5].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾[6].

---

(١) (وكلامه) ساقطة من هـ، ك.

(٢) سورة النور: من الآية ٣٥.

(٣) في ط (من) بدلاً من (بن).

(٤) سبقت الإشارة إلى هذا الأثر ٣/ ١٤٥.

(٥) سورة الشورى: من الآية ٥٢.

(٦) سورة غافر: من الآية ١٥.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾[1].

وما جاء في الكتب المتقدمة من أن روح الله أو روح القدس يحل في الأنبياء والمؤمنين، فهو حق بهذا الاعتبار.

وإذا قيل: كلام الله يحل في قلوب القارئين. فهو حق بهذا الاعتبار.

وأما نفس ما يقوم بالرب، فلا يتصور أن يقوم هو نفسه بغير الرب، بل ما يقوم بالمخلوق من الصفات والأعراض، يمتنع أن يقوم هو نفسه بغيره.

فيمتنع في صفات الشمس القائمة بها، من شكلها واستدارتها وما قام بها من نور أو غيره، أن يقوم بغيرها، وكذلك ما قام بجرم النار من حرارة وضوء، فلا يقوم بغيرها، بل إذا جاورت النار، هواء[2] أو غير هواء[2]، حصل في ذلك المحل سخونة أخرى، غير السخونة القائمة بنفس النار، تسخن الهواء الذي يجاورها[3]، كما تسخن القدر الذي يوقد تحتها النار فيسخن ثم يسخن الماء الذي فيها، مع أن سخونة النار باقية فيها[4]، وسخونة القدر باقية فيها، وسخونة الماء سخونة[5] أخرى حصلت في الماء، ليست واحدة من تينك، وإن كانت حادثة عنها، وجنس السخونة يجمع ذلك كله.

---

(١) سورة المجادلة: من الآية ٢٢.

(٢) في هـ (هذا) بدلاً من (الهواء).

(٣) في ط (يجاوره) بدلاً من (يجاورها).

(٤) (فيها) ساقطة من هـ.

(٥) في هـ (بسخونة)، وفي ط (به سخونة) بدلاً من (سخونة).

ولهذا ذكر الإمام أحمد عن السلف أنهم كرهوا أن يتكلم أحد[1] في حلول كلام الله في العباد بنفي أو إثبات، فإن لفظ «الحلول» لفظ مجمل يراد به معنى باطل، ويراد به معنى حق.

وقد جاء في كلام الأنبياء لفظ «الحلول» بالمعنى الصحيح، فتأوله من في قلبه زيغ، كالنصارى وأشباههم على[2] المعنى الباطل، وقابلهم آخرون، أنكروا هذا الاسم بجميع معانيه، وكلا الأمرين باطل.

وقد قدمنا أن الناس يقولون: أنت في قلبي، أو ساكن في قلبي، وأنت حال في قلبي ونحو ذلك، وهم لا يريدون أن ذاته حلت فيه، ولكن يريدون أن تصوره وتمثله وحبه وذكره حل في قلبه كما تقدم نظائر ذلك.

والمقصود هنا أن النسطورية لو شبهوا ما يدعونه من اتحاد وحلول بالشعاع مع الطين، كان تمثيلهم باطلاً، فكيف بالملكية الذين هم أعظم باطلاً وضلالاً. فقولهم[3]: «ومثل[4] الشمس المخالطة للطين والماء وكل رطوبة وحمأة» تمثيل باطل من وجوه:

منها: أن الشمس نفسها لم تتحد ولم تحل بغيرها، بل ذلك شعاعها.

ومنها: أن الشعاع نفسه لم يتحد بالماء والطين، ولكن حل به وقام به.

---

(١) (أحد) ساقطة من ط.

(٢) في ط (عن) بدلاً من (على).

(٣) في ط (بقولهم) بسقوط (فـ).

(٤) في هـ، ك (مثل) بسقوط (و).

ومنها: أن ذلك عـام في المخلوقات من وجـه وبعباده[1] المؤمنين من وجه لا يختص المسيح به[2]، فالمخلوقـات كلها مشتـركة في أن الله خلقها بمشيئته وقدرته، وأنه لا قوام لها إلاَّ به، فـلا حول ولا قـوة إلاَّ به، وهي كلها مفتقرة إليـه، محتاجـة إليه، مـع غناه عنهـا، ولهذا كـانت من آيات ربوبيته وشواهد[3] إلٓهيته.

ومن سمـاها، مـظاهر، ومجـالي، بمعنى أن ذاته نفسهـا تظهـر[4] فيها، فهو مفترٍ على الله. ومن أراد بذلك أنه أظهر[5] بها مشيئتـه وقدرتـه وعلمه وحكمته، فأراد بالمظاهر والمجالي ما يـراد بالـدلائل والشـواهد، فقد أصاب.

وكذلك إذا قال: هي آثاره، ومقتضى أسمائه وصفاته.

وأما المؤمنون، فـإن الإيمان بـالله[6] ومعرفتـه ومحبته ونـوره وهداه يحـل في قلوبهم وهـو المثـل الأعلى والمثـال العلمي، فـلا اختصـاص للمسيح بهذا[7]، وكذلك كلامه في قلوب عبـاده المؤمنين، لا اختصاص للمسيح بذلك.

ومنهـا: أن الشعاع لم يخـالط الماء والـطين، ولا يخالط شيئـاً من الأعيان، ولا ينفذ فيه ولا يتحد به، بل يكون على سطحـه الظاهـر فقط. لكن الشعـاع يسخن مـا يحـل فيـه، فـإذا سخن ذلـك، سخن جـوفـه

---

(١) في هـ (ويعتاده) بدلاً من (وبعباده).
(٢) في هـ (بشيء) بدلاً من (به).
(٣) في ك (شواهد) بسقوط (و).
(٤) في ط (يظهر) بدلاً من (تظهر).
(٥) في هـ، ك (ظهر) بسقوط (أ).
(٦) (بالله) ساقطة من هـ.
(٧) في ط (بهذه) بدلاً من (بهذا).

بـالمجاورة، كمـا يسخن الماء بسخـونـة القـدر من غيـر أن تكـون النـار خالطت القدر ولا الماء.

فـأين هذا من قـولهم: «إن رب العالمين اتحـد بابن امـرأة، فصار إلٰهاً تاماً وإنساناً تاماً؟».

وهل يقول عاقل: إن الماء والطين صار شعاعـاً تامـاً، وطيناً تـاماً؟ بـل الطين طين، لكن أثـر الشعاع فيـه بتجفيفه، لم يتحـد بـه الشعـاع، ولا نفذ فيه، ولا حل في باطنه.

فهذا المثل أبعد عن مذهبهم من تمثيلهم بالنار مع الحديـد، ومن تمثيلهم بالنفس مع الجسـد، فإن هنـاك اتصالاً ببـاطن الحديـد والبدن، وهنا لم يتصل الشعاع إلَّا بظاهر الطين وغيره.

وأيضاً فالنفس جوهر قائم بنفسه، والشعـاع عرض، وكـذلك النـار جـوهر. فـالشمس هنا لم تتحـد ولم تحل بـالطين، بـل شعاعهـا، بل[1] ولا يـوصف الطين بـاتحـاده بـالشعـاع، ولا بـاختـلاط الشعـاع ببـاطنـه، ولا بحلول الشمس نفسها فيه.

وحينئذٍ[2] فقول القـائل: «إن الشمس[3] لم تتغيـر ولم تستحل عن نورها ونقائها وضوئها مع مخالطتها كـل وسخ ونتن ونجس». إن أريـد به نفس الشمس أو صفاتها القائمة بها، فتلك لم تتحد بغيرها ولا حلت فيـه ولا قامت بغيرها.

فـإذا كانت الشمس كـذلـك ـ ولله المثـل الأعلى ـ فهـو أولى أن لا يتحد بغيره ولا يحل فيه ولا يقوم به.

---

(١) (بل) ساقطة من ط، ك.

(٢) في أ (فحينئذٍ) بدلاً من (وحينئذٍ).

(٣) في ط (الشمن) بدلاً من (الشمس).

وإن أريد شعاعها[١] فشعاعها ليس هو الشمس، فلا ينفعهم التمثيل به، فإنهم يقولون: إن الله نفسه اتحد بالمسيح، والمسيح ـ عندهم ـ هو رب العالمين مع أنه إنسان تام، فهو ـ عندهم ـ إلّه تام، إنسان تام، والطين ليس بشعاع تام ولا طين تام[٢] والشعاع نفسه لا يخالط شيئاً، ولكن يقوم به، وقيام العرض بالمحل غير مخالطته له، فإن المخالطة تكون باختلاط كل من الأمرين بالآخر، كاختلاط الماء بالطين ونحو ذلك.

وأما ما يقوم بالسطح الظاهر فلا يقال: إنه مخالط بجميع الأجزاء، فلا يقال للشعاع الذي على الجبال والبحر: إنه مخالط لجميع الجبال والبحر، ولا لشعاع النار: إنه مخالط للحيطان وداخل للأرض، وقد تقدم أنهم قسموا هذا الباب ثلاثة أقسام:

أحدها: اختلاط أحد الشيئين[٣] بالآخر كالماء والخمر.

والثاني: اتصال من غير اختلاط، كالماء والزيت، والإناء الذي بعضه فضة وبعضه ذهب: وقالوا: إن هذا لا ينبغي أن يسمى اختلاطاً مع افتراق الطبيعتين والقوامين. مثل[٤] ما لا[٥] ينبغي أن يكون بين الماء والقلة التي هو[٦] فيها خلطة، لأن طبيعة الفخار ليس بينها وبين الماء خلطة.

وهذا الفرق[٧] موجود في الشعاع والطين، بل بينهما من الفرق

---

(١) في هـ (بشعاعها) بزيادة (بـ).
(٢) (ولا طين تام) ساقطة من ط.
(٣) في هـ (السببين) بدلاً من (الشيئين).
(٤) في هـ (بل) بدلاً من (مثل).
(٥) (لا) ساقطة من هـ، ك.
(٦) في ك (هي) بدلاً من (هو).
(٧) في هـ، ك (فرق) بسقوط (الـ).

أشد مما بين الماء والقلة، فإن الماء جرم قائم بنفسه، وهذا عرض قائم بغيره والجسم بالجسم أشبه من الجسم بالعرض.

والإله ـ عندهم ـ مخالط لجميع ناسوت المسيح، لم يخل جزء منه من اتحاد الإله به، فأين هذا من هذا؟

وإذا قيل: إن الشعاع لم يستحل عن نوره ونقائه وضوئه مع مخالطته كل سواد ووسخ ونتن ونجس، لم يكن مثلاً يطابقه[1]، مع أنه لم يخالط الشعاع غيره.

ثم يقال: إن أراد بما لم يتغير نفس الشعاع القائم بالمحل، فهذا ممنوع، فإن الشعاع يتغير بتغير محله، فيرى في الأحمر أحمر، وفي الأسود أسود، وفي الأزرق أزرق، حتى أن الزجاج المختلف الألوان إذا صار مطرحاً للشعاع، ظهر الشعاع متلوناً بتلون الزجاج، فيرى أحمر وأزرق وأصفر.

وقد ضرب أهل الإلحاد القائلون بوحدة الوجود، وأن وجود الخالق هو وجود المخلوق، لله أمثالاً باطلة شر من أمثال النصارى، ولهم مثل السوء، ولله المثل الأعلى، وكان مما ضربوه لله من الأمثال أن شبهوه بالشعاع في الزجاج.

فالأعيان الثابتة في العدم ـ عندهم ـ هي الممكنات، ووجود الحق قاضٍ عليها، فشبهوا وجوده بالشعاع، وأعيانهم بالزجاج، وهذا باطل من وجوه:

منها: أن القول بأن أعيان الممكنات ثابتة في العدم قول باطل.

---

(١) في هـ (مطابقاة) بدلاً من (يطابقه).

ومنهـا: أن قولهم: إن وجـود الخـالق هـو عين وجـود المخلوق، هو[1] أيضاً باطل.

ومنها: أن حلول الشعاع بالزجاج يقتضي حلول أحدهما بالآخـر، وهم ينكرون الحلول، ويقولون: الوجود واحد.

ومنهـا: أن الشعاع الـذي على نفس الزجـاج، ليس وجوده وجـود الزجاج، وعندهم وجود الرب وجود الممكنات.

ومنهـا: أن الشعاع الحـال بهذا الـزجـاج ليس هـو بعينـه ذلـك[2] الشعاع الحال بالزجاج الآخر، وإن كان نظيره، وهؤلاء عندهم أن الوجود واحد بالعين لا يتعدد.

ومنها: أن الشعاع عرض مفتقر إلى الزجاج، فهو مفتقر إليـه افتقار العـرض إلى محله، فيلزم إذا مثلوا به الـرب أن يكون الـرب مفتقراً إلى كل ما سواه، مع غنى كل ما سـواه عنه، وهـذا قلب كل حقيقـة، وأعظم كفر بالخالق ــ تعالى ــ، فإنه ــ سبحانه ــ الغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه مفتقر إليه.

وكـل من قـال بحلول الله في شيء من المخلوقـات من النصـارى وغيرهم يلزمهم أن يكون مفتقراً إلى ما حـل فيه، فـإنه لا حقيقـة للحلول إلَّا هذا.

ولهـذا كان مـا حـل بقلوب المؤمنين من الإيمـان والهـدى والنـور والمعرفة مفتقراً إلى قلوب المؤمنين، ولا يقوم إلَّا بها.

---

(١) (هو) ساقطة من هـ، ك.
(٢) (ذلك) ساقطة من هـ، ك.

وجميع الصور الذهنية القائمة بالأذهان مفتقرة إلى[1] الأذهان لا تقوم إلَّا بها، والشعاع مفتقر إلى محله. لا يقوم إلَّا به. وهكذا سائر النظائر.

وهؤلاء الذين شابهوا النصارى وزادوا عليهم من الكفر بقولهم: إن وجود الخالق وجود كل مخلوق. وإنه قائم بأعيان الممكنات. يقولون: إنه مفتقر إلى الأعيان في وجوده. وهي مفتقرة إليه في ثباتها[2]. فيجعلون الخالق محتاجاً إلى كل مخلوق. والمخلوق محتاجاً إلى الخالق. ويصرحون بذلك كما يصرح بعض النصارى، بأن اللاهوت محتاج إلى الناسوت، والناسوت محتاج إلى اللاهوت.

ومعلوم أن الله غنى عن كل ما سواه، وكل ما سواه[3] فقير إليه من كل وجه، فهو الصمد المستغني عن كل شيء. وكل شيء متفقر إليه.

فمن قال: إنه مفتقر إلى مخلوق بوجه ما، فهو كاذب مفترٍ كافر، فكيف بمن قال: إنه مفتقر إلى كل شيء؟

والمثل الذي ضربوه له، يقتضي[4] أن يكون مفتقراً إلى غيره، وغيره مستغنٍ عنه، كالمثل الذي ضربه النصارى له، لما مثلوه بشعاع الشمس مع محله، فإن محل الشعاع مستغنٍ عن الشعاع، والشعاع مفتقر إلى محله.

فمقتضى هذا التمثيل أن الإله محتاج إلى الإنسان، والإنسان

---

(١) (إلى) ساقطة من هـ.

(٢) في هـ، ك (ثبوتها) بدلاً من (ثباتها).

(٣) (وكل ما سواه) مكررة في ط.

(٤) في هـ، ك (ينبغي) بدلاً من (يقتضي).

مستغنٍ عن الله، ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ـ :

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[1] .

● ● ●

(١) سورة الإسراء: من الآية ٤٤.
في ط (تسبح له السماوات والأرض) بسقوط (السبع).

فصل[1]

بيان أنَّ عامَّة دِين النَّصارى ليس مأخوذاً عن المسيح، بل هو من ابتداع طوائف منهم

وهذا الذي[2] قد ذكره هذا البترك «سعيد بن البطريق» المعظم عند النصارى، المحب لهم، المتعصب لهم في أخبارهم، التي بين بها أحوالهم في دينهم، معظماً لدينهم، مع ما في بعض الأخبار من زيادة فيها تحسين لما فعلوه، وكثير من الناس ينكر ذلك ويكذبه، مثل ما ذكره من ظهور الصليب، ومن مناظرة أريوس وغير ذلك، فإن كثيراً من الناس يخالفه فيما ذكر، ويذكر[3] أن أمر ظهور الصليب كان بتدليس وتلبيس وحيلة ومكر، ويذكر أن أريوس لم يقل قط: إن المسيح خالق[4].

ولكن المقصود أنه إذا صدق هذا فيما ذكره، فإنه بين أن عامة الدين الذي عليه النصارى ليس مأخوذاً عن المسيح، بل هو مما ابتدعه طائفة منهم وخالفهم في ذلك آخرون، وأنه كان بينهم من العداوة والاختلاف في إيمانهم وشرائعهم ما يصدق قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾[5].

(١) هذا الفصل بكامله ساقط من هـ.
(٢) يشير ابن تيمية إلى ما سبق أن نقله عن ابن البطريق في الصفحات الماضية من كتاب نظم الجوهر.
(٣) (ويذكر) ساقطة من ك.
(٤) (خالق) ساقطة من ك.
(٥) سورة المائدة: من الآية ١٤.

والنصارى يقرون بما ذكره هذا البترك أن أول ملك أظهر دين النصارى، هو قسطنطين، وذلك بعد المسيح بأكثر من من ثلاثمائة سنة، وهو نصف الفترة التي بين المسيح ومحمد ـ صلَّى الله عليهما وسلَّم ـ ، فإنها كانت ستمائة سنة، أو ستمائة وعشرين[1].

وإذا كان النصارى مقرين بأن ما هم عليه من الإيمان صنعه طائفة منهم مع مخالفة آخرين لهم فيه ليس منقولاً عن المسيح، وكذلك ما هم عليه من تحليل ما حرمه الله ورسوله، وكذلك قتال من خالف دينه وقتل من حرم الخنزير، مع أن شريعة الإنجيل تخالف هذا، وكذلك الختان وكذلك تعظيم الصليب.

وقد ذكروا مستندهم في ذلك أن قسطنطين رأى صورة صليب كواكب.

ومعلوم أن هذا لا يصلح أن ينبني عليه شريعة، فإن مثل هذا يحصل للمشركين عباد الأصنام والكواكب ما هو أعظم منه، وبمثل هذا بدل دين الرسل وأشرك الناس بربهم، وعبدوا الأوثان، فإن الشيطان يخيل هذا وأعظم منه.

وكذلك الإزار الذي رآه من رآه، والصوت الذي سمعه، هل يجوز لعاقل أن يغير شرع الله الذي بعثت به رسله، بمثل هذا الصوت والخيال الذي يحصل للمشركين عباد الكواكب والأصنام ما هو أعظم منه؟ مع أن هذا الذي ذكروه عن «بطرس» رئيس الحواريين، ليس فيه

---

(١) يشير عامة المؤرخين إلى أن مولد الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كان عام ٥٧١م، وقد أوحى إليه بعد الأربعين فيكون تاريخ بعثته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ سنة ٦١١ميلادية وهو وسط بين ما ذكره المؤلف هنا.
انظر: سيرة ابن هشام ١٦٧/١ طبعة بيروت.

تحليل كل ما حرم بل قال: «ما طهره الله فلا تنجسه» وما نجسه الله في التوراة فقد نجسه ولم يطهره إلاَّ أن ينسخه المسيح. والحواري لم يبح لهم الخنزير وسائر المحرمات إن كان قوله معصوماً كما يظنون.

والمسيح ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يحل كل ما حرمه الله في التوراة وإنما أحل بعض ما حرم عليهم، ولهذا كان هذا من الأوصاف المؤثرة في قتال النصارى، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾[1].

وقد ذكر من لعن بعض طوائف النصارى لبعض في مجامعهم السبعة وغير مجامعهم ما يطول وصفه، ويصدق قوله ـ تعالى ـ:

﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[2].

وحينئذ فقول هؤلاء: «من خالفنا لعناه» كلام لا فائدة فيه، فإن كل طائفة منهم لاعنة ملعونة.

فليس في لعنتهم لمن خالفهم إحقاق حق ولا إبطال باطل، وإنما يحق الحق بالبراهين والآيات التي جاءت بها الرسل، كما قال[3] ـ تعالى ـ:

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ

---

(١) سورة التوبة: من الآية ٢٩.
(٢) سورة المائدة: من الآية ١٤.
(٣) (قال) ساقطة من ك.

ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1].

وقد تقدم ما ذكره سعيد بن البطريق من أخبارهم أنه كان يأتي البترك العظيم منهم إلى كنيسة مبنية لصنم من الأصنام، يعبده المشركون، فيحتال حتى يجعلهم يعبدون مكان الصنم مخلوقاً أعظم منه، كملك من الملائكة أو نبي من الأنبياء. كما كان بالاسكندرية للمشركين كنيسة فيها صنم اسمه «ميكائيل» فجعلها النصارى كنيسة باسم ميكائيل الملك، وصاروا يعبدون الملك بعد أن كانوا يعبدون الصنم، ويذبحون له.

وهذا نقل لهم من الشرك[2] بمخلوق، إلى الشرك بمخلوق أعلى منه، أولئك كانوا يبنون الهياكل ويجعلون فيها الأصنام بأسماء الكواكب كالشمس والزهرة وغير ذلك.

فنقلهم المبتدعون من النصارى إلى عبادة بعض الملائكة أو بعض الأنبياء ولهذا قال ـ تعالى ـ :

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة: من الآية ٢١٣.

(٢) في ك (الأشراك) بدلاً من (الشرك).

(٣) سورة آل عمران: الآيتان ٧٩، ٨٠.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[1] .

• • •

(١) سورة الإسراء: الآيتان ٥٦، ٥٧.
في ط (إن عذاب ربك كان محذراً) بدلاً من (إن عذاب ربك كان محذوراً).

فصل

بيان أنّ كل ما نقله المؤلف عن الحسن بن أيوب وابن البطريق إنما هو ردّ على أنّ في المسيح طبيعتين

وقد حصل بما ذكرناه[1] الجواب عن قولهم[2]: «وعلى هذا المثال نقول: في السيد المسيح طبيعتان: طبيعة لاهوتية التي هي طبيعة كلمة الله وروحه وطبيعة ناسوتية التي أخذت[3] من مريم العذراء واتحدت به».

وعرف أن هذا قول من أقوال النصارى، وأن لهم أقوالاً أخر تناقض هذا.

وكل فريق منهم يكفر الآخر إذْ كانوا ليسوا على مقالة تلقوها عن المسيح والحواريين، بل هي مقالات ابتدعها من ابتدعها منهم، فضلوا بها وأضلوا كما قال ــ تعالى ــ:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[4].

فذكر ــ سبحانه ــ أنهم أضلوا من قبل مبعث محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ.

---

(١) يشير المؤلف بما ذكره من جواب الحسن بن أيوب، ثم كلام سعيد بن البطريق أنه رد على قول النصارى في رسالة بولس الإنطاكي التي هي مدار جواب الشيخ في هذا الكتاب.

(٢) الضمير في (قولهم) يعود إلى علماء النصارى الذين حاورهم بولس الإنطاكي في رحلته إلى قبرص وبلاد الملافطة.

(٣) في هـ، ك (أخذ) بسقوط (ت).

(٤) سورة المائدة: من الآية ٧٧.

والنصارى أمة[1] يلزمهم الضلال الذي أصله[2] الجهل.

ولا يوجد قط من هو نصراني باطناً وظاهراً، إلاَّ وهو ضال جاهل بمعبوده وبأصل دينه، لا يعرف من يعبد، ولا بماذا يعبد، مع اجتهاد من يجتهد منهم في العبادة والزهد ومكارم الأخلاق.

ثم يقال: على هؤلاء: قولهم: «طبيعتان» ويقولون أيضاً: «له مشيئتان» ويقولون أيضاً: «إنه شخص لم يزد عدده» فإنهم يقولون: «إنهما اتحدا» كما ذكروه في كتابهم هذا[3]، لا يقولون بشخصين لئلا يلزمهم القول بأربعة أقانيم.

ومنهم من يقول: «هما جوهران» ومنهم من يقول[4] «جوهر واحد».

فإن قالوا: «هو[5] جوهر واحد» صار قولهم من جنس قول اليعقوبية، لا سيما وهم يقولون: «إن مريم ولدت اللاهوت والناسوت، وإن المسيح اسم يجمع اللاهوت والناسوت، وهو إلّه تام وإنسان تام».

فإذا كان جوهراً واحداً لزم من[6] ذلك أن يكون اللاهوت قد استحال وتغير، وكذلك الناسوت، فإن الاثنين إذا صارا شيئاً واحداً فذلك الشيء الثالث ليس هو إنساناً محضاً، ولا إلّهاً محضاً، بل اجتمعت فيه الإنسانية والإلّهية، مع[7] أنه قد[8] كان الإنسان والإلّه اثنين

---

(١) في ط (وأيضاً فإنه) بدلاً من (والنصارى أمة).
(٢) في ط، ك (أضلّه) بدلاً من (أصله).
(٣) يشير إلى رسالة بولس الإنطاكي.
(٤) في ط (يقولول) بدلاً من (يقول).
(٥) (هو) ساقطة من هـ.
(٦) (من) ساقطة من ط، ك.
(٧) في ط، ك (ومع) بزيادة (و).
(٨) في هـ (وقد) بزيادة (و).

متباينين ـ وهما في اصطلاحهم[1] ـ جوهران، فإذا صار الجوهران جوهراً واحداً، لا جوهرين فقد لزم ضرورة، أن يكون هذا الثالث ليس هو إلّهاً محضاً ولا إنساناً محضاً ولا جوهران، إنساناً وإلّهاً، فإن هذين جوهران لا جوهر واحد، بل هو شيء ثالث، اختلط وامتزج[2] واستحال من هذا وهذا، فتبدلت حقيقة اللاهوت وحقيقة الناسوت، حتى صار هذا الجوهر الثالث الذي ليس لاهوتاً محضاً ولا ناسوتاً محضاً كسائر ما يعرف من الاتحاد.

فإن كل اثنين اتحدا فصارا جوهراً واحداً، فلا بد في ذلك من الاستحالة كما[3] في اتحاد الماء واللبن والخمر، وسائر ما يختلط بالماء، بخلاف الماء والزيت فإنهما جوهران كما كانا، لكن الزيت لاصق بالماء وطفا عليه لم يتحد به، ومثل اختلاط النار والحديد فإن الحديد استحال عما كان، ولهذا إذا برد عاد إلى ما كان. وهكذا اتحاد الهواء مع الماء والتراب حتى يصير بخاراً أو غباراً، وأمثال ذلك.

وفي الجملة فجميع ما يعرفه[4] الناس من الاتحاد إذا صار الاثنان[5] واحداً وارتفعت الثنوية، فلا بد من استحالة الاثنين.

وإذا قيل: فيه طبيعة الاثنين، ومشيئة الاثنين كما في الماء واللبن قوة الماء وقوة اللبن.

قيل: لا بد ـ مع ذلك ـ أن تتغير كل قوة عما كانت عليه

---

(١) في هـ (اصطلاحكم) بدلاً من (اصطلاحهم).
(٢) في هـ (وامتزج لا جوهر واحد) بزيادة (لا جوهر واحد).
(٣) (كما) ساقطة من ط، ك.
(٤) في هـ (ما تعرفه) بدلاً من (ما يعرفه).
(٥) في ك، هـ (الاثنين) بدلاً من (الاثنان).

فتنكسر[1] الأخرى، كما يعرف في سائر صور الاتحاد، (إذا اتحد هذا مع هذا كسر كل منهما)[2] قوة الآخر عما كانت عليه.

كما إذا اتحد الماء البارد بالماء الحار انكسرت قوة الحر وقوة البرد عما كانت، فيبقى المتحد[3] مرتبة متوسطة بين البرد المحض والحر المحض.

وكذلك الماء واللبن وسائر صور الاتحاد.

وعلى هذا، فيجب إذا اتحد أن تتغير قوة اللاهوت وطبيعته ومشيئته عما كانت، وتنكسر قوة الناسوت وطبيعته ومشيئته عما كانت عليه، ويبقى هذا المتحد ممتزجاً من لاهوت وناسوت، وذلك يستلزم نقص اللاهوت عما كان وبطلان كماله، كما أنه يوجب من كمال الناسوت ما لم يكن.

فكل ما يصفون به الناسوت من اتحاد اللاهوت به فهو مستلزم من نقص اللاهوت وسلب كماله الذي يختص به، وبطلان صفاته التامة بحسب ما حصل له من ذلك الناسوت بحكم الاتحاد، وإلَّا فإن كان اللاهوت كما كان، فلا اتحاد بوجه من الوجوه، بل الناسوت كما كان.

ثم هما اثنان لم يتحد أحدهما بصاحبه ولا صارا شيئاً واحداً.

وأيضاً فمع كون الجوهر واحداً يجب أن تكون مشيئته واحدة، وطبيعته واحدة، فإنه لو كان مشيئتين، لكان محل إحدى المشيئتين، (إن كان هو محل الأخرى مع تضاد موجب المشيئتين)[4]، لزم اجتماع

---

(١) في هـ (فيكسر) بدلاً من (فتنكسر).

(٢) في هـ (إذا لم يجد هذا مع هذا كسر كل واحد منهما).

(٣) (المتحد) ساقطة من هـ، وغير ظاهرة في ك.

(٤) ما بين القوسين غير ظاهر في ك.

الضدين في محل واحد.

فإن الإرادة الناسوتية، تطلب الأكل والشرب، وأن تعبد وتصوم وتصلي.

واللاهوتية، توجب امتناعه من إرادة هذه الأشياء.

وإرادته أن يخلق ويرزق ويدبر العالم. والناسوتية تمتنع من هذه الإرادة.

فإذا قامت الإرادتان[1] والكراهتان[2] بمحل واحد، لزم أن يكون ذلك الجوهر الموصوف بهذا وهذا مريداً للشيء ممتنعاً من إرادته غير مريد له كارهاً للشيء غير كاره له، وذلك جمع بين النقيضين من وجوه متعددة.

ويمتنع أن يقوم بالموصوف الواحد إرادتان جازمتان بالشيء ونقيضه، أو كراهتان[3] جازمتان للشيء أو نقيضه، والفعل لا يقع إلَّا بإرادة جازمة مع القدرة، فاللاهوت ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ومتى شاء شيئاً مشيئة[4] جازمة فإنه على ما شاء قادر.

والناسوت لا يفعل شيئاً من خصائص البشرية حتى يريد ذلك إرادة جازمة.

والناسوت يمتنع أن يريد إرادة اللاهوت ويكره ذلك، فيصير الشيء الواحد مريداً للشيء إرادة جازمة، قادراً عليه ليس مريداً له إرادة جازمة، بل هو عاجز عنه.

---

(١) في هـ، ك (الإراديات) بدلاً من (الإرادتان).
(٢) في هـ، ك (الكراهيات) بدلاً من (الكراهتان).
(٣) في ط، ك (كراهيتان) بدلاً من (كراهتان).
(٤) في هـ، ك (مشيئته) بدلاً من (مشيئة).

ويلزم أيضاً إذا كانا جوهراً واحداً، وقد[1] ولد وصفع، وضرب وصلب، ومات، وتألم أن يكون[2] نفس اللاهوت ضرب وصلب ومات وتألم، كما تقوله اليعقوبية، وهذا لازم لجميع النصارى وهو موجب عقيدة إيمانهم.

فإن قالوا: بل هما جوهران مع كونهما عندهم شخصاً واحداً لا تعدد فيه، كما يقوله من يقوله من الملكية[3]، كان هذا كلاماً متناقضاً، فإن الشخص الواحد الذي لا تعدد فيه، جوهر واحد، ولهذا حد بأنه جسم.

وإن شبهوا ذلك بالنفس مع الجسد، لزمهم المحدود.

فإن الإنسان كما يقال فيه: إنه شخص واحد، يقال: إنه جوهر واحد، بما بينهما من الاتحاد، ولهذا يحد بأنه جسم حساس، تام[4]، متحرك بالإرادة، ناطق، هذا يتناول جسده وروحه، وللنفس[5] والبدن مشيئة واحدة.

ومتى شاء الإنسان الفعل مشيئة جازمة مع قدرته عليه فعله ولم يكن معه جوهر آخر له مشيئة غير مشيئته.

فإذا شبهوا اتحاد اللاهوت بالناسوت بهذا، لزمهم أن يكونا جوهراً واحداً، ومشيئة واحدة، وهذا قول اليعقوبية.

ولهذا تألم النفس بما يحدث في الجسد من الآلام، ويتألم

---

(١) في هـ (قد) بسقوط (و).
(٢) في ط، ك (تكون) بدلاً من (يكون).
(٣) في هـ (الملكانية) بدلاً من (الملكية).
(٤) في ط (نام) بدلاً من (تام).
(٥) في هـ (النفس) بدلاً من (للنفس).

الجسم الذي هو القلب الصنوبري، بما يحدث في النفس من الآلام.

فإذا تألمت النفس، تألم قلب الجسد وغير قلب الجسد، وكذلك إذا تألم الجسد، وإذا صفع الجسد وصلب[1] وبصق في وجهه، ووضع الشوك عليه وتألم ومات[2]، كان ذلك كله حالاً بالنفس، ونالها من إهانة الصفع[3] وألم النزع ما ينالها، (كما يسلمون لله[4] أنه حل بنفس المسيح وبدنه، فإنهم لا يتنازعون أن الإلّه حل ببدن المسيح ونفسه، وإنما يتنازعون في اللاهوت مع)[5] أن النفس[6] مفارقة للبدن بالموت.

واللاهوت ـ عندهم ـ لم يفارق الناسوت بالموت، بل صعد إلى السماء.

والمسيح الذي هو إلّه تام وإنسان تام، يقعد عن يمين أبيه، وكذلك يجيء يوم القيامة.

وأيضاً فالبدن إذا كانت فيه النفس. تتغير صفاته وأحكامه، وتختلف أحواله، باجتماعها وافتراقها، والنفس إذا كانت في البدن تختلف صفاتها وأحكامها.

فيلزم أن يكون ناسوت المسيح مخالفاً في الصفات والأحكام لسائر النواسيت، وأن يكون اللاهوت لما اتحد به، تغيرت صفاته وأحكامه وهذا هو الاستحالة والتغير والتبدل للصفات، مع أن ناسوت

---

(١) في ط، ك (وصلب وصفع) بزيادة (وصفع).
وفي هـ (وصلب وتألم ومات) بزيادة (وتألم ومات).

(٢) (وتألم ومات) محذوفة من هـ.

(٣) (الصفع) ساقطة من ك.

(٤) في هـ (هو) بدلاً من (لله).

(٥) ما بين القوسين غير ظاهر في ك.

(٦) في ك (مع أنها) بدلاً من (أن النفس).

المسيح كان من جنس نواسيت البشر، لم يظهر عليه إلَّا ما ظهر مثله على غيره، بل ظهر على غيره من خوارق العادات أكثر مما ظهر عليه.

وبالجملة فأي مثل ضربوه للاتحاد، كان حجة عليهم، وظهر به فساد قولهم.

وإن قالوا: هذا أمر لا يعقل، بل هو فوق العقول، كان الجواب من وجهين:

أحدهما: أنه يجب الفرق بين ما يعلم العقل بطلانه وامتناعه، وبين ما يعجز العقل عن تصوره ومعرفته.

فالأول: من محالات العقول، والثاني من محارات العقول، والرسل يخبرون بالثاني.

وأما الأول: فلا يقوله إلَّا كاذب، ولو جاز أن يقول هذا، لجاز ان يقال: إن الجسم الواحد يكون أبيض أسود في حال واحدة، وإنه ـ بعينه ـ يكون في مكانين، وإن الشيء الواحد يكون موجوداً معدوماً في حال[1] واحدة، وأمثال ذلك مما يعلم العقل امتناعه.

وقول النصارى مما يعلم بصريح العقل أنه باطل، ليس هو مما يعجز عن تصوره.

يوضح هذا، أنه لو قال قائل في مريم أم المسيح «امرأة الله وزوجته» وأنه[2] نكحها نكاحاً عقلياً كما يقولون: إن المسيح ولده ولادة عقلية. لم يكن هذا القول أفسد في العقل من قولهم في المسيح، كما

---

(١) في هـ (حاله) بدلاً من (حال).

(٢) في ط (فإنه) بدلاً من (وإنه).

قد[1] بسطناه في موضعه[2]، وهم يكفرون من يقول ذلك، ويحتجون بالعقل على فساده.

وإذا قال: «هذا فوق العقل» لم يقبلوه[3]، وكذلك كل طائفة من [4] طوائفهم احتجت على الأخرى بالعقل، وإذا قالوا: «قولنا فوق العقل» لم يقبلوا هذا الجواب.

فإن كان هذا جواباً صحيحاً، فيجب أن لا يبحث في شيء من الإلٓهيات بالعقل، بل يقول كل مبطل ما شاء من الباطل، ويقول: كلامي فوق العقل، كما يقول أصحاب الحلول والاتحاد والوحدة، الذين يقولون: إن وجود الخالق وجود المخلوق، ويقولون: إن هذا فوق العقل وإنه[5] يعلم[6] بالذوق لا بالسمع ولا بالعقل.

الوجه[7] الثاني: أن يقال ما يعجز العقل عن تصوره إذا أخبرت به الأنبياء ــ عليهم السلام ــ قبل منهم، لأنهم يعلمون ما يعجز غيرهم من معرفته.

وهذه الأقوال لم يقل الأنبياء شيئاً منها، بل نفس فرق النصارى قالوها بآرائهم، وزعموا أنهم استنبطوها من بعض ألفاظ الكتب.

فيقال لمن قالها منهم: أنت تتصور ما تقول أم لا تتصوره وتفهمه وتعقله؟

---

(١) (قد) ساقطة من هـ.

(٢) (كما قد بسطناه في موضعه) ساقطة من ك.

(٣) (لم يقبلوه) ساقطة من ك.

(٤) (من) ساقطة من ك.

(٥) (إنه) ساقطة من ط، ك.

(٦) في ط، ك (نعلم) بدلاً من (يعلم).

(٧) (الوجه) ساقطة من هـ، ك.

فإن قال: لا أتصور ما أقول ولا أفقهه[1] ولا أعقله، قيل له: فقد قلت على الله ما لا تعلم، وقفوت ما ليس لك به علم.

ومن أعظم القبائح المحرمة في جميع الشرائع أن يقول الإنسان برأيه على الله قولاً لا يتصوره ولا يفهمه[2].

وجميع العقلاء يعلمون أن من قال قولاً وهو لا يتصوره ولا[3] يفقهه فإن قوله مردود عليه غير مقبول منه، وإن قوله من الباطل المذموم.

وإن قال قائلهم: إني أفقه ما أقول وأتصوره وأعقله، قيل له: بيِّنه لغيرك حتى يفقهه ويعقله ويتصوره، ولا تقل: «هو فوق العقل، بل هو قول قد عقلته وفقهته». وهذا تقسيم لا محيد لهم عنه.

فإنهم إن كانوا يفقهون ما يقولون ويعقلونه، لزم أن يكون معقولاً.

وإن كانوا لا يفقهونه ولا يعقلونه، لزم أنهم قالوا على الله ما لا يفقهونه، ولا يعقلونه، قولاً برأيهم وعقلهم لا نقلاً لألفاظ الأنبياء، فإن من نقل ألفاظ الأنبياء الثابتة عنهم، لم يكن عليه أن يفقه ويعقل ما يقول.

ولهذا قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «نضر الله امرءاً، سمع منا حديثاً فبلغه إلى من لم يسمعه، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[4]. فقد يحفظ الرجل كلاماً، فيبلغه غيره وهو لا يفقه معناه ولا يعقله.

---

(١) في هـ (أفهمه) بدلاً من (أفقهه).
(٢) (ولا يفهمه) ساقطة من هـ.
(٣) (لا) ساقطة من هـ، ك.
(٤) سبق تخريجه.

فمن نقل لفظ التوراة أو الإنجيل أو القرآن أو ألفاظ سائر الأنبياء، لم نطالبه ببيان معناه.

بخلاف من ادعى أنه فهم ما قاله الأنبياء وعبر عن ذلك بعبارة أخرى، فإنه يقال له: إن كنت فهمت ما قالوه، فهو معنى واحد، عبروا عنه بعبارة، وعبرت[١] عنه بعبارة أخرى، كالترجمان[٢]، فهذا يعقل ما يقول ويفقهه.

وإن قال: إني لم أفهم كلامهم، أو لم أفهم ما قلته، فقد اعترف بجهله وضلاله وأنه من الذين لم يفهموا كلام[٣] الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، ولم يفقهوا[٤] ما قالوه هم.

فلو قالوا: لم نفهم كلام الأنبياء وسكتوا، لكانوا أسوة أمثالهم من الجهال بمعاني كلام الأنبياء.

وأما إذا وضعوا عبارة وكلاماً ابتدعوه، وأمروا الناس باعتقاده وقالوا: هذا هو الإيمان والتوحيد، وقالوا: إنَّا ـ مع هذا ـ لا نتصور ما قلناه ولا نفقهه ولا نعقله، فهؤلاء من الذين يقولون على الله ما لا يعلمون، ويفترون على الله وعلى كتب الله وأنبياء الله بغير علم، بل يقولون الكذب المفترى والكفر الواضح، ويقولون مع[٥] ذلك: إنا لا نعقله، وهذا حال النصارى بلا ريب.

وهذا الموضع غلط فيه طائفتان من الناس: غالية غلت في

---

(١) في ط، ك (عبرت) بسقوط (و).

(٢) (كالترجمان) غير واضحة في ك.

(٣) في ك (كلام الله عز وجل) بزيادة (الله عز وجل).

(٤) في هـ (يفهموا) بدلاً من (يفقهوا).

(٥) (مع) ساقطة من ط.

المعقولات حتى جعلت ما ليس معقولاً من المعقول، وقدمته على الحس ونصوص الرسول.

وطائفة جفت عنه، فردت المعقولات الصريحة وقدمت عليها ما ظنته من السمعيات والحسيات.

وهكذا الناس في السمعيات نوعان، وكذلك هم[1] في الحسيات الباطنة والظاهرة نوعان.

فيجب أن يعلم أن الحق لا ينقض بعضه بعضاً، بل يصدق بعضه بعضاً.

بخلاف الباطل، فإنه مختلف متناقض، كما قال ـ تعالى ـ في المخالفين للرسل:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾[2].

وإن ما علم بمعقول صريح، لا يخالفه قط، لا خبر صحيح، ولا حس صحيح.

وكذلك ما علم بالسمع الصحيح، لا يعارضه عقل ولا حس.

وكذلك ما علم بالحس الصحيح، لا يناقضه خبر ولا معقول.

والمقصود هنا، الكلام مع من يعارض المعقولات بسمع أو حس.

فنقول لفظ «المعقول» يراد به المعقول[3] الصريح الذي يعرفه الناس بفطرهم التي فطروا عليها، من غير أن يتلقاه بعضهم عن بعض،

---

(١) (في السمعيات نوعان، وكذلك هم) ساقطة من هـ ،ك.

(٢) سورة الذاريات: الآيات ٧ ـ ٩.

(٣) في هـ (العقول) بدلاً من (المعقول).

كما يعلمون تماثل المتماثلين، واختلاف المختلفين ـ أعني اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد[1] والتباين ـ فإن لفظ «الاختلاف» يراد به هذا وهذا.

وهذه المعقولات في العلميات والعمليات هي التي ذم الله من خالفها بقوله:

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[2].

وقوله:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾[3]

وأما ما يسميه بعض الناس «معقولات» ويخالفه فيه كثير من العقلاء، مثل القول بتماثل[4] الأجسام، وبقاء الأعراض، وأن[5] الأجسام مركبة من الجواهر المنفردة، التي لا تقبل القسمة، أو من المادة والصورة، وأن ما لا يتناهى من الأمور المتعاقبة شيئاً بعد شيء (يمتنع وجوده، إما في الماضي)(*) والمستقبل، أو في الماضي فقط، أو أن الكليات موجودة (في الخارج جواهر قائمة بأنفسها)(*) أو أن لنا دهراً أو مادة هي جوهر عقلي قائم بنفسه، (أو أنه يمكن وجود جوهر قائم بنفسه)(*) لا يشار إليه، ونحو ذلك مما يعده من يعده من النظار، أنه عقليات[6]

---

(١) في هـ ، ك (التضادد) بدلاً من (التضاد).

(٢) سورة الملك: من الآية ١٠.

(٣) سورة الحج : من الآية ٢٤٦.

في هـ ، ك (أو لم) بدلاً من (أفلم) وهو مخالف للمصحف.

(٤) في هـ ، ك (في تماثل) بدلاً من (بتماثل).

(٥) في ط (فإن) بدلاً من (وأن).

(٦) في هـ (عقلياً) بسقوط (ت).

(وينازعهم فيه آخرون)(*).

فليس هذا هو العقليات التي لا يجب لأجلها رد الحس والسمع، (وتبنى[1] عليها علوم بني آدم)(*) بل المعقولات الصحيحة الدقيقة الخفية ترد إلى معقولات (بديهية أولية، بخلاف)(*) العقليات الصريحة، مثل كون الجسم الواحد لا يكون في مكانين (في وقت واحد معاً[2])(*)، فإن هذا معلوم بفطرة الله التي فطر الناس عليها.

فإذا جاء في الحس (أو الخبر الصحيح ما يظن)(*) أنه يخالف ذلك، مثل أن يرى الشخص الواحد في «عرفات» وهو في بلده لم يبرح (أو يرى[3] قاعداً)(*) في مكانه، وهو في مكان آخر، أو يرى[4] أنه أغاث من استغاث به، أو جاء طائراً في الهواء[5]، مع العلم بأنه في مكانه لم يتغير منه، فهذا إنما هو جني تصور بصورة ذلك الشخص ليس هو نفسه، فهذا يشبهه ليس هو إياه[6].

والحسيات إن لم يميز بينها بالعقل، وإلَّا فالحس يغلط كثيراً، فكذلك من ادعى فيما حصل له من المكاشفة والمخاطبة أمراً يخالف صريح العقل يعلم أنه غالط فيه، كمن قال من القائلين بوحدة الوجود: «إني أشهد بباطني وجوداً مطلقاً مجرداً عن الأسماء والصفات،

(*) هذه أواخر أسطر ممحوة تماماً من ك

(1) في ط (وينبني) بدلاً من (تبني).

(2) (معاً) ساقطة من ط.

(3) (أو يرى) ساقطة من هـ.

(4) في ط، ك (أو يرى) بدلاً من (ترى).

(5) في ك (الهوى) بدلاً من (الهواء).

(6) في ط (إياء) بدلاً من (إياه).

(*) هذه أواخر أسطر ممحوة تماماً من ك.

لا اختصاص فيه ولا قيد البتة[1]»[2]، فلا يتنازع في هذا، كما قد ينازعه بعض الناس.

لكن يقال له: من أين لك أن هذا هو رب العالمين الذي خلق السماوات والأرض؟ فإن كون ما شهدته بقلبك هو الله، أمر لا يدرك بحس القلب، وإذا ادعيت أنه حصل لك في الكشف ما يناقض صريح العقل علم أنك غالط، كما قال شيخ هؤلاء الملاحدة التلمساني:

يا صاحبي أنت تنهاني وتأمرني	والوجد أصدق نهاء وأمّار
فإن أطعك وأعص الوجد عدت عما	عن العيان إلى أوهام أخبار
وعين ما أنت تدعوني إليه إذا	حققت فيه تراه النهي يا جار[3]

فيقال له: وجدك وذوقك لم يفدك إلَّا شهود وجود مطلق بسيط، لكن من أين لك أن هذا هو رب العالمين؟ بل من أين لك أن هذا ثابت في الخارج عن نفسك كلياً مطلقاً مجرداً؟ بل[4] إنما تشهده كلياً مطلقاً مجرداً في نفسك.

ولست تعلم بحس ولا عقل ولا خبر أن هذا هو في الخارج.

كما أن النائم إذا شهد حسه الباطن أشياء لم يكن معه يقين أن هذا في الخارج.

فإذا عاد إليه عقله علم أن هذا كان في خياله في المنام.

---

(١) في هـ، ك (ولا مبدأ له) بدلاً من (ولا قيد البتة).

(٢) هذا النقل يظهر لي أنه من كتب الصوفية أو كلامهم لكن لم أعثر على مكانه.

(٣) هذه الأبيات نسبها المؤلف للتلمساني، وقد اجتهدنا في البحث عنها فلم أهتد إلى مكانها.

(٤) في هـ، ك (أنك) بدلاً من (بل).

وكـذلك السكـران وغيره ممن يضعف عقله فهـذا يشهد[1] بحسـه الباطن، أو الظاهر أشياء وقد ضعف عقله عن كنه ذلك لما ورد[2] عليه، وإذا ثاب إليه عقله، علم أن ما شهده كان في نفسه وخياله لا في الخارج عن ذلك.

فكل من أخبر بما يخالف[3] صحيح المنقول أو صريح المعقول[4] يعلم أنه[5] وقع له غلط، وإن كان صادقاً فيما يشهده في الحس البـاطن أو الظاهر، لكن[6] الغلط وقع في ظنه الفـاسد المخـالف لصريـح العقل لا في مجرد الحس، فإن الحس ليس فيه[7] علم بنفي أو إثبات.

فمن رأى شخصاً، فليس في الحس إلَّا رؤيته.

وأما كونـه زيداً أو عمـراً[8]، فهذا لا بـد فيه من[9] عقـل يميز بين هـذا وهذا، ولهـذا كان الصغيـر والمجنون والبهيم[10] والسكران والنـائم ونحوهم، لهم حس، ولكن لعدم العقل لا يميزون أن هـذا المشهود هـو كذا أم كذا، بل قد يظنون ظنوناً غير مطابقة.

قال ـــ تعالى ـــ :

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ

---

(١) في هـ ، ك (شهد) بسقوط (يـ).

(٢) في هـ ، ك (ررد).

(٣) (عن ذلك. فكل من أخبر بما يخالف) ساقطة من ك.

(٤) في هـ ، ك (صريح المعقول أو صحيح المنقول) تقديم وتأخير.

(٥) (يعلم أنه) ساقطة من ك.

(٦) (لكن) ممحوة من ك.

(٧) (ليس فيه) ممحوة من ك.

(٨) (زيداً وعمراً) ممحوة من ك.

(٩) (من) ساقطة من ك.

(١٠) في هـ (البهيِمة) بدلاً من (البهيم).

﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[1].

فالظمآن، يرى أن ما ظنه ماء ولم يكن ماء لاشتباهه بالماء والحس لم يغلط، لكن غلط عقله.

والأنبياء ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ ، معصومون، لا يقولون على الله إلاَّ الحق، ولا ينقلون[2] عنه إلاَّ الصدق.

فمن ادعى في أخبارهم ما يناقض صريح المعقول، كان كاذباً، بل لا بد أن يكون ذلك المعقول ليس بصريح، أو ذلك المنقول ليس بصحيح.

فما علم يقيناً أنهم أخبروا به، يمتنع أن يكون في العقل ما يناقضه.

وما علم يقيناً أن العقل حكم به، يمتنع أن يكون في أخبارهم ما يناقضه.

وقول أهل الاتحاد[3] من النصارى وغيرهم ـ سواءً ادعوا الاتحاد العام أو الخاص ـ قد علم بصريح العقل بطلانه، فيمتنع أن يخبر به نبي من الأنبياء، بل الأنبياء ـ عليهم السلام ـ قد يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته لا بما يعلم العقل بطلانه، فيخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول.

ومن سوى الأنبياء ليس معصوماً، فقد يغلط ويحصل له في كشفه وحسه وذوقه وشهوده أمور يظن فيها ظنوناً كاذبة.

---

(١) سورة النور: من الآية ٣٩.

(٢) في هـ (ولا يتلقون) بدلاً من (ينقلون).

(٣) في ط (الإلحاد) بدلاً من (الاتحاد).

فإذا أخبر مثل هذا بشيء، علم بطلانه بصريح العقل، علم أنه غالط.

وإذ أخبر غير الأنبياء بما يعجز عقل كثير من الناس عن معرفته، لم يلزم أن يكون صادقاً ولا كاذباً، بل لا نحكم بصدقه ولا كذبه إلَّا بدليل لاحتمال أن يكون غالطاً، واحتمال أن يكون قد علم ما يعجز[1] غيره عن معرفته.

وإذا قال القول المعلوم فساده بصريح العقل من ليس بنبي، وقال: إن هذا فوق العقل، أو هذا وراء طور العقل والنقل، أو هذا لا نعرفه إن لم نترك العقل والنقل، أو قال:

هم معشر حلو النظام وأحرقوا[2] الـ سياج فلا فرض لديهم ولا نفل
مجانين إلَّا أن سر[3] جنونهم عزيز على أبوابه يسجد العقل[4]

قيل: وهذا يمتنع أن يقوله نبي، أو ينقله صادق عن نبي، فإن أقوال الأنبياء لا تناقض العقل الصريح، فكيف يقبل هذا ممن ليس بنبي؟

وإن قال كما يقوله النصارى[5] أو غيرهم: إن هذا دل عليه كلام الأنبياء، أو فهمناه من كلام الأنبياء.

قيل لهم: الكلام في معاني الألفاظ التي نطقت بها الأنبياء شيء والكلام الذي[6] فهمتموه عنهم شيء آخر.

---

(١) في هـ (لعجزه) بدلاً من (يعجز).
(٢) في ك (وأخرقوا) بدلاً من (وأحرقوا).
(٣) في هـ (ستر) بدلاً من (سرّ).
(٤) هذه الأبيات لم نعثر على قائلها بالرغم من دقة البحث وسؤال أهل الشأن.
(٥) (النصارى) ممحوة من ك.
(٦) (الذي) ممحوة من ك. في هـ (فيما) بدلاً من (الذي).

ولو قدر أن ما ذكرتموه أنتم أو غيركم، فهمتموه[1] من كلام الأنبياء ليس مخالفاً لصريح العقل، لم نجزم بأن قائل ذلك يتصور ما قال[2]، بل قد يكون فهم من كلامهم ما لم يريدوه.

فكيف إذا كان هو ـ نفسه ـ لم يتصور ما قال؟ بل هم معترفون بأنه غير معقول له، وهو لا يفهمه، فكيف إذا كان الذي قاله معلوم الفساد بصريح العقل.

فهذه ثلاث مقدمات لو فهمه ثم قال: إني فهمت كلامه، لم يكن فهمه حجة.

فكيف إذا قال: إني لم أفهمه، وإن هذا فوق طور العقل؟

ولو قال هذا: لم يكن قوله حجة، ولم يجب تصديقه من أن الأنبياء عنوا بكلامهم المعنى الذي اعترف[3] أنه فوق طور[4] العقل، فكيف إذا عرف أن ذلك المعنى باطل، يمتنع أن يقوله عاقل، لا نبي ولا غير نبي؟

● ● ●

(١) في هـ، ك (فهموه) بدلاً من (فهمتموه).
(٢) في هـ (مصيب في فهمه) بدلاً من (يتصور ما قال).
(يتصور ما قال) ساقطة من ك.
(٣) في ط (اعترفوا) بدلاً من (اعترف).
(٤) (طور) ساقطة من هـ، ك.

فصل

الجواب عن شبهة النصارى في إقرار المسلمين في الصفات، وأنه لا يقتضي التشبيه والتجسيم

قال الحاكي[1] عنهم: فقلت لهم: إنهم يقولون لنا: إذا كان اعتقادكم في الباري ـ تعالى ـ أنه واحد، فما حملكم على أن تقولوا أب وابن وروح قدس فتوهمون السامعين أنكم تعتقدون في الله ثلاثة أشخاص مركبة، أو ثلاثة آلهة، أو ثلاثة أجزاء، وأن له ابناً؟ ويظن من لا يعرف اعتقادكم أنكم تريدون بذلك، ابن المباضعة والتناسل[2]، فتطرقون على أنفسكم تهمة أنتم منها بريئون؟

قالوا: وهم أيضاً[3]، لما كان اعتقادهم في الباري جلت عظمته أنه غير ذي جسم، وغير ذي جوارح وأعضاء، وغير محصور في مكان، فما حملهم [4] على أن يقولوا[5]: إن له عينين يبصر بهما، ويدين يبسطهما، وساق ووجهه يوليه إلى كل مكان، وجنب، وأنه يأتي في ظلل من الغمام فيوهمون السامعين أن الله ذو جسم، وذو أعضاء وجوارح، وأنه ينتقل من مكان إلى مكان في ظلل من الغمام، فيظن من لا يعرف اعتقادهم أنهم يجسمون الباري، حتى إن قوماً منهم اعتقدوا ذلك واتخذوه مذهباً، ومن لم يتحقق اعتقادهم يتهمهم بما هم بريئون منه.

---

(١) المقصود به: بولس الإنطاكي أسقف صيدا، وكاتب الرسالة التي يرد عليها المؤلف في هذا الكتاب.

(٢) في هـ (المناسلة) بدلاً من (التناسل).

(٣) (وهم أيضاً) يقصد المسلمون.

(٤) في ك (حملكم) بدلاً من (حملهم).

(٥) في ك (تقولوا) بدلاً من (يقولوا).

قال: فقلت لهم: إنهم يقولون: إن العلة في قولهم هذا، أن الله له عينان ويدان ووجه وساق وجنب، وأنه يأتي في ظلل من الغمام، فهو أن القرآن نطق به، وأن ذلك غير ظاهر اللفظ، وكل من يحمل ذلك على ظاهر اللفظ، ويعتقد أن الله له عينان ويدان ووجه وجنب وجوارح وأعضاء وأن ذاته تنتقل، فهم يلعنونه ويكفرونه، فإذا كفروا من يعتقد هذا، فليس لمخالفيهم[1] أن يلزموهم هذا بعد أن لا يعتقدوه.

قالوا: وكذلك نحن أيضاً النصارى، العلة[2] في قولنا: إن الله ثلاثة أقانيم، أب، وابن، وروح قدس، أن الإنجيل نطق به، والمراد بالأقانيم[3] غير الأشخاص المركبة، والأجزاء والأبعاض وغير ذلك مما يقتضي الشرك والتكثير[4]، وبالأب والابن غير أبوة وبنوة نكاح أو تناسل، أو جماع، أو مباضعة.

وكل من يعتقد أن الثلاثة أقانيم ثلاثة آلهة مختلفة، أو ثلاثة آلهة متفقة، أو ثلاثة أجسام مؤلفة، أو ثلاثة أجزاء متفرقة، أو ثلاثة أشخاص مركبة، أو أعراض، أو قوى، أو غير ذلك مما يقتضي الاشتراك والتكثير والتبعيض والتشبيه، أو بنوة نكاح، أو تناسل، أو مباضعة، أو جماع أو ولادة زوجة، أو من بعض الأجسام، أو من بعض الملائكة، أو من بعض المخلوقين، فنحن نلعنه ونكفره ونجرمه.

وإذا لعنّا أو كفرنا من يعتقد ذلك، فليس لمخالفينا أن يلزمونا بعد أن لا نعتقده، وإن ألزمونا الشرك والتشبيه لأجل قولنا: أب وابن وروح

---

(١) (لمخالفيهم) ساقطة من ك.

(٢) (العلة) ساقطة من ك.

(٣) (الأقانيم) ساقطة من ك.

(٤) (التكثير) ساقطة من ك.

قدس، لأن ظاهر ذلك يقتضي التكثير والتشبيه. ألزمناهم أيضاً ــ نحن ــ التجسيم والتشبيه لقولهم: إن الله له عينان ويدان ووجه وساق وجنب، وأن ذاته تنتقل من مكان إلى مكان، وأنه استوى على العرش من بعد أن لم يكن عليه، وغير ذلك مما يقتضي ظاهره التجسيم والتشبيه[1].

والجواب من وجوه:

أحدها: أن يقال: من آمن بما جاءت به الرسل وقال[2] ما قالوه من غير تحريف للفظه ولا معناه، فهذا لا إنكار عليه، بخلاف من ابتدع أقوالاً لم تقلها الرسل، بل هي تخالف ما قالوه ،وحرف ما قالوه، إما لفظاً ومعنى، وإما معنى فقط، فهذا يستحق الإنكار عليه باتفاق الطوائف.

وأصل دين المسلمين أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتبه، وبما وصفته به رسله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يثبتون له ــ تعالى ــ ما أثبته لنفسه، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه، ويتبعون في ذلك أقوال رسله، ويجتنبون ما خالف أقوال الرسل، كما قال ــ تعالى ــ:

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[3].

أي عما يصفه الكفار المخالفون للرسل:

﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾[4].

---

(١) انتهى كلام الحاكي عنهم، وهذا موجود في مخطوطة رسالة بولس الإنطاكي، ص ١٣، المتحف القبطي. وهو آخرها.

(٢) (قال) ساقطة من هـ، ك.

(٣) سورة الصافات: من الآية ١٨٠.

(٤) سورة الصافات: من الآية ١٨١.

لسلامة ما قالوه من النقص والعيب:

﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

فالرسل وصفوا الله بصفات الكمال، ونزهوه عن النقائص المناقضة للكمال، ونزهوه عن أن يكون له مثل في شيء من صفات الكمال، وأثبتوا له صفات الكمال على وجه التفصيل، ونفوا عنه التمثيل، فأتوا بإثبات مفصل، ونفي مجمل.

فمن نفى[2] عنه ما أثبته لنفسه من الصفات، كان معطلاً، ومن جعلها مثل صفات المخلوقين، كان ممثلاً، والمعطل يعبد عدماً، والممثل يعبد[3] صنماً.

وقد قال ـ تعالى ـ :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾.

وهو رد على الممثلة[4]،

﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

وهو رد على المعطلة[5].

---

(١) سورة الصافات: من الآية ١٨٢.

(٢) في ك (نفا) بدلاً من (نفى).

(٣) (يعبد) ساقطة من ط.

(٤) **الممثلة**: فرقة شبهت صفات الله بصفات المخلوق، وهم صنفان: الأولى: تشبه ذاته بغيره من الذوات، والثاني تشبه صفاته بصفات غيره.
انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/١٠٥؛ والفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٥.

(٥) **المعطلة**: فرقة تتكون من الجهمية والمعتزلة نفت صفات الله على أصلين فاسدين.
(١) أنها من المتشابه. (٢) أن المتشابه تأويلاً لا يعلمه إلاّ الله. وهم متناقضون في بدعهم.
انظر: جامع الرسائل لابن تيمية ص ١٥٣؛ ولوامع الأنوار البهية ١/١٢٨.

فوصفته الرسل بأنه حي منزه عن الموت، عليم منزه عن الجهل، قدير قوي عزيز، منزه عن العجز والضعف والذل واللغوب[1]، سميع بصير منزه عن الصم والعمى، غني منزه عن الفقر، جواد منزه عن البخل، حكيم[2] حليم[3]، منزه عن السفه، صادق منزه عن الكذب، إلى سائر صفات الكمال مثل وصفه بأنه ودود رحيم لطيف، وقد[4] قال ـ تعالى ـ :

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[5].

فالصمد اسم يتضمن إثبات صفات الكمال ونفي النقائص، وهو[6] العليم الكامل في علمه، القدير الكامل في قدرته، الحكيم الكامل في حكمته.

ولنا مصنف[7] مبسوط في تفسير هذه السورة، وآخر[8] في بيان أنها تعادل ثلث القرآن، وذكرنا كلام علماء المسلمين من الصحابة والتابعين في معنى «الصمد» وأن عامة ما قالوه حق، كقول من قال

---

(١) (اللغوب) ساقطة من ك.
في هـ (اللغوب والذل) تقديم وتأخير).
(٢) (حكيم) ساقطة من هـ .
في ط (حكم) بدلاً من (حكيم).
(٣) (حليم) ساقطة من ك.
(٤) (قد) غير ظاهرة في ك.
(٥) سورة الإخلاص كلها.
(٦) في هـ (فإنه) بدلاً من (وهو).
(٧) (لنا مصنف) غير ظاهرة في ك.
(٨) يقصد به كتاب (جواب أهل العلم والإيمان، فيما أخبر به رسول الرحمن من أن قل هو الله أحد، تعدل ثلث القرآن)، وقد طبع مراراً في القاهرة.

منهم: «إن الصمد الذي لا جوف له» ومن قال منهم: «إنه السيد الذي انتهى سؤدده» كما قيل: «إنه المستغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه محتاج إليه»، وكما قيل: «إنه العليم الكامل في علمه، والقدير الكامل في قدرته» إلى سائر صفات الكمال.

وذكر ــ تعالى ــ في هذه السورة أنه أحد ليس، له كفواً أحد، فنفى بذلك أن يكون شيئاً من الأشياء له كفواً، وبين أنه أحد لا نظير له.

وقال في آية أخرى:

﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾[1].

وقال:

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[2].

وقال:

﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ﴾[3].

وقال[4]:

﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾[5].

وما ورد في القرآن والسنّة من إثبات صفات الله، فقد ورد في التوراة وغيرها من كتب الله مثل ذلك.

فهو أمر اتفقت عليه الرسل، وأهل الكتاب في ذلك كالمسلمين.

---

(١) سورة مريم: من الآية ٦٥.

(٢) سورة الشورى: من الآية ١١.

(٣) سورة النحل: من الآية ٧٤.
في هـ، ك (ولا) بدلاً من (فلا).

(٤) (وقال) ساقطة من ط.

(٥) سورة البقرة: من الآية ٢٢..

وإذا كان كذلك، فهم في أمانتهم لم يقولوا ما قاله المسيح والأنبياء بل ابتدعوا اعتقاداً لا يوجد في كلام الأنبياء[١].

فليس في كلام الأنبياء ـ لا المسيح ولا غيره ـ ذكر أقانيم لله، لا ثلاثة ولا أكثر، ولا إثبات ثلاث صفات، ولا تسمية شيء من صفات الله، ابناً لله، ولا رباً، ولا تسمية حياته روحاً، ولا أن للَّه ابناً هو إلّه حق من إلّه حق، من جوهر أبيه، وأنه خالق كما أن الله خالق، إلى غير ذلك من الأقوال المتضمنة لأنواع من الكفر، لم تنقل عن نبي من الأنبياء.

فقالوا: في شريعة إيمانهم: نؤمن بالله الأب، مالك كل شيء، صانع ما يرى وما لا يرى، وهذا حق.

ثم قالوا: وبالرب الواحد يسوع[٢] المسيح ابن الله الواحد، بكر الخلايق كلها، مولود ليس بمصنوع، إلّه حق من إلّه حق، من جوهر أبيه، نور من نور، مساوٍ للأب في الجوهر الذي[٣] بيده أتقنت العوالم وخلق[٤] كل شيء، الذي من أجلنا ـ معشر الناس ـ ومن أجل خلاصنا نزل من[٥] السماء، وتجسد من روح القدس، ومن مريم العذراء البتول، وصار إنساناً وحبل به وولد من مريم البتول[٦] وتألم وصلب ودفن، وقام في اليوم الثالث، كما هو مكتوب، وصعد إلى

(١) (بل ابتدعوا اعتقاداً لا يوجد في كلام الأنبياء) ساقطة من ك.
(٢) في ك، هـ (أيسوع) بزيادة (أ).
(٣) في ط (الذي الجوهر) تقديم وتأخير.
(٤) في ط، ك (خلق) بسقوط (و).
(٥) (من) ساقطة من ط.
(٦) (البتول) ساقطة من ط.

السماء، وجلس عن يمين أبيه وهو مستعد للمجيء تارةً أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء.

ونؤمن بروح القدس المحيي[1]، وروح الحق المنبثق من أبيه، أو الذي خرج من أبيه روح محييه.

فأين في كلام الأنبياء أن شيئاً[2] من صفات الله أو من مخلوقاته يقال فيه: إنه أقنوم، وإنه حق من إلّه حق، من جوهر أبيه، وإنه مساوٍ لله في الجوهر، وإنه خالق خلق[3] كل شيء، وإنه قعد[4] عن يمين الله فوق العرش، وإنه الذي يقضي بين الناس يوم القيامة؟

وأين في كلام الأنبياء أن لله ولداً قديماً أزلياً؟

ومن الذي سمى كلام الله أو علمه أو حكمته، مولوداً له أو ابناً له أو شيئاً من صفاته مولوداً له أو ابناً له؟

ومن الذي قال من الأنبياء: إنه مولود، وهو ـ مع ذلك ـ قديم أزلي؟

وأين في كلامهم أن لله أقنوماً ثالثاً هو حياته، ويسمى بروح القدس وأنه أيضاً رب حي[5] محيي[6]؟

فلو[7] كان النصارى آمنوا بنصوص الأنبياء، كما آمن المؤمنون،

---

(١) في هـ (الواحد) بدلاً من (المحيي).
(٢) (شيئاً) غير ظاهرة في ك.
(٣) (خلق) ساقطة من هـ، ك.
(٤) في هـ (جالس) بدلاً من (قعد).
(٥) في هـ، ك (حق) بدلاً من (حي).
(٦) (محيي) ساقطة من ك.
(٧) (فلو) ساقطة من ك.

لم يكن عليهم ملام[1].

ومن اعترض على نصوص الأنبياء، كان لفساد فهمه ونقص معرفته.

ولكن هم ابتدعوا أقوالاً وعقائد ليست منصوصة عن أحد من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، وفيها كفر ظاهر وتناقض بين.

فلو قدر أنهم أرادوا بها معنى صحيحاً، لم يكن لأحد أن يبتدع كلاماً لم يأتِ به نبي يدل على الكفر المتناقض الذي يخالف الشرع والعقل، ويقول: إني أردت به معنى صحيحاً من غير أن يكون لفظه دالاً على ذلك، فكيف والمراد الذي يفسرون به كلامهم فاسد متناقض كما تقدم؟

فهم ابتدعوا أقوالاً منكرة وفسروها بتفسير منكر، فكان الردعليهم من كل واحد من الوجهين، وهم ـ في ذلك ـ نظير بعض ملاحدة المسلمين الذين يعتقدون إلّهية بعض أهل البيت، أو بعض المشايخ، ويصفون الله بصفات لم ينطق بها كتاب، وهؤلاء ملحدون عند المسلمين.

بخلاف المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسله، الذين آمنوا بما قالت الأنبياء: ولم يبتدعوا أقوالاً لم يأتِ بها الأنبياء، وجعلوها أصل دينهم.

الوجه الثاني: أن يقال: ما ذكرتموه[2] عن المسلمين كذب ظاهر عليهم.

فهذا النظم الذي ذكروه ليس هو في القرآن، ولا في الحديث،

---

(١) في ك (كلام) بدلاً من (ملام).

(٢) في هـ (ذكروه) بدلاً من (ذكر).

ولا يعرف عالم مشهور من علماء المسلمين، ولا طائفة مشهورة من طوائفهم، يطلقون العبارة التي حكوها عن المسلمين، حيث قالوا عنهم: «إنهم يقولون: إن لله عينين يبصر بهما، ويدين يبسطهما، وساقاً ووجهاً يوليه إلى كل مكان، وجنباً.

ولكن هؤلاء ركبوا من ألفاظ القرآن ــ بسوء تصرفهم وفهمهم[1]، تركيباً زعموا أن المسلمين يطلقونه.

وليس في القرآن ما يدل ظاهره على ما ذكروه فإن الله ــ تعالى ــ قال في كتابه:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[2].

واليهود أرادوا بقولهم: (يد الله مغلولة): أنه بخيل، فكذبهم الله في ذلك، وبيَّن أنه جواد لا يبخل، فأخبر أن يديه مبسوطتان، كما قال:

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[3].

فبسط اليدين، المراد به الجواد والعطاء، ليس المراد (ما توهموه من بسط مجرد)[4].

ولما كان العطاء باليد يكون ببسطها، صار من المعروف في اللغة التعبير ببسط اليد عن العطاء.

---

(١) (فهمهم) ساقطة من هـ، ك.

(٢) سورة المائدة: من الآية ٦٤.

(٣) سورة الإسراء: من الآية ٢٩.

(٤) في ط (ما أوهموه من بسطه المجرد).
وفي ك (ما أوهموه من بسط مجرد).

فلما قالت اليهود: (يد الله مغلولة) وأرادوا بذلك أنه بخيل، كذبهم الله في ذلك، وبيَّن أنه جواد ماجد.

وإثبات اليدين له موجود في التوراة، وسائر النبوات، كما هو موجود في القرآن.

فلم يكن في هذا شيء يخالف ما جاءت به الرسل، ولا ما يناقض العقل، وقد قال ـ تعالى ـ لإبليس:

﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[1].

فأخبر أنه خلق آدم بيديه، وجاءت الأحاديث الصحيحة توافق ذلك[2].

وأما لفظ «العينين»[3] فليس هو في القرآن، ولكن جاء فيه حديث.

وذكر الأشعري[4] عن أهل السنَّة والحديث[5] أنهم يقولون: إن لله عينين.

ولكن الذي جاء في القرآن:

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[6]،

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[7]،

---

(1) سورة ص: من الآية ٧٥.

(2) (وجاءت الأحاديث الصحيحة توافق ذلك) ساقطة من هـ، ك.

(3) في ط، ك (عينين) بسقوط (الـ).

(4) **الأشعري**: سبقت الإشارة إليه ٣/ ٢٩٤.

(5) في ط (حيث) بدلاً من (والحديث).

(6) سورة طه: من الآية ٣٩.

(7) سورة هود: من الآية ٣٧.

﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾[1] .

وأما قولهم: «له وجه يوليه إلى كل مكان» فليس هذا في القرآن ولكن في القرآن:

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[2] .

وقولـه:

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[3] .

وقولـه:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾[4] .

وهـذا قـد قـال فيـه طـائفـة من السلف: فثم قبلة الله، أي فثم جهة الله، والجهة، كالوعد والعدة، والوزن والزنة.

والمـراد بوجـه الله وجهة الله، الـوجه، والجهـة والوجهـة الذي لله يستقبل في الصلاة كما قال في أول الآية:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ ﴾ .

ثم قال:

﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ .

كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[5] .

---

(١) سورة القمر: الآيتان ١٣، ١٤.

(٢) سورة الرحمن: الآيتان ٢٦، ٢٧.

(٣) سورة القصص: من الآية ٨٨.

(٤) سورة البقرة: من الآية ١١٥.

(٥) سورة البقرة: من الآية ١٤٢.

فإذا كان لله المشرق والمغرب، ولكل وجهة هو موليها، وقوله: موليها، أي متوليها أو مستقبلها، فهذا كقوله: ﴿**فأينما تولوا فثم وجه الله**﴾، أي فأينما تستقبلوا فثم وجهة[1] الله، وقد قيل: إنه يدل على صفة الله لكن يدل على أن ثم وجه لله، وأن العباد أينما يولون، فثم وجه الله، فهم الذين يولون ويستقبلون، لا أنه هو يولي وجهه إلى كل مكان، فهذا تحريف منهم للفظ القرآن عن معناه وكذب على المسلمين.

ومن قال بالقول الثاني من المسلمين، فإن ذلك يقتضي[2] أن الله محيط بالعالم كله، كما قد بسطت هذه الأمور في غير هذا الموضع.

إذ المقصود هنا بيان ضلال هؤلاء في دينهم فيما ابتدعوا[3] من الكفر والتثليث والاتحاد، دون الذين آمنوا بالله ورسله، وما أخبرت به الرسل عن الله ـ تبارك وتعالى ـ.

وأما قولهم (وجنب) فإنه لا يعرف عالم مشهور عند المسلمين، ولا طائفة مشهورة من طوائف المسلمين، أثبتوا لله جنباً[4]، نظير جنب الإنسان، وهذا اللفظ جاء في القرآن في قوله:

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[5].

فليس[6] في مجرد الإضافة ما يستلزم أن يكون المضاف إلى الله

---

(١) في هـ (وجه) بدلاً من (وجهة).

(٢) في هـ (يقضي) بدلاً من (يقتضي).

(٣) في هـ، ك (ابتدعوه) بدلاً من (ابتدعوا).

(٤) (لله جنباً) ممحوة من ك.

(٥) سورة الزمر: من الآية٥٦.

(٦) في هـ (وليس) بدلاً من (فليس).

صفة له، بل قد يضاف إليه من الأعيان المخلوقة وصفاتها القائمة بها ما ليس بصفة[1] له باتفاق الخلق، كقوله ــ تعالى ــ : ﴿بيت الله﴾، و ﴿ناقة الله﴾، و ﴿عباد الله﴾، بل وكذلك ﴿روح الله﴾ عند سلف المسلمين وأئمتهم وجمهورهم.

ولكن إذا أضيف إليه ما هو صفة له وليس بصفة[1] لغيره، مثل كلام الله وعلم الله، ويد الله[2] ونحو ذلك، كان صفة له.

وفي القرآن ما يبين[3] أنه ليس المراد بالجنب ما هو نظير جنب الإنسان فإنه قال:

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾.

والتفريط ليس في شيء من صفات الله ــ عز وجل ــ.

والإنسان إذا قال: فلان قد فرط في جنب فلان أو جانبه، لا يريد به أن التفريط وقع في شيء من نفس ذلك الشخص، بل يريد به أنه فرط في جهته وفي حقه.

فإذا كان هذا اللفظ إذا أضيف إلى المخلوق، لا يكون ظاهره أن التفريط في نفس جنب الإنسان المتصل بأضلاعه، بل ذلك التفريط لم يلاصقه، فكيف يظن أن ظاهره في حق الله، أن التفريط كان في ذاته.

وجنب الشيء وجانبه، قد يراد به منتهاه وحده، ويسمى جنب الإنسان جنباً بهذا الاعتبار، قال ــ تعالى ــ :

---

(١) في هـ (صفة) بسقوط (ب).
(٢) في هـ (وقدرة الله) بدلاً من (ويد الله).
(٣) (القرآن ما يبين) غير ظاهرة في ك.

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾[2].

وقال النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ لعمران بن حصين[3]: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب»[4].

وإذا قدر أن الإضافة هنا تتضمن صفة الله، كان الكلام في هذا كالكلام في سائر ما يضاف إليه ـ تعالى ـ من الصفات، وفي التوراة من ذلك نظير ما في القرآن.

وهذا يتبين بالوجه الثالث: وهو أن يقال ما في القرآن والحديث عن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ، من وصف الله بهذه الصفات التي يسميها بعض الناس تجسيماً، هو مثل ما في التوراة وسائر كتب الأنبياء، وهذا[5] الذي في التوراة وكتب الأنبياء ليس مما أحدثه أهل الكتاب.

---

(١) سورة السجدة: من الآية ١٦.
(يدعون ربهم) ساقطة من هـ.

(٢) سورة آل عمران: من الآية ١٩١.
من (وقال تعالى) إلى نهاية هذه الآية ساقط من هـ.

(٣) عمران بن حصين. سبقت الإشارة إليه ٣/ ٣٨٢.

(٤) انظر:
* صحيح البخاري ـ كتاب تقصير الصلاة ـ باب ١٩ ـ عن عمران بن حصين بلفظه.
* سنن ابن ماجه ـ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ١٣٩ في ما جاء في صلاة المريض ـ حديث ١٢٢٣ ـ عن عمران بن حصين بلفظه.
* سنن الترمذي ـ أبواب الصلاة ـ ما جاء تحت باب ٢٧٠ أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم ـ حديث ٣٦٩ ـ عن عمران بن حصين بلفظه.

(٥) في هـ، ك: (وهو) بدلاً من (وهذا).

ولو كانوا هم ابتدعوا ذلك، ووصفوا الخالق بما يمتنع عليه من التجسيم، لكان النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ذمهم على ذلك، كما ذمهم على ما وصفوه به من النقائص في مثل قوله[1] ـ تعالى ـ:

﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾[2].

وقوله:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[4].

فنفى عنه اللغوب الذي يظن في لفظ الاستراحة الذي في التوراة، فإن فيها أن الله خلق العالم في ستة أيام، ثم استراح في يوم السبت[5]، فظن بعض الناس أنه تعب فاستراح.

ثم من علماء المسلمين من قال[6]: إن[7] هذا اللفظ حرفوا معناه دون لفظه، وهذا[8] لفظ التوراة المنزلة. قاله ابن قتيبة[9] ــــــ

---

(١) هكذا في سائر النسخ، وأرى أن سلامة التعبير (قول الله تعالى) لأن المذكور بعد ذلك آية من كلام الله، وليس حديثاً للرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.

(٢) سورة آل عمران: من الآية ١٨١.

(٣) سورة المائدة: من الآية ٦٤.

(٤) سورة قٓ: من الآية ٣٨.

(٥) ورد في ذلك في سفر التكوين من العهد القديم.

(٦) في هـ (ويقول) بدلاً من (قال).

(٧) (إن) ساقطة من هـ.

(٨) في ك (وهو) بدلاً من (وهذا).

(٩) ابن قتيبة: هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد، من أئمة الأدب، ومن =

وغيـره[1]، وقالوا[2]: معناه ثم ترك الخلق، فعبر عن ذلك بلفظ استراح[3].

ومنهم من قـال: بل حـرفوا لفـظه، كما قـال أبو بكـر الأنبـاري[4] وغيره.

وقالوا: ليس هذا[5] لفظ[6] التوراة[7] المنزلة، وأمـا ما في التـوراة من إثبات الصفات، فلم ينكر النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ شيئـاً من ذلـك، بل كـان علمـاء اليهـود إذا ذكـروا شيئـاً من ذلـك يقـرهم عليـه، ويصـدقهم عليه[8]، كمـا في الصحيحين عن عبد الله بن مسعـود[9]، أن حبـراً من اليهـود جـاء إلى رسـول الله ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ فقـال: «يا محمد إن الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة يحمل السماوات على إصبع،

المصنفين المكثرين، ولد ببغـداد سنة ٢١٣هـ، وتـوفي بها سنـة ٢٧٦ وتولى قضـاء الدينور فترة من الزمن فنسب إليهـا، وكان فـاضلاً ثقـة، سكن بغداد وحـدث بها عن إسحاق بن راهويه وغيره، وله مصنفات كثيرة من أشهرها كتاب مشكل القرآن وكتاب مشكل الحديث وكتاب عيون الأخبار والشعر والشعراء وغيرها كثير كأدب الكاتب.

انظر: وفيات الأعيان ٤٢/٣؛ وتاريخ بغداد ١٧٠/١٠؛ والبـداية والنهـاية ٤٨/١١؛ وميـزان الاعتدال ٥٠٣/٢؛ وتـاريخ العلمـاء النحويين ص ٢٠٩؛ وشـذرات الذهب ١٦٩/٢؛

(١) (لفظ التوراة المنزلة. قاله ابن قتيبة وغيره) غير ظاهر في ك.

(٢) في هـ، ك (قالوا) بسقوط (و).

(٣) في ك (الاستراح) بزيادة (ال).

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) في هـ، ك (ليست هذه) بدلاً من (ليس هذا).

(٦) في ك (ألفاظ) بدلاً من (لفظ).

(٧) (التوراة) غير ظاهرة في ك.

(٨) (ويصدقهم عليه) ساقطة من ط، ك.

(٩) في هـ، ك (ابن) بزيادة (ا).

عبد الله بن مسعود: سبقت الإشارة إليه ٣/ ١٨٠.

والأرض[1] على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق[2] على إصبع، ثم يهزهن[3] فيقول: أنا الملك» قال: فضحك النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ حتى بدت نواجذه تعجباً وتصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ:

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ الآية[4].

وفي التوراة: «إن الله كتب التوراة بإصبعه»[5].

وإذا ثبت أن مثل هذه النصوص في التوراة والكتب المتقدمة باتفاق أهل الكتاب، وبما يشهد على ذلك من أخبار الرسول بنظير ذلك، وترك إنكاره لما في التوراة، وتصديقه على ما كانوا يذكرونه من ذلك لم يكن المسلمون مختصين بذكر ما سموه تجسيماً بل يلزم أهل الكتاب ـ اليهود والنصارى ـ من ذلك نظير ما يلزم المسلمين.

---

(1) في ك (الأرضين) بدلاً من (الأرض).

(2) (الخلق) ساقطة من ك.

(3) في ك (فيهزهن).

(4) سورة الزمر: من الآية ٦٧.

انظر الحديث:

* صحيح البخاري ـ كتاب التوحيد ـ باب ١٩، ٨/١٧٦ عن عبد الله بن مسعود بمعناه.

* وصحيح مسلم ـ كتاب المنافقين ـ باب ٥٠ ـ صفات المنافقين وأحكامهم حديث رقم ١٩ ـ عن عبد الله بن مسعود بمعناه.

* وسنن الترمذي ـ أبواب التفسير ـ تفسير سورة الزمر ص ٣٩ ـ عن عبد الله بن مسعود بمعناه.

(5) في سفر الخروج ـ الإصحاح الثاني والثلاثون: (ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحي الشهادة لوحي حجر مكتوبين بإصبع).

انظر: العهد القديم ص ١٣٩.

وقد افترق أهل الكتاب في ذلك، كما افترق فيه المسلمون، منهم الغالي في النفي والتعطيل، ومنهم الغالي في التشبيه والتمثيل.

والمسلمون ــ أئمتهم وجمهورهم ــ مقتصدون بين التعطيل والتمثيل، وكذلك طائفة من أهل الكتاب.

والمقصود أنه إذا كانت هذه الصفات قد جاءت في الكتب الإلهية، التوراة وغيرها، كما جاءت في القرآن، لم يكن للمسلمين بذلك اختصاص.

ولم يجز للنصارى أن يجعلوا ذلك نظير ما اختصوا به من التثليث والاتحاد فإن ذلك مختص بهم.

وهذه الصفات قد اشترك فيها أهل الملل الثلاث، لأن التثليث والاتحاد ليس منصوصاً عن أحد من الأنبياء ــ عليهم السلام ــ، وهذه الصفات منصوصة في القرآن والتوراة وغيرهما من كتب الأنبياء، فكيف يجوز تشبيه هذا بهذا؟

الوجه الرابع: قولهم: «فيوهمون السامعين أن الله ذو جسم وأعضاء وجوارح» كلام باطل، وذلك أن الله سمى نفسه وصفاته بأسماء، وسمى بعض عباده[1] وصفات عباده بأسماء، هي في حقهم نظير تلك[2] الأسماء في حقه، ــ سبحانه وتعالى ــ.

فسمى نفسه حياً، كقوله:

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[3] . . . الآية.

---

(١) في هـ (عباده بأسماء) بزيادة (بأسماء).

(٢) (تلك) ساقطة من ك.

(٣) سورة البقرة: من الآية ٢٥٥.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ . . . ﴾[1].

وسمى بعض عباده حياً، كقوله:

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾[2].

مع العلم بأنه ليس الحي كالحي، وسمى نفسه عليماً، كقوله:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[3].

وسمى بعض عباده عليماً، كقوله: ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴾[4].

مع العلم[5] بأنه ليس العليم كالعليم.

وسمى نفسه حليماً بقوله:

﴿ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴾[6].

وسمى بعض عباده[7] حليماً، بقوله:

﴿ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ﴾[8].

---

(١) سورة الفرقان: من الآية ٥٨.

(٢) سورة يونس: من الآية ٣١، وكذلك سورة الروم: من الآية ١٩.

(٣) سورة الأنعام: من الآية ١٢٨.

(٤) سورة الذاريات: من الآية ٢٨.
في ط (وبشرناه) بدلاً من (بشروه).

(٥) في ط (فاعلم) بدلاً من (مع العلم).

(٦) سورة البقرة: من الآية ٢٦٣.
في هـ، ك (إن الله) بدلاً من (والله).

(٧) في ك (نفسه) بدلاً من (بعض عباده).

(٨) سورة الصافات: من الآية ١٠١.

وسمى نفسه رؤوفاً رحيماً، بقوله:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وسمى بعض عباده رؤوفاً رحيماً، بقوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

وليس الرؤوف كالرؤف، ولا الرحيم كالرحيم.

وكذلك سمى نفسه ملكاً جباراً متكبراً عزيزاً، وسمى بعض عباده ملكاً، وبعضهم عزيزاً، وبعضهم جباراً متكبراً، وليس هو في ذلك مماثلاً لخلقه.

وكذلك سمى بعض صفاته علماً وقوة وأيدا، وقدرة ورحمة، وغضباً ورضى ويداً، وغير ذلك، وسمى بعض صفات عباده بذلك، وليس علمه كعلمهم، ولا قدرته كقدرتهم[3]، ولا رحمته وغضبه، كرحمتهم وغضبهم، ولا يده كأيديهم.

وكذلك ما أخبر به عن نفسه من استوائه على العرش، ومجيئه في ظلل من الغمام، وغير ذلك من هذا الباب، ليس استواؤه كاستوائهم، ولا مجيئه كمجيئهم.

وهذه المعاني التي تضاف إلى الخالق تارة وإلى المخلوق أخرى، تذكر على ثلاثة أوجه:

تارة تقيد بالإضافة إلى الخالق أو بإضافته إليها، كقوله

---

(١) سورة البقرة: من الآية ١٤٣.

(٢) سورة التوبة: من الآية ١٢٨.

(٣) في هـ، ك (ولا قوته كقوتهم) بدلاً من (ولا قدرتهم).

ـ تعالى[1] ـ : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾[2] الآية

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ﴾[3].

وتارة تتقيد بالمخلوق، كقوله:

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا ٱلْعِلْمِ ﴾[4].

وتارة تطلق مجردة.

فإذا قيدت بالخالق لم تدل على شيء من خصائص المخلوقين.

فإذا قيل: علم الله وقدرته واستواؤه ومجيئه ويده ونحو ذلك، كانت هذه الإضافة توجب ما يختص به الرب الخالق، وتمنع أن يدخل فيها ما يختص به المخلوق.

وكذلك إذا قيل:

﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ ﴾[5]

كانت هذه الإضافة توجب ما يختص بالعبد، وتمنع أن يدخل في ذلك ما يختص بالرب ـ عز وجل ـ.

وإذا جرد اللفظ عن القيود فذكر بوصف العموم والإطلاق، تناول الأمرين كسائر الألفاظ التي تطلق على الخالق والمخلوق.

وهذه للناس فيها أقوال:

---

(1) (تعالى) ساقطة من ط.

(2) سورة البقرة: من الآية ٢٥٥.

(إلاّ بما شاء) ساقطة من ط، ك.

(3) سورة الذاريات: من الآية ٥٨.

(4) سورة آل عمران: من الآية ١٨.

(5) سورة المؤمنون: من الآية ٢٨.

وقيل: إنها حقيقة في الخالق، مجاز في المخلوق، كقول أبي العباس الناشيء[1].

وقيل بالعكس كقول غلاة الجهمية والباطنية[2] والفلاسفة[3].

وقيل حقيقة فيهما، وهو قول الجمهور.

ثم قيل: هي مشتركة اشتراكاً لفظياً، وقيل: متواطئة وهو قول الجمهور.

ثم من جعل المشككة نوعاً من المتواطئة لم يمتنع ــ عنده ــ إذا قيل مشككة أن تكون متواطئة، ومن جعل ذلك نوعاً آخر جعلها مشككة لا متواطئة.

وهذا نزاع لفظي، فإن المتواطئة التواطؤ العام، يدخل فيها المشككة.

إذ المراد بالمشككة، ما يتفاضل معانيها في مواردها، كلفظ الأبيض الذي يقال على البياض الشديد، كبياض الثلج، والخفيف كبياض العاج، والشديد أولى به.

ومعلوم أن مسمى البياض في اللغة، لا يختص بالشديد دون الخفيف، فكان اللفظ دالاً على ما به الاشتراك، وهو المعنى العام الكلي وهو متواطىء بهذا الاعتبار، وهو اعتبار التفاضل يسمى مشككاً.

وأما إذا أريد بالتواطىء ما تستوي[4] معانيه كانت المشككة نوعاً آخر.

---

(١) أبو العباس الناشيء. سبقت الإشارة إليه ٣/ ٢٩٤.

(٢) سبق التعريف بها.

(٣) الفلاسفة: سبقت الإشارة إليهم ٣/ ١٢.

(٤) في هـ (يستوي) بدلاً من (تستوي).

لكن تخصيص لفظ المتواطئة بهذا عرف حادث، وهو خطأ أيضاً.

فإن عامة المعاني العامة تتفاضل، والتماثل فيها في جميع مواردها ـ بحيث لا تتفاضل في شيء من مواردها ـ إما قليل وإما معدوم.

فلو لم تكن هذه الأسماء متواطئة بل مشككة، كان عامة الأسماء الكلية غير متواطئة، وهذا مبسوط في موضع آخر.

والمقصود هنا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ إذا أضاف إلى نفسه ما أضافه إضافة[1] يختص[2] بها، وتمنع أن يدخل فيها شيء من خصائص المخلوقين، وقد قال مع ذلك: إنه (ليس كمثله شيء) وإنه (لم يكن له كفواً أحد) وأنكر أن يكون له سمي، كان من فهم من هذه ما يختص به المخلوق، قد أتي من سوء فهمه، ونقص عقله، لا من قصور في بيان الله ورسوله، ولا فرق في ذلك بين صفة وصفة.

فمن فهم من علم الله ما يختص به المخلوق من أنه عرض محدث باضطرار، أو اكتساب، فمن نفسه أتي، وليس في قولنا علم الله ما يدل على ذلك.

وكذلك من فهم من قوله:

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ. . .﴾[3] الآية.

﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[4].

ما يختص به المخلوق من جوارحه وأعضائه، فمن نفسه أوتي،

---

(١) (إضافة) ساقطة من ك.

(٢) في ط (تختص) بدلاً من (يختص).

(٣) سورة المائدة: من الآية ٦٤.

(٤) سورة ص: من الآية ٧٥.

فليس في ظاهر[1] هذا اللفظ ما يدل على ما يختص به المخلوق كما في سائر الصفات.

وكذلك إذا قال:

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾[2].

من فهم من ذلك ما يختص بالمخلوق، كما يفهم من قوله:

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾[3].

فمن نفسه أتي، فإن ظاهر اللفظ يدل على استواء يضاف إلى الله ــ عز وجل ــ، كما يدل في تلك الآية على استواء يضاف إلى العبد.

وإذا كان المستوي ليس مماثلاً للمستوي، لم يكن الاستواء مماثلاً للاستواء.

فإذا كان العبد فقيراً إلى ما استوى عليه، يحتاج إلى حمله.

وكان الرب ــ عز وجل ــ غنياً عن كل ما سواه، والعرش وما سواه فقيراً إليه، وهو الذي يحمل العرش، وحملة العرش، لم يلزم إذا كان الفقير محتاجاً إلى ما استوى عليه أن يكون الغني عن كل شيء، وكل شيء محتاج إليه، محتاجاً إلى ما استوى عليه.

وليس في ظاهر كلام الله(*) ــ عز وجل ــ ما يدل على ما يختص به المخلوق من حاجة إلى حامل وغير ذلك، بل توهم هذا من سوء الفهم لا من دلالة اللفظ.

---

(١) (ظاهر) ساقطة من هـ، ك.

(٢) سورة الفرقان: من الآية ٥٩.

(٣) سورة المؤمنون: من الآية ٢٨.

(*) أوائل أسطر غير ظاهرة في ك لوجود بقع سوداء.

لكن إذا تخيل المتخيل في نفسه أن الله مثله، تخيل أن يكون استواؤه كاستوائه، وإذا عرف أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته ولا في أفعاله، علم أن استواءه ليس كاستوائه، ولا مجيئه كمجيئه، كما أن علمه وقدرته ورضاه وغضبه، ليس كعلمه وقدرته ورضاه وغضبه.

وما بين الأسماء من المعنى[1] العام الكلي كما بين قولنا، حي وحي وعالم وعالم. وهذا المعنى العام الكلي المشترك لا يوجد عاماً كلياً مشتركاً إلاَّ في العلم والذهن وإلاَّ فالذي في الخارج أمر يختص بالموصوف.

فصفات الرب ــ عز وجل ــ، مختصة به، وصفات المخلوق مختصة به، ليس بينهما اشتراك ولا بين مخلوق ومخلوق.

الوجه الخامس: قولهم: (لما كان اعتقادهم في الباري جلت قدرته أنه غير ذي جسم) استعمال منهم للفظ الجسم في القدر والغلظ لا في ذي القدر والغلظ، وهذا أحد موردي استعماله وهو الأشهر في لغة العامة، فيقولون: هذا الثوب له جسم، وهذا ليس له جسم، أي هذا له غلظ وكثافة دون هذا.

ولكن النظار أكثر ما يستعملون لفظ «الجسم» في نفس ذي القدر فيقولون: للقائم بنفسه، ذي القدر: إنه جسم.

وهذا اللفظ لما كثر استعماله في كلام النظار، تفرقوا في معانيه لغة وعقلاً وشرعاً، تفرقاً ضل به كثير من الناس، فإن هذا اللفظ أصله في اللغة هو الجسد.

---

(١) في ط، ك (كالمعنى) بدلاً من (المعنى).

قال غير واحد من أهل اللغة كالأصمعي[1]، وأبي زيد[2]، وغيرهما: الجسم هو الجسد.

وهذا إنما يستعمله أهل اللغة فيما كان غليظاً كثيفاً، فلا يسمون الهواء جسماً ولا جسداً، ويسمون بدن الإنسان جسداً.

وقد تقدم أن الجسم يراد به نفس الجسد، ويراد به قدر الجسد وغلظه، قال تعالى:

﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾[4].

وقد يراد به هذا وهذا.

ثم إن أهل النظر استعملوا لفظ «الجسد» في أعم من معناه في

---

(١) الأصمعي: هو عبد الله بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي أبو سعيد الأصمعي، راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، ولد في البصرة سنة ١٢٢هـ، وكان كثير التطواف في البوادي، قال أبو الطيب اللغوي: كان أتقن القوم للغة، وأعلمهم بالشعر، وأحذرهم حفظاً، له مؤلفات كثيرة منها: كتاب الإبل، وكتاب الخيل، وكتاب النبات والشجر، توفي سنة ٢١٦ بالبصرة.

انظر: وفيات الأعيان ٣/١٧٠؛ وتهذيب التهذيب ٦/٤١٥؛ وميزان الاعتدال ٢/٦٦٢.

(٢) أبو زيد: سعيد بن أوس بن ثابت بن زيد الأنصاري من أئمة الأدب، ولد بالبصرة، كان ثقة في الرواية له مصنفات كثيرة.

انظر: تاريخ بغداد ٩/٧٧؛ والبداية والنهاية ١٠/٢٦٩.

(٣) سورة البقرة: من الآية ٢٤٧.

(٤) سورة المنافقون: من الآية ٤.

اللغـة، كما فعلوا مثـل ذلـك في لفظ «الجـوهـر» ولفظ «العـرض» ولفظ «الوجود» ولفظ «الذات» وغير ذلك.

فـاستعملوا لفظ «الجسم» فيما يقـوم بنفسه، وتمكن الإشـارة إليـه الحسية المختلفة.

ثم تنازعوا نزاعاً عقلياً فيما يشار إليه، كالهواء والنار والتراب والماء وغير ذلك، هل هو مـركب من الجواهـر المنفردة التي لا تقبـل القسمة، أو من المادة والصورة، أو ليس مركباً لا من هذا ولا من هذا، على ثـلاثة أقوال قد بسط الكلام عليها في غير هذا الموضع.

فمن اعتـرف[1] أنها مـركبـة من هـذا أو هـذا؟ يلزمـه ــ إذا قـال: إن الله جسم ــ أن يكون الله مركباً من هذا أو هذا.

ولهذا قالوا: إن هذا بـاطل وأوجبـوا ــ على أصلهم ــ نفي مسمى هذا الاسم وهذا هو المشهور عند هؤلاء.

ومن اعتقد أنه ليس مركباً، لا من هذا، ولا من هذا، قال: يلزمني إذا قلت: هو جسم، أن يكون مركباً.

فمن هؤلاء من أطلق عليـه لفظ «الجسم» وأراد بـه القـائم بنفسـه أو الموجود، كمـا أطلق هؤلاء لفظ الجوهـر وقالـوا: أردنا[2] بـالجوهـر، القائم بنفسه. وكما قال هؤلاء: ليس في الوجود إلَّا جوهر أو[3] عرض.

فإن الوجود إما قائم بنفسه، وهو الجوهر، أو بغيره، وهو العرض، والجوهر أشرف القسمين.

---

(١) في هـ (اتقد) بدلاً من (اعترف).
(٢) في هـ (أراد) بدلاً من (أردنا).
(٣) في هـ (و) بسقوط (أ).

وقال الآخرون[1]: ليس في الوجود إلاّ قائم بنفسه، وهو الجسم، أو قائم بغيره، وهو العرض، والجسم[2] أشرف القسمين، وقال: فما سماه أولئك جوهراً، سماه أولئك جسماً، وكلاهما ليست تسميته لغوية ولا شرعية.

وإذا قال هؤلاء: هو جوهر لا كالجواهر، كما يقال هو شيء لا كالأشياء.

قال أولئك: هو[3] جسم لا كالأجسام، كما يقال هو شيء لا كالأشياء.

وإذا قال هؤلاء: الجوهر ينقسم إلى كثيف ولطيف، قال أولئك: والجسم ينقسم إلى لطيف وكثيف.

والمقصود هنا، أن هؤلاء[4] * الذين نزهوه عما يمتنع عليه من مماثلة المخلوقين وسموه جسماً *[5] نزاعهم مع النفاة قد يكون لفظياً، كنزاع النصارى في لفظ الجوهر، وقد يكون عقلياً، كنزاعهم في[6] المشار إليه: هل هو مركب من الجواهر المنفردة أو من المادة والصورة، أو لا من هذا ولا من هذا؟

ومن قال من القائلين بأنه جسم، فيقول: إنه مركب من الجواهر المنفردة، أو من المادة والصورة، فهؤلاء مذمومون لفظاً ومعنى عند

(١) في ك (آخرون) بسقوط (الـ).
(٢) في ك (والجوهر) بدلاً من (والجسم).
(٣) في ط (إنه هو) بزيادة (إنه).
(٤) في هـ، ك (هؤلاء المثبتة) بزيادة (المثبتة).
(٥) ما بين النجمتين ساقط من هـ، ك.
(٦) في ط (في أن) بزيادة (أن).

جماهير المسلمين وغيرهم، وإن كان النصارى وغيرهم يعجزون عن الرد على هؤلاء، إذ كانوا يعتمدون عليه في تنزيه الله عن خصائص الأجسام طرقاً ضعيفة، لا تثبت على المعيار العقلي، كما قد بسط في موضع آخر.

بخلاف من كان نزاعه لفظياً، فهذا يذم، إما لغة، وإما لغة وشرعاً، لكونه أطلق لفظاً لم يأذن به الشرع، أو استعمله في خلاف معناه اللغوي، كما قد يذم النافي لمثل ذلك لغة وشرعاً، إذا كان معناه صحيحاً.

وأما من كان من النفاة أو المثبتة، نفى حقاً أو أثبت باطلاً(١)، فهذا مذموم ذماً معنوياً شرعاً وعقلاً.

وأما الشرع فالرسل وأتباعهم الذين(٢) من أمة موسى وعيسى ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يقولوا: إن الله جسم، ولا: إنه ليس بجسم، ولا: إنه جوهر، ولا: إنه ليس بجوهر.

لكن النزاع اللغوي والعقلي والشرعي في هذه الأسماء هو مما أحدث(٣) في الملل الثلاث بعد انقراض الصدر الأول من هؤلاء وهؤلاء وهؤلاء.

والذي اتفقت عليه الرسل وأتباعهم ما جاء به القرآن والتوراة، من أن الله موصوف بصفات الكمال، وأنه ليس كمثله شيء، فلا تمثل صفاته بصفات المخلوقين، مع إثبات ما أثبته لنفسه من الصفات، ولا يدخل في صفاته ما ليس منها، ولا يخرج منها ما هو داخل فيها.

---

(١) في ط (نفياً بَاطلاً) بزيادة (نفياً).

(٢) في هـ (كالمتقدمين) بدلاً من (الذين).

(٣) في هـ (حدث) بسقوط (أ).

إذا تبين هذا، فالمسلمون لما كان اعتقادهم بأن الله ــ تعالى ــ[1] موصوف بما وصف به نفسه، وأنه ليس كمثله شيء، وكان ما أثبتوه له من الصفات مما[2] جاءت به[3] الرسل، لم يكن عليهم ملام؛ لأنهم أثبتوا ما أثبته[4] الرسل ونفوا ما نفته الرسل، فكان في هذا النفي ما ينفي الوهم الباطل.

بخلاف من أثبت أموراً لم تأت بها الرسل، وضم إليها ما يؤكد المعنى الباطل لا ما ينفيه، وكان مما[5] نفوا[6] عنه أنه ليس بجسم مركب من الجواهر المنفردة، ولا من المادة والصورة.

أما على أحد قولي النظار بل[7] أظهرهما[8]، فإن ما سواه من الموجودات القائمة بأنفسها ليس مركباً، لا من هذا ولا من هذا.

فهو ــ سبحانه ــ أحق بتنزيهه عن مثل هذا، إذ كل نقص نفي[9] عن المخلوق، فالخالق أحق بتنزيهه منه.

وأما على القول الآخر، فتارة يقولون لأن المركب من الجواهر المنفردة يمكن افتراق أجزائه، وذلك ممتنع في حق الله ــ تعالى ــ، وتارة يقولون، لأنه مفتقر إلى أجزائه، وذلك ممتنع في حق الله

---

(١) في هـ (في الرب ــ تعالى ــ أنه) بدلاً من (بأن الله ــ تعالى ــ).
(٢) في ط (التي) بدلاً من (مما).
(٣) في ط (بها) بدلاً من (به).
(٤) في ط (أثبته) بدلاً من (أثبتته).
(٥) في هـ، ك (فيما) بدلاً من (مما).
(٦) في هـ (نفوه) بدلاً من (نفوا).
(٧) (بل) ساقطة من ك.
(٨) في ط (وأظهرهما) بزيادة (و).
(٩) في ط (في) بدلاً من (نفي).

ـ تعالى ـ ، إذ جزؤه غيره، والمفتقر إلى غيره لا يكون واجباً بنفسه قديماً أزلياً، كما قد بسط الكلام على هذه الأمور في موضع آخر.

ثم منهم من لا يطلق من النفي والإثبات إلّا الألفاظ الشرعية، فكما[1] لا يقول: هو جسم وجوهر، لا يقول: ليس بجسم ولا جوهر.

ومنهم من يطلق هذه الألفاظ، وهؤلاء[2] منهم من ينفيها، ومنهم من يثبتها.

وكل من الطائفتين قد يدخل في ذلك ما يوافق الشرع، وقد يدخل في ذلك ما يخالف الشرع.

وكل من الطائفتين، يدعي النظر العقلي أو اللغوي، وربما اعتصم بعضهم بما يظنه دليلاً شرعياً.

والغالب عليهم أنهم لا يعتصمون في ذلك بشرع، إذ لم يكن في ذلك شرع، وإنما يتكلفون تغيير اللغة التي[3] بعث بها الرسول، ثم يحملون ألفاظه على ما ابتدعوه من اللغة، كما فعلته النصارى في حمل كلام الأنبياء على ما ابتدعوه من اللغة.

فإن الأنبياء لم يسموا علم الله وحياته ابناً، وروح قدس، ولا رباً فسمى[4] النصارى علمه وحياته، ابناً، وروح قدس، ورباً، ثم حملوا كلام الأنبياء على ذلك.

كذلك طائفة من أهل الكلام كان السلف يسمونهم الجهمية، أحدثوا تسمية الواحد والأحد ونحوهما لما لا يشار إليه ويميز الحس منه

---

(١) في هـ (وكما) بدلاً من (فكما).

(٢) (وهؤلاء) مشطوبة في هـ .

(٣) في هـ ، ك (الذي) بدلاً من (التي).

(٤) في ط، ك (فيسمى) بدلاً من (فسمى).

شيئاً عن شيء، وهذا خلاف اللغة، فإن أهل اللغة يسمون بالواحد والوحيد والأحد في النفي لما يشار إليه ويميز الحس منه شيئاً من شيء، قال[1] ــ تعالى ــ :

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾[2].

فسمى الإنسان وحيداً، وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ﴾[3].

فسمى المرأة واحدة،

﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَاحِدَةٌ ﴾[4].

وقال:

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[5].

فسمى المستجير ــ وهو الإنسان ــ أحداً[6].

وكذلك قوله ــ تعالى ــ :

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[7].

فنفى[8] أن يكون أحد كفواً له.

---

(١) في هـ (كقوله) بدلاً من (قال).
(٢) سورة المدثر: من الآية ١١.
(٣) سورة النساء: من الآية ١١.
(٤) سورة القمر: من الآية ٥٠.
هذه الآية ساقطة من هـ.
(٥) سورة التوبة: من الآية ٦.
(٦) في ك (أحد).
(٧) في هـ (لم يكن) بسقوط (و).
(٨) في ط (نفى) بدلاً من (فنفى).

فلو كان ما يشار إليه لا يسمى أحداً، لم يكن قد نزهه عن مماثلة المخلوقات له، فإن المشهود من المخلوقات كلها يشار إليها، فإن لم يدخل في «أحد» لم يكن قد نزه نفسه عن مماثلتها.

فهؤلاء لما أحدثوا أن مسمى الأحد والواحد لا يكون مشاراً إليه، قالوا: والرب قد سمى نفسه أحداً وواحداً، فيجب أن لا يكون مشاراً إليه.

ولغة الرسول التي خاطب بها الناس لم تكن موافقة لما ابتدعوه من اللغة.

وكذلك الذين قالوا: «هو جسم» غيروا اللغة، وجعلوا الجسم اسماً لما يشار إليه، أو لكل موجود، ولكل قائم بنفسه.

ثم قالوا: «هو موجود، أو قائم بنفسه، أو مشار إليه»، فيكون جسماً.

ولا يوجد في اللغة اسم الجسم، لا لهذا، ولا لهذا، ولا لهذا[1].

وقالوا: لا يلزم من كونه مشاراً إليه أن يكون مركباً من الجواهر المفردة، ولا من المادة والصورة.

وقال أولئك: بل يلزم أن كل مركب، يسمى في اللغة جسماً، فيلزم أن يسمى جسماً، إذا قلنا: هو مشار إليه، أو يرى بالأبصار، أو متصفاً بصفات تقوم به.

وليس ما ذكروه عن اللغة بمستقيم، فإن أهل اللغة لا يعنون بالجسم المركب، بل الجسم ـ عندهم ـ هو الجسد، ولا يسمون الهواء جسماً.

---

(١) (ولا هذا) ساقطة من هـ، ك.

إذا تبين هذا فتمثيل هؤلاء النصارى باطل، على قول كل طائفة من طوائف المسلمين.

فمنهم من يقول: الجسم ــ في اللغة ــ هو المركب، والله ليس بمركب، فليس بجسم، لا يقولون بما[1] ذكروه من أن الله له وجه يوليه إلى كل مكان، وجنب ونحو ذلك.

وكذلك من قال: إن الله ليس بمركب، وسماه جسماً، بمعنى أنه قائم بنفسه، أو لم يسمه جسماً، لا يقول بذلك أيضاً، ومن حكي عنه يثبت له خصائص الأجسام المركبة، فهؤلاء إن أطلقوا ما نفاه فلا حجة للنصارى عليهم، وإن لم يطلقوه فحجتهم أبعد.

فقد تبين أنه ليس لهم حجة على أفسد الناس قولاً في التجسيم، فضلاً عن غيرهم.

الوجه السادس: أن يقال لهؤلاء النصارى: إما أن تعنوا بلفظ الجسم المعنى اللغوي، وهو الجسد، وإما أن تعنوا به المعنى الاصطلاحي عند أهل الكلام كالمشار إليه مثلاً.

فإن عنيتم الأول، لم يلزم من نفي ذلك نفي ما ذكرتموه من الصفات لا سيما وأنتم تقولون: إنه جوهر، وقسمتم الجوهر إلى لطيف وكثيف.

فإذا كان الكثيف هو الجسم، واللطيف جوهر ليس بجسم، لم يمتنع على مثل هذا أن يكون له ما يناسبه من الصفات، كالملائكة،

---

(١) في هـ، ك (ما) بسقوط (ب).

فإن الملائكة لا يمتنع وصفها بذلك، وإن لم تكن أجساماً على هذا الاصطلاح، بل هي جواهر روحانية، وكذلك روح الإنسان التي تخرج منه، لا يمتنع وصفها بما يناسبها من ذلك، وإن كانت ليست بجسم على هذا التقدير.

فتبين أن نفي مسمى الجسم اللغوي عن الشيء لا يمتنع إتصافه بما ذكر من الصفات وأمثالها.

وإن عنيتم بالجسم، القائم بنفسه أو المشار إليه، لم يمتنع ـ عندكم ـ أن يكون جسماً، فإنكم سميتموه جوهراً، وعنيتم القائم بنفسه.

فإن قام الدليل على أن كل قائم بنفسه يشار[1] إليه كان[2] ـ أيضاً ـ مشاراً إليه.

وإن قام دليل على أنه قائم بنفسه لا يشار إليه، كان جوهراً وجسماً عند من يفسر الجسم بالقائم بنفسه، ومن فسره بالمشار إليه لم يسم عنده جسماً، فتبين أنه على ـ أصلكم ـ لا يمتنع أن يسمى جسماً مع تسميتكم له جوهراً إلَّا إذا ثبت[3] أن من الموجودات ما هو جوهر قائم بنفسه لا يشار إليه، وهذا لم يقيموا عليه دليلًا، وليس هذا قول أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى، وإنما هو قول طائفة من الفلاسفة، وقليل من أهل الملل وافقوهم.

ثم يقال لكم: أنتم قلتم: إنه حي ناطق، وله حياة ونطق، بل زدتم على ذلك حتى جعلتموه أقانيم ثلاثة.

---

(١) في ط (مشار) بدلاً من (يشار).
(٢) في ط (وكان) بسقوط (و).
(٣) في ط (أثبت) بزيادة (أ).

ومعلوم أن الحياة والنطق لا تعقل إلَّا صفة قائمة بموصوف، ولا يعلم موصوف بالحياة والنطق إلَّا ما هو مشار إليه بل ما هو جسم كالإنسان.

فإن جاز لكم أن تثبتوا هذه الأعراض في غير جسم، جاز لغيركم أن يثبت المجيء واليد ونحو ذلك لغير الجسم.

وإن قلتم: هذا لا يعقل إلَّا لجسم، قيل لكم: وذلك لا يعقل إلَّا لجسم، فإن رجعتم إلى الشاهد، كان حجة عليكم، وإن جاز لكم أن تثبتوا في الغائب حكماً على خلاف الشاهد، جاز لغيركم، وحينئذ فلا تناقض بين ما نفاه المسلمون وأثبتموه، لو كان ما ذكرتموه عنهم من النفي والإثبات حقاً على وجهه، فكيف وقد وقع التحريف في الطرفين؟

الوجه السابع: أن يقال: غاية مقصودكم أن تقولوا: إن المسلمين لما أطلقوا ألفاظاً ظاهرها كفر عندهم، لمجيء النص بها، وهم لا يعتقدون ظاهر مدلولها، كذلك نحن أطلقنا هذه الألفاظ التي ظاهرها كفر، لمجيء النص بها، ونحن لا نعتقد مدلولها.

فيقال لكم: أولاً: إن ما أطلقه المسلمون من نصوص الصفات أطلقتموه أنتم، كما وردت به التوراة، فهذا مشترك بينكم وبينهم، وما اختصصتم به من التثليث، والاتحاد لم يشركوكم فيه.

ثم يقال ثانياً[1]: إن المسلمين أطلقوا ألفاظ النصوص، وأنتم أطلقتم ألفاظاً لم يرد بها نص.

---

(١) في هـ (وثانياً) بزيادة (و).
في ك (فثانياً) بزيادة (ف).

والمسلمون قرنوا تلك الألفاظ بما جاءت[1] به النصوص من نفي التمثيل.

وأنتم لم تقرنوا بألفاظكم ما ينفي ما أثبتموه من التثليث والاتحاد.

والمسلمون لم يعتقدوا معنى باطلاً.

وأنتم اعتقدتم من التثليث في الأقانيم، والاتحاد ما هو معنى باطل.

والمسلمون لم يسموا صفات الله بأسماء أحدثوا تسمية الصفات بها، وحملوا كلام الرسل عليها.

وأنتم أحدثتم لصفات الله أسماء، سميتموه أنتم بها، لم تسمه الرسل، وحملتم كلام الرسل عليها.

والمسلمون لم يعدلوا عن النصوص الكثيرة المحكمة البينة الواضحة إلى ألفاظ قليلة متشابهة.

وأنتم عدلتم عن هذا إلى هذا.

والمسلون لم يضعوا لهم شريعة اعتقاد غير ما جاءت به الرسل.

وأنتم وضعتم شريعة اعتقاد غير ما جاءت به الرسل.

والمسلمون لم يقولوا قولاً لا يعقل.

وأنتم قلتم قولاً لا يعقل.

والمسلمون لم يتناقضوا[2]، فيجعلوا الإله واحداً، ويجعلونه[3]

---

(1) في هـ ، ك (جاء) بسقوط (ت).
(2) في ك (تناقضوا) بدلاً من (يتناقضوا).
(3) في ط، ك (وتجعلونه) بدلاً من (ويجعلونه).

اثنين، بل ثلاثة، وأنتم تناقضتم

فهذه الفروق وغيرها مما يبين فساد تشبيهكم(١) أنفسكم بالمسلمين.

الوجه الثامن: قولكم: وكذلك ـ نحن ـ النصارى العلة في قولنا: إن الله ثلاثة أقانيم، أب وابن وروح قدس، أن الإنجيل نطق به.

فيقال لكم: هذا باطل، فإنه لم ينطق لا الإنجيل ولا شيء من النبوات بأن الله ثلاثة أقانيم، ولا خص أحد من الأنبياء الرب بثلاث صفات دون غيرها، ولا قال المسيح ولا غيره: إن الله هو الأب والابن وروح القدس، ولا إن له أقنوماً هو الابن، وأقنوماً هو روح القدس، ولا قال: إن الابن كلمته أو علمه أو حكمته أو نطقه، وإن روح القدس حياته، ولا سمى شيئاً من صفاته ابناً ولا ولداً، ولا قال عن شيء من صفات الرب: إنه مولود، ولا(٢) جعل القديم الأزلي مولودا، ولا قال لا عن قديم، ولا مخلوق إنه إله حق من إله حق، ولا قال عن صفات الله: إنها آلهة، وإن الكلمة إله، والروح إله، ولا قال: إن الله اتحد لا بذاته ولا بصفاته بشيء من البشر، بل هذا كله مما ابتدعتموه، وخرجتم به عن الشرع والعقل: فخالفتم الكتب المنزلة والعقول الصريحة، وكنتم ممن قيل فيهم:

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(٣).

---

(١) في ط (تشبهكم) بدلاً من (تشبيهكم).

(٢) في ط (ولا أنه) بزيادة (أنه).

(٣) سورة الملك: من الآية ١٠.

فإنكم أنتم الذين سميتم نطق الله ابناً، وقلتم: سميناه ابناً، لأنه تولد منه كما يتولد الكلام من العقل، فكان ينبغي ـ أيضاً ـ أن تسموا حياته ابناً، لأنها منبثقة منه، ومتولدة عنه أيضاً، إذ لا فرق بين علم الرب وحياته.

فعلمه لازم له، وحياته لازمة له، فلماذا جعلتم هذا ابناً دون هذا.

وقلتم: إنه مولود من الله، وإنه قديم أزلي وأنتم تعترفون بأن أحداً من الأنبياء لم يسم علم الله ولا كلامه، ولا حكمته مولوداً منه؟

والذي يعقله الخلق في المولود الذي يولد من غيره، كما يتولد العلم والكلام من نفس الإنسان أنه حادث فيه[1] أو منفصل عنه[2]، لا يعقل أنه قائم به، وأنه متولد منه[3] قديم أزلي.

ثم قلتم في أمانتكم: إنه تجسم من روح القدس، أو منه ومن مريم.

وهو إنما تجسم ـ عندكم ـ من الكلمة التي سميتموها، الابن دون روح القدس.

وإن كان تجسم من روح القدس، فيكون هو روح القدس، لا يكون هو الكلمة التي هي الابن.

ثم تقولون: «هو كلمة الله وروحه» فيكون حينئذ[4] أقنومين، أقنوم الكلمة، وأقنوم الروح، وإنما هو ـ عندكم ـ أقنوم واحد[5].

---

(١) في هـ (منه) بدلاً من (فيه).

(٢) في هـ (منه) بدلاً من (عنه).

(٣) (متولد منه) ساقطة من هـ، ك.

(٤) في هـ، ك (جسد) بدلاً من (حينئذ).

(٥) في هـ، ك (أقنوم واحد عندكم) بدلاً من (عندكم ـ أقنوم واحد).

فهذا تناقض وحيرة، تجعلونه الابن الـذي هو الكلمـة، وهو أقنـوم الكلمة فقط.

وتقـولـون: تجسم من روح القـدس ولا تقـولـون: إنـه تجسم من الكلمة.

وتقولون: هو كلمة الله وروحه، والكلمة والروح أقنومان.

ولا تقولون: إنه أقنومان، بل أقنوم واحد.

وتقولون: إنه خالق العالم، والخالق هو الأب، وتقولون: ليس هو الأب.

وتقولون: إله حق من إله حق، وتقولون: إله واحد[١] ساوى الأب في الجوهر.

وتقولون: ليس له مثل، وليس شيء[٢] من هذا في كلام أحـد من الأنبياء، فكيف تشبهون أنفسكم بمن اتبع نصوص الأنبياء ولم يحرفها؟

وغاية ما عندكم ما وجد في إنجيل «متى» دون سائر الأناجيل، من أن المسيح ــ عليه السلام ــ قال: «عمدوا الناس بـاسم الأب، والابن، والروح[٣] القدس[٤]».

وأنتم قـد عـرفتم في كـلام المسيح وغيـره من الأنبيـاء، أنهم لا يريدون بالابن صفة الله، لا كلامه، ولا علمه، ولا حكمته.

ولا يريدون بالابن[٥]، إله حق من إله حق، ولا مولود قديم أزلي،

---

(١) (إله واحد) ساقطة من هـ.

(٢) (شيء) ساقطة من ك.

(٣) في هـ، ك (وروح) بسقوط (ال).

(٤) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ١٣٣.

(٥) في هـ، ك (أن الابن) بدلاً من (بالابن).

بل يريدون به وليه، وهو ناسوت لا لاهوت، كيعقوب والحواريين.

ولا يريدون بروح القدس نفس حياة الله. ولا يريدون به أنه رب حي، وإنما يريدون بها الملك، أو ما ينزله الله على قلوب أنبيائه وأصفيائه، من الهدى والتأييد ونحو ذلك.

فروح القدس يكون ـ عندكم وعند المسلمين ـ في الأنبياء وغيرهم، كما كانت في داود وغيره، وكانت في الحواريين.

فلو قدر أن لفظ الابن وجد في كلام المسيح مستعملاً تارة في كلمة الله، وتارة في وليه الناسوت، وروح القدس مستعملاً تارة في حياته، وتارة فيما ينزله[1] على قلوب أنبيائه، كان جزمكم بأنه أراد بذلك هنا صفات الله، جزماً باطلاً.

فما وصف به المسيح من أنه[2] ابن الله، ومن أن روح القدس فيه، قد وصف به غيره من الأنبياء والصالحين.

فإن كان الابن، وروح القدس صفتين لله، وجب أن يكون غير المسيح لاهوتاً وناسوتاً، كالمسيح، إذ الذي حل في المسيح حل في غيره.

ثم جزمكم[3] بأن هذه الصفات، أقانيم، وأنه ليس لله صفات ذاتية أو جوهرية أو نحو ذلك إلا هذه الثلاثة، ثم تفرقتم في الثلاثة، هل المراد بالأقانيم الوجود والعلم والحياة، أو الحكمة و[4] الكلام، أو النطق

---

(١) في هـ (نزله) بسقوط (يـ).
(٢) في هـ (بأنه) بدلاً من (من أنه).
(٣) في هـ (ثم كان) بزيادة (كان).
(٤) في هـ، ك (أو) بزيادة (أ).

بدل لفظ العلم، أو المراد الوجود[1] والعلم والقدرة، بدل الحياة، أو المراد الوجود[2] والحياة والقدرة، أو المراد الوجود[3] مع الحياة والعلم والقدرة؟ إلى أقوال أخرى يطول أمرها.

فيا ليت شعري، ما الذي أراد المسيح بلفظ الأب والابن وروح القدس من هذه الأمور التي اختلفتم فيها، لو كان مراده ما ادعيتموه من الأقانيم؟

والأقانيم ـ لفظاً ومعنى ـ لا يوجد في كلام أحد من الأنبياء، بل قيل فيها: إنها لفظة رومية، يفسرونها تارة بالأصل، وتارة بالشخص، وتارة بالذات مع الصفة، ويفسرونها تارة بالخاصة، وتارة بالصفة.

فهلا تركتم كلام المسيح على حاله، ولم تحرفوه هذه التحريفات؟

ولقد أحسن بعض الفضلاء إذ قال: لو سألت نصرانياً وابنه وابن ابنه[4] عما يعتقدونه، لأخبرك كل واحد بعقيدة تخالف عقيدة الآخر، إذ كان أصل اعتقادهم جهلاً وضلالاً، ليس معهم علم، لا[5] نقل ولا عقل، فهم كما قال الله ـ تعالى ـ:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾[6].

وليس معهم بما اعتقدوه من التثليث والاتحاد علم، بوجه من الوجوه فضلاً عما هو أخص من ذلك، وهو علم يهتدون به، فليسوا

(١) في هـ، ك (الموجود) بدلاً من (الوجود).
(٢) نفس الملحوظة.
(٣) نفس الملحوظة.
(٤) في هـ (وامرأته من النصارى) بدلاً من (وابن ابنه).
(٥) في هـ (ولا) بزيادة (و).
(٦) سورة لقمان: من الآية ٢٠.

بمهتدين فضلاً عما هو أخص من الهدى وهو «كتاب منير» فليس معهم به كتاب منير.

ولو تكلمتم بهذا الكلام، وقلتم: لا نفهم معناه، أو ظاهره باطل، وله تأويل مقبول، كما حكيتموه عمن تشبهتم به من المسلمين من أنه يقوله في الصفات، لكان هذا أقرب إلى القياس.

فكيف والأمر بعكس ما ذكرتم؟

وذلك يتبين **بالوجه التاسع**: وهو أنكم إنما ضللتم بعدولكم عن صريح كلام الأنبياء وظاهره، إلى ما تأولتموه عليه من التأويلات التي لا يدل عليها لفظه، لا نصاً ولا ظاهراً، فعدلتم عن المحكم واتبعتم المتشابه، ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله.

فلو تمسكتم بظاهر هذا الكلام، لم تضلوا، فإن الابن ظاهره في كلام الأنبياء، لا يراد به شيء من صفات الله، بل يراد به وليه، وحبيبه ونحو ذلك، وروح القدس لا يراد به صفته، بل يراد به وحيه وملكه ونحو ذلك، فعدلتم عن ظاهر اللفظ ومفهومه إلى معنى لا يدل عليه اللفظ البتة، فكيف تدعون أنكم اتبعتم نصوص الأنبياء؟

الوجه العاشر: إنكم بالغتم في ذم المسيح وإنجيله، كما بالغتم في سب الله وشتمه، وإن كنتم لا تعلمون أن ذلك ذم، فلم ترضوا أن تجعلوا ظاهر كلام المسيح ما أنتم عليه من الكفر، حتى جعلتم ظاهره كفراً لا ترضونه، مثل ثلاثة آلهة، متفقة أو متفرقة، أو ثلاثة أجسام مؤلفة، أو ثلاثة أجزاء مفرقة، أو ثلاثة أشخاص مركبة.

فهذا ونحوه هو الذي ادعيتم أنه ظاهر كلام المسيح ـ عليه السلام ـ.

وأنتم لا تقولون بهذا الظاهر، بل تكفرون قائله، كما يكفر المسلمون من يقول بالظاهر الذي هو التجسيم والتمثيل.

وهذا ما يتضمن أن كلام المسيح ظاهر في إثبات ثلاثة آلهة، وثلاثة أشخاص مؤلفة، وثلاثة أجزاء متفرقة، وثلاثة أشخاص مركبة.

كما زعمتم أن ظاهر القرآن التجسيم، وأنكم عدلتم عن هذا الظاهر إلى إثبات الأقانيم الثلاثة التي جعلتم فيها كلمة الله، هي ابنه، وهو جوهر خالق يساويه في الجوهر، وأن المسيح هو هذا الابن المساوي للأب في الجوهر خالق العالمين، وديان يوم الدين، والجالس فوق العرش عن يمين الرب، وأنه إلّه حق من إلّه حق، والروح أيضاً إلّه ثالث، والآلهة الثلاثة إلّه واحد.

وهذا الذي ذكرتموه فيه من عيب المسيح وذمه، ما ينتصر الله به للمسيح، وممن افترى عليه منكم ومن غيركم.

فإن المسيح ــ عليه السلام ــ على قولكم: لم يفصح لكم بأمانة تعتقدونها ولا بتوحيد تعرفون به ربكم، ــ عز وجل ــ، بل تكلم بما ظاهره إثبات ثلاثة آلهة، وثلاثة أجسام مركبة، وثلاثة أجزاء متفرقة[1]، وأنكم أنتم أصلحتم ذلك، حتى جعلتموه ثلاثة أقانيم، ووضعتم[2] تلك الأمانة المخالفة لعقول ذوي العقول، ولكل كتاب جاء به رسول، مع أن المسيح لم ينطق بتثليث قط، ولا باتحاد، ولا بما يدل على ذلك.

وعمدتم على ما نقله «متى» عنه دون الثلاثة أنه قال: عمدوا الناس باسم الأب، والابن، وروح القدس.

---

(١) في ك، هـ (مفترقة) بدلاً من (متفرقة).

(٢) في ك، ط (ووضع) بدلاً من (ووضعتم).

وهذا الكلام ظاهر، بل نصه صريح في خلاف قولكم، وأنه أراد بالابن نفسه وهو الناسوت، ولم يرد به صفة الله، وأراد بروح القدس ما أيده الله به، أو روح القدس الذي نفخ في أمه حتى حبلت به، لم يرد به صفة الله ــ تعالى ــ.

فتأولتم كلامه على خلاف ظاهره، تأويلاً يخالف صريح المعقول، وصحيح المنقول، فكيف تدعون أنكم تمسكتم بظاهر كلامه؟

ولما كان قول النصارى في التثليث متناقضاً في نفسه لا حقيقة له، صار مجرد تصوره التام كافياً في العلم بفساده من غير احتياج إلى دليل، وإن كانت الأدلة تظهر بفساده.

ولهذا سلك طائفة من[1] العلماء في الكلام معهم هذا المسلك، وهو أن مجرد تصور مذهبهم كاف في العلم بفساده، فإنه غير معقول.

وقالوا: إن النصارى تناقضت في اللفظ، وأحالت في المعنى، فلا يجوز أن يعتقد ما يدعونه لانتحاله[2] لتناقضه.

وذلك أنهم يزعمون أن الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة، وهذا لا يصح اعتقاده، لأنه لا يجوز أن يعتقد المعتقد في الشيء أنه ثلاثة مع اعتقاده فيه أنه واحد، لأن ذلك متضاد.

وإذا كان ذلك كذلك، فليس يخلو من أن يعتقد أنه ثلاثة، أو أنه واحد.

وليس يحتاج أن يعرف بدليل بطلان قول من ادعى أن الواحد ثلاثة، وأن الثلاثة واحد، لأن ذلك لا يعقل.

---

(١) في ط (من طائفة) تقديم وتأخير.

(٢) في هـ (استحالة) بدلاً من (انتحاله).

وهو كمن ادعى في الشيء أنه موجود معدوم، أو قديم محدث، أو في الجسم أنه قائم قاعد، متحرك ساكن.

وإذا كان كذلك فتناقضه أظهر من أن يحتاج فيه إلى دلالة.

وإذا قال النصارى: إنه أحدي الذات ثلاثي الصفات.

قيل: لو اقتصرتم على قولكم: إنه واحد له صفات متعددة، لم ينكر ذلك عليكم جمهور المسلمين، بل ينكرون تخصيص الصفات بثلاث، فإن هذا باطل من وجوه متعددة:

منها: أن الأب عندكم هو الجوهر ليس هو صفة، فلا يكون له صفة إلَّا الحياة والعلم، فيكون جوهراً واحداً له أقنومان، وأنتم جعلتم ثلاثة أقانيم.

ومنها: أن صفات الرب لا تنحصر في العلم والحياة، بل هو موصوف بالقدرة وغيرها.

ومنها: أنكم تارةً تفسرون روح القدس بالحياة، وتارةً بالقدرة، وتارةً بالوجود.

وتفسرون الكلمة، تارةً بالعلم، وتارةً بالحكمة، وتارةً بالكلام.

فبطلان قولكم في إثبات ثلاث صفات كثير، وأنتم ـ مع هذا ـ تجعلون كل واحدة منها إلٰهاً.

فتجعلون الحياة إلٓهاً، والعلم إلٓهاً، وهذا باطل.

وأما من لم يثبت الصفات من المسلمين وغيرهم، فيردون عليكم من وجوه أخرى كقول بعضهم: إذا قيل[1]: ألستم تقولون: إن الأبعاض

---

(١) في هـ، ك (قالوا فإن قيل) بدلاً من (كقول بعضهم إذا قيل).

الكثيـرة تكون إنسـاناً واحـداً، والآحاد الكثيـرة عشرة واحـدة، والأجسام الكثيرة داراً واحدة ومدينة واحـدة وما جـرى هذا المجـرى، مما هـو أكثر من أن يحصى، وأظهر من أن يخفى.

فكيف عبتم ذلك من النصارى؟ ولم أنكرتم أن يكون ثلاثة أقـانيم جوهراً واحداً؟

قيل: إن قولنا إنسان واحد، ودار واحدة، وعشرة واحدة وما يجري هذا المجرى، أسماء تنبـىء عن الجمل لا عن آحاد.

وإذا قلنا: إنسان واحد، فكأنّا قلنا جملة واحدة، وكذلك إذا قلنا: عشرة واحدة، لا أنّا نثبته واحداً في الحقيقة.

كيف ونحن نقول: إن أبعاض الإنسـان متغايـرة، فكل بعض منهـا غير سائرها، وكذلك كل واحد من العشرة غير سائرها؟

فنحن وإن قلنـا: إنسان واحـد، فلسنا نثبتـه شيئاً واحـداً في نفسه ولـو أثبتنا[1] ذلـك لتناقضنـا مناقضـة النصـارى. وإنمـا قلنـا: هي جملة واحدة، ولو قالت النصارى مثل ذلك لم تتناقض[2]، حتى يزعموا[3] أنها ثلاثة أشياء جملة واحدة.

فيكـون مرادهم في ذلـك بوصفهم الأقـانيم الثلاثـة، بأنهـا جوهـر واحد مما نريد بقولنا: الأبعاض الكثيرة أنه إنسان واحد.

فيكون وصفهم لها بأنها جوهر، إنما ينبـىء أنها جملة، وليس هذا ممـا يذهبـون إليه، ولا يعتقـدونه ولا يجعلون لـه معنى، لأنهم لا يعطون

(١) في هـ، ك (ثبتنا) بسقوط (أ).
(٢) في هـ، ك (تناقض) بسقوط (ت).
(٣) في ط، ك (تزعموا) بدلاً من (يزعموا).

حقيقة التثليث، فيثبتون الأقانيم الثلاثة متغايرة، ولا حقيقة التوحيد، فيثبتون القديم واحداً ليس باثنين ولا أكثر من ذلك.

وإذا كان ذلك[1] كذلك، فما قالوه، هو شيء لا يعقل ولا يصلح اعتقاده ويمكن أن يعارضوا على قولهم بكل حال.

فيقال لهم: إذا جاز عندكم أن تكون ثلاثة أقانيم جوهراً واحداً، فلم لا يجوز أن تكون ثلاثة آلهة جوهراً واحداً وثلاثة فاعلين جوهراً واحداً وثلاثة أغيار جوهراً واحداً، وثلاثة أشياء جوهراً واحداً، وثلاثة قادرين جوهراً واحداً، وكل ثلاثة أشياء جوهراً واحداً، وكل ما يجري هذا المجرى من المعارضة، فلا يجدون فصلاً.

الوجه الحادي عشر: أن غلاة المجسمة الذين يكفرهم المسلمون أحسن حالاً منكم، شرعاً وعقلاً، وهم أقل مخالفة للشرع والعقل منكم.

فإذا[2] كان هؤلاء خيراً منكم، فكيف تشبهون أنفسكم بمن هو خير من هؤلاء من أهل السنَّة من المسلمين الذين لا يقولون، لا بتمثيل ولا بتعطيل؟

وبيان ذلك أن التوراة والإنجيل وسائر كتب الله، وغير ذلك مما هو مأثور عن الأنبياء، فيه نصوص كثيرة صريحة ظاهرة واضحة في وحدانية الله، وأنه لا إله غيره، وهو مسمى فيها بالأسماء الحسنى، موصوف بالصفات العلى[3]، وأن كل ما[4] سواه مخلوق له، ليس فيه

---

(١) (ذلك) ساقطة من هـ، ك.

(٢) في هـ (وإذا) بدلاً من (فإذا).

(٣) في ط (العليا) بدلاً من (العلى).

(٤) في هـ، ك (كلما) بدلاً من (كل ما).

تثليث ولا اتحاد الخالق بشيء من المخلوقات، لا المسيح ولا غيره.

وفيها ألفاظ قليلة مشكلة متشابهة، وهي ـ مع ذلك ـ لا تدل على ما ذكرتموه من التثليث والاتحاد، لا نصاً ولا ظاهراً، ولكن بعضها يحتمل بعض ما قلتم، وليس فيها شيء يحتمل جميع ما قلتم، فضلاً عن أن يكون ظاهراً فيه أو نصاً بل بعضها يحتمل بعض قولكم.

فأخذتم[١] ذلك المحتمل، وضممتم إليه من الكفر الصريح، والتناقض القبيح ما صيرتموه أمانة لكم (أي عقيدة إيمان لكم).

ولو كانت كلها تحتمل جميع ما قلتم، لم يجز العدول عن النص والظاهر[٢] إلى المحتمل. ولو كان بعضها ظاهراً فيما قلتم، لم يجز العدول عن النصوص الصريحة إلى الظاهر المحتمل.

ولو قدر أن فيها نصوصاً صريحة قد عارضتها نصوص أخرى صريحة، لكان الواجب أن ينظروا بنور الله الذي أيد به عباده المؤمنين، فيتبعون أحسن ما أنزل الله، وهو المعنى الذي يوافق صريح المعقول[٣] وسائر كتب الله، وذلك النص الآخر إن فهموا تفسيره، وإلاَّ فوضوا معناه إلى الله ـ تعالى ـ[٤]، إن كان ثابتاً عن الأنبياء.

وهؤلاء عدلوا عما[٥] يعلم بصريح المعقول وعما[٦] يعلم بنصوص

---

(١) في هـ (وأخذتم) بدلاً من (فأخذتم).
(٢) في هـ (الظاهر) بسقوط (و).
(٣) في هـ (العقول) بدلاً من (المعقول).
(٤) (ـ تعالى ـ) ساقطة من ط، ك.
(٥) في هـ (عن ما) بدلاً من (عما).
(٦) (وعما) ساقطة من ك.

الأنبياء الكثيرة، إلى ما يحتمله[1] بعض الألفاظ، لموافقته[2] لهواهم فلم يتبعوا:

﴿ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾[3].

وأما كفار المجسمة، فهؤلاء أعذر وأقل كفراً من النصارى، فإن هؤلاء يقولون كما يقوله معهم النفاة: إن ظواهر جميع الكتب هو التجسيم.

ففي التوراة، والقرآن من الآيات التي ظاهرها التجسيم، ما لا يحصى.

وليس فيها نص بما يقوله النفاة، من أن الله ليس بداخل العالم، ولا خارجه، ولا متصل به ولا منفصل عنه، ولا هو فوق العرش، ولا يشار إليه، ولا يصعد إليه شيء، ولا ينزل منه شيء، ولا يقرب منه[4] شيء، ولا يدنو من شيء، ولا يدنو إليه شيء، إلى نحو ذلك من النفي الذي يقوله نفاة الصفات.

فمعلوم أنه ليس في الكتب الإلهية ـ لا التوراة، ولا الإنجيل، ولا الزبور، ولا القرآن ـ ولا غير ذلك من النبوات، من هذا حرف واحد، وكلها مملوءة مما يقول هؤلاء: إنه تجسيم.

فيقول هؤلاء: نحن اتبعنا نصوص الأنبياء، ولم نعدل عنها إلى غيرها، ولم نجد في نصوصهم نصاً محكماً صريحاً بالنفي، الذي يقوله نفاة الصفاة.

---

(١) في هـ (ما يحتمل) بدلاً من (ما يحتمله).

(٢) في هـ (بموافقته) بدلاً من (لموافقته).

(٣) سورة النجم: من الآية ٢٣.

(٤) في هـ، ك (إليه) بدلاً من (منه).

ووجدنا نصوصهم كلها بالإثبات الذي يقولون: إنه تجسيم.

فكان على قولنا وقولهم نصوص الأنبياء ظاهرة في التجسيم وليس لهم نص يناقض ذلك، فاتبعنا نصوصهم، وكل من عارض إثبات الصفات، لم يعارضها بنصوص صريحة عن الأنبياء، لكن بحجج عقلية.

فيقول هؤلاء: إن النصارى خالفوا صريح المعقول، وصريح كلام الأنبياء، واتبعوا قليلاً من متشابه كلامهم. ونحن اتبعنا نصوص الأنبياء، ولم نخالف شيئاً من صريح نصوصهم، ولكن مخالفنا يقول: إنّا خالفنا العقل.

ونحن ننازعه في ذلك، وندعي أن العقل معنا لا علينا، وأن ما يدعيه من المعقولات التي تعارض كلام الأنبياء، فهي باطلة.

أو يقولون: نحن والنصارى متفقون، على أنّا لا نعارض كلام الأنبياء بالشبه العقلية، لكن نحن اتبعنا كلامهم المحكم الظاهر الكثير، الذين لا مخالف له من كلامهم.

وهم خالفوا كلامهم الكثير المحكم، واتبعوا قليلاً من المتشابه.

ويقول الغلاة من هؤلاء الذين يكفرهم أئمة المسلمين وجمهورهم الذي يحكي عنهم: أن الله ينزل إلى الأرض عشية عرفة، فيعانق المشاة ويصافح الركبان، وأنه يتمشى[1] في الأرض، يكون موطىء أقدامه مروجاً، ونحو ذلك.

ليس هذا القول بأعجب من قول النصارى: الذين يقولون: إنه هو المسيح، وأن اللاهوت والناسوت اتحدا.

---

(١) في هـ (يمشي) بدلاً من (يتمشى).

فنحن نقول أيضاً: إنه حل في بعض الأجساد المخلوقة كما يقوله النصارى.

أو نقول: إنه تجسد كما تتجسد الملائكة والجن، وهذا أقرب[(١)] من قول النصارى: إنه اتحد بجسم المسيح.

فإنّا قد عهدنا اللطائف من الملائكة تتصور[(٢)] في صورة[(٣)] بشرية، ولم نعهد ملكاً صار هو والبشر شيئاً واحداً.

فإذا لم يجز أن يتحد الملك بالبشر، فكيف يجوز أن يتحد رب الخلائق كلهم بالبشر؟

قالوا: وقد يحل الجني في بدن الإنسي، ويتكلم على لسانه، إلاَّ أنهما جوهران ومشيئتان وطبيعتان، ليس بينهما اتحاد، لكنه دخل فيه وتكلم على لسانه.

والنصارى يقولون: إن رب العالمين اتحد بالبشر، فمنهم من يقول جوهر واحد، ومنهم من يقول: شخص واحد، وأقنوم[(٤)] واحد، ومنهم من يقول مشيئة واحدة، فلا بد لكل منهم من نوع اتحاد[(٥)]، وهذا أبعد من حلول الجني في الإنسي، فإذا كان ما يقولونه ممتنعاً[(٦)] في[(٧)] الجن والملائكة فكيف برب العالمين.

---

(١) في هـ (أقوى) بدلاً من (أقرب).

(٢) في هـ (تظهر) بدلاً من (تتصور).

(٣) في هـ (صور) بسقوط (ة).

(٤) في ك (قنوم) بسقوط (أ).

(٥) في ط (واتحاد).

(٦) في هـ ، ك (يمتنع) بدلاً من (ممتنعاً).

(٧) في هـ (عن) بدلاً من (في).

ومن غلاة المجسمة، اليهود، من يحكي عنه أنه قال: «إن الله بكى على الطوفان حتى رمد، وعادته الملائكة، وأنه ندم حتى عض يده وجرى منه الدم»، وهذا كفر واضح صريح، ولكن يقولون: قولنا خير من قول النصارى، فإن النصارى يقولون: (إنه أخذ وضرب بالسياط وبصق في وجهه، ووضع الشوك على رأسه كالتاج، وصلب بين لصين»)[1]، وفعل به من أقبح ما يفعل باللصوص، قطاع الطريق.

وقد صرح كثير منهم بأن هذا فعل باللاهوت والناسوت جميعاً.

وشريعة إيمانهم تدل على ذلك، وهو لازم لمن أنكر ذلك منهم، فإنه مع القول بالاتحاد الذي لا بد لطوائفهم الثلاثة منه، يمتنع أن تحل هذه العقوبات في هذا دون ذاك، فلا يمكن أن يحل في الناسوت دون اللاهوت، فإن هذا إنما يتصور إذا كان اثنين، ومن قال بالاتحاد، امتنع عنده أن يكون هناك اثنان.

وفي الجملة، فالنصارى المثلثة، إما أن يصرحوا بالاتحاد من كل وجه، كاليعقوبية *[2] وهؤلاء يصرحون بأن الآلام حلت باللاهوت.

وإما أن يقولوا[3] بالاتحاد من وجه، كقول الملكية: إنهما شخص

---

(١) في إنجيل (متى) الإصحاح السابع والعشرون (٢٨ ـ فعرفوه وألبسوه رداء قرمزياً. ٢٩ ـ وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة في يمينه وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين السلام يا ملك اليهود وبصقوا عليه وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه. . .) ولما صلبوه (اقتسموا ثيابه مقترعين عليها لكي يتم ما قيل بالنبأ اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي ألقوا قرعة ثم جلسوا يحرسونه هناك. ٢٧ ـ وجعلوا فوق رأسه علية مكتوبة هذا هو يسوع ملك اليهود. ٢٨ ـ وحينئذ صلب معه لصان واحد عن يمين وواحد عن اليسار).
انظر: العهد الجديد ص ٥٣.

(٢) ما قبل النجمة بحوالي أحد عشر سطراً مكرر في ك.

(٣) في هـ (يقولون) بدلاً من (يقولوا).

واحد، وقول النسطورية: هما مشيئة واحدة.

وحينئذ فما قالوه من التعدد[1] الذي يوجب المباينة، وأنه لا يتصف أحدهما[2] بما يتصف به الآخر، ولا يحل به ما حل به، فيكون متناقضاً لهذا.

فأحسن أحوالهم أن يتناقضوا في الاتحاد، كما تناقضوا في التثليث وهذا حقيقة قول خيار هؤلاء يتكلمون بالكفر وبما[3] يناقضه، وبالتوحيد وبما[3] يناقضه.

ومعلوم أن ما يفعله بنفسه من ندم وبكاء وحزن، هو دون ما يفعله أعداؤه به، من ضرب، وصفع، وجعل الشوك على رأسه، وصلبه بين لصين، وأن استغاثته بمن يخلصه من ذلك أشد نقصاً من ندمه وحزنه.

وإن قالوا: فعل هذا حتى يعلم عباده التشبه به. أمكن أولئك المجسمة الكفرة[4] أن يقولوا: بكى وندم، وعض يده ندماً حتى جرى الدم، حتى يعلم عباده التوبة من الذنوب.

ففي الجملة، ما قال قوم من أهل الملل قولاً في الله، إلا وقول النصارى أقبح منه.

ولهذا كان معاذ بن جبل[5] رضي الله عنه يقول: لا ترحموهم فلقد سبوا الله مسبة، ما سبه إياها أحد من البشر[6]، ولهذا يعظم الله فريتهم

---

(١) في ط (التعدد والموت) بزيادة (الموت).

(٢) (أحدهما) ساقطة من هـ، ك.

(٣) في هـ، ك (وما) بدلاً من (بما).

(٤) (الكفرة) ساقطة من ط.

(٥) معاذ بن جبل: سبقت الإشارة إليه ٣/ ١٠٠.

(٦) سبقت الإشارة إلى هذا الأثر: ٣/ ١٠٠.

على الله في القرآن، أشد من تعظيم افتراء غيرهم كقوله:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾[1].

وفي الصحيحين، عن أبي هريرة[2] ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: * «يقول الله ـ عز وجل ـ: كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني ابن آدم، ولم يكن له ذلك[3]، فأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد *[4] ولم يكن لي كفواً أحد، وأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته»[5].

ورواه البخاري عن ابن عباس * عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: قال الله ـ عز وجل ـ: «كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك. وشتمني، ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي، فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمته إياي، فقوله: لي ولد، فسبحاني أن اتخذ صاحبة ولا ولداً»[6].

---

(١) سورة مريم: الآيات ٨٨ ـ ٩٥.

(٢) أبو هريرة: سبقت الإشارة إليه ٣/ ١٧١.

(٣) في ك (وما ينبغي له) بدلاً من (ولم يكن له ذلك).

(٤) ما بين النجمتين كتب في هـ (يقول الله: شتمني ابن آدم وما ينبغي له، وكذبني ابن آدم، وما ينبغي له، فأما شتمه إياي فقوله: إني اتخذت ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد).

(٥) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث ٤/ ١٥٣.

(٦) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث ٤/ ١٥٣.

وفي الصحيحين عن أبي موسى[1] قال: قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله ــ عز وجل ــ، إنه يشرك به ويجعل له ند وهو يعافيهم ويرزقهم ويدفع عنهم»[2] *[3].

الوجه الثاني عشر: أن كل من يعتقد في التجسيم ما يعتقد، يمكنه أن يقول كما يقوله النصارى، فإن النصارى عمدوا إلى ما هو جسد من جنس سائر أجساد بني آدم. قالوا: إنه إلٰه تام، وإنسان تام، وليس فيه من الإلٰهية شيء، فما بقي ــ مع هذا ــ يمتنع أن يعتقد في نظائره ما يعتقد فيه.

فلو قال القائل: إن موسى بن عمران كان هو الله، لم يكن هذا أبعد من قول النصارى، فإن معجزات موسى، كانت أعظم، وانتصاره على عدوه أظهر، وقد سماه الله في التوراة إلٰهاً لهارون ولفرعون.

فإذا قيل فيه ما قالوه في المسيح: إنه أظهر المعجز بلاهوته، وأظهر العبودية بناسوته، لم يكن بطلان هذا أظهر من بطلان قول النصارى، بل متى جوزوا اتحاد اللاهوت بالناسوت، لم يمكنهم دفع ذلك عن أحد ممن يدعى فيه إلَّا بدليل خاص، بل إذا قيل لهم: حل في كثير من الأنبياء والقداديس، لم يمكنهم نفي ذلك.

وإذا قالوا: لم يخبر بذلك أحد، ولم يبشر به نبي، أو هذا غير معلوم.

---

(١) هو عبد الله بن قيس الأشعري صحابي جليل أسلم قديماً بمكة، مات سنة ٤٢، وقيل ٤٤، وقيل ٥٠هـ ــ رضي الله عنه ــ. الإصابة ٤/١٨٧؛ والاستيعاب ٤/١٧٣.

(٢) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث ص ٤/ ١٥٥.

(٣) ما بين هذه النجمة والنجمة الأخرى في الصفحة السابقة ساقط من هـ، ك.

قيل لهم: غاية هذا كله، أنكم لا تعلمون ذلك، ولم يقم عندكم دليل عليه، وعدم العلم ليس علماً بالعدم، فعدم علمكم، وعدم علم غيركم بالشيء، ليس علماً بعدم ذلك الشيء.

وكذلك عدم الدليل المعين، لا يستلزم عدم المدلول عليه، فإن كل ما خلقه الله دليل عليه، ثم إذا عدم ذلك لم يلزم عدم الخالق فلا يجوز نفي الشيء لعدم الدليل الدال عليه إلاَّ أن يكون عدم الدليل مستلزماً لعدمه، كالأمور التي تتوفر الهمم على نقلها إذا لم ينقل علم انتفاؤها.

والمقصود أنكم ــ مع العدم ــ لا يمكنكم النفي العام عن غير المسيح[1] لعدم الدليل الدال عليه، فإنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول في نفس الأمر، لا سيما وهو كان متحداً بالمسيح عندهم أكثر من ثلاثين سنة، ومع هذا، فكان يخفي نفسه ولا يظهر إلاَّ العبودية.

فإذا قيل لهم: هكذا كان متحداً بغيره من الأنبياء والصالحين، ولكن أخفى نفسه لحكمة له في ذلك، أو أظهر على نفسه بعض خواص عباده، أو أظهر لطائفة لم ينقل إلينا خبرهم ونحو ذلك، لم يمكن[2] ــ مع تصديق النصارى فيما يدعونه ــ الجزم بكذب هؤلاء. بل من جوز قول النصارى، جوز أن يكون متحداً[3] بغير ذلك من الأجسام، فيجعل كثيراً من الأجسام المخلوقة هي رب العالمين، إذ كانت[4] ليس هو متحداً بها في نفس الأمر.

---

(١) (العام عن غير المسيح) ساقطة من هـ، ك.

(٢) في هـ، (يكن) بدلاً من (يمكن).

(٣) في هـ، ك (أن يتحد) بدلاً من (أن يكون متحداً).

(٤) في ط (كان) بدلاً من (كانت).

فإذا اعتقدوا الاتحاد فيها[1]، كما اعتقدته النصارى في المسيح، لم يكن ثَمّ إله في الحقيقة إلاَّ ذلك الجسم الناسوتي المخلوق.

لكن ظن الضال أنه رب العالمين، كما ظن عباد العجل أن العجل إله موسى. فإذا جاز أن يتحد الرب ـ عز وجل ـ ببعض الأجسام، لم ينكر على أصحاب العجل إذا جوزوا أن يكون رب العالمين اتحد بالعجل، وقد رأوا[2] منه نوع خرق عادة. فليس للنصارى أن ينكروا على عباد العجل ولا عباد شيء من الأصنام، إذا أمكن أن يكون الرب ـ عز وجل ـ حل فيها عندهم، إن لم يقموا دليلاً على أن الرب لم يحل في ذلك.

فإذا قيل: إن موسى ـ عليه السلام ـ أنكر على عباد العجل.

قيل: نعم. وموسى ينكر على كل من عبد شيئاً من المخلوقات، حتى لو عبد أحد الشجرة التي كلمه الله منها، لأنكر عليه، فإنكاره على النصارى أعظم.

وموسى ـ عليه السلام ـ، لم يقل قط: إن الله يتحد بشيء من المخلوقات ويحل فيه، بل أخبر من عظمة الله ـ عز وجل ـ بما يناقض ذلك.

ففي التوراة، من[3] نهيه عن عبادة ما سوى الله، ومن تعظيم أمره وعقوبة المشركين به، وبما أخبر به من صفات الله ـ عز وجل ـ، ما يناقض قول النصارى.

---

(١) (فيها) ساقطة من هـ، ك.

(٢) في هـ، ك (رأي) بدلاً من (رأوا).

(٣) في هـ (عن) بدلاً من (من).

ولهـذا كان من تـدبر التـوراة وغيـرهـا من كـلام الأنبيـاء ـ عليهم السلام ـ من النصارى، تبين له أن دينهم يناقض دين الأنبياء كلهم، وأن ما هم عليه من التثليث والاتحـاد والشرك، لم يبعث بـه أحد من الأنبيـاء ـ عليهم السلام ـ .

وما يفعلونه من دعاء المخلوقين كالملائكة، أو كالأنبياء والصالحين الذين ماتوا، مثل[1] دعائهم مريم وغيرها، وطلبهم من الأموات الشفاعة لهم عند الله، لم يبعث به أحد من الأنبياء، فيكف وقد صوروا تماثيلهم، ليكون تذكيراً لهم بأصحابها ويدعون تلك الصور[2].

وإن قصـدوا دعاء أصحـابها، فهم إذا صـرحوا بـدعـاء أصحـابهـا وطلبوا منهم الشفاعة وهم موتى وغائبون، كانوا مشركين.

فكيف إذا كان الدعاء في الظاهـر لتماثيلهم المصـورة؟ وهذا ممـا يعترف[3] حذاق علمائهم بأنه مخالف لدين الأنبياء كلهم.

ولهذا وقع بينهم تنازع في اتخاذ الصور في الكنائس، لمـا ابتدعـه بعضهم كمـا هو مـذكور في أخبـارهم، ولم يأت من ابتـدع ذلك بحجـة شرعية.

والمجسمـة يعتقـدون أن الله[4] قـديم أزلي، وأنـه عـظيم جـداً، لا يقولون إنه متحد بشيء من الأجسام المخلوقة، ولا يحل فيها[5]. فمن

---

(١) في هـ (قبل) بدلاً من (مثل).
(٢) في ط (الصورة) بزيادة (ة).
(٣) في ط (يعترفه) بدلاً من (يعترف).
(٤) في هـ (أنه) بدلاً من (أن الله).
(٥) في هـ (منها) بدلاً من (فيها).

قال باتحاده وحلوله فيها، كان قوله شراً من قول هؤلاء المجسمة.

كما أن المتفلسفة الذين يقولون بأن الأفلاك أجسام قديمة أزلية واجبة بنفسها أولها علة تتشبه بها كما يقوله «أرسطو» وذووه، أو يثبتون لها علة فاعلة لم تزل مقارنة لها كما يقوله «ابن سينا»[1] وأمثاله.

وهؤلاء قولهم شر من قول اليهود والنصارى ومشركي العرب الذين يثبتون للسموات والأرض خالقاً خلقها بمشيئته وقدرته.

ولو قال من قال منهم: إن ذلك جسم فغايته أن يثبت جسماً قديماً أزلياً موصوفاً بصفات الكمال.

فمن أثبت جسماً قديماً أزلياً ليس موصوفاً بصفات الكمال، كان قوله شراً من قول هذا.

فتبين أن المجسمة الذين يثبتون جسماً، قديماً أزلياً، واجب الوجود بنفسه، عالماً بكل شيء، قادراً على كل شيء مع قولهم: إنه تحله الحوادث وتقوم به الحركة والسكون، خيراً من قول الفلاسفة الذين يقولون: إن الأفلاك أجسام قديمة أزلية واجبة الوجود بنفسها، كما يقوله «أرسطو» وذووه، وخير من النصارى أيضاً.

الوجه الثالث عشر: قولهم: من قال ثلاثة آلهة مختلفة أو متفقة، أو ثلاثة أشخاص مركبة أو غير ذلك مما يقتضي الاشتراك والتكثير والتبعيض والتشبيه، فنحن نلعنه ونكفره.

فيقال لهم وأنتم[2]: أيضاً تلعنون من قال: إن المسيح ليس هو إله حق من إله حق، ولا هو مساوي[3] الأب في الجوهر، ومن قال: إنه

---

(١) ابن سينا: سبقت الإشارة إليه ص ٣٣٤.

(٢) في هـ، ك (أنتم) بسقوط (و).

(٣) في هـ، ك (مساو) بسقوط (ي).

ليس بخالق، ومن قال: إنه ليس بجالس عن يمين أبيه. ومن قال أيضاً: إن روح القدس ليس برب حق[1] محيي، ومن قال: إنه ليس ثلاثة أقانيم.

وتلعنون أيضاً مع قولكم إنه الخالق من قال: إنه الأب، والأب هو الخالق، فتلعنون من قال هو الأب الخالق، ومن قال: ليس هو الخالق فتجمعون بين النقيضين.

فتلعنون من جرد التوحيد بلا شرك ولا تثليث، ومن أثبت التثليث مع انفصال كل واحد عن الآخر، وتجمعون بين النقيضين.

فمن أثبت أحدهما منفكاً عن الآخر لعنتموه، كمن قال: عندي واحد ثلاثة.

فمن قال: هو واحد ليس بثلاثة كذبه، ومن قال: هو ثلاثة ليس واحداً كذبه.

ومن قال: عندي شيء موجود معدوم، فمن قال: هو موجود[2] ليس بمعدوم كذبه، ومن قال معدوم ليس بموجود كذبه.

ومن قال: عندي شيء هو حي ميت، هو عالم جاهل، هو قادر عاجز، فمن قال هو حي ليس بميت كذبه، ومن قال: هو ميت ليس بحي، كذبه.

فهكذا أنتم، تجمعون بين قولين متناقضين، أحدهما حق، والآخر باطل.

فمن قال الحق ونفى الباطل، لعنتموه، ومن قال الباطل ونفى

---

(١) في هـ (حي) بدلاً من (حق)، (حق) مطموسة في ك.

(٢) (هو موجود) ساقط من هـ.

الحق لعنتموه[1].

وأنتم تشبهون الملاحدة، من الجهمية والفلاسفة والباطنية الذين يسلبون عنه النقيضين أو يمتنعون عن إثبات أحد النقيضين فيقولون: لا نقول هو حي ولا ليس بحي، ولا هو عالم، ولا ليس بعالم، ولا قادر ولا ليس بقادر.

بل منهم من يقول: لا نقول هو موجود ولا معدوم، ولا نقول: هو شيء، ولا نقول: ليس بشيء.

ومنهم من يقول: ليس بحي ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز.

ومنهم من يقول: لا نطلق لا هذا ولا هذا.

فيقال لهم: رفع النقيضين كجمع النقيضين، والامتناع عن إثبات أحد النقيضين، كالامتناع عن نفي أحد النقيضين.

وكذلك من وصفه بأنه موجود واجب الوجود لذاته، ثم وصفه بصفات تستلزم عدمه، فقد جمع بين النقيضين.

وكل قول يتضمن جمع النقيضين وإثبات[2] الشيء ونفيه، أو رفع النقيضين، الإثبات والنفي، فهو باطل.

والنصارى ــ في هذا الباب ــ من أبلغ الناس تناقضاً، يقولون الشيء، ويقولون بما يناقضه[3]، ويلعنون من قال هذا ومن قال هذا.

وأيضاً فكل طائفة منكم تلعن الأخرى، فإن أهل الأمانة تلعن الأريوسية وغيرهم من طوائف النصارى، وهم يلعنونكم، وكل من فرقكم

---

(١) (ومن قال الباطل ونفي الحق لعنتموه) ساقطة من هـ .

(٢) في هـ (إثبات) بسقوط (و).

(٣) في هـ (ما ينقضه) بدلاً من (بما يناقضه)، وفي ك (ينقضه) بدلاً من (يناقضه).

الثلاثة، النسطورية، واليعقوبية، والملكية، تلعن الطائفتين الأخريين.

فأنتم واليعقوبية تلعنون من يقول: إن مريم لم تلد إلّهاً، ويقولون: إن مريم ولدت إنساناً تاماً إلّهاً تاماً.

وأنتم والنسطورية تلعنون من قال: إنهما جوهر واحد بمشيئة واحدة وطبيعة واحدة.

ومن قال: إن اللاهوت تألم مع قولكم: إن اللاهوت مولود من مريم ومع قولكم[1] المسيح الذي ولدته مريم: مات وصلب، وفي أقوالكم من العجائب المتناقضة التي توجب أنكم ملعونون، ما[2] يطول وصفه، فما منكم من أحد إلَّا وهو لا عن ملعون، فلعنكم من قال بهذه المقالات، لا يوجب أنكم على الحق، بل يوجب أن يكون من جملة الملعونين عندكم، كطائفة من طوائفكم، والنصارى طوائف كثيرون مختلفون اختلافاً كثيراً.

والطوائف الثلاثة المشهورة في الأزمان المتأخرة منهم[3]، بعض طوائفهم، وإلَّا فهم طوائف كثيرون، مختلفون في التثليث والاتحاد.

وتجد كل صنف منهم ـ أو[4] غيرهم في مقالاتهم ـ يحكى أقوالاً غير الأقوال التي حكاها الآخرون.

ومن أجل من جمع أخبارهم عندهم سعيد بن البطريق بترك الإسكندرية في أثناء المائة الرابعة من دولة الإسلام، وقد بحث لهم بحثاً استقصى فيه ـ بزعمه ـ نصر مذهبهم، وهو ملكي، وقد ذكرت

---

(١) (اللاهوت مولود من مريم، ومع قولكم) ساقطة من هـ.

(٢) في هـ، ك (بما) بزيادة (بـ).

(٣) في ط (فهم) بدلاً من (منهم).

(٤) في هـ، ك (و) بسقوط (أ)

كلامه في غير هذا الموضع[1].

وفيهم من يقول: إن مريم زوجة الله، وفيهم من يجعلها إلّهاً آخر، كالمسيح.

وفيهم من يثبت أن المسيح ابن الله، الولادة المعقولة[2] المعروفة من الحيوان.

والأمانة التي جعلوها عقيدتهم وأصل إيمانهم في زمن قسطنطين بعد المسيح بأكثر من ثلاثمائة سنة، هي وغيرها من أقوالهم الظاهرة، تدل على هذه الأمور المنكرة القبيحة دلالة بينة.

لكن علماؤهم يتأولونها بتأويلات تناقض مدلولها، مع فساد تلك المعاني التي يحملونها عليها عقلاً وشرعاً.

وليست تلك ألفاظ الأنبياء، حتى يقال: حكمهم في ذلك حكم سائر الطوائف من المسلمين وغيرهم، الذين يقولون ما يرونه متشابهاً من كلام الأنبياء، ويقولون: إن الأنبياء تكلموا بما لا يعرف أحد معناه، أو أنهم خاطبوا الجمهور بما أرادوا به تفهيمهم أموراً ينتفعون بها، وإن كان ذلك كذباً باطلاً في نفس الأمر.

فإن هؤلاء الطوائف، وإن كان فيهم من الضلال والجهل، ما قد بسط في غير هذا الموضع[3]، فقد فعلوا ذلك في ألفاظ الأنبياء التي لها حرمة النبوة.

---

(١) يشير الشيخ ـ رحمه الله ـ إلى ما نقله من «نظم الجوهر» في هذا الكتاب والذي يبدأ من ٤/ ١٨٣.

(٢) (المعقولة) ساقطة من ط، ك.

(٣) (الموضع) ممحوة من هـ .

بخلاف النصارى فإنهم وضعوا[1] عقيدة وشريعة، ليست ألفاظها منقولة عن أحد من الأنبياء.

الوجه الرابع عشر: قولهم: ويراد[2] بالأب والابن، غير أبوة وبنوة نكاح، ومن أراد ولادة زوجة لعناه.

فيقال: لفظ الولادة المعروفة، إنما يكون من أصلين، وإنما يكون بانفصال جزء من الأصلين، وإنما يكون بحدوث المولود، سواء أريد ولادة الحيوان أو غيرها، كما تتولد النار من بين[3] الزنادين، فإذا قدح أحدهما بالآخر، خرج منهما[4] جزء لطيف، فاستحال ناراً، ثم سقط على الحراق.

وقد توسع بعض الناس في الولادة حتى عبر به عما يحدث عن الشيء وإن لم يكن بانفصال جزء منه، كتولد الشعاع عن النار، والشمس وغيرها لأن هذا يحدث بشيئين أحدهما، ما يصدر عنه، من الشمس والنار، والثاني المحل القابل له[5] الذي ينعكس عليه، وهو الجرم المقابل له الذي يقوم به الشعاع.

فأما ما يحدث عن شيء واحد، فلا يعرف أنه يسمى ولادة إن قدر وجود ذلك، وكذلك لا يعرف ما يلزم الشيء الواحد أنه يسمى ولداً.

فأما ما يقوم بالموصوف من صفاته اللازمة له، فهذا[6] أبعد

---

(١) في هـ (وضفوا) بدلاً من (وضعوا).
(٢) في ط (ومرادنا) بدلاً من (ويراد).
(٣) (بين) ساقطة من هـ، ك.
(٤) في هـ (منها) بدلاً من (منهما).
(٥) (له) ساقطة من هـ، ك.
(٦) في هـ، (فهو) بدلاً من (فهذا).

شيء[1] عن أن يسمى هـذا الملزوم ولادة، بل لا تكـون الـولادة إلَّا عن أصلين.

وكل من قال: إن لله ولداً، لزمه أن يكون[2] له صاحبـة بأي وجـه فسر الولادة، وأن يكون له ولد حادثاً، ولهذا قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[3].

فاستفهم ـ تعالى ـ استفهـام إنكار، ليبين[4] امتنـاع أن يكون لـه ولد، إذ لـم تكن له صاحبة فإن الولد لا يكون إلَّا من أصلين، وهـذا مما ينبغي أن يتفـطن له، فـإن جعل[5] مـا يلزم الشيء الواحـد متولـداً عنه، لا يعرف، لا سيما صفـاته القـائمة بـه اللازمـة له، كعلمـه، وحياتـه[6]، لا سيما الصفات القديمة الأزلية اللازمة[7] لذات رب العالمين، الذي لم يزل ولا يزال موصوفاً بهـا، فإن صفـات العبد الـلازمة لـه، كحياتـه، وقدرتـه ونحو ذلك ليست متولدة عنه عند جميع العقلاء.

ولا يقول عاقل يعقل ما يقول: إن لون السماء وقدرها متولد عنها، ولا إن قـدر الشمس وضوءهـا القـائم بهـا، الـلازم لهـا، متـولـد عنهـا، ولا يقول أحد: إن حرارة النار وضوءها القائم بها متولد عنها.

---

(١) (شيء) ساقطة من هـ، ك.

(٢) في ط (تكون) بدلاً من (يكون).

(٣) سورة الأنعام: الآيتان ١٠٠، ١٠١.

(٤) في ط (يبين) بسقوط (لـ).

(٥) في هـ، ك (تسمية) بدلاً من (جعل).

(٦) (لا سيما صفاته القائمة به اللازمة له، تعلمه، وحياته) ساقطة من هـ، ك.

(٧) (اللازمة) ساقطة من ط.

وإنما يقال: إن قيل ـ فيما ليس بقائم بها[1]، بل قائم بغيرها، أو فيما هو حادث بعد أن لم يكن، كالشعاع القائم بالأرض والحيطان، وهذا ليس بقائم بها، بل قائم بغيرها، هو حادث متولد عن أصلين، لا عن أصل واحد.

فأما صفات المخلوق القائمة به اللازمة له، فلا يقول أحد من العقلاء: إنها متولدة عنه.

والنصارى يزعمون أن كلمة الله التي يفسرونها بعلمه أو حكمته، وروح القدس التي يفسرونها بحياته وقدرته، هي صفة له قديمة أزلية، لم يزل ولا يزال موصوفاً بها.

ويقولون ـ مع ذلك ـ: إن الكلمة هي مولودة منه[2]، فيجعلون علمه القديم الأزلي متولداً عنه، ولا يجعلون حياته القديمة الأزلية متولدة عنه.

وقد أصابوا في أنهم لم يجعلوا حياته متولدة عنه، لكن ظهر بذلك بعض مناقضاتهم وضلالهم فإنه[3] أنواع كثيرة، فإنه إن كانت صفة الموصوف القديمة اللازمة لذاته، يقال: إنها ابنه وولده ومتولد عنه، ونحو ذلك، فتكون حياته أيضاً ابنه وولده. ومتولداً عنه، وإن لم يكن كذلك، فلا يكون علمه ابنه ولا ولده، ولا متولداً عنه.

وأبلغ[4] من ذلك أن روح القدس المنفصلة عنه، القائمة بالأنبياء والصديقين، لا يقولون: إنها ولده، ولا إنها متولدة عنه، بل يخصون

---

(١) (بها) ساقطة من هـ.

(٢) (منه) ساقطة من هـ، ك.

(٣) في ط (بأنه) بدلاً من (فإنه).

(٤) في هـ، ك (وأقطع) بدلاً من (وأبلغ).

ذلك بالكلمة، فلا ينقلون عن أحد من الأنبياء أنه سمى شيئاً من صفات الله ابناً ولا ولداً، ولا قال: إن علم الله أو كلامه أو حكمته ولده أو ابنه أو هو متولد عنه.

فعلم أن القوم في غاية التناقض في المعاني والألفاظ وأنهم مخالفون للكتب الإلٓهية كلها، ولما فطر الله عليه عباده من المعقولات التي يسمونها نواميس عقلية، ومخالفون لجميع لغات الآدميين، وهذا مما يظهر به فساد تمثيلهم فإنهم قالوا: تولدت الكلمة عنه، كما تولد الكلمة والحكمة فينا عن العقل.

فيقال لهم: لو قدر أن الأنبياء سموا ذلك تولداً، فما يتولد فينا حادث بعد أن لم يكن، وحدوثه يتسبب من فعلنا وقدرتنا ومشيئتنا.

فأما صفاتنا[١] اللازمة لنا، التي لا اختيار لنا في اتصافنا بها ولم نزل متصفين بها، فلا يقول عاقل: إنها متولدة فينا وعنا.

وأنتم تجعلون صفة الله القديمة اللازمة له، التي لم يزل[٢] ولا يزال متصفاً بها، متولدة عنه.

فلو قدر أن ما ذكرتموه من التولد العقلي أمراً معروفاً في اللغة والعقل والشرع، لم يكن لكم أن تجعلوا علم الله وحكمته التي فسرتم بها كلمته ابناً له ومولوداً[٣] منه، لم يزل مولوداً منه، لأن هذا باطل عقلاً وشرعاً ولغة.

أما العقل، فإن صفة الموصوف اللازمة له ــ وإن كان مخلوقاً ــ

---

(١) في هـ (قائماً بصفاتنا) بدلاً من (صفاتنا).

(٢) في هـ (تزل) بدلاً من (يزل).

(٣) في هـ (مولوداً) بسقوط (و).

ليست متولدة عنه، فكيف الصفة القديمة للموصوف القديم؟

ولو جاز هذا، جاز أن يجعل ما كان لازماً لغيره ولداً له ومولوداً منه، فيجعل كيفيات الأشياء وكمياتها متولدة عنها وأمثالها.

ويقال: إن طول الجسم وعرضه وعمقه متولد عنه، وإن حياة الحي متولدة عنه، وإن القوى والطبايع التي جعلها الله في المخلوقات[1] متولدة عنها[2].

وأما الشرع، فإن هذا لو كان متولداً ـ وهو في بعض اللغات يسمى ولداً ـ لم يجز أن يحمل على ذلك كلام الأنبياء إلَّا أن يكون في لغتهم يسمى ولداً.

وكل من نظر في كتب الأنبياء من علماء النصارى وغيرهم، لم يجد أحداً من الأنبياء يسمي علم الله وكلمته وحياته، ولداً له ولا ابناً له، ولا قال: إن ذلك يتولد[3] عنه.

فقولهم عن المسيح: عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس أنه أراد بالابن كلمة الله القديمة الأزلية، وأنها متولدة[4] منه وأنه أراد بروح القدس، حياة الله القديمة الأزلية، كذب محض على المسيح ـ عليه السلام ـ، لا يوجد قط في كلامه ولا كلام غيره من الأنبياء أنهم سموا علم الله وحكمته، ولا شيئاً من صفاته القائمة به ابناً، ولا سموا حياته روح القدس.

وأما اللغة، فإن هذا التعبير الذي ذكروا ـ وهو تسمية صفات

(١) في ط (الحيوان) بدلاً من (المخلوقات).
(٢) (جعلها الله في المخلوقات متولدة عنها) غير ظاهرة في ك.
(٣) في هـ، ك (متولداً) بدلاً من (يتولد).
(٤) في هـ (مولده) بدلاً من (متولدة).

الموصوف اللازمة له ولداً وابناً ومتولداً ــ لا يعرف في لغات بني آدم المعروفة.

وقد يتبنى الرجل ولد غيره فيتخذه ولداً ويجعله بمنزلة الولد وإن لم يكن متولداً عنه، كما كانت تفعله أهل الجاهلية من العرب وغيرهم، ولهذا نزه الله ــ تعالى ــ نفسه عن الولادة وعن اتخاذ الولد فقال ــ تعالى ــ :

﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[2].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[3].

وأما اتخاذ الولد، ففي مواضع متعددة، كقوله ــ تعالى ــ :

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾[4].

وقوله ــ تعالى ــ[5] :

---

(١) سورة الصافات: الآيتان ١٥١، ١٥٢.
(٢) سورة الأنعام: الآيتان ١٠٠، ١٠١.
(٣) سورة الإخلاص: الآيتان ٣، ٤.
(٤) سورة الإسراء: من الآية ١١١.
(٥) (ــ تعالى ــ) ساقطة من هـ، ك.

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (١١٦) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(١).

وقوله:

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) ﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾(٢).

وقوله:

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾(٣).

وقوله:

﴿ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾(٤).

وأهل الكتاب يذكرون أن في كتبهم تسمية عباد الله الصالحين ابناً، وتسمية الله أباً، وتسمية المصطفين أبناء، وهذا إذا كان ثابتاً عن الأنبياء فإنهم لا يعنون به إلَّا معنى صحيحاً.

واللفظ قد يكون له في لغة معنى، وله في لغة أخرى معنى غير ذلك، والمراد بهذا الولد والابن، لا ينافي كونه مخلوقاً مربوباً عبداً لله ـ عز وجل ـ .

---

(١) سورة البقرة: الآيتان ١١٦، ١١٧.

(٢) سورة الأنبياء: الآيات ٢٦ ـ ٢٩. ﴿**كذلك نجزي الظالمين**﴾ سقطت من هـ، ك.

(٣) سورة المؤمنون: من الآية ٩١.

(٤) سورة الزمر: من الآية ٤.

وأما تسمية شيء من صفات الله ابناً أو ولداً، فهذا لا يعرف عن أحد من الأنبياء، ولا الأمم أهل اللغات سوى مبتدعة النصارى. ولم يبقَ للتولد إلَّا معنيان، أحدهما: أن ينفصل عنه جزء، والثاني: أن يحدث عنه شيء إما باختياره، وإما بغير اختياره وقدرته كحدوث الشعاع عن النار والشمس.

وكل من الأمرين لا يكون إلَّا عن أصلين، ولا بد أن يكون حادثاً لا يكون من صفاته اللازمة له، فيمتنع أن يتولد عنه شيء إن لم يكن معه أصل آخر يتولد عنهما.

والتولد عنه بغير قدرته ومشيئته، ممتنع عند أهل الملل، المسلمين واليهود والنصارى وسائر الأمم، سوى طائفة من المتفلسفة يقولون: إنه موجب بذاته، مستلزماً لما يصدر عنه، فهؤلاء قولهم يناسب هذا التولد.

والنصارى تكفر هؤلاء، لكن قد ضاهوهم في القول، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[1].

وهذا قاله طائفة من اليهود، وهو معروف عن شخص يقال له فنحاص بن عازورا[2] وأتباعه.

---

(1) سورة التوبة: من الآية ٣٠.

(2) هو عالم من بني إسرائيل ممن قالوا بأن عزير بن الله. ذكر ذلك المفسرون عند كلامهم على الآية ٣٠ من سورة التوبة في قصة العزير.
انظر: تفسير ابن كثير ٢/٣٤٨؛ والصاوي على الجلالين ـ تفسير سورة التوبة.

قال أبو محمد بن حزم[1]: والصدوقية[2]، طائفة من اليهود[3] نسبوا إلى رجل يقال له صدوق[4]، وهم يقولون ـ من بين سائر اليهود ـ إن العزير[5] بن الله، وكانوا بجهة اليمن[6].

ولكن المتفلسفة الذين يقولون بصدور العقول والأفلاك عنه، وإن سمي ذلك تولداً[7]، فهم يجعلون ولده منفصلاً عنه، لكن يثبتون ولداً قديماً أزلياً صدر عنه بغير اختياره، ويجعلون الشيء الواحد متولداً عنه.

وسائر الطوائف الذين أثبتوا لله ولداً، جعلوه حادثاً منفصلاً عنه.

فأما جعل صفته القائمة به ولداً له[8] ومولوداً، فهذا لا يعرف عن غير النصارى، فإذا أثبتوا له ولداً وابناً غير مخلوق، والصفة[9] القائمة به اللازمة له، لم تتولد عنه، ولا تسمى ابناً ولا ولداً عند أحد من الأنبياء وغيرهم، تعين أن يكون الولد، إما جزءاً منفصلاً عنه، وإما معلولاً له صادراً عنه بغير قدرته ومشيئته، وأي القولين قالوه، فهم فيه كفار مضاهئون لقول الذين كفروا من قبل.

---

(١) **أبو محمد بن حزم**: سبقت الإشارة إليه ٤/ ٨٤.

(٢) **الصدوقية**: فرقة صغيرة نسبياً ولكنها مؤلفة من مثقفين جلهم أغنياء وذوي مكانة مرموقة، متخاصمة مع الفريسين، وقد دعم الرأي أن اسمها مشتق من صادق، وذلك لأن هذه الطائفة مشتقة من رؤساء الكهنة والأرستقراطية الكهنوتية، وقد كان صادوق رئيس كهنة في أيام داود وسليمان.

انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩.

(٣) (من اليهود) ساقطة من هـ ، ك.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) **العزير**: سبقت الإشارة إليه ٣/ ٣٦.

(٦) انظر كلام ابن حزم هذا في كتابه الفصل ١/ ٩٩.

(٧) في هـ (مولداً) بدلاً من (تولداً).

(٨) (له) ساقطة من هـ ، ك.

(٩) في هـ (والصفات) بدلاً من (والصفة).

وبعض علمائهم وإن أنكر ذلك، لكنهم يقولون ما[1] يستلزم ذلك، ويشبهونه بالشعاع من الشمس، ويقولون عن[2] الروح، هو منبثق من الله خارج منه.

وهذا كله يناسب الولادة، التي هي خروج شيء منه، أو حدوث شيء عنه بغير اختياره ومشيئته، ولا بد له ـ مع ذلك ـ من محل يقوم به فإن الشعاع لا يقوم إلاَّ بالأرض.

والأمر المنبثق الخارج من غيره إما أن يكون جوهراً قائماً بنفسه، أو صفة قائمة بغيرها.

فإن كان جوهراً، فقد انفصل من الرب جزء.

وإن كان عرضاً، فلا بد له من محل، فيكون متولداً عن أصلين.

وتشبيههم بتولد الكلام عن العقل، تشبيه باطل، فإن ذلك يحصل بقدرة الإنسان ومشيئته، وهو حادث بعد أن لم يكن.

هذا إذا عرف أن ما يقوم بقلب الإنسان من علم وحكمة، يقال: إنه يتولد[3] عنه ويقال: إنه ابنه، مع أن هذا أمر غير معروف في اللغات، ولو كان معروفاً في لغة بعض الأمم، لم يجز أن يفسر به كلام الأنبياء إن لم يكن معروفاً في لغتهم.

وأما ما يدعونه، فإنهم يقولون: إن الكلمة لازمة لذات الله أزلاً وأبداً، وهي مولودة[4] منه، مع أنها غير مصنوعة، فهذا كلام متناقض باطل من وجوه.

---

(١) في ط (بما) بزيادة (بـ).
(٢) في ط (عنه) بدلاً من (عن).
(٣) في هـ (متولد) بدلاً من (يتولد).
(٤) في هـ، ك (متولدة) بدلاً من (مولودة).

فإن المتولد عن الشيء، لا يتولد إلَّا عنه وعن غيره، وأما الشيء الواحد، فلا يتولد عنه وحده شيء، وأيضاً فإن ما تولد عن غيره لم يكن حادثاً، وأما الصفة القديمة اللازمة لذات الرب، فليست مولودة له[1]، ولا متولدة عنه، بل هي قائمة به لازمة لذاته.

وأيضاً، فإن المولود اسم مفعول، يقال: ولده يلده فهو مولود، وهذا لا يقال إلَّا في الحادث المتجدد، فإنه مفعول فعل الوالد.

والقديم الأزلي، لا يكون مفعولاً مولوداً.

وأيضاً فتسمية الصفة القديمة الأزلية، مولوداً وابناً، لا يوجد في كلام أحد من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ.

فهب أن هذا مما يسوغ لنا في اللغة أن نقوله، لكن[2] لا يجوز أن نحدث لغة غير لغة الأنبياء، ونحمل كلام[3] الأنبياء[4] عليها * فإن هذا كذب عليهم.

وهكذا تفعل النصارى وأمثالهم من أهل التحريف بكلام الأنبياء، يحدثون لهم لغة مخالفة للغة الأنبياء، ويحملون كلام الأنبياء عليه *[5].

مثال ذلك: أن الأنبياء أخبروا بأن الله إلّه واحد، وكفروا من أثبت إلّهين اثنين، وأمروا بالتوحيد ودعوا إليه، وحرموا الشرك وكفروا أهله، وأخبروا أن الله واحد أحد، وكان مرادهم بذلك توحيده وأنه لا يجوز أن

---

(١) (له) ساقطة من هـ.

(٢) (لكن) ساقطة من هـ.

(٣) في هـ، ك (كلامهم) بدلاً من (كلام).

(٤) (الأنبياء) ساقطة من هـ، ك.

(٥) ما بين هذه النجمتين ساقط من هـ.

يعبد إلَّا الله، وأنه لا يستحق العبادة إلَّا هو، ليس مقصودهم بذلك نفي صفاته.

فلم يقصدوا بلفظ «الأحد والواحد» أنه ليس له علم ولا قدرة، ولا شيء من الصفات.

فجاء طائفة من أهل البدع، ففسروا لفظ[1] اسم «الواحد» و«الأحد» بما جعلوه اصطلاحاً لهم، فقالوا: الواحد الذي ليس فيه تركيب ولا ينقسم، ولو كان له صفات لكان مركباً، ولو قامت به الصفات، لكان جسماً، والجسم مركب من الجواهر المنفردة، أو من المادة والصورة[2]، فلا يكون أحداً ولا واحداً.

فيقال: هذا الذي قالوه لو قدر أنه صحيح في العقل واللغة، فليس هو لغة الأنبياء التي خاطبوا بها الخلق، فكيف إذا لم يكن هذا الواحد من لغة أحد من الأمم؟

بل جميع الأمم تسمي ما قام به الصفات واحداً، بل يسمونه وحيداً، وقد يسمونه في غير الإثبات أحداً، كقوله:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾[3].

وقوله:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾[4].

وأمثال ذلك.

---

(١) (لفظ) ساقطة من هـ.

(٢) في ط (والصور) بسقوط (ة).

(٣) سورة التوبة: من الآية ٦.

(٤) سورة المدثر: من الآية ١١.

وأما البحث العقلي في هذا، فقد بسطناه في غير هـذا الموضـع، وبيّنا أن ما يسميه هؤلاء المتفلسفة تـركيباً كقـولهم: إن الشيء مركب من وجـود وماهيـة، وقولهم: إن الأنـواع مركبـة من الأجناس والفصـول، هو باطل عند جميع جمهور العقلاء.

وليس في الخـارج إلاَّ ذات متصفـة بصفـات، ليس في الخـارج وجود القائم بنفسه، وماهية أخرى غير هذا الشيء الموجود القـائم بنفسه مثلاً.

ولكن قد يعنى بلفظة «ماهية» ما يتصور في الأذهان، وبالـوجود[1] ما يوجد في الأعيان، وحينئذٍ، فهذه الماهية غيـر هذا المـوجود، وحينئذٍ فيقال هذه الماهية غير هذا الوجود.

وكـذلك[2] قـولهم: إن الإنسان المـوجود في الخـارج مـركب من الجنس والفصـل، فإن الإنسـان الموجـود هو ذات متصفـة بصفـات هـو وغيره من الموجودات.

ولكن يتصور في الذهن مـا هو مـركب من الحيوان والنـاطق، كما يتصـور ما هـو مركب من الحيـوان والضاحـك، وهذا تـركيب ذهني[3]، لا تركيب في الخارج، وقد بسط هذا في غير هذا الموضع.

وتبين أن مـا جعلوه من الصفات داخـلاً في المـاهيـة، ومـا جعلوه خارجاً عنهـا لازماً لهـا، وما هـو مجموع أجـزاء الماهيـة، يرجـع ـ عند التحقيق ـ إلى ما هو مدلول عليه بالتضمن والالتزام والمطابقة.

---

(١) في هـ (بالوجود) بسقوط (و).
(٢) في هـ (ولكن كذلك) بزيادة (لكن).
(٣) في هـ (وقفي) بدلاً من (ذهني).

ومن ذلك تركيب الجسم من الجواهر المفردة، أو من المادة والصورة.

وأكثر العقلاء ينكرون تركيب الجسم من هذا وهذا، كما قد بسط في موضع آخر[1].

والمقصود هنا، أن كلام الأنبياء لا يجوز أن يحمل إلَّا على لغتهم التي من عادتهم أن يخاطبوا بها الناس، لا يجوز أن يحدث لغة[2] غير لغتهم ويحمل كلامهم عليها.

بل إذا كان لبعض الناس ــ عادة ولغة ــ يخاطب بها أصحابه، وقدر أن ذلك يجوز له، فليس له أن يحمل ذلك، لغة النبي[3]، ويحمل كلام النبي على ذلك.

ومن هذا إخبار الأنبياء بأن الله يقول ويتكلم وينادي ويناجي، وإنه قال كذا وتكلم بكذا، ونادى موسى ونحو ذلك.

والمعروف في لغتهم ولغة سائر الأمم، أن المتكلم من قام به الكلام وإن كان متكلماً بقدرته ومشيئته، لا يعرف في لغتهم أن المتكلم من أحدث كلاماً منفصلاً عنه، ولا أن المتكلم من قام به الكلام بدون قدرته ومشيئته.

فليس لأحد ــ إذا جعل اسم المتكلم لمن يحدث كلاماً بائناً عنه، أو من قام به بدون قدرته ومشيئته ــ أن يحمل كلام الأنبياء على هذا.

بل المتكلم ــ عند الإطلاق ــ من تكلم بقدرته ومشيئته، مع قيام الكلام به.

---

(١) (كما قد بسط في موضع آخر) ساقطة من هـ، ك.

(٢) في هـ (أحد) بدلاً من (لغة).

(٣) في هـ (النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ) بزيادة (ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ).

وهـذا هو المعـروف في لغة الأنبيـاء وسائـر الأمم عنـد الإطـلاق، ونظائر هذا متعددة.

فمن فسـر كـلام الأنبيـاء بغيـر لغتهم المعـروفـة، فهم ممن بـدل كلامهم وحرفه، والنصارى من هؤلاء.

وكـذلك اسم العـادل والظالم ونحـوهما[1]، فـإن المعروف من[2] كلام الأنبياء وغيـرهم أن العادل من قـام به العـدل وفعل العـدل بمشيئته وقدرته.

والـظالم من قام بـه الظلم، وفعله بقـدرته ومشيئتـه، لايسمون من لم يقم بـه الظلم، ولكن قـام بغيره، لكـون قد جعـل ذلك فـاعـلاً لـه، ولا يسمون من لم يفعل الظلم ــ ولكن فعله غيره فيه ــ ظالماً.

فمن جعـل الظالم والكـافر والفـاسـق من لم يفعل شيئـاً من ذلـك ولكن فعله غيـره فيـه، أو جعـل الـظالم من لم يقم بـه ظلم فعله، ولكن جعل غيره متصفاً به ظـالماً، فقـد خرج عن المعـروف من كلام الأنبيـاء وغيرهم.

وأبلغ من ذلـك أن المحـدث والحـادث في لغـة جميـع الأمم، لا يسمى بـه إلاَّ مـا كـان بعـد أن لم يكن والمخلوق أبلغ من المحـدث والحادث.

فليس لأحد ــ إذا أحدث اصطلاحاً سمى بـه القديم الأزلي الـذي لم يزل موجوداً ولكنه زعم أنه معلول لغيره فسماه محدثاً بهذا الاعتبـار ــ أن يقول: أنا أحمل كلام الأنبياء الذي أخبروا به، أن السماوات والأرض

---

(١) في هـ (ونحوهم) بدلاً من (ونحوهما).

(٢) في هـ (في) بدلاً من (من).

ومـا بينهما مخلوق أو مصنـوع أو معقـول أو محـدث أو[1] نحـو ذلـك من العبارات، على أن مرادهم بذلك أنه معلول مع كونه قديماً أزلياً لم يزل.

وأما لفظ «القديم» فهو في اللغة المشهورة التي خاطبنا بها الأنبيـاء يـراد به مـا كـان متقـدماً على غيـره تقـدماً زمـانيـاً، سـواء سبقـه عـدم أو لم يسبقه، كما قال ــ تعالى ــ :

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾[2].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ﴾[3].

وقال الخليل:

﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ (٧٥) أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[4].

فلهذا كان القديم الأزلي الذي لم يزل موجوداً، ولم يسبقه عـدم، أحق باسم القديم من غيره.

وليس لأحـد أن يجعل القـديم والمتقدم اسمـاً لما قـارن غيره في الزمان لزعمه أنه متقدم عليه بالعلة، ويقول: إنه متقدم على غيره وسـابق له بهذا الاعتبار، وإن ذلك[5] المعلول متـأخر[6] عنـه بهذا الاعتبـار، ثم يحمـل ما جـاء من كلام الأنبيـاء وأتباع الأنبيـاء وعموم الخلق على هـذا الاصطلاح لو كان حقاً، فكيف إذا كان باطلاً.

---

(١) في ط (و) بسقوط (أ).

(٢) سورة يّس: من الآية ٣٩.

(٣) سورة يوسف: من الآية ٩٥.

(٤) سورة الشعراء: الآيات ٧٥ ــ ٧٧.

(٥) في هـ (كان) بدلاً من (ذلك).

(٦) في هـ (متأخراً) بزيادة (ا).

وما ذكره من التقدم والسبق والتأخر بغير الزمان، أمر[1] غير موجود ولا معقول، ولا يعرف في الوجود من فعل شيئاً وكان علة فاعلة له إلاَّ وهو متقدم عليه سابق له، ليس مقارناً له في الزمان ألبتة، بل متقدم[2] عليه تقدماً زمانياً.

وكل من يعرف أنه سبب أو علة فاعلة فإنه متقدم على مسببه ومعلوله لكن قد يكون متصلاً به، ليس بينهما زمان آخر.

فيقال: ليس هذا متأخراً عن هذا، أي هو متصل به ليس بينهما فصل.

ويقال: ليس ذلك متقدماً على هذا، أي ليس بينهما زمان، بل هو متصل به، إذ قد يراد بلفظ التقدم هذا، كقول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «الجنازة متبوعة، وليست بتابعة، ليس منها من تقدمها»[3] أي من كان قد تقدمها، حتى لم يكن قريباً منها، لم يكن تابعاً لها، كما جاء في الحديث الآخر: «الراكب خلف الجنازة، والماشي أمامها ووراءها، وعن يمينها ويسارها قريباً منها»[4] رواه أبو داود وغيره، وهو أبين حديث

---

(١) في هـ (أم) بدلاً من (أمر).

(٢) في هـ، ك (يتقدم) بدلاً من (متقدم).

(٣) انظر:

* سنن الترمذي ـ كتاب الجنائز ـ ما جاء في المشي خلف الجنازة ـ باب ٢٦ عن عبد الله بن مسعود بمعناه ـ حديث رقم ١٠١٦.

* مسند الإمام أحمد ١/٣٩٤ ـ قال عبد الله بن مسعود بلفظه.

(٤) انظر:

* مسند الإمام أحمد ٤/٢٤٨ ـ ما جاء في الراكب خلف الجنازة والماشي أمامها والراكب خلفها ـ عن المغيرة بن شعبة بلفظه ـ إلاَّ أن فيه تأخير وتقديم في الجمل.

* وسنن الترمذي ـ كتاب الجنائز ـ ٢٧ ـ باب ما جاء في كراهية الركوب خلف الجنائز ـ حديث ١٠١٧ ـ عن ثوبان ـ وقال أبو عيسى هو موقوف.

روى في هذا الباب في هذا الحكم، ومنه[1] قوله ـ تعالى ـ :

﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾[2].

أي لا يتقدم عليه، بحيث يكون بينهما انفصال. بل كال منهما متصل بالآخر.

والمقصود هنا أن معرفة اللغة التي خاطبنا بها الأنبياء وحمل كلامهم عليها، أمر واجب متعين، ومن سلك غير هذا المسلك، فقد حرف كلامهم عن مواضعه وكذب عليهم وافترى.

ومثل هذا التحريف والتبديل، قد اتفق المسلمون واليهود والنصارى على أنه وقع فيه[3] خلق كثير من أهل الكتب الثلاثة، وأن التوراة والإنجيل حرفا بهذا الاعتبار، وكذلك القرآن حرفه أهل الإلحاد والبدع، بهذا الاعتبار.

فأهل الكتاب نقلوا عن الأنبياء أنهم تكلموا بلفظ الأب والابن ومرادهم ـ عندهم ـ بالأب: الرب، وبالابن: المصطفى المختار المحبوب.

ولم ينقل أحد منهم عن الأنبياء أنهم سموا شيئاً من صفات الله ابناً ولا قالوا عن شيء من صفاته: أنه تولد عنه، ولا أنه مولود له.

فإذا وجد في كلام المسيح ـ عليه السلام ـ أنه قال: «عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس» ثم فسروا الابن بصفة الله

= * وسنن أبي داود ـ كتاب الجنائز ـ حديث ٣١٨٠ ـ عن المغيرة بن شعبة، بلفظه غير تقديم وتأخير في الجمل.

* وسنن ابن ماجه ـ كتاب الجنائز ـ باب ١٥، حديث ١٤٨١ عن المغيرة بمعناه.

(١) في ط (منه) بسقوط (و).

(٢) سورة يٓس: من الآية ٤٠.

(٣) في ك (في) بدلاً من (فيه).

القديمة الأزلية، كان هذا كذباً بيناً على المسيح، حيث لم يكن في لغته أن لفظ الابن يراد به صفة الله القديمة الأزلية.

وكذلك إذا لم يكن في كلام الأنبياء أن حياة الله تسمى روح القدس وإنما يريدون بروح القدس، ما ينزله الله ـ تبارك وتعالى ـ على الأنبياء والصالحين، ويؤيدهم. كان تفسير قول المسيح، روح القدس أنه أراد حياة الله، كذباً على المسيح.

وهذا من بعض الوجوه أفسد من قول بعض المتفلسفة: إن العقول والنفوس والأفلاك، معلولة له متولدة عنه، لازمة له أزلاً وأبداً، وإن كان هذا أيضاً باطلاً[١] في صريح العقل، كما هو كفر بما أخبرت به الأنبياء كما قد بسط في موضع آخر، فإنه لا يصدر شيء عن فاعل الأشياء بعد شيء لا يتصور أن يكون المفعول مقارناً للفاعل لا[٢] يتأخر عنه، ولا يكون التولد إلّا عن أصلين.

والواحد من كل وجه الذي ليس له صفة ثبوتية، لا وجود له، ولو كان له وجود لم يصدر عنه وحده شيء، كما قد بسط الكلام على ذلك في مواضع أخر.

ومما يوضح ذلك أن خواص النصارى وعلماءهم ـ مع تجويزهم أن يقال أن المسيح ابن الله ـ يلزمهم أن تكون مريم صاحبة الله وامرأته، كما قال ذلك من يغلو منهم، ومنهم من يجعل مريم إلٰهاً مع الله كما جعل المسيح إلٰهاً.

فإن قالوا بذلك، جعلوا لله صاحبة وولداً، وجعلوا المسيح بن

---

(١) في هـ، ك (باطل) بدلاً من (باطلاً).

(٢) في ط (ولا) بزيادة (و).

مريم وأمه الهين من دون الله، كما فعل ذلك من فعله منهم.

فإنهم يعبدون مريم، ويدعونها بما يدعون به الله ــ سبحانه ــ والمسيح، ويجعلونها إلٰهاً كما يجعلون[1] المسيح إلٰهاً. فيقولون: يا والدة الإلٰه، اغفري لنا وارحمينا ونحو ذلك، فيطلبون منها ما يطلبونه من الله ــ عز وجل ــ.

ومنهم من يقول عن مريم: إنها صاحبة الله ــ سبحانه وتعالى ــ.

وبيان لزوم ذلك أن المسيح ــ عندهم ــ إنسان تام وإلٰه تام ناسوت ولاهوت، فناسوته من مريم، ولاهوته الكلمة القديمة الأزلية وهي الخالق عندهم.

فالمسيح بين[2] أصلين، ناسوت ولاهوت، فإذا كان الأب هو الله ــ عندهم ــ، والكلمة المولودة عن الأب ابن الله، فمعلوم أن اللاهوت لما التحم بالناسوت ليصير منهما المسيح[3] ازدوج به وقارنه، وهذا معنى الزوجية.

فكما أنهم قالوا: إن الولادة عقلية لا حسية، فكذلك الازدواج والنكاح. عقلي لا حسي، فإن اللاهوت ــ على قولهم ــ ازدوج بناسوت مريم ونكحها نكاحاً عقلياً، وخلق المسيح من هذا وهذا.

وهم يقولون في الأمانة: إن المسيح تجسد من مريم ومن روح القدس.

فإن فسروا روح القدس بجبريل ــ كما يقوله المسلمون ــ فهو

---

(١) في هـ (يجعلوا في) بدلاً من (يجعلون).

(٢) في ك (من) بدلاً من (بين).

(٣) في ط (أن المسيح) بزيادة (أن).

الحق، وبطل قولهم، لكنهم يقولون: روح القدس هو الأقنوم الثالث، كما يقولون في الكلمة وهو اللاهوت عندهم.

فهم قد ذكروا أنه تجسد من الناسوت واللاهوت، فيلزمهم على هذا أن يكون المسيح هو الابن، وهو روح القدس، فيكون أقنومين، لا أقنوماً واحداً وقد تقدم تناقضهم في هذا.

والمقصود هنا أنهم إذا قالوا: إن الرب أو بعض صفاته اتحد بما خلق من مريم، فلا بد أن يحصل[1] له اتصال بمريم قبل اتصاله بما خلق منها، وذلك هو معنى النكاح والازدواج.

وعند جمهور النصارى أن مريم ولدت اللاهوت كما ولدت الناسوت، وهي أم اللاهوت، ويقولون في دعائهم: يا والدة الإله.

واللاهوت الذي ولدته مريم هو ـ عندهم ـ رب العالمين، واللاهوت اتحد بالناسوت عندهم، من حين خلق الناسوت في بطن مريم، لم يحدث بعد الولادة.

فإذا جاز أن يكون لرب العالمين عندهم أم ولدته بوجه من الوجوه، فإمكان أن يكون له صاحبة وزوجة، أولى وأحرى، وليس في ذلك ما يحيله العقل والشرع إلاَّ وهو لكونها أماً للاهوت أشد إحالة.

فإن جاز أن يكون للاهوت أم والأم أصل، فلأن يكون له صاحبة هي زوجة ونظير أقرب وأولى، فإن من المعلوم أن ولد ذلك الشيء، وهو المتفرع المتولد عنه، أنقص بالنسبة إليه من نظيره.

فإذا قالوا: إن لرب العالمين ولداً اتحد بالناسوت هو نظيره المساوي له في الجوهر، وقالو: إن الناسوت أم هذا المسيح الذي

(١) في هـ (يجعل) بدلاً من (يحصل).

هو الله وهو ابن الله، وقالوا: إن الناسوت مريم، ولد اللاهوت، كما ولد الناسوت، ولم يكن هذا عيباً ينزه الرب عنه، فلأن يجعلوا له أم هذا الولد الذي حبلت به واتحد به اللاهوت وهو منها[1]، وولدت اللاهوت، صاحبة وزوجة للأب، أولى وأحرى، وإلَّا فكيف تلد ابنه الذي هو اللاهوت، ولا تكون صاحبته وامرأته؟

وهم يقولون: نحن[2] سمينا علمه مولوداً عنه، لكونه تولد عنه تولد الكلمة عن العقل، وهذا الولد اتحد بالناسوت، فسمينا المجموع ولداً.

وبهذا يفرقون بين كون المسيح ابناً، وغيره من الأنبياء يسمى ابناً.

فإنهم يقولون: هؤلاء أبناء بالوضع، والمسيح ابن بالطبع، أي أولئك سموا أبناءً بمشيئة الرب وقدرته، لأنه اصطفاهم، والكلمة التي جعلوها متحدة بالمسيح هي ـ عندهم ـ متولدة عن الله تولداً قديماً أزلياً لا يتعلق بمشيئته وقدرته، ولهذا قالوا: مولود غير مصنوع، فإن القديم الأزلي ـ مع كونه قائماً بذاته ـ لا يكون مصنوعاً عند أحد من العقلاء، ولا القائلين بقدم العالم.

فإذا كانت الكلمة اتحدت بالمسيح المخلوق من مريم والتحمت به، فإذا قيل ـ مع ذلك ـ أن القديم مس المحدث أو لاصقه أو باشره، كان أيسر من هذا كله.

* والمسيح ولد ولادة حادثة عندهم، غير الولادة القديمة التي للكلمة فيلزم أن تكون مريم قد صارت زوجة وامرأة، بل نكحت نكاحاً

(١) في ط (فيها) بدلاً من (منها).
(٢) (نحن) ساقطة من هـ .

حادثاً يناسب تلك الولادة المحدثة، قال ـ تعالى ـ :

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ *(١).

ولهذا كان الحلول أسهل من الاتحاد.

فمن قال: إنه حل في جسد المسيح وماسه(٢) وباشره كما يحل الماء في اللبن، كان أهون ممن يقول: إنه اتحد به والتحم به.

فإذا قيل: إن مريم امرأة القديم وصاحبته وزوجته، كان ما في هذا من إثبات مباشرته لها ومماسته لها، واتصاله بها.

ومهما قدر من اتصال الزوج بزوجته، أهون مما قالوه من اتحاد القديم بالمحدث، ومصيره إياه، إما جوهراً واحداً، وإما شخصاً واحداً وإما مشيئة واحدة.

ولهذا كان كل عاقل يعلم أن النكاح الحسي أسهل من الولادة الحسية(٣).

فالذكر من الحيوان إذا نكح الأنثى فإنما مس الذكر للأنثى لم تصر الأنثى متولدة عنه. فإذا جوزوا أن يكون للرب القديم الأزلي، ما يتولد عنه ويتحد به، وهو محدث مخلوق، فلأن يكون له(٤) ما يمسه أولى وأحرى.

---

(١) سورة الأنعام: من الآية ١٠١.
ما بين النجمة والنجمة التي في الصفحة السابقة ساقط من هـ، ك.

(٢) (وماسه) ساقطة من هـ، ك.

(٣) في هـ (الحسية والعقلية) بزيادة (العقلية).

(٤) (له) ساقطة من هـ.

وإذا قالوا: إن المسيح إنما كان ابناً، لأن الكلمة القديمة التي هي ابن، اتحدت به قبل، فقد يسمى الناسوت الذي اتحد به القديم ابناً عندكم، باسم القديم وجعلتموه إلهاً خالقاً، فما المانع من[1] جعل أم ذلك الناسوت الذي جعلتموه ابن الله، صاحبة لله وزوجة، باعتبار أن القديم الأزلي حصل منه ومنها ما هو ابن القديم الأزلي؟

الوجه الخامس عشر: أن يقال: لفظ الابن وروح القدس، قد جاء في حق غير المسيح ـ عندكم ـ حتى الحواريين عندكم يقولون: إن المسيح قال لهم: إن الله أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم، ويقولون: إن روح القدس تحل فيهم.

وفيما عندكم من التوراة أن الرب قال لموسى: (اذهب إلى فرعون، فقل له: يقول لك الرب: إسرائيل ابني بكري أرسله يعبدني، فأن أبيت أن ترسل ابني بكري، قتلت ابنك بكرك. فلما لم يرسل فرعون بني إسرائيل كما قال الله، قتل الله أبكار فرعون وقومه من بكر فرعون الجالس[2] على السرير إلى الأول من أولاد الآدميين، إلى ولد الحيوان إليهم[3].

فهذه التوراة تسمي بني إسرائيل كلهم أبناء الله وأبكاره، وتسمي

---

(١) (من) ساقطة من هـ.

(٢) في هـ، ك (الجالسين) بدلاً من (الجالس).

(٣) في سفر الخروج ـ الإصحاح الرابع: (٢٢ ـ فتقول لفرعون هكذا يقول الرب إسرائيل ابني بكري. ٢٣ ـ فقلت لك: اطلق ابني بكري ليعبدني فأبيت أن تطلقه فأنا أقتل ابنك بكرك) إلى أن قال: (٢٩ ـ فحدث في نصف الليل أن الرب ضرب كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الأسير الذي في السجن وكل بكر بهيمة).
انظر: العهد القديم ص ٩٢.

أبناء أهل مصر أبناء فرعون، فتوسع بتسمية[1] سخال الحيوان أولاد المالك للحيوان.

وفي مزامير داود يقول: (أنت ابني، سلني أعطك)[2] وفي الإنجيل يقول عن المسيح: (أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم)[3]، وقال: إذا صليتم فقولوا: (يا أبانا الذي في السماء، قدوس اسمك، افعل بنا كذا وكذا)[4].

ويقولون عن القديسين: (إن روح القدس يحل فيهم، وكذلك حلت في داود وغيره من الأنبياء، بل عندهم إن الله يحل في الصديقين كلهم)[5].

---

(١) في ط، ك (ويتوسع فتسمية) بدلاً من (فتوسع بتسمية).

(٢) في سفر المزامير ــ المزمور الثاني: (قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتك اسألني أعطيك).
انظر العهد القديم ص ٨٣٤.

(٣) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٤/ ١٢٦.
وفي إنجيل يوحنا ــ الإصحاح العشرون: (إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم).
انظر: العهد الجديد ص ١٨٦.

(٤) في إنجيل متى ــ الإصحاح السادس: (٩ ــ فصلوا أنتم هكذا أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك. ١٠ ــ ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض).
انظر: العهد الجديد ص ١٠.

(٥) في سفر المزامير ــ المزمور الحادي والخمسون: (١٠ ــ قلباً نقياً أخلق في يا الله وروحاً مستقيماً جدد في داخلي. لا تطرحني من قدام وجهك وروحك القدوس ولا تنزعني منه).
انظر: العهد القديم ص ٨٦٨.
وأيضاً ــ في سفر اللاويين ــ الإصحاح التاسع: (١ ــ وكلم الرب موسى قائلاً. =

فإن كان الابن وروح القدس، يقتضي اتحاد اللاهوت بالناسوت، وجب أن يكون كل من الحواريين لاهوتاً وناسوتاً، وكذلك الأنبياء، فيكون النبي لاهوتاً وناسوتاً، لأنه قد سمي عندكم ابن الله، ونطقت فيه روح القدس، لا سيما وأنتم قلتم في الأمانة: إنه روح ممجد مسجود له، ناطق في الأنبياء.

فإن كان هذا يوجب حلول اللاهوت في الناسوت أو اتحاده، لزم أن يكون غير المسيح من الأنبياء، بل والحواريين، بل وأبناء إسرائيل لاهوتاً وناسوتاً، إذ كان الذي جعلتموه اللاهوت، حل بغير المسيح واتحد به، أو سكن[1] فيه، أو احتجب به، أو ما قلتم من الألفاظ التي استدللتم بها على أن اللاهوت حل في المسيح، كلفظ الابن، وروح القدس موجود عندكم في غير حق المسيح.

والمعجزات التي احتججتم بها للمسيح، قد وجدت لغير المسيح.

ولو قدر أن المسيح أفضل من بعض أولئك، فلا ريب أن المسيح ـ عليه السلام ـ أفضل من جمهور الأنبياء، أفضل من داود وسليمان وأصحاب النبوات الموجودة عندكم، وأفضل من الحواريين.

لكن مزيد الفضل يقتضي الفضيلة في النبوة والرسالة، كفضيلة إبراهيم وموسى ومحمد ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ، وذلك

---

٢ ـ كلم كل جماعة بني إسرائيل وقل لهم تكونون قديسين لأني قدوس الرب إلهكم)

انظر: العهد القديم ص ١٨٨.

(١) في هـ، ك (يسكن) بزيادة (يـ).

لا يقتضي خروجه عن جنس الرسل، كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ ﴾[2].

وجماع هذا الجواب: أن ما يوصف به المسيح عندهم، من كونه ابن الله، وكون الله حل فيه[3] أو ظهر، أو سكن، وكون روح القدس أو روح الله حلت فيه، وكونه مسيحاً. كل ذلك موجود عندهم في حق غير المسيح.

فليس للمسيح اختصاص بشيء من هذه الألفاظ، وإنما يوجد اختصاصه بلفظ «الكلمة» وكونه تجسد من روح القدس[4] وهذا هو الذي خصه به القرآن، فإن الله قال:

---

(١) سورة المائدة: من الآية ٧٥.

(٢) سورة المائدة: من الآيات ٧٢ ــ ٧٥.

(٣) في هـ، ك (أو حل فيه) بدلاً من (وكون الله حل فيه).

(٤) (وكونه تجسد من روح القدس) ساقط من هـ، ك.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[1].

وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت[2]، عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه قال: «من شهد أن لا إلَه إلَّا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه أدخله الله الجنَّة على ما كان من عمل»[3] فهذا الذي خصه به القرآن، هو الذي خصته الكتب المتقدمة، إذ كان القرآن مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه.

وأما سائر ما يوصف به، ويدعون اختصاصه به، من كونه ابناً لله، وكونه مسيحاً، فغيره أيضاً في كتب الله يسمى ابناً لله ومسيحاً، ولذلك ما يذكر من الألفاظ التي يحتجون بها على الحلول، مثل كون الرب ظهر فيه أو حل أو سكن، فإن هذه الألفاظ موجودة عندهم في حق[4] غير المسيح، بخلاف لفظ «الاتحاد» فإنه لا يوجد ــ عندهم ــ عن الأنبياء لا في حق المسيح ولا غيره، كما لا يوجد عندهم عن الأنبياء لفظ

---

(١) سورة النساء: من الآية ١٧١.

(٢) هو أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر، صحابي جليل، شهد العقبة الأولى والثانية والمشاهد كلها، واستعمله الرسول ــ عليه السلام ــ على الصدقات. توفي وعمره ٧٢ سنة.
انظر: أسد الغابة ٣/١٠٦.

(٣) انظر:
* صحيح البخاري ــ كتاب الأنبياء ــ باب ٤٧ ــ عن عبادة بن الصامت، الحديث بلفظه مع زيادة فيه.
* وفي صحيح مسلم ــ كتاب الإيمان ــ باب ١٠ ــ حديث ٤٦ ــ عن عبادة بن الصامت بلفظه مع زيادة فيه.

(٤) (حق) ساقطة من ك.

«الأقانيم» ولا لفظ «التثليث» ولا «اللاهوت» و«الناسوت» ولا تسمية الله جوهراً، بل هذا كله مما ابتدعوه، كما ابتدعوا ـ أيضاً ـ تسمية صفات الله ابناً وروح القدس، فهم ابتدعوا ألفاظاً لم ينطق بها الأنبياء، أثبتوا لها معاني وابتدعوا استعمال ألفاظ الأنبياء في غير مرادهم وحملوا مرادهم عليها.

والألفاظ المتشابهة التي يحتجون بها على اتحاد اللاهوت بالناسوت، موجودة ـ عندهم ـ في حق غير المسيح.

فليس للمسيح خاصة في كلام الأنبياء، توجب أن يكون هو الله، أو ابن الله وتلك الألفاظ قد عرف ـ باتفاقهم واتفاق المسلمين ـ أن المراد بها[1] حلول الإيمان بالله ومعرفته وهداه ونوره ومثاله العلمي في قلوب عباده الصالحين[2]، كما قد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع[3] وقد تقدم.

ومن قال من ضلال المسلمين: «إن الرب يتحد أو يحل في الأنبياء والأولياء، وإن هذا من السر الذي لا يباح به «فقوله من جنس قول النصارى في المسيح، وهذا كثير في كلام كثير من المشايخ والمدعين للمعرفة والتحقيق والتوحيد، فيجعلون[4] توحيد العارفين أن يصير الموحد هو الموحد، ومنهم من يقول: إن الله يحل في قلب العارف ويتكلم بلسانه، كما يتكلم الجني على لسان المصروع، ويقول الأول:

ما وحد الواحد من واحد إذ كل من وحده جاحد

(١) (بها) ساقطة من هـ، ك.

(٢) (في قلوب عباده الصالحين) ساقطة من هـ، ك.

(٣) (في غير هذا الموضع) ساقطة من هـ، ك.

(٤) في هـ (يجعلون) بسقوط (فـ).

تـوحيـد من ينـطق عن نـعتـه ... عـاريـة أبـطـلـهـا الـواحـد
تـوحـيـده إيـاه تـوحـيـده ... ونـعـت مـن ينـعتـه لاحـد[1]

ومن هؤلاء من يقول: إن[2] هذا، هـو السر الـذي باح بـه الحلاج وغيره، وهذا عندهم من الأسرار التي يكتمها العارفون، فلا يبـوحون بهـا إلَّا لخواصهم.

ومنهم من يقول: إنما قتل الحلاج لأنه باح بهذا السر، وينشدون:

من بـاح بالسـر كان القتـل شيمته ... بين[3] الرجال ولم يؤخذ له ثار[4]

وأمثال ذلك.

وهؤلاء في دعـواهم الاتحـاد والحلول[5] بغيـر المسيـح، شـر من النصارى.

فـإن المسيـح ـ صلوات الله عليـه[6] ـ أفضـل من كـل من ليس بنبـي بل هو أفضل من جماهير الأنبياء والمرسلين.

فإذا كان من ادعى أن اللاهوت اتحد به كـافراً، فكيف بمن ادعى ذلك فيمن هو دونه؟

وهذا الاتحاد الخـاص غير الاتحـاد والحلول العام لقـول الذين[7] يقولون إنه حال بذاته في كل مكان، أو متحد بكل شيء.

---

(١) هذه الأبيات سبقت الإشارة إليها ص ٣٧٥.
(٢) (إن) ساقطة من ك.
(٣) في هـ، ك (من) بدلاً من (بين).
(٤) هذا البيت لم نعثر على قائله.
(٥) (الحلول) ساقطة من هـ، ك.
(٦) (عليه) ساقطة من ك.
(٧) في ك (الذي) بدلاً من (الذين).

وغلاة هؤلاء ومحققوهم يقولون: إنه عين الوجود، والوجود[1] واحد.

فيجعلون الوجود[2] الخالق القديم الواجب هو عين وجود المخلوق المحدث الممكن.

وهؤلاء مثل ابن عربي الطائي[3]، وصاحبه الصدر القونوي[4]، وصاحبه العفيف التلمساني[5]، وابن سبعين، وصاحبه الششتري[6]، وعبد الله البلياني[7] وعامر البصري[8] وطوائف غير هؤلاء.

وهؤلاء يقولون: إن النصارى إنما كفروا لأنهم خصوا ذلك بالمسيح.

---

(١) في ك (والموجود) بدلاً من (والوجود).

(٢) في هـ (الموجود) بدلاً من (الوجود).

(٣) **ابن عربي**: سبقت الإشارة إليه ٤/٢٢٩.

(٤) **الصدر القونوي**: هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن علي القونوي الرومي صدر الدين، ولد بقونية، ومات بها سنة ٦٧٣هـ، من كبار تلاميذ ابن عربي في الصوفية، له مؤلفات منها إعجاز البيان وتفسير لسورة الفاتحة ومفتاح الغيب ولطائف الأعلام في إشارات أصل الإلهام.

انظر: مفتاح السعادة ١/٤٥١؛ وكشف الظنون ٢/١٩٥٦؛ والأعلام للزركلي ٦/٢٥٤.

(٥) في هـ، ك (التلمساني العفيف) تقديم وتأخير. وقد سبقت الإشارة إليه.

(٦) في جميع النسخ (الششتري) ولعله (التستري).

(٧) في ط (البلباني) بدلاً من (البلياني).
ولم نعثر له على ترجمة بعد البحث الطويل وخاصة في تراجم الصوفية.

(٨) **عامر البصري**: لم نعثر له على ترجمة.

وحقيقة قول هؤلاء هو جحد الخالق وتعطيله، كما قال فرعون: «وما رب العالمين» وقال: «ما علمت لكم[1] من إله غيري».

فإن فرعون ما كان ينكر هذا الوجود المشهود، لكن ينكر أن له صانعاً مبايناً له خلقه، وهؤلاء موافقون لفرعون في ذلك.

لكن فرعون أظهر الجحود والإنكار، فلم يقل: الوجود المخلوق هو الخالق.

وهؤلاء ظنوا أنهم يقرون بالخالق، وأن الوجود المخلوق، هو الخالق، وقد بسط الكلام على هؤلاء في آخر هذا الكتاب.

وهؤلاء لهم شعر نظموا قصائد على مذهبهم، كابن الفارض[2] في قصيدته المسماة بنظم السلوك حيث يقول:

لها صلواتي بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلت

كلانا مصلٍ واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع في كل سجدة

---

(١) في هـ (لك) بدلاً من (لكم).

(٢) **ابن الفارض**: هو عمر بن علي بن مرشد الحموي الأصل، أبو حفص أو أبو القاسم شرف الدين بن الفارض، ولد بمصر سنة ٥٧٦هـ ، وتوفي بها سنة ٦٣٢هـ ، نشأ في بيت علم وورع، ولما شب اشتغل بفقه الشافعية ثم حبب إليه طريق الصوفية فتزهد وتجرد في وادٍ بعيد عن مكة وقد عاد إلى مصر بعد خمسة عشر عاماً، كان حسن الهيئة والملبس، رقيق الطبع فصيح العبارة، واختلف في شأنه كشأن ابن عربي والعفيف التلمساني وغيرهم.
انظر: البداية والنهاية ١٤٣/١٣؛ ووفيات الأعيان ٤٥٤/٣؛ وشذرات الذهب ١٥٩/٥.

وما كان لي صلى سواي ولم تكن | صلاتي لغيري في أدا كل ركعة[1]

إلى أن قال:

وما زلت إياها وإياي لم تزل | ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت

وقوله:

إلى رسولاً كنت مني مرسلاً | وذاتي بآياتي[2] علي استدلت[3]

فإن دعيت كنت المجيب وإن أكن | منادى أجابت من دعاني ولبت

وقد رفعت ياء المخاطب بيننا | وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعت[4]

إلى أمثال هذه الأبيات.

وكذلك ابن إسرائيل في شعره قطعة من هذا كقوله:

وما أنت غير الكون بل أنت عينه | ويفهم هذا السر من هو ذائق

والتلمساني الملقب بالعفيف[5]، كان من أفجر الناس، وكان أحذق هؤلاء الملاحدة.

ولما قرىء عليه كتاب «فصوص الحكم» لابن عربي قيل له: هذا الكلام يخالف[6] القرآن قال[7]: «القرآن كله شرك، وإنما التوحيد في كلامنا».

---

(١) في ك (سجدة) بدلا من (ركعة).

(٢) في ط (باياي) بدلاً من (بآياتي).

(٣) في ط (كل استدلت) بزيادة (كل).

(٤) هذه الأبيات موجودة في قصيدة (سقتني حميا الحب) المعروفة بـ(التائية الكبرى) المسماة (نظم السلوك).
انظر: ديوان ابن الفارض ــ دار صادر ــ دار بيروت ص ٤٦.

(٥) (الملقب بالعفيف) ساقطة من ك.

(٦) في ط (مخالف) بدلاً من (يخالف).

(٧) في ط (فقال) بزيادة (ف).

فقيل له: إذا كان الوجود واحداً، فلماذا تحرم على أمي وتباح لي امرأتي؟

فقال: الجميع عندنا حلال، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام، فقلنا حرام عليكم.

وكلام هؤلاء كله متناقض[1] ينقض بعضه بعضاً.

فإن قوله: «هؤلاء[2] المحجوبون» وقوله: «قلنا حرام عليكم» يقتضي الفرق بينه وبين المحجوبين، وبين المخاطب والمخاطب، وهذا يناقض وحدة الوجود.

وإذا قالوا: «هذه مظاهر للحق ومجال» فإن كان الظاهر غير المظهر، والمجلى غير المتجلي، فقد ثبت التعدد، وأن في الوجود اثنين ظاهراً ومظهراً وإن جعلوهما واحداً[3] فقد بطل جوابهم[4].

● ● ●

انتهى المجلد الرابع ويليه المجلد الخامس
وأوله: فصل [مناقشة النَّصارى في إطلاق لفظ الجوهر على الله تعالى]

(١) (تناقض) ساقطة من ك.
(٢) في هـ، ك (على هؤلاء) بزيادة (على).
(٣) في هـ (واحد) بسقوط (أ).
(٤) هذا آخر القسم الثاني من كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح حسب تقسيم قسم العقيدة بكلية أصول الدين بالرياض... والله أعلم.

فهــرس موضــوعات

● ● ●